

# أحداث في تاريخ الخليج العربي

دكتور/ خالد حمود السعدون  
جامعة الشارقة

٢٠٠١

المكتب الجامعي الحديث  
الأزايطة - اسكندرية  
تليفاكس : ٤٨٤٣٨٧٩



0185311

Bibliotheca Alexandrina



# أحداث في تاريخ الخليج العربي

د. خالد حمود السعدون

جامعة الشارقة

المكتبة الجامعية

الإسكندرية - ت ولاكس ٤٨٤٣٨٧٩ ٠٣



## توطئة

تتراكم أحياناً أشدات أبحاث نفوتها- لسبب أو لآخر- فرصة النشر حال الانتهاء من كتابتها، فتظل حبيسة الادراج ويحار كاتبها بعد حين بين تركها حيث هي مستسلمة لقدرها، أو السعي لإظهارها للنور تداركاً لذلك القدر قبل نفاذه.

وتشترك عدة عوامل في ترجيح كفة الخيار الأول، إذ يمر علي كتابة بعض تلك الأبحاث زمن ما يجعل مادتها تتسم بشيء من القدم. وقد يشيع في نفس كاتبها عند مراجعتها شعور من عدم الرضي يصاحب معاودة القراءة دائماً. كما أن غياب وحدة الموضوع بينها قد لا يسوغ نشرها مجموعة في كتاب واحد.

ويخفف من فعل تلك العوامل بالمقابل إحساس طبيعي لدي الكاتب بالحاجة للتواصل مع قارئه. فالكلمة حين تخط علي الورق كالبنزة لا تثبت إلا حين ترتوي بوقوع عين القارئ عليها. ويخالط ذلك شعور- لا يخلو من بعض الخورور- بأن نشر تلك الأبحاث ربما يعود بشيء من الفائدة لأنها تلقي الضوء علي جوانب من تاريخنا بقيت معتمة إلي حد ما نتيجة للاهمال أو نقص المعلومات أو سوء التناول .

بقيت بين الاحجام والاقدام حتى نفضت علي رداء الستردد حين شجعني الأخ الدكتور/ خالد القاسمي علي النشر مبدياً استعداده الكريم لتولي هذه المهمة، وهو بذلك جدير بأعمق الشكر وأصدق الامتنان. وأسهم في اقتناعي بجدوى النشر اشترك هذه الأبحاث كلها في إطار زمني واحد ومسرح مكاني متقارب.

إذ أنها جميعاً تتناول أحداثاً وقعت خلال الربع الأول من القرن  
الميلادي المنصرم علي ضفاف الخليج العربي الشمالية والغربية .  
ومن هنا جاء الاسم الذي اخترته لهذا الكتاب الذي أضعه أيها  
القارئ الكريم بين يديك راجياً أن تجد فيه بعض ما ينفع، والله من  
وراء القصد.

الشارقة في ١٧/٥/٢٠٠٠

د . خالد السعدون

## الفصل الأول

أضواء على حركة الإدريسي في عسير بين سنتي ١٩٠٩ - ١٩١٢



## أضواء علي حركة الادريسي في عسير بين سنتي ١٩٠٩-١٩١٢(\*)

أقر بدايةً بأنني لست باحثاً متعمقاً في تاريخ هذه المنطقة. فكل ما أردته هو التعرف علي أهم ملامح تاريخها القريب، استكمالاً لنقص معرفتي وقلة معلوماتي في هذا المجال. وخلال قراءاتي في المراجع المتاحة- وهي نادرة ندرة ظاهرة - تجمعت لدي ملاحظات اعتقدت أنها تسلط الضوء علي بعض أحداث المنطقة. فأحببت أن أشرك حضراتكم في استعراضها تعميماً للفائدة، وأملأ بحوار يغنيها ويقوم معوجها ويسد خللها.

ولعل من المفيد القول هنا أنني اعتمدت في التعرف علي الأحداث بصورة رئيسية علي ثلاثة مصادر. أولها عدة وثائق رسمية بريطانية غير منشورة. وثانيها مذكرات سليمان شفيق كمال باشا متصرف لواء عسير<sup>(١)</sup>. باعتبار هذه المذكرات تمثل وجهة نظر عثمانية. وثالثها هو مؤلف الأستاذ/محمد بن أحمد العقيلي عن "تاريخ الخلافة السلیمانی"<sup>(٢)</sup>. باعتباره يمثل وجهة نظر محلية. ولقد اتبعت أسلوب مقارنة روايات هذه المصادر الثلاثة، لاعتقادي أن نتيجة مقارنة مثل هذه تفيد في إعطاء صورة عن الأحداث، إن لم تكن صحيحة تماماً فهي أقرب الى الصحة مما لو اعتمدنا وجهة نظر منفردة.

ويحسن في هذا المقام أيضاً إيضاح سبب قصرى الحديث على

(\*) محاضرة عامة ألقيت في كلية التربية بأبها يوم الأحد السابع من ديسمبر ١٩٨٦.

(١) سليمان شفيق باشا، مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير، اعداد محمد بن أحمد العقيلي، جده، ١٤٠٥هـ.

(٢) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ الخلافة السلیمانی، ط٢، الرياض، ١٤٠٢هـ، ج٢.

الفترة الواقعة بين سنتي ١٣٢٧ - ١٣٣٠ هـ / ١٩٠٩ - ١٩١٢ م، فأبين أن مرد ذلك هو أن الوثائق البريطانية التي بين يدي تناولت هذه الفترة فقط، وتوقفت عن متابعة الأحداث عند نهاية شهر أبريل سنة ١٩١٢. كما أن فترة عمل سليمان شفيق باشا في متصرفية عسير، والتي تناولها في مذكراته، امتدت من سنة ١٩٠٩ حتى سنة ١٩١٢. وتنصب معلومات تلك المصادر جميعاً على تطورات علاقة الإدريسي بالسلطات الحكومية العثمانية خلال الفترة المعنية. وتسهيلاً للعرض سأورد ما ذكرته الوثائق البريطانية ثم أقرنها بروايات المصادر الأخرى، إن أوردت معلومات مناقضة عن الحادثة نفسها، وأرجح بينها إن كان الأمر بحاجة إلى ترجيح، وتوفرت الأسس المنطقية الكافية للترجيح.

ولعل أهم الوثائق البريطانية المتوفرة لدى تقرير مطول أعدته الاستخبارات البريطانية في السودان ورفعته إلى الوكيل البريطاني في مصر الذي قام بدوره برفعه إلى وزير الخارجية البريطانية السير ادوارد غري. وبدأ هذا التقرير بالتعريف بشخصية الإدريسي فقال: "هو محمد بن علي بن أدريس بن أحمد بن إدريس، سليل الحسن بن علي حفيد النبي [صلى الله عليه وسلم]. وهو في حوالى السادسة والثلاثين من عمره، ربه لا هو بالطويل ولا القصير، ممثلي الجسم، ذو بشرة داكنة مستمدة من أصله البربري، إذ أن عائلته وفدت أصلاً من فاس في المغرب"<sup>(١)</sup>.

---

(1) IOR/R/15/5/25, No. 82, Mr. Cheetham to Sir Edward Grey, dated 28-7-1912, with enclosure.

ويحسن أن نتوقف هنا وقفة قصيرة لملاحظة أن بعض الغربيين. مهما أوتوا من علم وتوفرت لديهم المعلومات، يظلون عاجزين عن فهم دقائق ثقافتنا. فمعد هذا التقرير لم يفتن للتناقض الذي وقع فيه حين نسب الأدريسى الى الحسن بن على رضى الله عنهما، ثم جعله بربرى الأصل، وكل ذلك فى فقرة واحدة. ثم أن هذا المعد لا يعرف أن البربر بيض البشرة عموماً، فعزا سمرة الأدريسى لذلك الأصل، فى حين أن سبب سمرته هو خؤولة السودانين له.

وواصل التقرير حديثه عن حياة الإدريسى الشخصية فقال: "كان الإدريسى متزوجاً امرأتين مصرية وسودانية. طلق أولاهما، وترك الثانية وابنته منها لدى ابن عم له فى دنقله، حيث يملك أعمامه وأبناء عموته ثروة واسعة فى تلك المقاطعة السودانية، وكذلك قرب الأقصر فى صعيد مصر. وقد رحل الإدريسى لطلب العلم فى الحجاز وطرابلس الغرب ومصر والسودان، فتكونت له نتيجة لذلك خبرة بالعالم الخارجى الأكثر تقدماً فى محيطه المحلى. وأضاف هذه الخبرة الى ما فطر عليه من قوة الشخصية والذكاء والشجاعة<sup>(1)</sup>.

وانتقل التقرير بعدها لتحديد طبيعة حركته، فقال أن عامة الناس فى عسير كانوا يعتبرونه "مهدياً"، رغم إنه هو شخصياً ينفى ذلك نفياً قاطعاً أى مصدر غيبى لحركته<sup>(2)</sup>. كما أن سليمان شفيق باشا يشير الى ان التقارير الحكومية التى كانت تصل لاستانبول صورت حركته على أنها نوع من الشعوذة وادعاء الولاية والمهدوية. ولكن سليمان شفيق وصف

(1) Ibid.

(2) Ibid.

تلك التقارير بأنها ساذجة ومجرد أراجيف<sup>(١)</sup>.

وإذا كان هذان المصدران قد اتفقا على نفى ادعاء الإديريسي للمهدية، فإن العقيلي لمح الى قبول الإديريسي لما كان يشاع عنه بين الناس من كرامات ومعجزات فقال: "فانسالت عليه الوفود من البلاد المجاورة، وأخذوا يروجون له في ظهور الكرامات ووقوع المعجزات، في عهد سادت فيه الجهالة وراجت البدع... واستغل الذكاء الوقاد والعقل النير ساذجة الميول، واستخدما في مهمته التاريخية..."<sup>(٢)</sup>.  
والغريب إن العقيلي أورد رغم ذلك في كتابه نفسه نص منشور أصدره الإديريسي وأذاعه بين الناس وقال فيه: "نحن بحمد الله مؤمنون من أهل السنة والجماعة، نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ونعمل على ما يوافق الشريعة المطهرة مبلغ علمنا وطاقتنا. نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ونجتهد في إزالة البدع الضارة بالدين... لا ندعى شيئاً من الدعاوى المريضة التي يمويه بها ذوو الأوهام على عقول العوام، فلا ننتحل المهدية كما يزعمون، ولا نشعوذ كما يفترون، ولا نزعم كشافاً ولا شيئاً في علم الغيب كما يشيعون..."<sup>(٣)</sup>.

ولا يستبعد أن يكون مرد هذا التناقض وجود الهوة المألوفة بين الفكر والممارسة. ومهما يكن الحال فالثابت وجود قناعة لدى أبناء المنطقة بامتلاك الإديريسي لقوة غيبية أو سحرية. تؤكد ذلك وثيقة بريطانية كتبت في سبتمبر سنة ١٩١٤ حيث قالت أن تلك القناعة لم

(١) سليمان شفيق، المرجع نفسه، ص ٢٩.

(٢) العقيلي، المرجع نفسه، ص ص ٦٢٠ - ٦٢٣.

(٣) العقيلي، المرجع نفسه، ص ٧٧٠.

تقتصر على أبناء المنطقة فقط، بل شاركهم فيها القوات العثمانية المتمركزة في عسير أيضاً. وبلغ الأمر بتلك القوات إنها كانت تخشى الصدام به نتيجة لتلك القناعة<sup>(١)</sup>.

واختلفت المراجع أيضاً حول الأهداف التي سعى الإدريسي لتحقيقها من خلال حركته. فتقرير الاستخبارات البريطانية يقول أن الإدريسي "يعلن أنه أكثر من مصلح ديني متحمس، يضع نصب عينيه هدفين رئيسيين هما: تنقية الدين مما علق به من شوائب، وإقامة خلافة عربية في مكة المكرمة، تحل محل الاستبداد التركي الجائر"<sup>(٢)</sup>.

أما سليمان شفيق باشا فلا يعطى لحركة الإدريسي هذه الصفة الدينية والسياسية الواضحة، ويكتفى بالقول أنه كان مرشداً يدعو الناس لما فيه خيرهم حسبة الله تعالى، وأنه كان يحل مشاكل القبائل في المنطقة طبقاً لأحكام الشرع الاسلامي، مما جعل القبائل تقدر عليه "صبياً" من كل حذب وصوب فتبابعه وتنزل على حكمه<sup>(٣)</sup>.

ولا تخفى هنا رغبة سليمان باشا، باعتباره ممثلاً للدولة العثمانية، في التهوين من شأن الادريسي وجعله مجرد حكم بين القبائل، وليس ذا أهداف اصلاحية كبرى تتناقض بصورة جذرية مع سياسة الدولة العثمانية. ويتفق العقيلي مع سليمان باشا في جعل هدف الادريسي الرئيسي هو دعوة الناس الى الله واقامة الشريعة والأمر بالمعروف

(1) IOR, L/P + S/10/463, Tei. From the pol. Res. at Aden to the Sec. to the Gov. of Ind. In the for. And Pol. Dept., Simla, dated 30-10-1914.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 82.

(٣) سليمان شفيق، المرجع نفسه، ص ٣٠.

والنهي عن المنكر. ولكنه أضاف الى ذلك طموح الإدريسي الواسع وهيمته الواسعة دون بيان حدود ذلك الطموح<sup>(١)</sup>. ولم يعر حافظ وهبة الجانب الديني في حركة الإدريسي التفاتاً، وقصر هدف حركته على رغبته في انتزاع عسير من أيدي الترك والاستقلال بها<sup>(٢)</sup>.

أما متى بدأ الإدريسي دعوته في عسير فذلك ما لم يتطرق له سليمان شفيق باشا في مذكراته. وكذلك لم يحدد العقيلي تاريخاً معيناً لذلك البدء واكتفى بالقول أن الإدريسي بدأ الدعوة لنفسه بعد عودته من مصر الى مسقط رأسه "صبيبا"<sup>(٣)</sup>.

ولكن تقرير الاستخبارات البريطانية أورد أن ذلك البدء كان في غرة رمضان سنة ١٣٢٤ هـ / أواخر سنة ١٩٠٦ م. وكانت البداية في صبيبا حيث استطاع بما له من شخصية مؤثرة الحصول بسرعة على تأييد آلاف المناصرين من أهالي الأرياف، لدرجة هدنت بتفوقه على منافسه الإمام يحيى حميد الدين الذي كان في حالة ثورة على الترك في اليمن منذ سنة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م. تلك الثورة التي مثلت التحدي الأكثر خطورة الذي واجهه الترك منذ ضمهم جنوب غرب بلاد العرب<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن اعلان الإدريسي لدعوته لم يؤد الى توتر علاقته على الفور مع السلطات العثمانية، بل جاء ذلك التوتر في مرحلة تالية، أدت الى نشوب الخلاف بين الجانبين سنة ١٩٠٨. ولم يذكر سليمان شفيق

(١) العقيلي، المرجع نفسه، ص ص ٦٢٧ - ٦٢٨.

(٢) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٣٩.

(٣) قرية قريبة من ميناء جازان في جنوب غرب المملكة العربية السعودية.

(4) IOR, R/15/5/25., No. 82

باشا فى مذكراته معلومات دقيقة عن كيفية نشوب القتال بين الإدريسى والقوات العثمانية. ولعل مرد ذلك أنه إن أراد أن يقتصر فى مذكراته على ما عاصره بنفسه من أحداث. ولذلك اكتفى بالقول إن ثورة نشبت فى عسير، وإنه عين بعد أحداث أبريل ١٩٠٩ فى استانبول<sup>(١)</sup>. متصرفاً لعسير لمواجهة الوضع هناك<sup>(٢)</sup>.

وتؤيد وثيقة بريطانية رواية سليمان شفيق باشا هذه، فنقول إنه ذو خدمة طويلة فى اليمن وعسير تحت ظل حكم السلطان عبد الحميد الثانى. وكان قائداً لثكنات سليمية فى "اسكتارى" فى استانبول حين حدث تمرد الثالث عشر من أبريل ١٩٠٩ الذى أعقبه خلع السلطان عبد الحميد. وتلى ذلك تقديم سليمان شفيق طلب نقله للخدمة فى عسير، فأجيب الى طلبه<sup>(٣)</sup>.

ويتضح من وثيقة بريطانية أخرى إن تأزم العلاقات بين الإدريسى والسلطات العثمانية حصل قريباً فى ذلك الوقت. فقد وصلت معلومات للمقيم السياسى البريطانى فى عدن فى غضون شهر مايو ١٩٠٩ تشير الى ازدياد نفوذ الإدريسى بين قبائل منطقة عسير، وأنه كان يتراسل مع الإمام يحيى حميد الدين فى اليمن من أجل عقد اتفاق بينهما. وقد تسربت أخبار تلك المراسلات الى السلطات العثمانية فى المنطقة، فأدت الى قلقها وتخوفها. مما جعلها تقرر إلغاء سفر بعض الوحدات العسكرية التى أنهت فترة خدمتها فى المنطقة، وكانت على وشك

(١) يقصد الحركة المضادة للدستور التى انتهت بخلع السلطان عبد الحميد الثانى.

(٢) سليمان شفيق، المرجع نفسه، ص ٣٠.

(3) P.R.O, F.O., 424, No. 43, Sir G. Lowther to sir Edward Grey, dated 20-7-1910.

مغادرة ميناء الحديدية. وقد ترتب على ذلك القرار إعلان تلك الوحدات تمرداً على قيادتها<sup>(١)</sup>.

أما تقرير الاستخبارات البريطانية في السودان فلا يذكر السبب المباشر الذي أدى لاندلاع القتال بين الجانبين، ويكتفى بالقول: "رغم أن فكرة الإدريسي كانت تقوم أساساً على عدم الاتيان بأى شئ سوى اتباع مناهج اصلاحية، إلا أن ذلك جره سريعاً للاشتباك في نزاع مع بونى باشا Boni المعين شيخاً للعرب من قبل الحكومة العثمانية. فجرت بينهما عدة وقائع خلال هذه السنة (١٩٠٩). استطاع الإدريسي خلالها الانتصار وغنيمه عدة مخازن مليئة بالأسلحة والذخائر"<sup>(٢)</sup>. ويلاحظ هنا أن هذا التقرير لم يعط معلومات كافية عن "بونى باشا" هذا، ولا عن مبرر تعيينه من قبل الحكومة شيخاً للعرب في منطقة قبيلة شديدة التمسك بتقاليدها، وهو تركى الأصل كما يدل اسمه. ولم أجد ذكراً لذلك الشخص أيضاً في مذكرات سليمان شفيق باشا أو في مؤلف العقيلي.

وواصل تقرير الاستخبارات البريطانية في السودان روايته للأحداث فذكر أن القائد التركى الأعلى فى المنطقة سعيد باشا، اضطر قرب نهاية سنة ١٩٠٩ الى عقد معاهدة سلام مع الادريسي، لأن القائد كان مشغولاً كلية بالتعامل مع ثورة اليمن. وقد نصت المعاهدة على ترك الإدارة الداخلية فى منطقة عسير بصورة عملية للإدريسي، على أن تصان المصالح الحكومية بتعيين متصرف تركى. وحددت تلك

---

(1) IOR, R/15/5/7, Memorandum of information received during the month of May 1909 regarding external affairs relating to Turkish Arabia.

(2) IOR, R/15/5/25, NO. B2.

المصالح بأنها المدارس وسكك الحديد وأسلاك البرق<sup>(١)</sup>.

وليس بين يدي أية معلومات تشير الى وجود مدارس حكومية أو أسلاك برق في منطقة عسير حينئذ، كما أن سكك الحديد لم تدخل قط الى هذه المنطقة. ولعل المعاهدة أخذت في الاعتبار ما سيكون وليس ما هو كائن فعلا فقط.

ولم يشر سليمان شفيق باشا في مذكراته الى توقيع معاهدة صلح بين الإدريسى والحكومة العثمانية. وروى ما حدث بقوله أنه تلقى تعليمات من حكومته بالتوجه الى الإدريسى بمقره في "صبيبا" للانضمام هناك الى مندوبين يمثلون جمعية الاتحاد والترقي، الحزب الحاكم في الدولة حينئذ، قدموا من استانبول لمفاوضة الإدريسى. فامتثل للأمر، وتوجه لصبيبا، وجرت المفاوضات بين الطرفين في أواخر ديسمبر ١٩٠٩. وأسفرت تلك المفاوضات عن اتفاق أقرت الحكومة بموجبه حق الإدريسى في إيفاد مرشدين من قبله الى قبائل المنطقة لحل مشاكلها، على أن يوافق أولئك المرشدين مندوبون يعينهم المتصرف<sup>(٢)</sup>.

أما العقيلي فقد جعل توقيع هذه المعاهدة في أول عام ١٣٢٨ هـ/ أي حوالي منتصف يناير ١٩١٠. وروى أن الحكومة أوفدت من استانبول وفد يرأسه سعيد باشا ويضم توفيق الأرنؤوطي شيخ الطريقة الصوفية الأحمديّة<sup>(٣)</sup>. وعند وصول الوفد جازان انتدب رئيسه عضو الوفد توفيق الأرنؤوطي لمقابلة

(١) Ibid.

(٢) سليمان شفيق المرجع نفسه، ص ٢٩.

(٣) تسبب الطريقة الصوفية الأحمديّة للشيخ أحمد بن إدريس جد محمد بن علي الإدريسى.

الإدريسى فى صيبيا. فتمت المفاوضات التمهدية هناك، ثم اجتمع الإدريسى بعدها مع سعيد باشا قرب جازان، وأسفر الاجتماع عن اتفاق الجانبين على ما يلى:

- ١- اعتراف الإدريسى بالتبعية للدولة العثمانية.
  - ٢- تعيينه بوظيفة قائمقام على صيبيا والمناطق الملحقة بها.
  - ٣- تعهده بمد أسلاك البرق بين اليمن والحجاز عبر أراضى عسير.
  - ٤- سماحة الدولة بإقامة مراكز جمركية فى موائئ عسير على البحر الأحمر.
  - ٥- اقرار الدولة لاقتراح الإدريسى بالغاء الضرائب والاكثفاء بجباية الزكاة الشرعية على الحبوب والأنعام، على أن ينوب الإدريسى عن الحكومة بالقيام بالجباية لقاء استقطاع ثلث الحصيلة لتغطية نفقاته ونفقات جيش محلى يشكله لمساعدته فى تنفيذ تعهده بإقرار الأمن فى عسير.
- وعلق العقيلي على بنود الاتفاق عادا اياها اعترافا ضمنيا من الدولة بسلطة الإدريسى واضفاء صفة الشرعية عليها<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ هنا أن العقيلي أورد تفاصيل لم يذكرها المصدران الآخران، وكان حريا بسليمان شفيق باشا على الأخص ألا يغفل ذكرها باعتباره شاهد عيان على ما جرى. ولو غضضنا الطرف عن تلك التفاصيل وركزنا على المحصلة النهائية للاتفاقية كما أوردها العقيلي

(١) العقيلي، المرجع نفسه، ص ص ٦٦٤ - ٦٦٧.

لوجدناها أقرب الى ما جاء فى تقرير الاستخبارات البريطانية فى السودان الذى جعل خلاصة الاتفاقية هى نيل الإدريسى الإشراف على الإدارة الداخلية للإقليم بصورة عملية. وحتى لو دققنا فى رواية سليمان شفيق ذاتها، لوجدناها أيضاً تماثل فى جوهرها ما أشار له التقرير البريطانى والعقلى. فحسب تلك الرواية أقرت الحكومة بحق الإدريسى فى إرسال مرشدى من قبله لمباشرة شئون القبائل. وبما أن القبائل كانت تمثل الأغلبية المطلقة لسكان المنطقة حينئذ، تكون الحكومة قد حولته عملياً الإشراف على شئون أغلبية السكان.

ويبدو، حسب تقرير الاستخبارات البريطانية فى السودان، أن الإدريسى نفذ باخلاص ما ترتب عليه فى التزامات بموجب تلك الاتفاقية<sup>(١)</sup>. ولكن سليمان شفيق نفى ذلك فى مذكراته، وقال أن الإدريسى أخل بالتزاماته حين أخذ يرسل ممثليه للقبائل دون اطلاع المتصرف ودون اصطحابهم لممثلى الحكومة. واتهمه اللجوء الى الغش والخداع لتوسيع نفوذه على حساب الحكومة<sup>(٢)</sup>.

وقد نفى الإدريسى عن نفسه هذه التهمة برسالة وجهها لسليمان شفيق نفسه فى غضون شهر يوليو ١٩١٠. ومما جاء فى هذه الرسالة: "إن الاخلاص الذى يربطنا بالحكومة عظيم جداً مقارنة بالإمام يحيى وابن سعود وزعماء عرب آخرين، رغم أننا بحمد الله أكبر مكانة من أولئك الزعماء. فهم لا يكفون عن اظهار احترامهم وتقديرهم لنا، حتى أن الإمام يحيى تخلى لنا عن حكم نقاط وأراضى جبالية كثيرة كان

(1) IOR, R/15/5/25, NO. 82.

(٢) سليمان شفيق، المرجع نفسه، ص ٤٠.

يحتملها. كما أن ابن سعود الذى يجبى زكاة مقدارها ثلاثة ريالات عن كل جمل من الجمال التى تملكها قبائل قحطان حين تدخل أراضيه قرر الغاء تلك الجباية احتراما لنا. إن جهودنا ومساعدتنا منصبة على تقوية وحدة الأمة وتعزيز شرف الدولة ومجدها. وإنا نأمل، لذلك، أن نتال خدماتنا موافقة الحكومة ورضاها. ونحن على يقين من أننا أظهرنا للحكومة نوايانا الطيبة واخلصنا، وأثبتنا لها بالمراسلات المتكررة التى تمت عن طريقكم وعن طريق سعيد باشا والشيخ محمد توفيق<sup>(1)</sup>. وستمتلئ قلوبنا ألما إذا ما أعارت الحكومة، بعد تلك الأدلة والبراهين كلها، أى اهتمام لأقوال اعدائنا ونظرت إلينا بشك وحذر. وسيؤدى اتخاذها لهذا الموقف أيضا الى تدمير قضية الوحدة التى نسعى إليها. فمن المهم جدا، لذلك، عدم الاهتمام بالأكاذيب والأقوال التافهة". ثم انتقل الإدريسي لتوضيح سبب إرسال ممثليه لبعض القبائل، فأورد معلومات مفصلة عن تحركات أولئك الممثلين وبين أن هدفهم كان اصلاح ذات البين بين تلك القبائل وحملها على الخضوع للسلطة<sup>(2)</sup>.

وتعزز هذه الرسالة ما ذكره سليمان شفيق فى مذكراته عن نص الاتفاق بين الجانبين على تخويل الإدريسي حق ارسال ممثلين من قبله الى القبائل. إذ ترد فى الرسالة عبارات مثل "إن القبائل الأخرى والبدو ميالون لنا أيضا ومخلصون لحكمنا"، أو أنه أرسل فلانا باعتباره موظفا لديه وزوده بتعليمات مكتوبة، وهكذا. وورود مثل هذه الاعتبارات فى رسالة يوجهها الإدريسي لممثل الحكومة العثمانية فى

(1) نعه الشخص نفسه الذى أسماه العقيلي "توفيق الأرنؤوطى".

(2) P.R.O., FD., 424/224, Enclosure in No. 43.

المنطقة دون حرج تدل على أنه يمارس أمراً متفقاً عليه. ولكن يبدو أن تلك الرسالة لم تقنع متصرف عسير بسلامة نوايا الإديريسي فتوترت العلاقة بين الجانبين مجدداً. ونتيجة لهذا التوتر قرر الإديريسي الاتصال بالباب العالي مباشرة، حسبما روي تقرير الاستخبارات البريطانية في السودان. فأرسل وفداً لاستانبول ضم عضوين هما السيد صالح وأحمد بن محمد المجابد El-Mujabid. وكانت مطالب الإديريسي التي عرضها وفده هي:

١- تنفيذ شامل للشريعة الإسلامية في المنطقة يتولاه قضاء يتم اختيارهم من قبله.

٢- استبدال كافة الموظفين المستبدين العاملين في المنطقة.

٣- حصر صيانة الأمن العام في المنطقة به وحده، بينما يقتصر وجود الحاميات الحكومية على أربها، عاصمة اللواء، وبعض الموانئ الساحلية.

٤- جباية الضرائب على أيدي مندوبين محليين ودفعها لبيت مال محلي.

وطالب الوفد بالإضافة إلى ذلك بإجراء إصلاحات إدارية أخرى، ستكون نتيجتها الوحيدة هي تأسيس قواعد استقلال الإديريسي، حسب رأى معد التقرير البريطاني<sup>(١)</sup>. ويلاحظ أنه لم يرد ذكر لهذا الوفد في مذكرات سليمان شفيق باشا ولا في مؤلف العقيلي.

(1) IOR, R/15/5/25, No. 82.

وهدد تقرير الاستخبارات البريطانية في السودان رد فعل الباب العالي حيال تلك المطالب بأنه تمثل باعادة تعيين سعيد باشا واليا، بهدف الاستفادة من خبرته السابقة في المنطقة ونجاحه في اثناء تمرد الإندريسي بالشكل الذي مر بيانه سابقا. وقد وصل سعيد باشا الى ميناء القنفذة في منتصف يناير ١٩١٠ - أي أوائل محرم ١٣٢٨هـ. وفور وصوله بدأت المفاوضات مع الإندريسي. ولكن خوجة توفيق الذي انتدبه الإندريسي للقيام بالمفاوضات التزم جانب التشدد لدرجة أنهت امكانية التوصل الى تسوية سلمية بين الطرفين<sup>(١)</sup>.

وتثير معلومة التقرير هذه بعض الأشكال. إذ أنه حسب التقرير نفسه، وكما مر، كانت اتفاقية سعيد باشا السابقة مع الإندريسي قد عقدت قرب نهاية سنة ١٩٠٩، أو في نهاية ديسمبر كما حددها سليمان شفيق باشا في مذكراته. فلا يعقل اطلاقاً أن يتم خلال فترة لا تتجاوز شهراً أو أقل البدء في تنفيذ تلك الاتفاقية، ونقل سعيد باشا من المنطقة، وانتهاء الاتفاقية وتجديد الخلاف بين الإندريسي والسلطات الحكومية، وإيفاد الإندريسي لوفده الى استانبول، ورد الباب العالي عليه باعادة تعيين سعيد باشا، ووصول الأخير للقنفذة وبدؤه مفاوضات جديدة مع الإندريسي. هذا من ناحية وفي ناحية أخرى فإن التقرير البريطاني أورد اسم خوجة توفيق مندوباً عن الإندريسي في جولة المفاوضات الثانية هذه. وقد مر بنا في رواية العقيلي أن توفيق الأرنؤوطي كان عضواً في الوفد الحكومي الذي رأسه سعيد باشا في جولة المفاوضات الأولى.

---

(1) Ibid.

وربما ورد فى الذهن أن خوجة توفيق قد لا يكون هو نفسه توفيق الأرنؤاؤوطى. أو أنه حتى لو كان هو ذاته، فلعله بقى مع الإدريسى بعد جولة المفاوضات الأولى وأصبح من مساعديه المقربين. أو لعله عاد ثانية مع سعيد باشا، ولكن الإدريسى كان يثق به فخوله أن يتفاوض باسمه. ولكن كل تلك الفروض تتهار حين نجد الإدريسى يوجه رسالة للإمام يحيى عدد جولات مفاوضاته مع الحكومة فى المفاوضات الأولى، ولم يورد اسمه ثانية ضمن أسماء المفاوضين فى الجولات الثلاث التالية<sup>(١)</sup>.

وبناء على كل ذلك، فأنى أرجح أن معد التقرير البريطانى قد وقع فى خطأ حين جعل مفاوضات سعيد باشا مع الإدريسى تتكرر مرتين، وحين جعل خوجة توفيق ممثلاً للإدريسى فى جولة المفاوضات الثانية المزعومة. ولم يلاحظ، بشكل غريب، انعدام المنطق فى روايته حين جعل الفاصل الزمنى بين جولتى المفاوضات أقل من شهر. ولهذا تكون تلك المفاوضات التى ذكر سليمان شفيق باشا أنها جرت فى آخر ديسمبر ١٩٠٩، والتى ذكر تقرير الاستخبارات البريطانية أولاً أنها جرت حول هذا التاريخ نفسه، ثم عاد وذكر أن جولتها الثانية جرت فى منتصف يناير ١٩١٠، وهو التاريخ نفسه الذى حدده العقيلى، هى مفاوضة واحدة لا اثنتين. وبذلك يلزم أن يكون سفر الوفد الذى أرسله الإدريسى الى استانبول قد تم خلال سنة ١٩٠٩، أى قبل إجراء المفاوضات بين سعيد باشا والإدريسى خلال الفترة الواقعة بين أواخر ديسمبر ١٩٠٩ ومنتصف يناير ١٩١٠.

(١) سليمان شفيق، المرجع نفسه، ص ص ١٢٧ - ١٢٨.

ومادنا بصدد الحديث عن تلك المفاوضات فيحسن القول أن العقيلي خلط خطأ واضحا عند تناوله لتلك المفاوضات في مؤلفه. فقد أورد أولا الرواية المقتبسة آنفا، ولكنه ما لبث أن نقل عن مذكرات سليمان شفيق باشا خبر مفاوضاته مع الإدريسي. وذكر أن تلك المفاوضات أسفرت عن الاتفاق على "أن يظل الإدريسي على ما تم الاتفاق عليه بينه وبين سعيد باشا في القيام بشئون المنطقة على الطريقة الموضحة في الاتفاقية"<sup>(١)</sup>.

وهذا شيء لم يرد له ذكر في مذكرات سليمان شفيق من ناحية، كما أنه أوقع العقيلي في تناقض صارخ من ناحية أخرى. إذ نسي أنه ذكر قبل عدة صفحات أن اتفاقية سعيد باشا مع الإدريسي وقعت في منتصف يناير ١٩١٠، في حين أن سليمان باشا أورد في مذكراته أن تاريخ مفاوضاته مع الإدريسي كان في أواخر ديسمبر ١٩٠٩.

ومهما يكن من أمر تلك المفاوضات، فإن النتائج التي تمخضت عنها لم تؤد إلى حل دائم للمشكلة بين الحكومة العثمانية والإدريسي. إذ ما لبث الأخير كثيرا قبل أن يجدد نشاطه ضدها. ولا يذكر تقرير الاستخبارات البريطانية في السودان السبب المباشر الذي أدى إلى إشعال فتيل الصدام مرة ثانية. ويكتفى بالقول أن الأغلبية العظمى من قبائل المنطقة انضمت للإدريسي، ولم يبق منها مخلصا للحكومة إلا تلك القبائل المتصلة مباشرة. بمناطق الوجود الحكومي. وأضاف أن الإدريسي وجه قوة مؤلفة من عشرين ألف رجل لمحاصرة أبيها،

---

(١) العقيلي، المرجع نفسه، ص ٦٧٧ - ٦٨١.

عاصمة لواء عسير. ولكن تلك المدينة كانت محمية بصورة كافية من قبل قوة حكومية تضم ست كتائب مع مدفعية كافية يقودها سليمان شفيق باشا. وقد اتخذ الأخير للحصار أهيته، فأصلح حصون المدينة، وخرن فيها كميات كبيرة من الذخيرة والمؤن<sup>(1)</sup>.

أما سليمان شفيق باشا فذكر أن تجدد تحرك الإدريسي ضد الحكومة كان في أوائل يونيو ١٩١٠، حين أرسل رسائل سرية لمشايخ القبائل يدعوهم لتعبئة قبائلهم استعدادا للجهاد. وذكر أن هدف الإدريسي من وراء تلك التعبئة كان الزحف نحو مكة المكرمة والسيطرة عليها. وأضاف أنه بناء على تلك المعلومات حذر السلطات العليا في استانبول، وطلبها بامداده بالتعزيزات الحربية الكافية لإحكام السيطرة على السواحل، ولمنع الإدريسي من تنفيذ مخططه. ولكن الحكومة المركزية ردت عليه بأنها مشغولة بمعالجة ثورة حوران في سوريا، ولذلك فهي لا تستطيع امداده بأية قوات.

وطلبت منه بدلا من ذلك محاولة كسب أطول فترة سلام ممكنة مع الإدريسي عن طريق الاجتماع به واسترضائه. وقد امتثل سليمان شفيق للأمر، واجتمع مع الإدريسي في صيبيا في أغسطس ١٩١٠. وجرت بينهما مفاوضات، كانت نقطة الخلاف الرئيسية خلالها هي رغبة سليمان شفيق بفرض سيطرة القوات الحكومية على الساحل، في حين رفض الإدريسي ذلك رفضا حازما. فأخفقت لذلك المفاوضات وأخفقت معها خطة كسب الوقت. وأعقب ذلك تحرك قوات الإدريسي

---

(1) IOR, R/15/5/25, No. 82.

ومحاصرتها أياً. وكان عدد تلك القوات حسب تقدير سليمان شفيق باشا يتراوح بين عشرين وثلاثين ألف رجل<sup>(١)</sup>. وهو تقدير قريب مما ورد في تقرير الاستخبارات البريطانية كما مر.

ولم يقنط سليمان شفيق للحصار الذي فرض عليه. فقد ذكر التقرير البريطاني أنه قام بشن عدة غارات على محاصريه. وكانت أهم تلك الغارات هي التي شنّها في ديسمبر ١٩١٠، وباغت خلالها الأعداء، فأوقع في صفوفهم خسارة بلغت مائتين وثمانين قتيلاً. ولكن تلك الغارات لم تثبط بالمقابل عزم الإدريسى على مواصلة الحصار، أو تمنعه من توجيه بعض قواته للسيطرة على الطرق المؤدية إلى موانئ القنفذة وجازان وحيدى واللحية. وكان هدفه من ذلك هو منع تسرب إية امدادات من تلك الموانئ عبر الوديان الجبلية إلى أياً وقبائل المنطقة الداخلية التي ظلت موالية للحكومة<sup>(٢)</sup>.

وقد لاحظ معد التقرير البريطاني المشار إليه أن المعلومات التي كان الطرفان المتحاربان يقدمانها تتسم بالتحامل لدرجة كبيرة لا يمكن معها اعتبارها وصفاً أميناً للواقع. وأضاف أن ما سيورده من معلومات يمكن اعتباره رواية أمينة بصورة تقريبية عن العمليات الحربية المهمة التي جرت خلال سنة ١٩١١. فقد دخلت تلك السنة ومدينة أياً في حالة حصار غير فعال، في حين كانت الحاميات الحكومية الصغيرة في موانئ الساحل مثل اللحية وجازان والقنفذة غير قادرة على التحرك خلف خطوطها المحصنة. وبينما كان أربعون ألف رجل يقفون في

(١) سليمان شفيق، المرجع نفسه، ص ٦٥.

(2) Ibid.

الميدان رهن إشارة الإدريسي، كانت السلطات الحكومية مشغولة بالعمليات الحربية في اليمن وبالحوادث في أوروبا، لدرجة كانت معها غير قادرة على تجهيز قوات تكفي لأخذ زمام المبادرة في أي مكان من عسير لعدة أشهر متوالية<sup>(1)</sup>.

وحين أصبح المسؤولون العثمانيون في وضع يمكنهم من التحرك مجدداً، بنوا خطة عملياتهم على أساس انجاد أبنائها بقوتين شمالية وجنوبية. تتطرق أولهما من ميناء القنفذة، بينما تتطرق الأخرى من ميناء جيزان أو ميناء اللحية. وتمهيداً لتنفيذ هذه الخطة فقد زحفت من مكة المكرمة في أبريل ١٩١١ قوة تضم خمسة آلاف رجل من الخيالة والهجانة والمشاة المسلحين تسليحاً جيداً بقيادة أمير مكة الشريف حسين باشا ومعه ابناه عبد الله بك وفيصل بك. وكان هدف هذه القوة هو إقامة الاتصال بثلاث كتائب من الجند النظاميين كانت معسكرة مع مدفعيها في القنفذة. ولقد خصص لدعم تلك القوة الزاحفة بجوار الساحل ستة قوارب مدفعية، باشرت على الفور بقصف موانئ الوسم والبرك والشقيق التي كان أتباع الإدريسي يستخدمونها لإنزال الأسلحة والمؤن الى الساحل. وفي أثناء زحف تلك القوة انسل كثير من أفرادها عتدين الى درياهم، ولم يصل منها مع الشريف الى القنفذة في التاسع والعشرين من أبريل غير الف رجل فقط<sup>(2)</sup>.

أما في الجانب المقابل فقد زاد أتباع الإدريسي من نشاطهم، فسلمت لهم في الأول من مايو ١٩١١ قرية مخايل، وهي موقع حصيني يقسع

(1) Ibid.

(2) Ibid.

على بعد مسيرة ثلاثة أيام شمال شرق القنفذة، وذلك بعد حصار دام عدة أشهر. وقد وقع بأيدي قوات الإدريسي أثر ذلك التسليم مائتان وخمسون أسيراً من الجند النظامي. كما غنموا خمسمائة بندقيّة وخمسة وتسعين صندوق ذخيرة ومدفعين. وفي الوقت نفسه وصلت أخبار من أّبها تبين الضيق الشديد الذي كانت المدينة تعانيه لدرجة بدت معها غير قادرة على الصمود أكثر من شهر آخر<sup>(1)</sup>.

وبناء على ذلك كان لزاماً على السلطات الحكومية التحرك بسرعة لمواجهة الوضع. فغادر القنفذة نحو أّبها في الثالث من مايو ١٩١١ طابور نجدة مكون من ثلاث كتائب نظامية يرافقها أربعمائة فارس عربي يقودهم عبد الله بن الحسين. وقد اصطدم الطابور بقوة مؤلفة من ستمائة رجل يقودها محمد بن خرشان قرب قرية "قوز الشاهد" الواقعة على بعد ست ساعات من القنفذة نحو الداخل. قذب الذعر في نفوس الفرسان العرب وفروا تاركين الجند النظامي في اضطراب إنجلي عن هزيمة الطابور هزيمة تامة أسفرت عن مقتل أربعة ضباط ومائة جندي. ثم مات عدد أكبر نتيجة الظمأ أثناء التراجع الى القنفذة<sup>(2)</sup>.

ولا أملك هنا إلا التحفظ على معلومة التقرير البريطاني هذه. إذ أن المسافة بين قوز الشاهد والقنفذة لا تتجاوز ست ساعات فقط، حسب التقرير نفسه، ومن المعروف أن الظمأ لا يقتل انساناً خلال ست ساعات. ولكن ربما كانت فلول القوة المنهزمة قد ضلت طريقها وهي تتراجع دون نظام، فطالت عنيتها المسافة، مما أدى الى تعرضها لعطش

(1) Ibid

(2) Ibid.

شديد أودى بحياة بعضها.

ولكن العقيلي يروى أن هذا الهجوم من جانب القوات الحكومية لم يكن الأول، بل سبقه هجومان استطلاعيان. وأضاف أن هذا الهجوم كان هجوما رئيسيا قاده الشريف حسين بنفسه، وضم قوة مؤلفة من ألفين وسبعمائة جندي نظامى مزودين بثمانية مدافع جبلية ومدفعين رشاشين. كما ضم ألفين وخمسمائة هجان من العرب وعددا من الفرسان. بينما كانت قوات الإدريسي من الجانب المضاد مؤلفة من عشرة آلاف رجل. وقد جرت المعركة بين الجانبين فى "وادي ييه"، وأسفرت عن هزيمة ساحقة للقوات الحكومية، أيدت خلالها القوات النظامية التى لم ينج من أفرادها غير سبعين رجلا فقط أنقذهم الفرار<sup>(١)</sup>. وتبدو المبالغة واضحة هنا سواء فى إعداد القوتين أو عدد ضحايا المعركة.

ويتفق سليمان شفيق باشا فى مذكراته مع العقيلي بالقول أن الزحف على قوز الشاهد قاده الشريف حسين بنفسه على رأس كامل قواته، ولا يستبعد هنا أن يكون سليمان شفيق قد تجاهل عمدا ذكر القوة البريطانية الزاحفة الى جانب قوة الشريف حتى يحمل الأخير مسئولية الهزيمة التى لحقت بالمهاجمين. إذ أنه علل حدوث تلك الهزيمة بجهل الشوييف بأحوال عسير وطبائع أهلها، وبأنه لم يمهد لزحفه باستطلاع كاف يمكنه من الحصول على المعلومات اللازمة عن قوة العدو<sup>(٢)</sup>.

(١) العقيلي، المرجع نفسه، ص ص ٦٩٤ - ٦٩٦.

(٢) سليمان شفيق، المرجع نفسه، ص ٧٣.

ويبدو من المستغرب أن يتهم رجل تركى عربياً بجهل أحوال عسير وطبائع أهلها وهي المجاورة لإمارته. كما أن اتهاماته للشريف، إن كان هو قائد الحملة فعلاً، بعدم اتخاذ الاحتياطات تبدو متهاففة. إذ أن اتخاذ تلك الاحتياطات أمر منوط بالضباط النظاميين وليس بالشريف الذى هو رجل مدنى غير مطالب بتولى المهام الفنية التى يعرفها العسكريون المختصون أكثر منه. ويلاحظ هنا أن مذكرات سليمان شفيق لا تخلو من تحامل واضح ضد الشريف. ولكنه رضى للأمر حين أصرت حكومته على ذلك نتيجة لعدم كفاية القوات النظامية المتاحة تحت تصرفها حينئذ<sup>(١)</sup>.

أما حول ما جرى بعد تلك الهزيمة، فيذكر تقرير الاستخبارات البريطانية فى السودان أن تعزيزات كبيرة وصلت للقوات الحكومية فى القنفذة حتى أصبحت فى العاشر من مايو ١٩١١ مؤلفة من تسع كتائب من الجند النظامى والبريف (الاحتياطى حسب المصطلحات المعاصرة) وسرى هجانة غير نظاميتين. وقرب نهاية شهر مايو خرجت قوة من القنفذة مؤلفة من ثلاث كتائب نظامية، وأربعمائة فارس والفا وخمسمائة هجان بقيادة فيصل بن الحسين. وكان هدفها هو شن هجوم مفاجئ على قوات الإدريسي المتحصنة فى موقع القوز. وبعد مسيرة ليلة استمرت ست ساعات وصلت القوة هدفها عند الفجر. واشتبكت فى قتل ضار مع المدافعين استمر تسع ساعات متواصلة، وانجلى عن هزيمة قوات الإدريسي التى قدر عددها بخمسة آلاف رجل يقودهم محمد بن خرشان ومصطفى النعمى.

(١) سليمان شفيق، المرجع نفسه، ص ٧١

وقد اقتصررت خسائر القوات الحكومية على ثمانية وعشرين رجلا من الجند النظامي وثلاثة من غير النظاميين، وكانت وفاة عشرين منهم نتيجة لضربة الشمس لا إصابات المعركة. بينما خسر المنهزمون مائة وخمسين قتيلًا وغنائم كثيرة من الأنعام والركائب والمعدات<sup>(١)</sup>.

وروى العقيلي أن القوات المهاجمة التي شاركت في هذه المعركة زادت على سبعة آلاف رجل، قادهم الشريف حسين بنفسه أيضا. وأضاف أن المعركة جرت في وادي يبه، واضطرت قوات الإدريسي بعدها للانسحاب بعد أن كبدت المهاجمين أربعة آلاف وتسعمائة وعشرين قتيلًا. وزاد على هذا الرقم ثلاثمائة وثلاثة وسبعين جنديًا هلكوا نتيجة إصابتهم بالهَيْضَة (الكوليرا). وجعل العقيلي هدف تلك القوة هو الوصول إلى معقل الإدريسي في صيبيا، وليس فك الحصار عن أبها. ولكنها يمت وجهها صوب أبها بعد أن شعر الشريف بأن ما بقى لديه من قوات قليلة بعد تلك المعركة لا يمكنه من شق طريقها إلى صيبيا<sup>(٢)</sup>. ويناقض هذا ما مر في التقرير البريطاني من أن الهدف المقرر للقوة هو فك حصار أبها. وهو الهدف نفسه الذي ذكره سليمان شفيق باشا<sup>(٣)</sup>. كما أن المنطق يخالف ما ذهب إليه العقيلي أيضا، إذ لو كان هدف القوة هو الوصول إلى صيبيا فعلا لكانت انطلقت من جازان حيث لا تفصلها عن صيبيا إلا مسافة قصيرة، بدلا من أن تنطلق من القنفذة البعيدة، وحيث يمر مسافة قصيرة، بدلا من أن تنطلق من القنفذة

(١) IOR, R/15/5/25, No. 82.

(٢) العقيلي، المرجع نفسه، ص ٦٩٦ - ٦٩٨.

(٣) سليمان شفيق، المرجع نفسه، ص ٧١.

البعيدة، وحيث يمر طريقها الطويل بكثير من القبائل الموالية للإدريسى، وبكثير من الجبال والوديان.

ويحسن ترك قوة الشمال تلك مؤقتاً لإلقاء نظرة على الوضع فى الجنوب. فقد ذكر تقرير الاستخبارات البريطانية فى السودان أن القوة الحكومية التى كانت متمركزة فى جازان كانت فى حالة حصار لا تستطيع فك نطاقه نظراً لقلّة الامكانيات المتاحة لديها. فى حين كان الإدريسى فى غضون ذلك إما فى معقله الرئيسى فى صبيا أو فى جبال "أبو سفيان" المنيعه. ولكن أيدى القوات الحكومية ما لبثت أن غدت طليقة نتيجة الاتفاق مع الإمام يحيى فى اليمن وانتهاء الحركات الحربية هناك، فركزت أنظارها على عسير. وقد تولى سعيد باشا والى اليمن توجيه العمليات بنفسه، فعين نشأت باشا لقيادة القوة الشمالية فى القنفذة، ومحمد على باشا لقيادة القوة الجنوبية فى جازان. وكانت القوة الأخيرة مؤلفة من أربع كتائب تضم ثلاثة آلاف رجل وثمانية مدافع. بينما غادر سعيد باشا نفسه الحديدة الى ميناء اللحية فى الرابع عشر من يونيو ١٩١١. وقيل ذلك بيوم واحد تحركت قوة من جازان بقيادة راغب بك نحو "الحفاير" للسيطرة على آبار "حلى" التى تمد جازان بالماء العذب من ناحية، ولتغطية تقدم قوة من اللحية نحو الداخل من ناحية أخرى<sup>(١)</sup>.

ولم تعر القوة الزاحفة من جازان اهتماماً لقوة من أتباع الإدريسى كانت تتمركز فى المنطقة المجاورة للأبار، وهى مؤلفة من خمسمائة رجل، وذلك استهانة بها، وجهلاً بأنها عززت بجيش يتألف من حوالى

(1) IOR, R/15/5/25, No. 82.

عشرة الى اثني عشر ألف مسلح. ولذلك حين وصلت القوة الحكومية  
بسلام إلى الآبار لم تكن تعلم بأنها وقعت في شرك حصار قاتل. وما  
أن شن أتباع الإدريسي هجومهم عليها حتى وقعت في اضطراب شديد  
نتيجة عدم استعدادها بصورة كاملة.

وقد أدى ذلك الى هزيمتها فارة نحو جازان، تاركة في الميدان ما  
بين ألف وألف وستمئة قتيل، والرقم الأخير هو الأرجح. ولم ينقذ فلول  
القوة المنحدرة من الإبادة إلا وجود قاربي مدفعية راسيين عند جازان.  
إذ صبا نيران مدفيعتهما على أتباع الإدريسي، فتشتت جموعهم،  
وتكدبوا من جراء القصف الجزء الأكبر في خسائرهم التي بلغت ألف  
قتيل خلال قتال ذلك اليوم. ولكن قصف ذينك القارين أصاب أيضاً  
عدداً كبيراً من القوات الحكومية مما أدى الى خسائرها الكبيرة السالفة  
الذكر. كما أن جرحى تلك القوات لم يسلم منهم إلا أربعمئة جريح، لأن  
أتباع الإدريسي كانوا يجهزون بالخناجر على من يجدونه حياً منهم<sup>(١)</sup>.

وذكر سليمان شفيق باشا أن هدف زحف تلك القوة في جازان هو  
الحصول على الماء فقط. وقدر خسائرها بعد القتال الذي دام ثلاث  
ساعات فقط بألفين وخمسمئة قتيل. ويلاحظ أنه ذكر اسم أحمد عزت  
باشا على أنه القائد العام للقوات العثمانية في اليمن حينئذ، وتتبعه  
القوات في عسير بدلاً من سعيد باشا كما مر في التقرير البريطاني<sup>(٢)</sup>.  
وجعل العقيلي في أسباب هزيمة القوات الحكومية كما مر تواطؤ قائدها  
محمد راغب بك سراً مع الإدريسي الذي قبل لجوء ذلك القائد اليه فيمل

(١) Ibid.

(٢) سليمان شفيق، المرجع نفسه، ص ٢١.

بعد. كما أنه جعل هدف تلك القوة في زحفها أكثر من مجرد الحصول على الماء<sup>(١)</sup>.

أثارت أخبار تلك النكبة الجديدة - حسبما ورد في التقرير البريطاني رد فعل سريع لدى القيادة العثمانية في المنطقة. فما أن وصلت أخبارها إلى الجديدة حتى أرسلت التعزيزات إلى جازان على عجل لدعم القوات الحكومية هناك. إذ كانت تلك القوات تعاني في صعوبات لا تصدق بسبب نفثى وباء الكوليرا بين صفوفها، وبسبب نقص مياه الشرب في المدينة نتيجة لخسارة آبار حلى، مما حتم على السلطات جلب المياه للمدينة بالسفن في جزيرة بريم وعدن.

لكن تلك التعزيزات التي وصلت جازان قوت وضع القوات في المدينة لدرجة مكنت قائدها محمد على باشا في إرسال بعض قواته للمشاركة في حملة وجهت من القنفذة لفك الحصار عن مدينة ابها قرب نهاية شهر يونيو سنة ١٩١١<sup>(٢)</sup>.

وتحسن العودة لمتابعة الوضع في الشمال، إذ يبدو أن القوة الحكومية التي احتلت موقع القوز في آخر مايو كما لم تحتفظ بالموقع مدة طويلة. فانسحبت عائدة للقنفذة أما بارادتها أو قسرا. فقد ذكر التقرير البريطاني أن الحملة التي انطلقت في القنفذة في نهاية يونيو تألفت في طابورين سلكا طريقين مختلفين. وضم الطابور الأول خمسة آلاف جندي نظامي يقودهم عزيز بك، بينما ضم الطابور الآخر ألفا

---

(١) العقبلي، المرجع نفسه، ص ٦٧٠.

(2) IOR/R/15/5/25, No. 82.

وخمسمائة مقاتل عربي يقودهم الشريف حسين. وكان مع الطابورين اربعون مدفعاً. وقد تصدرت للحملة الزاحفة في موقع القوز جموع من أتباع الإدريسي يقودها السيد مصطفى النعمي.

ولكن القوات الحكومية استطاعت تشتيتها، ولم تلق في طريقها بعد ذلك إلا مقاومة ضئيلة لأن العرب لا يستطيعون الصمود أمام نيران المدفعية. فاستطاعت تلك القوات أخيراً الوصول الى أبها وفك الحصار عنها في السادس عشر من يوليو ١٩١١. وإذا كانت خسائر تلك القوات نتيجة القتل قليلة، فإن خسائرها بسبب الأمراض كانت هائلة. إذ اعترف المسؤولون الحكوميون بوفاة أكثر من ثمانمائة جندي من أفرادها بسبب الكوليرا والديزانتري. وبعد فك الحصار عن أبها بذلك الشكل قفل الشريف حسين راجعاً إلى الطائف<sup>(١)</sup>.

ولكن العقيلي صور زحف تلك الحملة بين القنفذة وأبها وكأنها معارك عنيفة متصلة، تكبدت خلالها خسائر فادحة<sup>(٢)</sup>. أما سليمان شفيق باشا فقد انتقد في مذكراته الخطة الحربية التي اتبعتها الحملة، لأنها كانت حريصة على فتح الطريق أمامها دون حرص مماثل على تأمين الطريق خلفها. فكان أتباع الإدريسي يعيدون احتلال المواقع التي تغادرها. والغريب أن حمل مسئولية ذلك الخطأ العسكري للشريف حسين مرة أخرى، متناسياً الضباط الكبار الذين كانوا على رأس قواتهم النظامية الزاحفة معه. وأضاف أن خلافات نشبت بينه وبين الشريف حسين بعد وصوله أبها حول السياسة التي يجب اتباعها لمعالجة الوضع

(1) Ibid.

(٢) العقيلي، المرجع نفسه، ص ص ٦٩٨ - ٦٩٩.

فى عسير . ولم يلبث الشريف بعدها طويلا فى أبها، إذ غادرها الى الطائف عن طريق بيشة<sup>(١)</sup>.

وقد أدى فك الحصار عن أبها وتعزيز وضع القوات الحكومية فيها - حسب التقرير البريطانى - الى رفع معنويات المسؤولين الحكوميين حتى أصبحوا يخططون لمهاجمة صبيا نفسها. إذ كان محمد على باشا على رأس قوة فى جازان تضم اثنتى عشرة كتيبة ينتظر إنهاء موسم الأمطار لينطلق بقوته نحو صبيا. ولم يكن الإدريسى بالمقابل يقف مراقبا للأحداث فقط، بل بادر للتحرك فى منطقة الساحل فى وقت مبكر من شهر يونيو ١٩١١. إذ وجه قوة يقودها الشريف منصور، تضم بين خمسة الى ستة آلاف رجل أغلبهم من قبيلة بنى عيس، فاستولت على الآبار التى تزود ميناء اللحية بالمياه، والواقعة على بعد سبعة أميال من الميناء. فأصبح موقف الميناء حرجا، فرغم أنه ذو سور يحيط به، وقلاع منفصلة واقعة على التلال الخارجية المطلة عليه، إلا أن حاميته كانت ضعيفة لا تضم إلا كتيبتين ونصف فقط. ولكن ذلك الموقف الحرج انقلب حين نشبت خلافات داخل صفوف قوات الإدريس التى تحاصر الميناء، مما اضطرها للانسحاب بمجرد وصول حمدى بك على رأس نجدة قادمة فى الحديدية. وقد قام حمدى بك بتقوية تحصينات الميناء، وتركيز سريتين من الجند ومدفع واحد فى موقع الآبار لحمايته وتأمين تزويد الميناء بالمياه<sup>(٢)</sup>.

ولكن سنة ١٩١٢ دخلت ودخل معها انقلاب نوعى على الوضع فى

(١) سليمان شفيق، المرجع نفسه، ص ٧٤ - ٨٩.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 82.

عسير ويتمثل ذلك الانقلاب في التعاون الحربى بين الإدريسى وإيطاليا. والحق أن تفاصيل هذا التعاون غامضة غاية الغموض. إذ لا تقدم المصادر المتاحة بين يدي معلومات كافية عن شروط ذلك التعاون والأسس التى أرسى عليها. فالتقرير البريطانى اكتفى بالقول أن الإدريسى قبل المعونة من إيطاليا لأن الدولة العثمانية هى العدو المشترك للجانبين. وأضاف أن ذلك العون عرض الإدريسى لتقد كبير بسبب قبوله أفضل دولة مسيحية<sup>(١)</sup>.

وأيد أمين الريحانى، الذى طوف بالمنطقة شخصياً، ذلك التعليل. وأضاف أن الإدريسى كان مستعداً للتحالف مع أية دولة كانت ضد أعدائه، ولذلك تقبل مساعدات إيطاليا واستخدمها ضد العدو المشترك<sup>(٢)</sup>. واكتفى كاتب مطلع آخر هو حافظ وهبه بالقول أن الإدريسى انتهب فرصة انشغال العثمانيين بحربهم مع الإيطاليين، فاستعان بهؤلاء<sup>(٣)</sup>.

أما سليمان شفيق باشا فقال فى مذكراته أن الاتصالات بين الإدريسى والإيطاليين كانت سابقة لنشوب الحرب العثمانية - الإيطالية. وأنه علم بأمر تلك الاتصالات منذ عام ١٩١٠، وعلم أيضاً أن أولاد أخ الإدريسى الموجودين فى مصر كانوا يترددون على مقام سام هناك لعقد الصلات بينه وبين عمهم<sup>(٤)</sup>. ولكنه لم يوضح شخصية ذلك المقام، ولا النتيجة التى آلت إليها تلك الاتصالات. ولعله أراد بذلك

(١) Ibid.

(٢) أمين الريحانى، ملوك العرب، بيروت، ١٩٥١، ج ١، ص ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٣) حافظ وهبه، المرجع نفسه، ص ٣٩.

(٤) سليمان شفيق، المرجع نفسه، ص ٤١.

الإيحاء بأن تحركات الإدريسي في عسير كانت نتيجة تدبير إيطالي مسبق. وخرج العقيلي بهذا الاتهام من التلميح الى التصريح حين ذكر أن الإدريسي حين كان مقيما في مصر قبل عودته لمسقط رأسه في صيبيا كان على اتصال مع "محمد على علوى" مترجم السفارة الإيطالية في القاهرة، وأنه فتح عن طريق صديقه هذا اتصالات سياسية مع الإيطاليين منذ عام ١٩٠٥.

وأضاف أن إيطاليا كانت تخطط منذئذ لغزو طرابلس، ولذلك كانت تريد إشغال الدولة العثمانية مسبقا باشغال ثورة داخل أراضيها. وأضاف أن اتصالات الإدريسي مع الإيطاليين استمرت بعد عودته الى صيبيا. وكانت تلك الاتصالات تتم عبر شخصين هما محمد سالم المصوعى وطاهر الشنيتى<sup>(١)</sup>.

وإزاء قلة المعلومات المتاحة حول حقيقة تلك الاتصالات، يحسن قصر الحديث على ما ورد من معلومات عن التعاون الحربى بين الإيطاليين والإدريسي. فقد اشار التقرير البريطانى الى أن ذلك التعاون كان تعاونا فعلا، أنهى الأسطول الإيطالى خلاله سيطرة العثمانيين على ساحل البحر الأحمر، ودعم دعما مباشرا تحركات الأدارسة أثناء هجماتهم البرية ضد موانئ الساحل المحصنة. وكان السئل الأول للتعاون والتنسيق بين الجانبين قد حدث فى ميناء ميدى. إذ فُرض عليه أتباع الإدريس حصارا محكما فى جهة البر تخلفه قتال كزير منقطع. ثم جاء القصف البحرى الإيطالى ليؤدى الى استسلام القوة

---

(١) العقيلي، المرجع نفسه، ص ص ٦٢٧ - ٦٢٩.

الحكومية المحاصرة فى الميناء استسلاما غير مشروط فى التاسع  
والعشرين من أبريل ١٩١٢<sup>(١)</sup>.

وقد أضاف العقيلى من جانبه تفاصيل أخرى عن كيفية احتلال  
ميناء ميدى. فذكر أن الأسطول الإيطالى قصفه قبل فرض الحصار  
سبعة وعشرين يوما حتى جاء الأسطول الإيطالى ثانية وصب نيران  
قذائفه على استحكاماتها، فتمكن أتباع الإدريسي من اقتحامها واحتلال  
الميناء<sup>(٢)</sup>.

وقد أدى تعاون الإيطاليين الفعال - حسب التقرير البريطانى -  
إلى بث النشاط فى نفس الإدريسي. فقسم قواته قسمين، أرسل أحدهما  
إلى قرية محايل لتضييق الخناق على سليمان شفيق باشا فى أبها،  
وأرسل الآخر بقيادة السيد مصطفى النعمى نحو القنفذة. وكان يؤمل أن  
يتعاون معه الأسطول الإيطالى فى قصف قلعة القنفذة كما فعل فى  
ميدى. ولكن التدخل الإيطالى المباشر المأمول لم يتم رغم نجاح قوات  
الإدريسي فى فرض الحصار على القنفذة من جهة البر. وفرض اتباع  
الإدريسي فى الوقت نفسه تقريبا الحصار على ميناء اللحية فى  
الجنوب. وتلقوا هناك دعم الإيطاليين، إذ بدأ أسطولهم بمحاصرة اللحية  
وجزر كمران منذ أوائل أبريل ١٩١٢. وقد أدى حصار اللحية من قبل  
الإيطاليين بحرا، ومن قبيل قوات الإدريسي المؤلفة من أربعة طوابير  
براء، إلى سوء الوضع داخل الميناء نتيجة قلة المؤن. ولكنه لم يؤد إلى

(1) IOR, R/ 15/5/25, No. 82.

(٢) العقيلى، المرجع نفسه، ص ص ٧١٤ - ٧١٩.

وانتقل التقرير البريطاني بعد ذلك للمقارنة بين قوات الحكومة والإدريسى كما هي في نهاية شهر أبريل ١٩١٢. فقدت القوات الحكومية العاملة في منطقة عسير والساحل بخمسة عشر ألف ومائتي جندي نظامي، وستة آلاف وخمسمائة مقاتل عربي. وكانت تلك القوات تحت قيادة سليمان شفيق باشا متصرف عسير وفيصل بن الحسين<sup>(٢)</sup>.

وقد أوضح العقيلي سبب ظهور فيصل بن الحسين ثانية على مسرح أحداث المنطقة بقوله أن الحكومة العثمانية حين انقطع خط المواصلات البحري مع عسير واليمن، نتيجة سيطرة الأسطول الإيطالي على البحر الأحمر، أرسلت نجدة من القوات النظامية لتعزيز الوضع في عسير. وسلكت النجدة الطريق البرية المارة عبر مكة المكرمة والطائف. فعززها الشريف حسين بقوة من أتباعه يقودها ابنه فيصل<sup>(٣)</sup>. وكان ذلك التعزيز استجابة لطلب تلقاه الشريف من الحكومة العثمانية<sup>(٤)</sup>. وقد شكوا سليمان باشا في مذكراته من عدم تعاون فيصل معه واصراره البقاء في موقع القوز دون التقدم الى أبها لتوحيد العمليات ضد الأدارسة. وعزا ذلك الموقف الى التزام فيصل بتوجيهات أبيه الذي كان حريصاً على منع توفر أسباب القوة الكافية بين يدي

(1) IOR., R'15 5'25. No. 82.

(2) Ibid.

(٣) العقيلي، المرجع نفسه، ص ٧١٤ - ٧١٩.

(٤) طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز ١٩١٦ - ١٩٢٥، البصرة، ١٩٨٢، ص ٢٧٨.

أما عن توزيع تلك القوات الحكومية فقد ذكر التقرير البريطاني أنه كان على الشكل التالي:

- ١- أربعة آلاف وخمسمائة جندي نظامي ومائتي عربي من قبيلتي حرب وزبيد في القنفذة.
  - ٢- ثلاثة آلاف جندي نظامي وثلاثة آلاف عربي من قبيلتي الودعات وعبس محاصرين في اللحية.
  - ٣- ألف وستمئة جندي نظامي وأربعمائة عربي من مكة المكرمة تحت قيادة فيصل ابن الحسين في دغار Dagar، أعاقتهم القبائل المعادية هناك عن مواصلة زحفهم جنوباً باتجاه أبها.
  - ٤- خمسين جندياً نظامياً وخمسمائة عربي من قبيلة الشنابرة في ميناء الليث.
  - ٥- وباقي تلك القوات متمركز مع سليمان شفيق باشا في مدينة أبها.
- وعلى الرغم من عدم إحكام الحصار على المدينة في ذلك الوقت، إلا أن المتصرف لم يمتلك القوة الكافية التي تمكنه من التحرك خارجها. إذ أنه مراقب باستمرار من قبل قوة صغيرة من أتباع الإدريسي<sup>(٢)</sup>.
- ولكن سليمان شفيق باشا أورد في مذكراته ما يفيد بعكس ذلك. فذكر أنه خرج على رأس قواته من مدينة أبها وتوغل في المناطق الجبلية لتوطيد سيطرته على بعض المواقع، ولضمان ولاء بعض

(١) سليمان شفيق، المرجع نفسه، ص ص ١٨٩ - ١٩٤.

(2) IRO, R/15/5/25, No. 28.

وحول قوات الإدريسى، ذكر التقرير البريطاني ما يقال عن وقوف مائتي ألف مقاتل رهن إشارة الإدريسى. ولكنه لم يجند من هؤلاء بالفعل سوى ستة وأربعين ألف رجل. ومن هؤلاء خمسة وعشرون ألف رجل، يضمهم خمسمائة فارس، يقيمون معه في حرض حيث مركز قيادته. وهناك ستة آلاف رجل يحاصرون ميناء اللحية، وهم مقسمون الى أربعة طوابير يقودها أربعة أمراء من قبيلة بنى مروان هم محمد بكرى وطاهر على ويحيى محمد معوذ وحيدر محمد محجب.

ويتمركز الطابوران الأولان منها في وادي الفج جنوب اللحية بينما يتمركز الطابور الثالث في وادي حران في الشمال، والطابور الرابع في الشرق. وتتوزع بقية قوات الإدريسى على محاليل لمراقبة سليمان شفيق باشا في ألبها، وحول موائئ الساحل مثل الشقيق والوسم والبرك وحلى (٢).

وذكر التقرير البريطاني ما يقال عن وجود سبعين مدفعاً متنوعاً لدى الإدريسى - وقد غنم بعض تلك المدافع من القوات الحكومية في جازان وميدى. كما أعطته إيطاليا مؤخراً اثني عشر مدفع ميدان وثمانية مدافع جبلية، إضافة الى كميات وفيرة من البنادق والذخيرة. وهكذا أصبحت البنادق التي يتسلح بها أتباع الإدريسى ذات أربعة أصناف هي "أبونبوت" وهي بنادق جيدة من منشأ إيطالي. و "أبو

(١) سليمان شفيق، المرجع نفسه، ص ١٥٦ و ما بعدها.

أصبح" تجلب من جيبوتى، وهى فرنسية الصنع، وربما كانت من نوع غراس Gras. والصنف الثالث هو بنادق "ماوزر" من طراز قديم. أما الرابع فهو بنادق "ماوزر" حديثة الصنع تم الاستيلاء عليها من القوات الحكومية وهى تمثل خيرة بنادقهم. كما يمتلك الإدريسي أسطولاً كبيراً من المراكب الشراعية "السنابيك" يخدم مواصلاته الساحلية منذ أن ضمن له الإيطاليون السيطرة البحرية.

ويوجد فى قوات الإدريسي خليط من الترك والأباش والسودانيين، وهم الذين يقيمون بأغلب المهام الفنية. وكذلك ليس هناك ما يدل على وجود أوربيون فى صفوف قواته. ورغم كل ما لدى الإدريسي من معدات حربية إلا أن قوته الرئيسية تكمن فى ولاء القبائل له. فالأغلبية العظمى من قبائل المنطقة أعلنت ولاؤها له، ولم يتخلف عن تأييده إلا القبائل المتصلة مباشرة بمراكز الوجود الحكومى. والحقيقة إن الحماسة بين أتباعه كبيرة جداً، حتى قيل أن الأمهات لا يندبن أبناءهم الذين يقتلون فى ساحات المعارك تحت رايته. ومن بين أهم القبائل المؤيدة له بنو مروان وغامد وزهران وحرب، وبعض قبيلتى زند وعبس فى اليمن. وقد عين لكل قبيلة من هذه القبائل قضاة ذوى سمعة جيدة لحل مشاكلها من خلال الالتزام الصارم بمبادئ الشرع الإسلامى<sup>(1)</sup>.

وانتقل التقرير البريطانى بعد ذلك الى ذكر أبرز وزراء الإدريسي فقال أنهم محمد بن يحيى باصهى، وهو تاجر غنى، ويحى بن زكرى، الذى يتولى الإشراف على بيت المال، ومحمد بن طاهر الذى قاد

(1) Ibid.

الهجوم على جازان، والسيد مصطفى النعمى الذى اكتسب شهرة أثناء حصار أربها<sup>(١)</sup>. ويخالف العقيبى ما جاء أعلاه باسقاط اسم السيد مصطفى النعمى من بين أسماء وزراء الإدريسي، ويحل محله اسم حمود بن محمد سرداب الحازمى<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من استخدام التقرير البريطانى والعقلى لفظ "وزراء"، فليس من المعتقد أن ذلك يعكس وجود نظام حكومة عصرى بالشكل المألوف حاليا لإدارة المناطق الخاضعة لسيطرة الإدريسي. يدل على ذلك عدم ذكر مهام محددة أسندت لكل واحد من أولئك "الوزراء"، عدا إدارة أحدهم لبيت المال. ولهذا فهم أقرب ما نسميه الآن مستشارين أو معاونين مقربين.

ولم ينس التقرير البريطانى الإشارة إلى موقف الإمام يحيى حميد الدين فى الأحداث الجارية فى عسير خلال الشهور الأربعة الأولى من سنة ١٩١٢. فنذكر أن الإمام قد عقد صلحا مع الحكومة العثمانية قرب نهاية سنة ١٩١١، وهو ملزم بموجب بنود الصلح بتقديم العون للقوات الحكومية عند الحاجة. وقد وضعه ذلك الالتزام فى موقف حرج نتيجة عدم تأكده تماما من وقوفه فى الجانب الرابع، لا سيما وأن كثيرين من أتباعه يتعاطفون مع الإدريسي بصورة علنية.

ولكن تعاون الإدريسي مع الإيطاليين جاء مخرجا له من هذا المأزق. فقد تذرع بقبول الإدريسي لمساعدة النصارى، وأرسل مفوزة

(١) Ibid.

(٢) العقيبى، المرجع نفسه، ص ٦٤٥.

صغيرة من أتباعه مؤلفة من ثلاثمائة رجل لمساعدة القوات الحكومية المحاصرة في ميناء اللحية<sup>(1)</sup>.

وختمت الاستخبارات البريطانية في السودان تقريرها بالقول أن الإدريسي يدعى بأنه يمد سيطرته على أراضي واسعة تمتد من ميناء الليث شمالا حتى وادي حيرام جنوبا، ومن ديار قبيلتي يام والزند شرقا حتى البحر الأحمر غربا. وأضافت أنه يسيطر فعلا على ذلك الإقليم كله باستثناء المواقع الخاضعة لسيطرة القوات الحكومية المحاصرة في ابها والليث والقنفذة واللحية<sup>(2)</sup>.

---

(1) IRO, R/15/5/25, no. 82.

(2) Ibid.

## الخاتمة

وهكذا، بعد استعراض الروايات الثلاث البريطانية والعثمانية والمحلية ومقارنتها ببعضها وبعض المراجع الأخرى المتاحة، يمكن الخروج بالاستنتاجات العامة التالية:

١- أن الرواية البريطانية، رغم ما شابها من نواقص، كانت أكثر الروايات وفرة بالمعلومات ومنطقية في سلسلة الأحداث. بينما كانت رواية سليمان شفيق باشا أقرب إلى الخاطرات المتفرقة منها إلى مذكرات متماسكة تتابع تسلسل الأحداث وتبدي رأي كاتبها فيها. أما رواية العقيلي فقد اتسمت بشئ من الاضطراب، فكررت سرد بعض الأحداث بشكل يغمض معه على القارئ أحيانا، ويتوهم أن السرد المكرر رواية لأحداث جديدة.

٢- أن حركة الإدريسي كانت حركة دينية في جوهرها ذات اتجلمه إصلاحى نسبي، مع عدم إغفال جانبها السياسى، وما اتصف به قائدها من طموح كبير. وقد اتفق التقرير البريطانى ومذكوات سليمان شفيق باشا على نفس ما أشيع من إدعاء الإدريسي لصفة المهودية. ويؤكد هذا النفى منشور الإدريسي الذى أذاعه بين الناس وتتصل فيه بحزم من إدعاء أى مصدر غيبى لدعوته. ولكن ذلك لا يمنع من القول أن العامة قد نسبوا له تلك الصفة وأمنوا بتمتعه بقدرات سحرية. وحين تتعلق أذهان العامة بشئ يصعب اقناعها بعكسها كما تكل تجارب التاريخ.

٣- إن فكرة سعى الإدريسي لإقامة خلافة عربية في مكة المكرمة بدلاً من خلافة السلطان العثماني في استانبول لم يرد لها ذكر في كل المصادر التي تم الرجوع إليها، وانفردت الرواية البريطانية بذكرها. فلا مناص لذلك من التحفظ حول ثبوتها القطعي. ولكن ذلك التحفظ لا ينفي امكانية تطرق الإدريسي لهذه الفكرة بشكل من الأشكال، وتسرب تطرقه ذلك الى مصادر الاستخبارات البريطانية في السودان. ويعزز تلك الإمكانية أن الفكرة ذاتها كانت متداولة في بعض الأوساط العربية خلال تلك الفترة. وتحسن في هذا الصدد ملاحظة ما ذكره سليمان شفيق باشا في مذكراته حول أن نية الإدريسي في بداية عملياته سنة ١٩١٠ كانت الزحف نحو مكة المكرمة. كما يلفت النظر حماس الشريف حسين أمير مكة المكرمة في مقاومة الإدريسي. وإذا كان يمكن تعليل تلك المقاومة بطموح الشريف ورغبته بالظهور بمظهر الزعيم الأكبر في جزيرة العرب أمام الحكومة المركزية في استانبول، فإنها يمكن أن تفسر أيضاً بخوفه من ظهور منافس قوى له لا يكتفى بالسيطرة على عسير وساحله فقط، بل يريد أيضاً السيطرة على مكة المكرمة ذاتها، وربما لاتخاذها عاصمة لخلافته المأمولة.

٤- أن تعاون الإدريسي ثابت مع إيطاليا بعد قيام الحرب بينها وبين الدولة العثمانية بسبب غزو طرابلس الغرب سنة ١٩١١. ولكن شروط ذلك التعاون وأساسه غير واضحة بسبب ندرة ما

ورد حوله من معلومات من المصادر المتاحة. ولعلم أحد  
دارسى التاريخ فى هذه الكلية يتوفر على بحث هذا الموضوع  
فى المستقبل عند إعداد رسالته فى الدراسات العليا. فينقب فى  
دور حفظ الوثائق الإيطالية والتركية والبريطانية حتى يخرج  
بما يجلو خفاياه ويكشف أسرارہ. ويحسن القول هنا أن  
الإدريسى فى تعاونہ مع الإيطاليين لم يكن غريباً عن روح  
عصره. فقد شاع بين الزعماء العرب المعارضين للدولة  
العثمانية فى تلك الأيام اتجاه الاستعانة بالدول الغربية لعلها  
تمكنهم من تحقيق استقلالهم ونيل بعض مطالبهم القومية.

٥- أن السلطات الحكومية العثمانية أظهرت قلة كفاءة واضحة فى  
تعاملها مع حركة الإدريسى. فأتاحت الفرصة للحركة لتثبيت  
أقدامها وتوسيع نشاطها حتى أصبحت خطراً استتفز الكثير  
من موارد الدولة بمواطنيها فى هذه المنطقة كان عاملاً مهماً  
جعل أولئك المواطنين يتحمسون لحركة الإدريسى. وقد اعترف  
متصرف عسير سليمان شفيق باشا نفسه بهذا الواقع حين قال:  
"أن الدولة العثمانية التى احتلت عسير منذ أربعين عاماً اكتفت  
بان اتخذت لنفسه بضعة مراكز عسكرية، وكانت صلتها  
بالأهالى مقصورة على قيامها ببعض الحركات العسكرية بين  
حين وآخر لجباية الزكاة..."<sup>(١)</sup>. ولكن الانصاف يستدعى القول  
أن حركة الإدريسى جاءت فى فترة كانت الدولة خلالها تعاني  
من عدة مشاكل داخلية وخارجية. إذ جاء انقلاب سنة ١٨٠٩

(١) سليمان شفيق، المرجع نفسه، ص ٣٤.

وعزل السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٩ ليشكل عاملاً  
عدم استقرار في قيادة الدولة العليا وشاغلاً لأجهزتها المختلفة.  
كما تميزت هذه الفترة بكثرة حوادث الاضطراب والتمرد في  
ولايات الدولة المختلفة وخاصة العربية منها مثل ولاية دمشق  
وولاية البصرة وبغداد وولاية اليمن. أما على المستوى  
الخارجي فقد انشغلت الدولة بمشاكل البلقان ثم المشكلة  
الترابلية. وإزاء انشغال قيادات الدولة بهذه المشاكل الداخلية  
والخارجية المعقدة لم يكن منتظراً منها إظهار كفاءة عالية في  
مواجهة الإدارة في منطقة نائية مثل عسير.



## الفصل الثالث

أهمية الشعر النبوي باعتباره أحد مصادر التاريخ الحديث



أهمية الشعر النبطي باعتباره أحد مصادر التاريخ الحديث (\*)

لا بد قبلولوج في صميم هذا الموضوع من وقفة تمهيد يتم خلالها التعريف بعجالة بنشأة هذا الشعر وسبب تسميته. ويحسن الاعتراف سلفاً بأن هذه الوقفة لا تقدم اجابات شافية بقدر ما تحوى من ترجيحات واستنتاجات. إذ يتسم الموضوع بقدر ليس قليلاً من الغموض لم تبدده الكتابات القليلة التي تناولته.

وتجمع المراجع على أن هذا الشعر نشأ حين تطرق الفساد الى اللغة العربية، فشاع اللحن على أسنة العرب نتيجة مخالطتهم للأعاجم. وفساد اللغة وشيوع اللحن لا يحولان بين الناس وبين نظم الشعر باللغة التي يحكونها مهما كان حظها من الفصاحة. فلا بد لكل لغة من أشعار راقية كانت أم سوقية. وقد سجل العلامة ابن خلدون هذا الواقع حين كتب: "ثم لما كان الشعر موجوداً بالطبع من أهل كل لسان لأن الموازين على نسبة واحدة في أعداد المتحركات والسواكن وتقابلها موجودة في طباع البشر فلم يهجر الشعر بفقدان لغة واحدة هي لغة مضد... بل كل جيل وأهل كل لغة من العرب المستعجمين والحضر أهل الأمصار يتعاطون منه ما يطاوعهم من انتحاله ووصف بنائه على مهيع كلامهم..."<sup>(١)</sup>.

(\*) محاضرة عامة أقيمت في كلية التربية بأبها في السابع والعشرين من مارس ١٩٨٨. وقد أطلعت بعدها على بحث الأستاذ الدكتور/ عبد الله العثيمين، تناول فيه الموضوع من زاوية مقارنة. راجع: عبد الله العثيمين، الشعر النبطي مصتراً لتاريخ نجد، في "مصادر تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، ١٩٧٩، ج١، ص ٣٧٧ - ٣٩٦.

(١) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، بيروت، ١٩٨٢، ص ١١٢٤ - ١١٢٥.

أما متى ظهر هذا الشعر، فالأرجح أنه قديم قدم شيوع اللحن على  
السنة المتكلمين. وحيث أن تلك الظاهرة برزت منذ أيام الدولة الأموية،  
حتى أن اللحن والعجمة لم يقتصروا على عامة الناس، بل شاعا على  
أسنة كثير من الخاصة مثل الأمراء والشعراء<sup>(١)</sup>.

فلا بد إذن أن يكون الناس قد نظموا شعراً ملحوناً منذ ذلك العصر  
المبكر. والغريب أن كتب الأدب العربي لم تتقل شيئاً من ذلك الشعر،  
رغم قولها مثلاً أن الرواة كانوا يأخذون على الشاعر الأموي  
الطرماح ابن حكيم استخدامه الألفاظ البدوية الغريبة في شعره استخداماً  
غير دقيق، وكلفة بادخال ألفاظ النبط الأراميين في قصائده<sup>(٢)</sup>. وظل  
الحال كذلك إلى أن ظهرت في كتب الأدب العربي أسماء "الموالي"  
و"القوما" والـ "كان وكان" اعترافاً بوجود ذلك الشعر العامي.

ولا شك أن تلك الأنواع من الشعر العامي تمثل مرحلة وسيطة بين  
الشعر العربي القريضي والشعر النبطي كما هو معروف الآن.

وتجمع المراجع على أن هذا النوع من الشعر العامي البدوي  
سمى بالنبطي نسبة إلى النبط، ليس لأنه موروث عنهم، ولكن لأن  
قائله يشبهون أولئك النبط في عجمتهم. وقد عرفت معاجم اللغة  
هذا المعنى، فذكر الفيروز آبادي في "القاموس المحيط" إن  
"النبط ... جبل ينزلون بالبطائح بين العراقيين كالنبيط والأنباط  
وهو نبطي محركة ونباطي مثلثة ونباط كثمان وتنبط أو

(١) عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، القاهرة، ١٩٧٥، ج٢، ص ٢١١ - ٢٢٤.

(٢) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٦، ج٢، ص ١٧٥.

تنسب إليهم...<sup>(١)</sup>. ويأخذ الأستاذ الدكتور جواد على على اللغويين والإخباريين العرب تسمية سكان البطائح بالنبط، وهم يقصدون بتلك التسمية بقايا الشعوب القديمة، ومنهم مترسبات الأراميين في العراق والشام الذين كانوا يتكلمون بلهجات عربية، ولكن برطانة أعجمية وبلكنة غريبة ظاهرة. في حين أن تسمية النبط تنطبق علمياً على قوم استوطنوا شمال غرب شبه الجزيرة العربية وصحراء جنوب بلاد الشام، وسيطروا على تلك المنطقة ما بين القرن الرابع قبل الميلاد تقريباً وحتى القرن الميلادي الثاني<sup>(٢)</sup>.

ولا تمر تسمية هذا النوع من الشعر بالنبطي دون أن تثير اشكالاتاً. فقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن معاصريه من العرب في أمصار المغرب كانوا يسمون هذا النوع من الشعر بالأصمعيات نسبة إلى الأصمعي راوية الشعر المشهور. بينما كان العرب المشاركة يسمونه "البدوي" و "الحوراني" و "القيس"<sup>(٣)</sup>.

ومن المعروف أن ابن خلدون أنهى كتابة مقدمته سنة ٧٧٩هـ، في حين أن أقدم ما وصل إلينا من الشعر العامي الذي يحمل اسم "النبطي" يعود إلى القرن العاشر الهجري<sup>(٤)</sup>. وعلى هذا تكون تسمية هذا النوع من الشعر بـ "النبطي" قد ظهرت خلال الفترة الواقعة بين أواخر القرن

(١) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الجليل، بيروت، دون تاريخ،

ج ٢، ص ٤٠٢.

(٢) جواد على، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٨، ج ٣،

ص ص ٥ - ٧٥.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص ١١٢٥.

(٤) عبد الله بن محمد بن خميس، الأدب الشعبي في جزيرة العرب، الرياض، ١٤٠٢، ص ٧٧.

الثامن وأوائل القرن العاشر الهجريين. فلماذا أطلقت عليه هذه التسمية الجديدة وهجرت أسماؤه القديمة التي كانت مستخدمة زمن ابن خلدون؟ ولا تجيب المراجع المتاحة على ذلك السؤال، ولذلك لا مفر من معالجة هذا الإشكال بافتراض فرضيين. أولهما أن هذه التسمية تسمية قاموسية أطلقها على هذا النوع من الشعر متعلمون عارفون بما تتسببه قواميس اللغة إلى النبط في عجمة، فقاوسوا عجمة شعراء هذا النوع من الشعر إلى عجمة النبط، وأطلقوا عليه هذه التسمية. وإلا ما الذى يجعل عوام الناس ينسبون هذا الشعر لقوم تفصلهم عنهم قرون طويلة إذابتهم فيما حولهم فى تجمعات بشرية بحيث لم يعد لهم وجود مادى قائم يجعل أسهمهم يتردد على ألسنة العامة؟ وما يعزز هذا الفرض أن استعراض قصائد الشعراء النبط يظهر أنهم لم يستخدموا هذه التسمية لوصف شعرهم، فكان تلك التسمية بعيدة عن أذهانهم خارجة عن تصوراتهم.

أما الغرض الثانى فهو أن ابناء البادية حين أطلقوا على شعرهم تلك التسمية، إذا كانوا هم الذين أطلقوها، لم يكن فى أذهانهم قط نسبتها إلى الأنباط. بل لعل المقصود منها هو قدرة الشاعر على استنباط المعانى كما يستنبط الماء من باطن الأرض. يدل على ذلك استخدام بعض العوام لكلمة "نبط" بمعنى مغزى الكلام أو هدفه الخفى. فيقولون: "ع. ن فلان نبطى"، أى أدرك مغزى كلامى وفحواه.

ومهما يكون سبب تلك التسمية، فإن الشعر "النبطى" يمثل مصدراً مهماً يزود الباحثين بالمعلومات عن أحداث التاريخ الحديث. ويحسن القول بادئ ذى بدء أن هذا الشعر شاع فى مناطق محددة هى وسط

وشمال شبه الجزيرة العربية وغرب العراق وجنوب وشرق بلاد الشام. ويحسن القول أيضاً أن الباحثين في التاريخ الحديث لهذه المناطق يعانون أشد العناء من قلة (أو انعدام) المصادر التي تحمل وجهة نظر محلية معاصرة تجاه الأحداث. ولذلك يضطر أولئك الباحثون للاعتماد بصورة رئيسية على ما يرد في المصادر الأجنبية وخاصة الوثائق الدبلوماسية وكتب الرحالة. ولا شك أن ذلك الاعتماد على المصادر الأجنبية لوحدها يعد أمراً خطيراً. فحتى لو فرض أن تلك المصادر توخت الدقة والتزمت جانب الموضوعية، فإنها لا تخلو أن يكون كاتبوها بعيدين - قليلاً أو كثيراً - عن فهم دقائق حياة هذا المجتمع الغريب عنهم لغة وتقاليد وممارسات. ولذلك تجئ أغلب الدراسات التاريخية الحديثة المعتمدة على تلك المصادر عاكسة لوجهة نظر مفردة غربية عن روح المنطقة ومشاعر سكانها، رغم ما فيها من جهد علمي.

ولعل تجاوز هذا الواقع يتم - في أحد وجوهه - بالرجوع لقصائد شعراء النبط واستخراج ما يرد فيها من معلومات وأخبار، واعتمادها وجهة نظر محلية صالحة لمقارنتها بما يرد من المصادر الأجنبية عن الموضوع نفسه. وتلك الأشعار جديرة بأن تكون كذلك إلى حد بعيد، إذ أن الشاعر النبطي مصور لحال مجتمعه وناطق بلسان قومه يعكس وجهات نظرهم ويترجم مشاعرهم وأحاسيسهم. وهو أقدر أبناء مجتمعه على أداء ذلك الدور باعتباره أكثرهم وعياً وأفصحهم بياناً في مجتمع كانت تسيطر عليه الأمية بشكل شبه تام. وقد يكون الشاعر في بعض الأحيان شاهد عيان لما جرى من أحداث صورها في قصائده، فتتضاعف بذلك أهمية الآراء والمعلومات التي أوردتها.

وقد لا يقتصر دور الشاعر على مجرد وصف الأحداث التي عاصرها أو شهداها بنفسه، بل يتخطى ذلك بماله من شاعرية قوية الى الإسهام فى توجيه أحداث عصره. وقد أدرك ذلك الدور "منتبى" الشعر النبطى محمد بن عبد الله العونى حين قال: "ليست العبرة بالذى يدبر الجيوش ويقودها ويحارب فى الميادين، بل العبرة بالرجل الجالس أملم موقد قهوته ويستطيع وهو فى جلسته هذه أن يشعلها حرباً ضروساً بين من يشاء من القبائل"<sup>(١)</sup>.

ولعل من أبرز أمثلة هذا الشعر النبطى التحريضى المسهم فى صنع الأحداث قصيدة العونى الشهيرة "الخلوج". وهى قصيدة طويلة مطلعها:

خلوج تجذ القلب بأتلى عوالها      تكسر بعبرات تحطم سلالها

وقد بعث العونى هذه القصيدة للمقيمين فى سوريا حينئذ من أهل القصيم. فصور لهم فيها حال بلدهم السيئة تحت حكم ابن رشيد أمير حائل، وما يعانىه أهلهم من ذل، مستثيراً حميتهم وشهامتهم للتحرك من أجل تحرير بلدهم وانقاذ اهليهم.

وقد أخبرهم فى هذه القصيدة أنهم لن يكونوا وحدهم حين تحركهم ضد ابن رشيد. بل سيكون معهم الشيخ مبارك الصباح ومن يتبعه من القبائل، وكذلك الشيخ سعدون بن منصور السعدون ومن يتبعه حرصاً

(١) ابن خميس، المرجع نفسه، ص ١٨.

منه على الثأر لأخيه وابن أخيه اللذين قُتلا في معركة الصريف<sup>(١)</sup>.

ومن المعروف أن معركة الصريف (أو الطرفية) جرت سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠١م بين ابن رشيد من جانب، وابن صباح وابن سعود وابن سعدون من جانب آخر وانتهت بانتصار ابن رشيد انتصاراً ساحقاً<sup>(٢)</sup>.

أما عن القصائد التي تتضمن معلومات عن بعض الأحداث، فإنني، تجنباً للإطالة، أكتفي بإيراد مثلين منها. والمثلان قصيدتان للعوني أيضاً، أولاهما مطولة من مائة وثمانين بيتاً مطلعها:

قوموا كفلكم شرميلات الأقدار      تدوا على هجنى لهن الطرب دار

وقد خصصها لوصف معركة البكيرية والشنانة اللتين جرتا بين الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود من جانب والقوات العثمانية وابن رشيد من جانب آخر سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م. بدأ العوني قصيدته بمقدمة تقليدية تصف الركائب التي حملتهم إلى الأمير عبد العزيز، وتمدح الأمير. ثم انتقل لوصف تحرك قوات الأمير نحو عنيزة، وبين حال من وقف من أهل عنيزة إلى جانب قوات ابن رشيد المدافعة عنها والتي كان يقودها ماجد بن عبيد الرشيد ومعه فهيد بن سبهان. ووصف كيفية انتصار قوات الأمير عبد العزيز على القوات

(١) محمد سعيد كمال (جامع وناشر)، الأزهار النادية في أشعار البادية، الطائف، دون تاريخ، ج ٥، ص ٣٠ - ٢٨.

(٢) خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩ - ١٣٤١، الرياض، ١٤٠٣، ص ٥٢ - ٥٦.

المتحاففة متتبعاً سير المعركة منذ بدايتها حتى النهاية بشكل مفصل. وقد وردت تلك المعلومات كلها فى قصيدة واحدة، وهى تتفوق فى غزارتها على كثير مما جاء فى المراجع الأخرى التى تناولت تينك المعركتين. وكذلك كان الحال فى قصيدة أخرى للعونى تناولت أحداث معركة ثانية كان الشاعر خلالها شاهد عيان. وجرت تلك المعركة بين آل الرشيد وآل سعدون من جانب وقبيلة الظفير وأحلافها من جانب آخر. وقد ضمن الشاعر مشاهداته فى قصيدة مطلعها:

كابر وفاخر هل الدنيا وفاخرها      يطفى لظى مطفى الهيجا مفاخرها

وتوضح تلك القصيدة أن سعود بن عبد العزيز آل رشيد، رغم كونه حاكم حائل، إلا أنه كان حينئذ فتى صغيراً لم يجاوز الرابعة عشر من عمره، وأن الحاكم الفعلى فى حائل كان زامل السبهان. وتذكر أن عجمى آل سعدون بعد أن تخلى عنه قومه عمل بنصيحة الشاعر نفسه فأتجه الى حائل يطلب النجدة ضد أعدائه من قبيلة الظفير وأحلافها. وقد هب ابن رشيد بالفعل لنجدته فاستنفر قبيلة شمر، وانضمت له أيضاً قبيلة مطير بقيادة فيصل بن سلطان الدويش. وسارت تلك الجموع حتى نزلت "ابو غار" غرب نهر الفرات. ولم يبادئ ابن رشيد ومن معه قبيلة الظفير بالحرب، ولكنه أراد فى البداية أن يكون تحركه مظهرة قوة تهدف للضغط عليها ودفعها للاستجابة لمطالب حليفه عجمى.

غير أن أبى سويط شيخ قبيلة الظفير لم يستغل الفرصة المتاحة، ولم يلب طلب ابن رشيد، فنشبت الحرب بين الطرفين عند "شقراء". وكانت نتيجة المعركة هزيمة ساحقة للظفير وأحلافهم كبدهم خسارة

وتعتبر المعلومات التي أوردها الشاعر في قصيدته عن تلك الحادثة مفصلة بشكل كبير إذا ما قورنت بالمصدر الوحيد الآخر الذي ذكره، وهو تقرير للمقيمة السياسية البريطانية في بغداد حوى خلاصة أحداث شهر مارس وأبريل سنة ١٩١٢. إذ لم يزد ما جاء في ذلك التقرير على القول أن ابن رشيد انحدر من حائل إلى "الخميسية" على نهر الفرات للامتياز. ولكن وجوده هناك أدى إلى احتكاك بينه وبين القبائل المحيطة بالخميسية مثل الظفير والخزاعل. ورغم ميل ابن رشيد للسلم إلا أنه اضطر للصدام مع تلك القبائل صداماً أسفر عن انتصار ابن رشيد في شهر مارس من تلك السنة<sup>(٢)</sup>.

ولا يعنى اقتصار الاستشهاد على قصائد العوني أنه كان الشاعر الوحيد الذي تناول بعض أحداث عصره في قصائده. بل أن هناك العشرات من الشعراء غيره حوت قصائدهم معلومات كثيرة لا غنى للباحث عن الإطلاع عليها. ولكن المجال لا يتسع هنا لاستعراض المزيد من تلك القصائد.

ويحسن الانتقال الآن إلى صنف آخر من شعراء النبط، وهم الشعراء من الساسة والأمرء. ولعل حضراتكم جميعاً تتفقون معى على أهمية ما تتضمنه قصائدهم من آراء ووجهات نظر باعتبارهم صنّاع الأحداث. ويمكن تشبيه قصائدهم بما يعرف لدى الباحثين في

---

(١) كمال، المرجع نفسه، ج٥، ص ١٥ - ٢٩.

(2) IOR,LP+S/10/212, Summary of events in Turkish Iraq for the months of March and April 1912, p. 13.

التاريخ بـ "الوثائق الرسمية المنشورة". إذ أنها بديلة لهذا النوع من الوثائق في عصر سادت فيه الأمية في المنطقة وندرت عملية التدوين ندرة ظاهرة. ولعل من أشهر الأمثلة على هذا الصنف من الشعراء الأمير تركى بن عبد الله آل سعود مؤسس الدولة السعودية الثانية وابنه الأمير فيصل بن تركى، وجاسم آل ثاني حاكم قطر، والأميرين عبد الله وعبيد العلى الرشيد فى حائل، وغيرهم.

وتعد قصيدة الأمير تركى بن عبد الله آل سعود، ومطلعها:

طار الكرى من فوق عيني وقرا      وفزيت من نومي طرت لى طواري

من أبرز القصائد فى هذا الباب، فإضافة لاعتبارها فى عيون الشعر النبوى، تظهر القصيدة ما كان عليه قائلها من همة عالية وجلد كبير وصبر على المكاره. وقد ذكر الأمير فى قصيدته هذه ما بذله من جهود كبيرة لإعادة جمع الشتات فى نجد بعد سقوط الدولة السعودية الأولى على أيدى قوات محمد على باشا. وبين نجاحه فى تأسيس قواعد ملك مكين فى نجد استهداءً بمبادئ الشرع الشريف. ونعى الأمير فى قصيدته على بعض أبناء عمومته استسلامهم للأمر الواقع ورضاهم بالحياة المنعمة تحت ظل أسريهم فى مصر، وحثهم على التخلص من ذلك الوضع والقدوم الى نجد كى يشدوا أزره ويعاونوه فى مساعيه<sup>(١)</sup>.

أما قصيدة الإمام فيصل بن تركى آل سعود التى مطلعها:

(١) منتخبات من الشعر النبوى لأشهر شعراء نجد، ص ص ١١ - ١٢ (لا نكر للجامع ولا الناشر ولا مكان النشر ولا تاريخه).

الحمد لله جت على حسن الأوقات وتبدلت حال العسر بالتيسير

فتكشف عما بذله الشاعر من جهود حثيثة في سبيل إعادة بناء الدولة السعودية، وعما حققته تلك الجهود من وصول الى الهدف المرجو. واستعرض فيها الإمام من وقف الى جانبه خلال ذلك كله، ومن نكص على عقبيه<sup>(١)</sup>.

ومن المعروف أن مهمة البحث التاريخي العلمي لا تقتصر على تتبع الأحداث السياسية والحربية وتدوينها، بل أن مهمته الأساسية هي محاولة تصوير الأحوال الاجتماعية والاقتصادية التي عاش الناس في ظلها خلال فترة زمنية معينة. وليس هناك من هو أقدر من شعراء النبط على تقديم صورة الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي كانوا يعيشونه. فلا ريب أن الشاعر الصادق مرآة عصره ولسان مجتمعه، كما أن أكثر شعراء النبط كانوا يعيشون في قاع المجتمع لصيقين بما كان جرى في ذلك القاع ويعكسونه في قصائدهم. ويكفي للتمثيل على هذا الصنف في القصائد ما كتبه الشاعر الساخر حميدان الشويقر<sup>(٢)</sup>. إذ تحفل قصائده بكثير من الوصف الدقيق لما كانت عليه حياة أهل النصف الأول في القرن الثاني عشر للهجرة في شظف وفاقاة وعناء. فنقل الشاعر صور ذلك كله بلغة لازعة وتعابير حادة.

ولا يقتصر الأمر على الشويقر وحده، بل هناك كثير غيره من الشعراء صوروا ما في بيئاتهم من عادات وتقاليد، وما مر بها من

(١) ابن خميس، المرجع نفسه، ص ص ٣٢٦ - ٣٢٨.

(٢) يمكن أخذ فكرة عن شعره في: كمال، المرجع نفسه، ج٩، ص ص ٥ - ٥٩.

ضائقات اقتصادية، وما اجتاحتها من أوبئة وأمراض، بل ومسا عاناه السكان من بعض المظالم السياسية. ويكفي للتدليل على هذا النوع الأخير من اشعر ذكر بيت واحد من "الحداء" قاله أحد أبناء القبائل العراقية وهو:

الله بلانا بلوتين ما بين "أفندم" و "محفوظ"<sup>(١)</sup>

وقد صور الشاعر ما كان يعانيه أبناء القبائل من جراء إزدواجية السلطة بين الموظفين العثمانيين الذي رمز لهم بكلمة "أفندم" وبين شيوخ القبائل الذي رمز لهم بكلمة "محفوظ". ولعل حضراتكم تلاحظون معنى براعة هذا الشاعر الذي أوجز في بيت واحد مؤلف من سبع كلمات فقط الواقع الذي يشكو منه ثم تخطى تشخيص الواقع الى نوع من فلسفة التاريخ، حين علل ذلك الواقع الشخصي بأنه بلوى وامتحان من الله سبحانه.

ولعل البعض سيعترض على اعتماد الشعر النبطي مصدراً من مصادر كتابة التاريخ الحديث في المنطقة. ولعل اعتراضه سوف يتركز على أن الشعر النبطي مر قبل تدوينه بمرحلة الرواية الشفهية، ولذلك فلا بد أن قصائده أو بعضها قد دخلت فيها بعض التحريفات العفوية أو أدخلت فيها تحريفات متعمدة. وذلك فرض لا يمكن انكار حدوثه بالفعل، ولكن ذلك الحدوث ليس قاصراً على الشعر النبطي فقط، بل سبقه في ذلك الشعر الإغريقي القديم والشعر العربي الجاهلي قبل تدوينها. ومع ذلك نجد أن الباحثين في التاريخ الإغريقي والعربي لا بد

(١) عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، بغداد، ١٩٧٥، ص ٥٣.

لهم من العودة لدراسة تلك الأشعار، إن لم يكن للتعرف على أحداث محددة، فللتعرف على الأحوال الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية السائدة وقت كتابته. وعلى هذا يمكن أن يكون الموقف تجاه الشعر النبطي مطابقاً لذلك تماماً. فيتم التعرف من خلاله على بعض مظاهر الأحوال الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية لأن احتمال التحريف فى هذه الأمور ضئيل، إن لم يكن منعدماً. أما الأحداث وما يتصل بها من تواريخ وأسماء وأعداد التى ترد فى ثنايا قصائد الشعر النبطي فيمكن للباحث الوقوف أمامها موقف تحفظ الى أن يجد ما يفرزها فى المراجع والصادر الأخرى المتاحة. وعندها يقوم بالمقارنة بينها مقارنة دقيقة ومحصة. وسوف تمكنه تلك المقارنة من الوصول الى صورة للحدث قريبة من الصحة وأكثر اتزاناً.

وثمة أمر آخر قد يعترض به أحد المعترضين، وهو صعوبة فهم اللهجات المحلية التى كتب بها الشعر النبطي على كثير من الباحثين. وليس لمثل هذا الاعتراض سند قوى، إذ يمكن القول أن أغلب المفردات المستخدمة فى صياغة الشعر النبطي أكثر فصاحة مما نستخدمه من لغة حديثنا اليومي. كما أن جامعي الشعر النبطي وناشريه يشرحون عادة فى هوامش الدواوين كثيراً من الكلمات الغريبة والمصطلحات الصعبة مما يبسر على القارئ فهمها. وليس فهم شعر كتب بلهجة عربية دارجة أكثر صعوبة من فهم محتويات وثيقة مدونة بإحدى اللغات الأجنبية التى يلزم الباحثون بتعلمها على أية حال.

وخلص القول أنني أعتقد أن من الواجب على الباحثين في تلريخ  
وسط وشمال شبه الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام خلال القرون  
الأربعة الهجرية الأخيرة إلقاء نظرة مدققة على دواوين شعراء النبط  
المعاصرين للفترات التي تتناولها بحوثهم. ولعلمهم يتعرفون عن هذا  
الطريق على وجهة نظر محلية صميمة تجعل نتائج بحوثهم أكثر توازناً  
ودقة، وتجنبها مأخذ الاعتماد المطلق على ما يرد في المصادر الأجنبية  
وحدها.

ولعل هذا القول نفسه ينطبق، الى حد كبير، على الأشكال الأخرى  
في الأشعار الشعبية في بقية أنحاء الوطن العربي مثل "الحميني" و  
"الموال" و "العتابا" و "الزجل" وغيرها.

## الفصل الثالث

مشروع الاستيطان الصهيوني في العراق بين سنتي ١٩٠٨-١٩١٣

## مشروع الاستيطان الصهيوني في العراق بين سنتي ١٩٠٨-١٩١٣

لا أري من الضروري تكرار الحديث هنا عن الحركة الصهيونية، فأمرها شائع معروف لدى أكثرية القراء الكرام، ولكن يهمني القول أن وفاة زعيم الحركة الصهيونية تيودور هرتزل سنة ١٩٠٤م أدت إلي انقسام الحركة الصهيونية بين "العلميين" و "السياسيين" ويصر "العلميون" علي ألا ينشأ الوطن الصهيوني إلا في فلسطين بينما يسعى "السياسيون" لاجاد حل فوري للمشكلة اليهودية سواء في فلسطين أو غيرها<sup>(١)</sup>. وقد تكرر ذلك الانقسام أثناء انعقاد المؤتمر الصهيوني السابع الذي عقد في مدينة بال في تموز ( يوليو ) ١٩٠٥م، حيث انشقت عن المنظمة الصهيونية بعض الفصائل المنضوية تحت اتجاه "السياسيين" ومن تلك الفصائل " المنظمة الاقليمية اليهودية The Jewish Territorial Organization بقيادة اسرائيل زانغويل Israel Zangwill<sup>(٢)</sup>.

ولقد أصبح لزانغويل دور كبير في الدعوة لفكرة الاستيطان الصهيوني في العراق التي نحن معنيون بمتابعة تطوراتها في هذا البحث.

ويحسن القول قبل التعرف علي أنشطة زانغويل وزملائه في هذا المجال أن فكرة الاستيطان الصهيوني في العراق لم تكن من بنات

---

(١) ان تايلر ، تاريخ الحركة الصهيونية : تحليل للديبلوماسية الصهيونية ١٨٩٧-١٩٤٧، ترجمة بسام أبو شريف، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ١٨-١٩.

(٢) حسان علي حلاق ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧-١٩٠٩، بيروت ١٩٧٨، ص٢٠٧.

أفكار زانغويل في هذه الفترة. إذ أنها وجدت قبل انشاقه عن المنظمة الصهيونية، بل وقبل انشاء هذه المنظمة ذاتها علي يد هرتزل سنة ١٨٩٧. ولعل أول من فكر في انشاء مستعمرة يهودية في العراق هو بول هوبت P.Haupt الأستاذ في جامعة جون هوبكنز John Hopkins . إذ أنه أعد في سنة ١٨٩٢ دراسة مفصلة عن الفكرة ووزعها علي عدد من أصدقائه طالباً منهم إيداء آرائهم فيها. وقد تناول هوبت في دراسته كل ما يتعلق بالفكرة مثل الظروف المناخية السائدة في العراق ومساحة الأرض المتوفرة هناك، والمنتجات المحتملة في المستعمرة، وسكة الحديد التي ستبني وكلفتها التقريبية، وكيفية الاستيراد للمستعمرة من الخارج عبر الخليج، والمواصلات داخل المستعمرة، وإمكانية استخدام الآلات الزراعية فيها، وكيفية إقامة تجارة تصدير فسي المستعمرة للخارج، وإمكانية استغلال رواسب الأسفلت الضخمة المتوفرة في العراق، والوجود المحتمل للنفط، واستغلال مصائد الأسماك وغير ذلك<sup>(١)</sup>.

ولم نبق الفكرة مجرد دراسة نظرية أعدها أحد الأكاديميين، بل طرحت بعد ذلك في ساحة المداولات السياسية بين الأطراف المعنية. إذ يشير بعض الباحثين إلي أن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني عرض علي تيودور هرتزل سنة ١٩٠٢ قبوله بهجرة اليهود إلي العراق واستيطانهم هناك<sup>(٢)</sup>. ويبدو من المستغرب هنا أن يقدم السلطان

(1) N.A.R.S., RGB4, NO.47, G.BieRavndal, Con.-Gen., Beirut, to A.Bird, Am.Vice Con. InCharge, Bag., Dated 14/6/1909, enclosure No.1.

(2) صادق حسني السوداني، النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤-١٩٥٢، بغداد، ١٩٨٠، ص ١٠، وراجع أيضاً : محمود حسن منسي ، تصريح بالفور ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٢٧ .

عبد الحميد علي اعطاء هذا العرض لهرتزل، وهو المعروف عنه صلابته أمام الأطماع الصهيونية وعدم استجابته لأغراءاتها. وربما كان دافع عبد الحميد هو تشتيت انتباه الحركة الصهيونية المركز علي فلسطين، أو هو محاولة للاستفادة من القروض اليهودية لرفد الخزينة العثمانية التي كانت تعاني من ضائقة مالية مستحكمة، أو التخلص من الضغط الصهيوني المتزايد عليه. ومهما كان دافعه فإن تقديمه ذلك العرض لهرتزل - أن كان قد قدمه فعلاً - يدل علي خفة سياسية واضحة لم تحسب حساباً للنتائج الخطرة المترتبة عليه سواء بالنسبة إلي العراق أو فلسطين ذاتها أو الدولة العثمانية عموماً.

ورغم أن هرتزل رفض ذلك العرض مصراً علي استيطان اليهود في فلسطين أول الأمر، إلا أنه عاد وقبل العرض باعتباره خطوة تمهد لليهود الاندفاع نحو فلسطين من منطقة قريبة مجاورة. ويبدو أنه تحمس للفكرة فيما بعد حتى أنه كتب في غضون سنة ١٩٠٣ للصدر الأعظم يطالبه بتنفيذها مقابل تغطية الديون المالية للدولة العثمانية. ولكن السلطات العثمانية هي التي رفضت هذه المرة<sup>(١)</sup>. ولعل ذلك الرفض ناتج عن ادراك من تلك السلطات لمخاطر الحركة الصهيونية، ومحاولة لتدارك الخطأ الذي وقعت فيه أول الأمر حين قدمت ذلك العرض لهرتزل. ولا يبعد أن يكون تغير الموقف العثماني ناتجاً عن إحياء ألماني بعد أن منح السلطان عبد الحميد الألمان امتياز تنفيذ سكة حديد بغداد في آذار (مارس) ١٩٠٢، مع ما يتضمنه ذلك من خطط ألمانية لاعتبار العراق منطقة نفوذ اقتصادي ألماني، بعد ازاحة أو

(١) السوداني، المرجع نفسه، ص ص ١٠-١١.

تقليص النفوذ البريطاني هناك. علماً بأن الحركة الصهيونية كانت تتوحد  
لبريطانيا حينئذ .

ويبدو أن تراجع السلطات العثمانية عن عرضها المذكور لم يكن  
نهاية المطاف لحلم الصهاينة بالاستيطان في العراق. إذ ذكر الوزير  
الألماني المفوض في بغداد فريتر غروبا في مذكراته محاولة " بعض  
المنظمات اليهودية الانكليزية والفرنسية مرات عديدة أن توطن في  
العراق مجموعات من الفلاحين اليهود من أوروبا الشرقية لاتساع  
الأرض ووفرة المياه في العراق من قلّة السكان الذين يقومون  
بزراعتها. وفي سنة ١٩٠٧ أوفدت جمعية التوطين اليهودية I.C.A التي  
مقرها لندن وتتعاون تعاوناً وثيقاً مع الأليانس ايزرائيليت<sup>(١)</sup> في باريس  
اليهودي الفرنسي نبيغو Niego إلى بغداد لدراسة موضوع التوطين. وقد  
بقي نبيغو أربعة أشهر أو خمسة في بغداد وأعد تقريراً أبدي فيه رأيه  
في امكانية التوطين وكان مؤيداً له. وقد أقترح أن يبدأ توطن اليهود  
في أراضي كاظم باشا، صهر عبد الحميد، في شمال بغداد. وأقترح  
توطين خمسين ألف يهودي روسي وبولوني، فأيد المشروع وزير مالية  
تركيا جاويد بك، وهو يهودي دخل في الإسلام، ولكن عبد الحميد  
رفضه..<sup>(٢)</sup> ووقوع اختيار الصهاينة علي أراضي صهر السلطان عبد  
الحميد محاولة مفضوحة لربط جهات متنفذة بعجلة المشروع  
الصهيوني.

(١) المقصود هو : The Alliance Israelite Universelle

(٢) نجدة فتحي صفوة ، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص  
١٢٣-١٢٤.

وجاء بعد ذلك انقلاب تموز (يوليو) ١٩٠٨ الذي قادته جمعية الاتحاد والترقي ضد السلطان عبد الحميد الثاني ليعطي دفعة قوية للأشطة الصهيونية في الدولة العثمانية إذ تكاد المراجع أن تجمع علي تأكيد العلاقة الوثيقة التي ربطت الأوساط الماسونية واليهودية برجال جمعية الاتحاد والترقي قبل الانقلاب وبعده. كما أن التقارير الدبلوماسية البريطانية كانت تؤكد علي تلك العلاقة، مما جعل بعض الباحثين يشك في مدى دقة تلك التقارير ويميل للاعتقاد في أنها كانت تتسم بالمبالغة بعض الشيء رغبة من البريطانيين باشهار سلاح فعال بوجه الاتحاديين إذا وقفوا ضدهم، وبوجه النفوذ الألماني المتزايد في الدولة العثمانية بعد الانقلاب<sup>(١)</sup>.

وتعكس تلك التقارير تغييراً في موقف السلطات البريطانية تجاه الحركة الصهيونية عموماً في هذه الفترة، وتجاه مشروع الاستيطان اليهودي في العراق بوجه خاص. وكما لاحظ أحد الباحثين فإن بريطانيا "لم تلبث أن ساورتها الشكوك في اتجاهات الصهيونية حيث ساد الاعتقاد في الدوائر البريطانية بعد ثورة الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ واتجاهها للتحالف مع ألمانيا بعد فترة وجيزة من ثورتها بأن اليهود عامة والصهيونيين خاصة أداة في يد ألمانيا لتقويض مركز بريطانيا في الشرق وضم الترك إلي ألمانيا... وقد كان لنشاط الوكالة اليهودية في الأستانة ونشاط اليهودي الفرد نوسغ A.Nossig<sup>(٢)</sup> أثر علي هذا

(١) سيرة قاسمية ، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨-١٩١٨، بيروت ١٩١٣، ص ٤٥.

(٢) صهيوني ألماني انشق علي المنظمة الصهيونية واسس منظمة مستقلة أسماها .

الاعتقاد فقد أنشأت الوكالة الصهيونية لها فرعاً في الاستانة عام ١٩٠٨، وكان مديرها فكتور جيكوبسون V. Jacobson... يري أن تأييد ألمانيا للصهيونية أكثر أهمية من تأييد أية دولة أخرى... أما نوسغ فإنه عقب الثورة التركية عام ١٩٠٨ مباشرة حضر إلى الاستانة ومعه مشروعات لتوطين اليهود في فلسطين والعراق... ولا شك أن فكرة تصدر من ألمانيا بتوطين اليهود في العراق لا بد أن تثير شكوك بريطانيا ومخاوفها حيث لم يكن هناك مكان تتصادم فيه مصالح بريطانيا بمصالح ألمانيا أكثر من العراق...<sup>(١)</sup>.

ونعود الآن إلى التعرف علي الجهود الصهيونية التي بذلت لدى الحكم العثماني الجديد الذي قام بعد الانقلاب حول فكرة توطين اليهود في العراق وما أسفرت عنه تلك الجهود عملياً. وأول ما يلاحظ في هذا المجال أن النظام الجديد في الدولة العثمانية أتخذ في وقت مبكر بعد الانقلاب موقفاً متعاطفاً إلي حد ما مع المساعي الصهيونية. إذ اجتمع ناظم بك السكرتير العام لجمعية الاتحاد والترقي بقائد صهيوني هو ماكس نوردو في باريس خلال شهر نوفمبر سنة ١٩٠٨ وأكد له أن اتفاقات قد عقدت مع "جمعية الاستيطان اليهودية"، و" للتحالف الاسرائيلي العالمي" تتضمن موافقة الدولة العثمانية علي استيطان مائة ألف يهودي في اثنتين وثلاثين ولاية عثمانية شرط دخولهم إليها بشكل

---

(١) منسي ، المرجع نفسه ، ص ص ٣١-٣٢.

جماعات متفرقة.<sup>(١)</sup> ورغم ما في هذا الخبر من غموض لا يبين معه أسماء تلك الولايات ولا حصة كل منها من ذلك الرقم، والذي أعتقد أنه غموض متعمد القصد منه تمكين اليهود من التسرب إلى فلسطين أو الولايات القريبة منها علي الأقل، إلا أن المهم فيه هو كشفه عن اتجاه السلطات الجديدة نحو التجاوب مع المطالب الصهيونية، ولو بشكل متحفظ في بداية الأمر تجنباً لأثارة الرأي العام العربي والاسلامي سواء في داخل الدولة العثمانية أو خارجها.

ولم تثبت أوساط جمعية الاتحاد والترقي طويلاً قبل أن تخطو خطوة أخرى للاقتراب من التطلعات الصهيونية، وذلك حين دعا أحمد رضا بك أحد زعماء الجمعية ورئيس مجلس النواب العثماني (المبعوثان) في ربيع سنة ١٩٠٩ لايجاد وطن ذي حكم ذاتي لليهود في العراق تحت ظل الدولة العثمانية.<sup>(٢)</sup> وقد جاءت هذه الدعوة عبر الحاخام الأكبر لليهود الذي عممها بدوره علي اليهود في كافة أنحاء العالم، حيث كان لها صدى كبير خاصة في الولايات المتحدة التي كانت تنشط فيها حينئذ ثلاثمائة وثلاثون منظمة صهيونية يصل عدد أعضائها العاملين إلي خمسين ألف رجل<sup>(٣)</sup>. ولذلك لا غرابة أن نجحت تلك المنظمات في تعيين أحد المنتميين إليها وهو أوسكار سترأوس Oscar Strauss سفير الولايات المتحدة لدى الدولة العثمانية خلال هذه

(١) صادق علي الربيعي، الاستيطان الصهيوني في فلسطين ابان حكم الدولة العثمانية ١٨٨٢-

١٩١١ رسالة ماجستير مقدمة لمعهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٧٨، ص ص

١٧٢-١٧١.

(2) N.A.R.S., RG84, No.47, enclosure No. 2

(3) N.A.R.S., RG84, No.47, enclosure No. 1

الفترة. وقد أخذ هذا السفير يعمل بنشاط مع المصرفي الصهيوني جاكوب شيف J.Schiff للتأثير علي أفراد الجالية اليهودية في الولايات المتحدة ودفعهم لتأييد فكرة توطين اليهود في العراق<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن الأوساط الصهيونية في الولايات المتحدة أخذت تنتظر مشروع الاستيطان الصهيوني في العراق وكأنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من التنفيذ العملي، حتى أنها أخذت تنتظر في تقدير كلفة المشروع المالية. فقد ذكرت صحيفة " نيويورك تريبيون The New York Tribune في عددها الصادر يوم ٢٤ مايو ١٩٠٩ أن تخمين كلفة المشروع بلغ أربعين مليون دولار لازمة لري الاقليم، ولكن عن طريق هذا الاتفاق مضافاً إليه كلفة النقل فإن الوضع في روسيا حيث يعيش خمسة أو ستة ملايين يهودي في حالة باتسة، دون الحديث عن يهود رومانيا الذين يقدرون بحوالي أربعمئة ألف نسمة، سوف يعالج كلية ... استلمت في هذه المدينة اليوم أنباء خاصة من لندن تفيد عن اجتماع للمنظمات اليهودية الإقليمية أعلن خلاله السيد زانغويل والسيز أندرو ونغيت Sir A.Wingate وماير سبيلمن M.Spielman وآخرون أن استيطان ما بين النهرين سيكون الحل للمشاكل التي أحاطت باليهود منذ شتتوا من فلسطين ... ينتظر أن يصل السيد شيف إلي لندن هذا الأسبوع ليتباحث مع أولئك الرجال الذين تلقوا تأكيدات من الحكومة التركية بأن بلاد ما بين النهرين ستمنح لليهود كي يطوروها ويديروها حسبما يرون ذلك ملائماً... من المزمع ارسال بعثة استكشاف عبر ما بين النهرين لغرض جمع المعلومات التي ستواجه الداعين لفكرة المستعمرة... في

(١) أوران محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني ، الأتبار ، ١٩٨٧ ، ص ٢٩٥ .

برقيات من لندن قال أصدقاء السيد زانغويل اليوم أن تعاون السيد شيف  
سيعني أن خطة انشاء مستعمرة فيما بين النهرين ستنال دعما ماليا لم  
تتله خطة أخرى... ستتوقف الخطوة القادمة في الخطة علي تقرير  
البعثة التي ستقوم بدراسة شاملة لبلاد ما بين النهرين وتقدم تقريرها  
لمختلف المنظمات اليهودية العالمية التي تحبذ انشاء مستعمرة هناك. (1)

أما صحيفة شيكاغو ريكورد هيرالد The Chicago Record- Herald وهي إحدى الصحف الأمريكية الواسعة الانتشار حينئذ، فقد كتبت  
بدورها عن ذلك المشروع في عددها الصادر يوم الثامن عشر من مايو  
١٩٠٩ اقائلة "إن جاكوب شيف، وهو مصرفي، واسرائيل زانغويل،  
مؤسس ورئيس المنظمة اليهودية الاقليمية، انضموا معا في جهد مشترك  
من أجل استيطان ما بين النهرين، باعتبار ذلك حلا وسطا بين خطط  
الاستيطان الصهيوني في فلسطين. وقد استلمت هذه الأنباء من قبل  
جاكوب فشم J.Fishman رئيس تحرير صحيفة جويش ديلي نيوز The  
Jewish Daily News في هذه المدينة... إن جمعية أیکا The Ica Society ،  
وهي منظمة الاستيطان اليهودية الأكبر والأغنى في العالم، والتي  
ترك البارون الراحل هيرش Baron de Hirsch في عهدها خمسة وأربعين  
مليون دولار، أرسلت بعثة مسح جغرافي للتحقق من الأحوال هناك.  
وأظهرت التقارير أن الأرض خصبة جدا وأن كل المطلوب لجعلها  
منتجة هو توفر الري. لقد قبل الصهيوينيون المشروع حالا لأن بلاد ما  
بين النهرين ليست بعيدة عن فلسطين. ويعتقد أنه من خلال جهود السيد  
شيف، الذي يتجول الآن في أوروبا، يمكن للمنظمات اليهودية المتحدة في

(1)N.A.R.S., RG84, No.47, enclosure No. 1

العالم أن تتم الخطة، وأن العمل من أجل الاستيطان يمكن أن يبدأ في تاريخ مبكر" (١).

ويبدو للمدقق فيما كتبه هاتان الصحيفتان الأمريكيتان تناقض واضح حول بعثة المسح المقرر إرسالها للعراق. ففي حين قالت صحيفة نيويورك تريبيون أن تلك البعثة سترسل فيما بعد، ذكرت صحيفة شيكاغو ريكورد هيرالد أن تلك البعثة قد أرسلت بالفعل، مع العلم أن الصحيفة الأولى صدرت بعد الثانية بستة أيام. وأعتقد أن هذا التناقض ظاهري فحسب إذ أن ما عنته صحيفة شيكاغو ريكورد هيرالد هي البعثة التي أرسلت سنة ١٩٠٧ من قبل منظمة إيكو والتي سبق أن نقلنا خبرها كما أورده فريتر غروبا. في حين أن ما عنته صحيفة نيويورك تريبيون في قولها أن بعثة سترسل للعراق هي البعثة التي أرسلت بالفعل فيما بعد، ووصلت بغداد في ديسمبر ١٩٠٩ كما سيمر بنا بعد قليل.

ورغم أن المراجع تكاد تجمع علي الدور الكبير الذي لعبه السفير الأمريكي في استانبول حينئذ في تشجيع ورعاية المشروع، إلا أن ما بين يدي من المراسلات الدبلوماسية المتبادلة بين القنصلية الأمريكية في بغداد وسفارتها في استانبول لا تكشف أي دور مباشر له يتم عن ذلك التشجيع. ولعله تجنب أن يظهر أمام حكومته في واشنطن بمظهر الصهيوني الصريح الذي يستغل مركزه الحكومي لخدمة أغراض غير رسمية. ولذلك لا عجب أن نري القنصل الأمريكي العام في بيروت -

---

(1) N.A.R.S., RG84, No.47, enclosure No. 2.

وربما بإيحاء خفي من السفير- هو الذي يفتح القنصلية الأمريكية في بغداد حول المشروع. فقد جمع القنصل العام المعلومات المتوفرة لديه عن المشروع وارسلها لنائب القنصل الأمريكي في بغداد في شهر يونيو ١٩٠٩ طالبا منه أن يوافيه بما لديه من معلومات حول المشروع وعن رأيه الشخصي فيه باعتباره يعيش في موقع الحدث<sup>(١)</sup>.

وفي شهر سبتمبر ١٩٠٩ رد نائب القنصل الأمريكي في بغداد<sup>(٢)</sup> علي القنصل الامريكي العام في بيروت قائلا: " أن أي شخص قضى أية مدة في تركيا<sup>(٣)</sup>، وخاصة فيما بين النهرين، يدرك أن الصعوبات الهائلة المصاحبة لتنفيذ أي مشروع كهذا تبدو جلية لدرجة تجعل من الصعب اعتباره عمليا بأي شكل في الوقت الحاضر. أن تركيا الآن أقل ملائمة مما هي دائما لقبول خلق أية حالة استقلالية أو جماعية Community في امبراطوريتها. وأية دعوة كهذه نشرت من قبل أحمد رضا بك بهذا المعنى يجب أن تستقبل ببعض النزوع إلي الشك. يجب تذكر أن ما بين النهرين أو علي الأقل ذلك الجزء مما بين النهرين الواقع في دلتا نهري دجلة والفرات هو معقل الإسلام. ومشكلة التعامل

(1) N.A.R.S., RG84, No.47

(٢) من المفيد القول هنا أن نائب القنصل الأمريكي هذا كان بريطاني الجنسية، فقد درجت وزارة الخارجية الأمريكية علي تعيين مواطن بريطاني من المقيمين في بغداد والعاملين في الشركات الامريكية هناك لهذا المنصب، لأن الوزارة كانت تعاني خلال الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى في كثير من الأحيان من صعوبة اقناع مواطن أمريكي بالتوجه إلي بغداد لتولي منصب القنصل هناك، لأنها مدينة نائية عن أمريكا، ولأن المرود المادي لتلك الوظيفة لم يكن مغريا.

(٣) كان الدبلوماسيون الأجانب حينئذ يعممون اسم تركيا علي الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية.

مع المدن المقدسة والأضرحة مثل تلك الموجودة في كربلاء والنجف وسامراء والكاظمين ومشهد<sup>(١)</sup>، إضافة إلى أضرحة أتباعي كثيرة أقل أهمية، لا يبدو أنها أخذت في حسابات القائمين علي هذا المشروع، كما يستنتج من الفقرات التي ظهرت في نيويورك تريبيون، ومن الصعب تصور تغيير كهذا ذي اعتبار سياسي يستند إلى حركة دينية في جوهرها ينفذ دون إثارة تعصب إسلامي لحد يغمر القطر كله بالدماء والفوضى.

واستطرد نائب القنصل في رسالته يقول: " وحتى لو افترضنا أن دعوة أحمد رضا بك لم تتقل بدقّة، وأن المشروع لا يعني أكثر من حيازة مقاطعات معينة من الأرض فيما بين النهرين لإقامة مستوطنات يهودية زراعية تحت ظل الحكم التركي، فستظل هناك صعوبات خطيرة للغاية يجب أخذها في الاعتبار. ففي ظل مشروع مثل هذا افترض بأن المستوطنين اليهود سيحتفظون بجنسياتهم السياسية، وستثور عنده قضايا خطيرة من وقت لآخر يمكن تصورها جيدا من خلال وجود مئات الآلاف وربما ملايين من الأجانب، غالباً من الروس، في جزء من الامبراطورية العثمانية غير مستقر وخارج عن السيطرة، أن تدفق عدة ملايين من اليهود فيما بين النهرين، إذا احتفظوا بجنسياتهم السياسية، سيمثل بالطبع عاملاً جديداً وحاداً في متاهة معقدة بالفعل للمصالح السياسية في الشرق الأوسط.

---

(١) كانت النجف تسمى في بعض المراجع المعاصرة " مشهد علي " أو " مشهد " فقط، وهي غير مدينة " مشهد الرضا" المعروفة في إيران، والظاهر أن الأمر اختلط علي نائب القنصل فعدها مدينة أخرى في العراق غير النجف.

ثم انتقل نائب القنصل للقول: " أن الحكومة التركية بطيئة الحركة، ولكنها وضعت الآن قيد الإعداد خطة لإعمار ما بين النهريين، حين حصلت علي خدمات السير وليم ولكوكس<sup>(١)</sup> للقيام بالمسح والوصف والنصح. وليس من غير المحتمل أن ينفذ هذا العمل في المستقبل القريب، أن لم يكن بتمويل تركي فتحت التوجيه التركي علي الأقل. وإن زيارة بعثة استكشاف يهودية ستفعل الكثير - بلا شك - لإزالة ما يوجد من سوء فهم واضح جدا متصل بالأحوال الواقعية. إن إعمار ما بين النهريين يمكن أن يحدث فقط بزيادة الأمن. وحين يأزف الوقت فربما يمكن انجاز ذلك الإعمار عن طريق الترك أنفسهم بمعاونة رأسمال أجنبي . ولكن جذب هذا الرأسمال يتطلب من الترك أولا نشر الهدوء في القطر وتوفير الاستقرار فيه بشكل يضمن درجة كافية من الأمن.

وعن الأملاك السلطانية(السنية) التي تتردد أنها ستكون نواة لـ روع الاستيطان الصهيوني، قال نائب القنصل: " يوسفني ألا أستطيع إزاءك أية أرقام حول سعة الأراضي التي كانت عائدة للمخصصات الملكية- ورغم أن إيرادات هذه الأراضي تدفع الآن للخرينة الإمبراطورية إلا أنها لا زالت تدار من قبل الإدارة السابقة لخصصات الملكية. ولا تمثل هذه الأراضي نسبة كبيرة من المساحة

(١) المهندس الانكليزي المشهور الذي اشرف علي تنظيم الري في مصر والهند، ثم تعاقبت معه الحكومة العثمانية سنة ١٩٠٩ لاجراء الدراسات الهندسية اللازمة لاعداد خطة ري العراق. وقد أنجز ما أوكل إليه سنة ١٩١١، فقدم للحكومة العثمانية سبعة تقارير ضمنها آراءه فيما يجب علمه لأصلاح الري في العراق.

الكلية للأراضي المزروعة حالياً، ولكن لأنها بعض من أفضل الأراضي المزروعة في القطر فإن إيراداتها كانت كبيرة دائماً مقارنة بالإيرادات المستمدة من الأراضي الحكومية. وتقدر إيرادات تلك الممتلكات في ولايتي بغداد والبصرة بما يتجاوز مائة ألف ليرة تركية سنوياً<sup>(1)</sup>.

ورغم كل تلك العقبات الكبيرة التي تقف في وجه المشروع والتي استعرضها نائب القنصل الأمريكي في بغداد في تقريره الوارد أعلاه، إلا أن الصهاينة مضوا قدماً في محاولة تنفيذ مشروعهم الاستيطاني في العراق، فقد روي القنصل الأمريكي في بغداد أن ثلاثة وكلاء للجمعية اليهودية The Jewish Society<sup>(2)</sup> المتهمة بتوطين اليهود في أجزاء مما بين النهرين وصلوا بغداد في شهر ديسمبر ١٩٠٩. وأضاف أنهم متكتمون على خططهم ولا يرغبون في مناقشتها مع الآخرين، ولكنه علم من مصدر موثوق أنهم قاموا بمسح لأراضي قرب الفلوجة الواقعة على نهر الفرات غرب بغداد. كما أنهم أيضاً قابلوا ملاك أراضي معينة واقعة قرب النهر، معلنين عزمهم على شراء مقاطعات واسعة إلى حد ما إذا تم الاتفاق على سعر مناسب<sup>(3)</sup>. ويلفت النظر هنا أن المستكشفين الصهاينة الثلاثة ركزوا تحرياتهم على الأراضي الواقعة قرب الفلوجة باعتبار أنها أقرب الأراضي الخصبة إلى فلسطين. ويؤكد هذا التوجه

(1) N.A.R.S., RG84, No.679, A. Bird, Am. Vice Con. In Charge, Bag., to G. Bie Ravndal, Am. Con. Gen., Beirut, Dated 9/9/1909.

(2) لعل المقصود هو The Ica Society أو The Jewish Colonization Association.

(3) N.A.R.S., RG84, No.11.F.Simpich, Am.Con., Bag., to Oscar Strauss, Am.Amb., Const, Dated 21/12/1909.

ما لاحظته أهد الباحثين من أن مشروع الاستيطان الصهيوني في العراق كان في أهد وجوهه تمهيد للزحف الصهيوني باتجاه فلسطين<sup>(١)</sup>. بينما يرى باحث آخر أن هدف الصهونيين في هذه الفترة هو السماح لهم بتغلغل سلمي في فلسطين وأن كانوا قد أضافوا إليها كنوع من البقشيش تطوير العراق يمنح لهم كاقطاعية<sup>(٢)</sup>.

ولو انتقلنا من العراق إلى عاصمة الدولة في استانبول لوجدنا أن الصهاينة قد استمروا يشنون حملة دعائية مكثفة من أجل الحصول علي الموافقة الرسمية النهائية علي مشروعهم الاستيطاني في العراق. ففي أواخر سنة ١٩٠٩ حضر إلى استانبول الصهيوني نوسغ ووزع منشوراً علي الاتحاديين المتعاطفين مع مشاريع الهجرة اليهودية حدث فيه علي السماح بالاستيطان اليهودي في مناطق واسعة من الدولة العثمانية تمتد من شط العرب إلى آسيا الصغرى شاملة سوريا وفلسطين وقبرص، ومقابل ذلك تعهد بوضع المال والنفوذ اليهودي تحت تصرف الدولة العثمانية. وفي ديسمبر ١٩٠٩ كتب جلال نوري صاحب صحيفة (جون ترك) الصادرة في استانبول بتمويل صهيوني ، مدافعاً عن فكرة استيطان اليهود في العراق قائلاً: " لو كان لليهود اهتمام بهذا الجزء من الامبراطورية فأن رؤساليهم سوف يجهزون تركيا بالمبالغ الضرورية لموازنة العجز المتكرر في الميزانية"<sup>(٣)</sup>. كما استمر الصهيوني اسرائيل زانغويل من جانبه يبذل جهوده لدى الحكومة التركية في

(١) السوداني ، المرجع نفسه ، ص ص ١٢-١٤.

(٢) قاسمية ، المرجع نفسه ، ص ٤٧.

(٣) قاسمية ، المرجع نفسه ، ص ٤٨.

السبيل نفسه. ففي مقال صحفي نشره خلال شهر ابريل ١٩١٠ عبر عن أمله في أن يقدم حقي باشا رئيس الوزراء العثماني المشورة الصحيحة لدولته، أي أن يحبذ لها الموافقة علي مشروع الاستيطان الصهيوني في العراق .

ومقابل ذلك تعهد زانغويل أيضا بتحمل اليهود جميع ديون الدولة العثمانية (١).

ولكن رغم تلك الجهود المركزة والاعراضات الكبيرة يبدو أن السلطات الحكومية الاتحادية لم تستطع أن تتجاوب بصورة مطلقة مع التطلعات الصهيونية بهذا الصدد، وكانت لديها تحفظات كبيرة تجاهها. نلاحظ ذلك مما كتبه القنصل الأمريكي في بغداد خلال شهر ديسمبر ١٩٠٩ حين قال: "لن يستطيع اليهود، كما أقترح اسرائيل زانغويل، الصمود قط للحر المرعب في الصيف، حتى لو كان بالأماكن التغلب علي اعتراضات الحكومة التركية علي جلب مستوطنين غير مسلمين (العراق) (٢). ورغم أن القنصل لم يوضح ماهية اعتراضات الحكومة التركية تلك، إلا أنه يلاحظ هنا أن القنصل الأمريكي في بغداد وقبله نائبه لم يبديا أي تعاطف مع مشروع الاستيطان الصهيوني في العراق، رغم ما قيل من تأييد السفير الأمريكي في استانبول للمشروع. ولعل مرد ذلك أنهما من خلال عملهما في العراق تعرفا علي الواقع وأدركا الصعاب الكبيرة التي تحول دون تنفيذ ذلك المشروع. ولعل تلك

(١) أورفان محمد علي ، المرجع نفسه ، ص ص ٣٠٤-٣٠٥.

(2) N.A.R.S., RG84, "The Reclamation of Mesopotamia: Detailed report on the progress, present condition and future possibilities of the wilcocks Irrigation Project: by Am, Con., Bag, Dated 3/12/1909.

الصعاب اضافة لاعتراضات السلطات العثمانية التي مرت الاشارة إليها  
أنفا هي التي جعلت السفير الأمريكي أوسكار ستراوس يشعر بالاخفاق  
فيضطر لتقديم استقالته من مهام منصبه<sup>(١)</sup>.

ولا ريب أن ذلك الاخفاق قد صدم التطلعات الصهيونية، ولكنه مع  
ذلك لم يجعل الصهاينة ينفضون أيديهم من مشروع الاستيطان  
الصهيوني في العراق. فقد كتب السفير البريطاني في استانبول في  
أغسطس سنة ١٩١٠ قائلا: "إن اليهود الذين يبدون الآن في موقف  
الملمه والمسيطر علي الجهاز الداخلي للدولة يعملون علي السيطرة  
الاقتصادية والصناعية علي تركيا الفتاة ويبدون مصممين علي ألا يبدأ  
أي مشروع هام في العراق دون أسهامهم فيه بل دون سيطرتهم  
عليه"<sup>(٢)</sup>. ويتضح من هذا النص أن الصهاينة قد حوروا خطتهم الأصلية  
وهي الاستيطان الفوري في العراق، واستعاضوا عنها بمحاولة السيطرة  
الاقتصادية ليس في العراق فحسب بل وفي الدولة العثمانية عامة، لعل  
تلك السيطرة تهئ لهم فرصة تحقيق مشاريعهم الاستيطانية سواء في  
العراق أو في فلسطين حين يأزف الوقت الملائم. كما ويتضح من  
النص نفسه أن السفير البريطاني كان واثقا من السيطرة اليهودية علي  
جهاز الدولة العثمانية تحت ظل حكم الاتحاديين. فإذا كان الحال كما  
وصف السفير البريطاني، فما الذي جعل السلطات العثمانية تتردد في  
الموافقة علي المشروع الصهيوني باستيطان العراق؟

(١) قاسية ، المرجع نفسه ، ص ٤٩ .

(٢) حسن صبري الخولي ، سياسة الاستعمار الصهيونية تجاه فلسطين خلال النصف الأول من

قرن العشرين ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٠٩ .

أعتقد أن أوساطا متنفذة في جمعية الاتحاد والترقي كانت تتمني حقا لو أنها كانت قادرة علي تلبية التطلعات الصهيونية، ولكن ثلاثة عوامل حالت بينها وبين ذلك.

وتتمثل تلك العوامل في: المعارضة البريطانية، ومناوأة بعض القوي السياسية المعارضة في استانبول، وتألب الرأي العام المحلي في العراق. فبالنسبة إلي العامل الأول سبق أن ألمحنا بتغير الموقف البريطاني من الحركة الصهيونية في هذه الفترة وتعرفنا علي أسبابه.

وهو تغير لم يقتصر علي الأوساط الرسمية البريطانية فقط، بل شاركت فيه الصحافة البريطانية أيضا. وقد جعل ذلك مراسل جريدة "التايمز" اللندنية في استانبول يتابع الأنشطة الصهيونية هناك خلال سنتي ١٩١١، ١٩١٢ وينور قراء جريدته من أخطارها علي المصلح البريطانية ليس في العراق فقط، بل وفي العالم العربي عامة<sup>(١)</sup>. ولا يجب أن ننسى هنا أن العلاقات البريطانية- العثمانية شهدت بعض التوتر حول المصالح البريطانية في العراق ابتداء من سنة ١٩١٠. وقد صور وزير الخارجية البريطانية السير ادوارد غري ذلك التوتر بقوله:- "إن حكومة جلالته ليس لديها الرغبة للضغط من أجل نيل امتيازات جديدة فيما بين النهرين أو أي مكان آخر في تركيا، بشكل سيؤدي إلي أضعاف الحقوق التركية أو أعاقه الحكومة التركية، ولكن الدلائل تتراكم عن اتجاه من جانب السلطات التركية لإعاقة النمو الطبيعي للمصالح التجارية البريطانية القائمة والتي ليس هناك سبب

---

(١) منسي ، المرجع نفسه ، ص ٣١ .

معقول للاعتراض عليها...<sup>(١)</sup>. فكان من الطبيعي لذلك أن تتصدى بريطانيا لأي مشروع صهيوني ينفذ في العراق برعاية من جمعية الاتحاد والترقي الميالة لألمانيا لأضعاف النفوذ البريطاني في العراق.

أما العامل الثاني فيرتبط بالصراعات السياسية التي ثارت في العاصمة استانبول بعد تولي الاتحاديين الحكم سنة ١٩٠٨. فعلى الرغم من أن الاتحاديين هيموا على مقاليد السلطة التنفيذية والمجلس النيابي (مجلس المبعوثان)، خاصة بعد عزل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٩، إلا أنهم لم يستطيعوا أخمد كل الأصوات المعارضة لهم سواء داخل المجلس النيابي أو خارجه. ولذلك لم يكن من السهل عليهم التسليم المطلق بمطالب الحركة الصهيونية حتى لا يعطوا لمعارضيهم حجة قوية يستخمنونها في تأليب الرأي العام ضدهم، خاصة وأن أكثرية الرأي العام كانت ذات مشاعر دينية كما هو معروف.

ولقد تكثرت المعارضة النيابية في (مجلس المبعوثان) ضد المحاولات الصهيونية، وطرحت موضوع الهجرة اليهودية إلى أراضي الدولة العثمانية للمناقشة سنة ١٩١٢. وقد اضطر طلعت بك وزير الداخلية للإعلان خلال المناقشة عن معارضة حكومته للمخططات الصهيونية<sup>(٢)</sup>.

وتكشف التقارير الدبلوماسية البريطانية التي سنستعرضها الآن عن استنفار الرأي العام المتثور في المدن العراقية وتألبه ضد الاستيطان

---

(١) I.O.R., L/R + S/10/188, No,212, Confid. Sir Edward Grey to Sir G.Lowther, Const., dated 20/8/1910.

(٢) منسي ، المرجع نفسه ، ص ٣٢.

الصهيوني في العراق، كما تكشف عن استمرار التصدي البريطاني لذلك المشروع. إضافة إلي ما تدل عليه من عدم يأس لصهاينة من مشروعهم واستمرارهم يبذلون الجهود لتخطي العقبات التي تعترض تنفيذه والالتفاف من حولها. ومن تلك التقارير ما كتبه المقيم السياسي البريطاني في بغداد في خلاسته للاحداث التي جرت في العراق خلال شهر يوليو ١٩١٣، حيث قال:- " يبدو أنه قد أعلن في استانبول في الثاني والعشرين من يونيو ١٩١٣ أن أراضي الدولة التي تبلغ مساحتها ٢٨ مليون دونم الواقعة في ولايات مختلفة، بضمنها ولايتا بغداد والموصل، معروضة للبيع. وفي هذه الولاية فان الأراضي العائدة سابقا للخاصة السلطانية، ولكنها تصنف الآن باعتبارها أملاك دولة وتوصف رسميا بأنها أملاك مدورة، واسعة جدا. أن المشروع حين عرف وفهم هنا أثار بصورة نشطة خشية في أوساط كثيرة نشأت من جراء البيع المفاجئ لأراضي الولاية الفائضة من فوق رؤوس سكانها لغرباء أو ربما لرأسماليين أجنب. أرسلت برقيات احتجاج لاستانبول، وفهمت أن محمد فاضل باشا الداغستاني<sup>(١)</sup>، وحتى الوالي نفسه، أحتج لدى الحكومة علي عملها المتعجل.

ويعتقد بأن تأكيدات قد استلمت الآن مفادها أن أراضي الحكومة في هذه الولاية سوف لن تباع... يستحيل تصور سياسة أكثر بلاهة من بيع أراضي غير مأهولة ولا مروية فيما بين النهرين مقابل ما تجلبه من

---

(١) قائد عسكري عثماني، لعب دورا بارزا في تاريخ العراق العسكري والسياسي خلال الفترة التي سبقت الاحتلال البريطاني للعراق. كان يشغل خلال سنة ١٩١٣ منصب المفتش العام للقوات العثمانية في العراق، كما أنه تولي ولاية بغداد وكالة لفترة قصيرة بعد مغادرة وإليها جلال بك في خريف تلك السنة.

سعر في الظروف الراهنة وهذا ما يبدو أنه كان مقصودا في الاصل. حين تهيئ هذه الأراضي للإرواء فأنها سوف تجلب سعرا أعلى بصورة ضخمة. وعلي أية حال فأنها يجب أن تباع هنا وليس في استانبول وعلي شكل قطع صغيرة من الأرض بشكل يكفي لأعطاء مواطني ما بين النهرين فرصة لشراؤها<sup>(1)</sup>.

ولم يقتصر رد الفعل الشعبي المعارض لتلك الخطة علي بغداد وحدها، بل أمتد إلي البصرة أيضا. فقد نقل القنصل الأمريكي في بغداد عن الوكيل القنصلي الأمريكي في البصرة قوله: -" إن هياجا كبير أثار في هذه البلدة، سببه رواية تفيد أن أملاك السنية علي وشك أن تباع لأجانب، قين أنهم يهود لندنيون. أحتج العرب البارزون وأعلنوا أن ذلك يستحيل السماح به..."<sup>(2)</sup> ويدلل هذا علي مدى انتشار الوعي بين سكان العراق بأخطار المخططات الصهيونية خلال تلك الفترة المبكرة. كما يدل علي قوة المعارضة السياسية التي استطاعت أن تعبئ السكان وتحشدهم للوقوف بوجه تلك المخططات. ويتعارض هذا معارضة صارخة مع ما ذكره أحد الكتاب الإنكليز عند استعراضه للأوضاع في العراق بعد مفتح هذا القرن، حيث قال: "أما الحركة الصهيونية، التي كانت حركة وليدة وغير منذرة بالخطر آنذاك، فإن أول إشارة إليها لم تخلق أية مخاوف..."<sup>(3)</sup>.

(1) O R .LR + S/10/212, No.212, Confid. Summary of events in Turkish Iraq durng July 1913,p 5

(2)N A.R S., RG84, File No 800,Am Con,Bag., toAm Vharge d'Affares, Const , dated 28/7/1913

(3) ستيفن همسلي لونغريك ، العراق الحديث في سنة ١٩٠٠-١٩٥٠، ترجمة سليم التكريتي،

١٩٨٨ ، ص ٩٦ .

ويبدو أن التأكيدات الحكومية المشار إليها أعلاه لم تكن كافية لتطمين الرأي العام وإزالة مخاوفه. فقد عاد المقيم السياسي البريطاني في بغداد للحديث عن المعارضة الشعبية في خلاصته لأحداث العراق خلال شهر أغسطس ١٩١٣ فقال: -" أعدت ترتيبات لعقد اجتماع عام في ساحة بغداد العامة خارج الباب الشمالي ( المعظم) في الأول من أغسطس للاحتجاج ضد بيع مزمع في استانبول لأملك الحكومة في ولاية بغداد خوفا من امكانية نقل ملكيتها إلي أجانب أو صهاينة. أن عبد القادر باشا الخضيرى، وهو عضو اسمي في جمعية الاتحاد والترقي وربما السياسي المحلي الأكثر نشاطا وقوة في بغداد، كان منشغلا بتلك الترتيبات كانشغال رجال معروفين بأنهم قوميون عرب مثل عبد اللطيف الثنيان و جار الله الدخيل... في الحادية عشرية<sup>(١)</sup> أعلن الوالي أن برقية استلمت من استانبول تفيد بأن الاراضي لن تباع في العاصمة آخر الأمر، وأنه بدلا من ذلك ستشكل لجنة توزيعها بين سكان القطر. وترتب علي ذلك عدم عقد الاجتماع المقرر. وبقي أن يري فيما إذا كان ذلك التعهد الذى قدم سوف يحترم. ولا شك أن كثيرين من أعضاء الحكومة الحالية، اضافة ليهود أثرياء في استانبول وأماكن أخرى ورأسماليين أجانب، قد ركزوا أنظارهم علي تلك الأراضي التي ستساوي ملايين في المستقبل، وهم يرغبون بشراؤها الآن بمبلغ ضئيل. أن الاغراء في هذه الحالة لتضحية المصالح العامة

---

(١) أعتقد أن المقصود هو الحادية عشرة صباحا من صباح اليوم الأول من أغسطس، وأن الاجتماع كان مقررا عقده بعدها، وارجح أن يكون في عصر ذلك اليوم لما هو معروف من حرارة الطقس ببغداد في هذا الوقت من السنة.

في سبيل المصلحة الخاصة وللنضحية بالمستقبل من أجل الحاضر يبدو إلي حد ما قويا جدا بحيث لا يقاوم من قبل الحكومة التركية الحالية، التي ربما كانت مرتشية، ولكنها قصيرة النظر ومفلسة بالتأكيد<sup>(1)</sup>

ولكن ذلك التعهد الحكومي لم يكن نهائيا في نظر أوساط كثيرة علي ما يبدو، فقد كتب المقيم البريطاني في بغداد في خلاصته عن أحداث العراق خلال شهر سبتمبر ١٩١٣ قائلا : " إن التطوير الزراعي فيما بين النهرين لا يزال يشغل كثيرا من الأذهان ومن الصعب القول فيما إذا كان السكان هنا هم أكثر لهفة لخطوات يجب أن تتخذ للتخلص من أملاك الدولة أو أنهم أكثر خوفا من أية خطوات كهذه تتخذها الحكومة الحالية وتكون ضارة بهذه الولاية. وقد أبرقت في العاشر من سبتمبر لل قائم بأعمال جلالتة البريطانية في استانبول بعض المعلومات السرية التي استلمتها ومفادها أن (نقابة امتيازات العراق Iraq Concessions Syndicate) قد أسست بصورة مبدئية في لندن منذ سنتين. اثنان من أبرز المشاركين فيها هما السيد حسقل Haskell، وهو رأسمالي يهودي وبريطاني الجنسية ظاهريا، والسيد غولبنكيان Gulbenkian الوكيل المالي للحكومة التركية في لندن. أن هدف النقابة هو بصورة رئيسة نيل سيطرة علي الري والسكك الحديدية والملاحة فيما بين النهرين حسبما تسمح به الظروف. وقد حدد رأسمال المؤسسة بمليون باون استرليني يدفع نصفه علي الفور، وستطلب أرض مروية أو قابلة للري ضمانا للاتفاق. يبدو أن المشاركين يعتقدون بأن المشروع كان سيتحقق قريبا.

(1) O.R.,L.R + S/10/212. Confid Summary of events in Turkish Iraq during August 1913,P 1

الآن لولا حدوث الحربين الايطالية والبلقانية<sup>(١)</sup> واستمرارهما بصورة دموية... زارني مؤخرا مناخيم صالح دانيال، مالك الأراضي اليهودية الرئيسي في بلاد العرب التركية، وفوجئت قليلا حينما وجدته يحبذ ادخال شركة اراضي اجنبية باعتبار ذلك الوسيلة الأفضل لإنهاض المنطقة علي قدميها. أنه يعرف ما بين النهرين جيدا لدرجة لا يتعلق معها بأية أو هام صهيونية متصلة بها، وأعتقد لذلك أن موقفه يجب أن يفسر بلا مبالاة كاملة بالنتائج السياسية... قلت له، كما أقول لأي شخص يتحدث معي حول الموضوع، أن الحكومة التركية سترتكب بنظري خطأ إذا باعت الأرض العائدة للدولة في حالتها الراهنة غير المطورة، حيث لا يمكنها أن تكسب إلا القليل، وأنها ستفعل أفضل لو أبقتها في يديها لبعض الوقت إلي أن تطور جزئيا علي الأقل بمساعدة خبراء أجانب في الري وشق القنوات. وفي الحالة الأخيرة فأن المصالح المحلية ستراعي بصورة أكثر كمالا، وستعرض الحكومة التركية نفسها لنقد غير ملائم أقل مما لو دخلت الآن في صفقة مع الرأسماليين الأجانب<sup>(٢)</sup>.

ولعل القارئ الكريم يلاحظ معي فيما مر من نصوص مقدار الدهاء الدبلوماسي البريطاني المعهود. فالمقيم السياسي البريطاني في بغداد يصور معارضته لخطط بيع الأراضي الحكومية في العراق وكأنها

---

(١) نشبت الحرب الأولى بين إيطاليا والدولة العثمانية في سبتمبر ١٩١١ وانتهت في أكتوبر ١٩١٢. ونشبت الثانية بين التحالف البلقاني والدولة العثمانية في أكتوبر ١٩١٢ وانتهت في مايو ١٩١٣.

(٢) D.R./UR - S/10/212, Confid. Summary of events in Turkish Iraq September 1913, P.5.

نابعة من حرصه علي مصالح الدولة العثمانية والسكان المحليين بينما كان دافعه الحقيقي الذي لم يفصح عنه هو الحرص علي مصالح دولته التي كانت تعتبر العراق منطقة نفوذ سياسي واقتصادي لها، وتريد المحافظة علي الوضع الراهن فيها إلي أن تحين فرصة فرض استعمارها المباشر هناك. وذلك بالطبع هو الوضع الأمثل من وجهة نظر بريطانية تتخوف من استيطان يهودي مكثف في العراق تحت رعاية دولة منافسة قد يشكل تهديدا لمصالحها الحالية أو المستقبلية. ويلاحظ أيضا أن السلطات الاتحادية الحاكمة في الدولة العثمانية حاولت أن تلتف حول ما ذكرناه سابقا من عوامل ثلاثة حالت دون قبولها الصريح بخطة الاستيطان الصهيوني في العراق بتصويرها الأمر وكأنه مجرد بيع لأراضي الدولة لمستثمرين قادرين علي تطويرها بغض النظر عن جنسيات أولئك المستثمرين. وأظهرت أن ذلك التطوير سينعش الوضع المالي المتردي للدولة بصورة مباشرة من خلال ثمن الأراضي الذي ستتقاضاه من أولئك المستثمرين، وبصورة غير مباشرة من خلال الانتعاش الذي سيرافق استثمار مبالغ كبيرة لاستصلاح تلك الأراضي. أي أن تلك السلطات أرادت أن تصور المشروع وكأنه مشروع اقتصادي بحت وتجرده من معانيه السياسية الخطيرة .

## الختامة

أظهر البحث أن حلم اليهود في استيطان العراق واستغلال خيراته الوفيرة قديم حتى أنه سبق ظهور المنظمة الصهيونية علي يدي هرتزل سنة ١٨٩٧. ورغم أن الصهاينة قاموا بعدة محاولات لتحقيق ذلك الحلم عمليا قبل سنة ١٩٠٨، إلا أن الانقلاب الذي تم في الدولة العثمانية تلك السنة، وما أعقبه من تزايد النفوذ الصهيوني في أوساط جمعية الاتحاد والترقي الحاكمة، جعل الصهاينة يركزون جهودهم من أجل نيل الموافقة الرسمية العثمانية علي تنفيذ ذلك الهدف. ورغم تعاطف شخصيات اتحادية متنفذة مع المخططات الصهيونية إلا أنها لم تستطع تلبية الرغبات الصهيونية بصورة مكشوفة نتيجة لضغوط معاكسة وقفت بوجه المخططات الصهيونية حينئذ. وتمثلت تلك الضغوط بالمعارضة البريطانية، ومناوأة الفئات السياسية المعارضة للاتحاديين في عاصمة الدولة، وتآلب الرأي العام في العراق ضد تلك المخططات.

وهكذا لم يكتب لذلك المشروع أن يتحقق خلال السنوات الواقعة بين ١٩٠٨ و١٩١٣. ثم جاءت الحرب العالمية الأولى في السنة التالية، وما رافقها من مستجدات علي المسرح السياسي العالمي أدت إلي توثيق العلاقات الصهيونية - البريطانية مما أدى إلي صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧، فتم التركيز الصهيوني علي فلسطين منذ ذلك الحين.

ويلفت النظر هنا ذلك الحرص الصهيوني علي استيطان العراق رغم أن الهدف الرئيسي للمعلن للصهيونية هو الحصول علي وطن يهودي في فلسطين. وقد قيل أن السعي الصهيوني لاستيطان العراق تم

علي أساس أنه مرحلة مؤقتة تمهد للانتقال عن قرب الي فلسطين، أو أن ذلك المشروع قدم للسلطات العثمانية باعتباره عاملا مساعدا يغيرها بالموافقة علي الاستيطان الصهيوني في فلسطين، إذ أن استيطان العراق يعود علي خزينتها الخاوية ببعض الأموال العاجلة. وأميل للاعتقاد بأن هذين المبررين رغم مالهما من وجهة ظاهرة لا يمثلان حقيقة الهدف الصهيوني الكامن وراء مشروع الاستيطان في العراق. فلم يكن ذلك المشروع مرحلة انتقالية ولا عاملا مساعدا، بل كان هدفا رئيسا للحركة الصهيونية باعتبارها حركة استعمارية توسعية تستهدف انشاء امبراطورية واسعة في الشرق العربي تستنزف خيراته الاقتصادية وتتحكم بمقرراته السياسية من مركزها في فلسطين. ولو تحقق للصهيونية تحقيق مشروعها في استيطان العراق لكان ذلك خطوة فائقة الأهمية في سبيل تحقيق ذلك الهدف الكبير.

## الفصل الرابع

مشكلة بساتين آل الصباح في منطقة البصرة حتى سنة ١٩٢١



## مشكلة بساتين آل الصباح في منطقة البصرة حتى سنة ١٩٢١

تعتبر هذه المشكلة ملمحاً مهماً في ملامح تاريخ الكويت، لما كان لتلك البساتين في أهمية اقتصادية كبيرة لكويت ما قبل النفط. وللمشكلة أيضاً جانب سياسي مصاحب لاندراج أحداثها في مسار العلاقات الكويتية- العثمانية- البريطانية في جهة- ثم العلاقات العراقية - الكويتية- البريطانية في المرحلة اللاحقة في جهة أخرى. ولم تتل تلك المشكلة بشكلها الاقتصادي والسياسي عناية كافية من الباحثين المعاصرين. لذا فإن هذا البحث يمثل محاولة متواضعة لسد بعض ذلك النقص وتسليط الضوء علي بعض جوانب تلك المشكلة.

ولعل أول البساتين التي آلت ملكيتها إلي آل صباح في منطقة البصرة هي البساتين الواقعة في منطقة الفاو والتي أهداها راشد ابن تامر آل سعدون إلي جابر بن عبد الله الصباح حاكم الكويت بين سنتي ١٨١٤-١٨٥٩. وليس هنالك تحديد دقيق للزمن الذي تم فيه الإهداء.

إذ أورد مؤرخ الكويت عبد العزيز الرشيد أن راشداً لجأ للكويت أيام مشيخة جابر إثر خلافه بينه وبين السلطات العثمانية في العراق. وحيث إنه لقي حفاوة كبيرة في مضيعة قرر مكافأته بأن أهداه ثلاثة أمواز في النخيل في الفاو<sup>(١)</sup> ولكنه لم يورد تاريخاً محدداً لواقعة اللجوء والإهداء.

وأكد مرجع ثاني حدوث واقعة الإهداء دون أن يتطرق إلي تاريخها

(١) عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، بيروت ١٩٧٨، ص ص ١١٩-١٢٠.

أو يبين الظروف التي أحاطت بها<sup>(\*)</sup>. وذكر مرجع ثالث أن راشداً هرب إلى الكويت سنة ١٢٤٩هـ - ١٨٣٤م بعد خلاف نشب بينه وبين ابن أخيه عيسى بن محمد بن تامر السعدون أمير المنتفق<sup>(\*\*)</sup> وليس في الواضح أن كان الاهداء قد تم خلال تلك السنة . إذ مع أن ذلك غير مستبعد إلا أنه يجب الأخذ بنظر الاعتبار أن راشداً كان كثير التمرد علي الأمراء في أسرته، كثير الخلاف مع السلطات العثمانية التي كانت تؤيد أولئك الأمراء ضده. وكان يحتمي في كل مرة تطارده فيها السلطات القبلية أو الحكومية بالصحراء، فبتوغل في فيافيها جنوباً نحو الكويت مروراً نحو نجد للإقامة بين ظهرائي اخواله آل زامل أمراء الخرج جنوب الرياض.

وكانت احدى هجراته الجنوبية تلك قد حدثت إثر مغاصبته لأخيه أمير المنتفق حمود بن تامر بعد معركة وقعت من قوات المنتفق والقوات العثمانية وقتل فيها والي بغداد وكبار مرافقيه في أوائل سنة ١٨١٣<sup>(١)</sup>. ومهما يكن تاريخ ذلك الاهداء ، فإنه لم يكن اهداء شفهيّاً بل كان معزراً بحجة شرعية.

فقد أشار باحثان بريطانيان، طبقاً لمعلومات استمداها في تقرير اعده سنة ١٩١٥ السير هنري دوبس Sir H.Dobbs مفوض الواردات في إدارة الاحتلال البريطانية في البصرة، إلى أن بساتين الفاو حازها

(\*) عبد الرازق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي، أمانة الزبير بين هجرتين ٩٧٩-

١٤٠٠ ج١، الكويت ١٩٨٥، ص ٩٦

\*\* يوسف حمد البسام، الزبير قبل خمسين عاماً ، الكويت ، ١٩٧١ ، ص ١١١ .

(١) لونغريك ، ص ٥٠٠. هـ.، أربعة قرون في تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط ٦ ،

بغداد ١٩٨٥، ص ٢٧٥.

آل صباح بصك اهداء من راشد يغطي مساحة قدرها ستة عشر ألفاً وثمانمائة ايكر<sup>(١)</sup> وقدّر ذلك التقرير قيمتها سنة ١٩٥٥ بأكثر من مليون جنيه استرليني<sup>(٢)</sup>.

وثاني البساتين التي آلت ملكيتها في البصرة لآل صباح كانت في عهد جابر نفسه، وعن طريق الاهداء أيضاً علي الأرجح. وسبب لجوئي للترجيح وليس للقطع هو تضارب الروايات حول الواقعة. إذ ذكر لوريمر أنه في سنة ١٨٣٦ قدم جابر الصباح العون للسلطات العثمانية في البصرة حسب طلبها للقضاء علي تمرد حدث في بلدة الزبير. وبعد اخماد التمرد لجأ للكوييت يعقوب ال زهير، وهناك باع لجابر بساتين الصوفية الواقعة في منطقة المعامر علي ضفة شط العرب<sup>(٣)</sup>. ولكن مؤخراً قريب العهد بالواقعة يذكر أنها حدثت سنة ١٢٤٧هـ أي ١٨٣١م، وليس في سنة ١٨٣٦ كما حدد لوريمر. ويجعل سبب اللجوء صراعاً بين آل زهير وآل ثاقب علي مشيخة الزبير، وليس متمرداً من سكان الزبير علي الدولة العثمانية كما ذكر لوريمر. ويذكر أن اسم اللاجئ هو سليمان ابن عبد الرزاق آل زهير، وليس يعقوب كما سماه لوريمر. ويضيف أن سليمان اهدى لجابر تلك البساتين ولم يبيعها ببيعاً كما أورد لوريمر<sup>(٤)</sup> ويؤيد مؤرخ الكوييت عبد

(١) الايكر يساوي حوالي أربعة آلاف متر مربع.

(2) Winston, H.V. and Freeth, Z., Kuwait, Prospect and Reality, London, 1972,p.113.

(٣) لوريمر، ج.ج، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة ديوان أمير قطر، الدوحة، دون تاريخ، ج٣، ص١٥١٢.

(٤) القاضي أحمد نور الاتصاري، النصر في اخبار البصرة، تحقيق يوسف عز الدين، بغداد، ١٩٧٦، ص٦٢.

العزیز الرشید ما جاء في هذه الرواية من أن سبب الواقعة صراع بين آل زهير وآل ثاقب، وأن اللاجئ في آل زهير، ولم يسمه، قد اهدى لجابر بساتين الصوفية شكراً له علي اجارته إياه في اعدائه<sup>(١)</sup>. وهكذا يبدو لي أن رواية الاهداء هي الراجحة لكونها جاءت في مصدرين محليين قريبين في موقع الحدث، وأولهما شبه معاصر له لأنه دون روايته سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م.

ويبدو أن هذه الهبة الأخيرة قد أصبحت سبباً لدعاوى قانونية بين آل صباح وآل زهير فيما بعد. فقد إشكى بعض آل زهير سنة ١٨٦٦ أمام المحاكم المختصة في البصرة، معترضين علي أهلية سليمان بن عبد الرزاق آل زهير للقيام بالتنازل عن كامل البساتين، لأنه لا يملك الا جزءاً صغيراً منها فقط، وكونه ليس وكيلأ عنهم حين وهب الأرض، ولم يستأذنيهم في شأن الهبة. وذكر لوريمر أن "القائم مقام التركي"، دون تحديد لمكان مقاميته، تعاطف مع آل زهير، وبدأ يضغط علي صباح بن جابر، شيخ الكويت حينئذ، لحمله علي طرد بعض الفلاحين الذين استقدمهم في الضفة اليسرى لشط العرب واقامهم للعمل في بساتينه بالفاو. وقد أصدرت المحكمة المختصة في البصرة حكمها لصالح آل زهير، والزم آل صباح بأن يعيدوا لهم ايرادات البساتين عن السنوات السبع الماضية. وكادت السلطات في البصرة، أن تلقى القبض علي عبد الله ابن صباح الذي أوفده والده لمتابعة اجراءات الدعوى في البصرة لأخفاقه في تقديم تعهد بدفع المبلغ الذي قرره المحكمة. وقد توجه عبد الله إلي بغداد حيث نجح في اقناع وإلي

(١) الرشيد، المرجع نفسه، ص ص ١٢١-١٢٢.

بغداد<sup>(١)</sup> بحسم القضية لصالح آل صباح وبقاء البساتين بحوزتهم<sup>(٢)</sup>.

ويجدر أن نتوقف هنا للتعرف على السبب الذي دفع والي بغداد لاتخاذ هذا الموقف والذي خرق به مبدأ استقلالية القضاء من الناحية الشكلية على الأقل. علل عبد العزيز الرشيد ذلك الموقف بأنه محاولة من جانب والي لاستمالة عبد الله بن جابر واقناعه بتولي قائمقامية الكويت. ولكن عبد الله اعتذر عن تنفيذ طلب والي لأن أباه لازال علي قيد الحياة<sup>(٣)</sup>. أما لوريمر فقد اعزا تصرف والي إلي استلامه تقارير تفيد أن شيخ الكويت سيقوم بالهجوم علي الزبير إذا لم تحسم القضية لصالحه، وأنه تلقى وعداً بالمعونة والسلاح في "أمير الوهابيين"<sup>(٤)</sup> وسواء كان السبب هو هذا وذلك، فهو يؤثر علي أن السلطات العثمانية بدأت تدرك أهمية البساتين باعتبارها ورقة ضغط يمكن استخدامها عند الحاجة للتأثير علي آل صباح وتوجيههم ضمن مخططاتها، وهو الأسلوب الذي توسعت في استخدام فيما بعد كما سيأتي. كما أن ما قيل في تفكير صباح بن جابر باللجوء لاستخدام القوة أو التهديد باستخدامها للضغط علي السلطات العثمانية يدل علي اهتدائه في وقت مبكر لأسلوب توسع في استخدامه فيما بعد ابنه مبارك بن صباح كما سنري.

جاء عهد مبارك في حكم الكويت (١٨٩٦-١٩١٥) بتطورات مهمة

---

(١) كان والي بغداد حينئذ هو نامق باشا (١٨٦٣-١٨٦٨).

(٢) لوريمر، المرجع نفسه، ج ٣، ص ١٥١٩.

(٣) الرشيد، المرجع نفسه، ص ١٣٠.

(٤) لوريمر، المرجع نفسه، ج ٣، ص ١٥١٩-١٥٢٠. و"أمير الوهابيين" الذي يقصده

هو عبد الله بن فيصل آل سعود الذي كان يقوم بغارات حربية في أطراف العراق حينئذ.

لمشكلة بساتين آل صباح في البصرة، سواء من حيث الدعاوى القانونية التي أثّرت حولها، أو من حيث تداخل تلك الدعاوى مع التوتر الذى شاب علاقاته مع السلطات العثمانية نتيجة ميوله البريطانية. وكان وصول مبارك للسلطة كما هو معروف بعد اغتياله لأخويه محمد وجراح سنة ١٨٩٦. وترتب علي ذلك أن هرب ابناء القتيلين إلي البصرة، وفي جملة القضايا التي رفعوها للسلطات العثمانية هناك ضد عمهم مبارك مطالبتهم بارتهم في حصة والديهم القتيلين في البساتين. ويثور لدينا هنا إشكال حول ماهية البساتين التي كانت مملوكة لآل صباح في البصرة ذلك الحين.

مر بنا أن تلك البساتين انحصرت فيما اهدى لآل صباح من راشد آل سعدون في الغامر ومن سليمان آل زهير في الصوفية. ثم سكّنت المراجع التي بين يدي في الاشارة بعد ذلك إلي حيازتهم بساتين جديدة، عدا القول أ مباركاً نفسه كان قد اشترى قبل توليه السلطة، وبالتحديد سنة ١٨٧٠، بساتين الفرحاوية، ولكنه لم يسجلها بالطابو لأن نظام الطابو لم يكن قد طبق حينئذ<sup>(١)</sup>. والاشكال هو أن لوريمر، حين حدد البساتين التي كانت موضوعاً للدعوى المرفوعة في ابناء القتيلين ضد عمهم، ذكر أنها بساتين الفاو والصوفية وكارديلان وجزيرة العجيراوية والزيني<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني أن آل صباح حازوا بشكل ما خلال الفترة الواقعة بين سنة ١٨٦٦ وسنة ١٨٩٦ بساتين كارديلان والزيني وجزيرة

(١) Winston and Freeth, op Cit. P.112.

(٢) لوريمر، المرجع نفسه، ج٣، ص ١٥٥٧.

العجبراوية. وتثير بساتين العجبراوية اشكاً لا جديداً، إذ يشير مرجع آخر إلي أن مباركاً نفسه هو الذى اشترى بساتين العجبراوية البالغة مساحتها مائة وعشرين ابر سنة ١٩١٢<sup>(١)</sup>. ولا يعقل أن تكون هذه الرواية الأخيرة دقيقةً بدليل ما ذكره لوريمر سابقاً، إلا إذا كان ما اشترى سنة ١٩١٢ اضافة جديدة اضافها مبارك بشراء بساتين أخوي، وفي جزيرة العجبراوية ذاتها. ويبدو لي هذا الاحتمال مرجحاً كما سيمر

نعود إلي الدعاوى القانونية التي رفعها ابناء القتيلين ضد عمهم حول تلك البساتين فنقول يبدو أن مباركاً حاول الاستفادة من اتفاقية السرية التي وقعها مع بريطانيا في يناير ١٨٩٩ بتوسيع نطاقها حتى تشمل لا الاراضي الكويتية فقط ، بل والبساتين في منطقة البصرة أيضاً. ومن المعروف أن تلك الاتفاقية نصت علي الزام شيخ الكويت بالا بيع أو يؤجر أو يرهن أو يهب أو يتنازل عن أي جزء من "ارصفة" لدولة اجنبية أو رعايا دولة اجنبية دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية. وكان يهدف في محاولة التوسيع تلك ادخال السلطات البريطانية طرفاً في القضية لعلها تقف بوجه السلطات العثمانية وتنقذه في ضغوطها. وكانت تلك الضغوط من جانب السلطات العثمانية ليس حباً بابناء أخويه القتيلين، ولكن عقاباً له علي اتصالاته بالبريطانيين رغم ارادتها.

وعلي كل حال حسمت تلك الدعاوى بعد طول ماطلة وتسويق من جانب مبارك في تموز ١٩٠٤ ابحل رضائي أقرته لجنة مشكلة من ممثل

(١) Winston and Freeth, op. Cit. P.113.

لمبارك وممثل لأبناء أخويه والقنصل البريطاني في البصرة، ثم صادق عليه مجلس ولاية البصرة. ونص ذلك الحل علي احتفاظ مبارك بملكية بساتين الفاو فقط وانفراد ابناء أخوية بملكية بساتين كارديلان والعجير اوية والزني والصوفية، اضافة لتعويضهم بمبلغ نقدي مقداره سبعة آلاف ومائتان وستة وتسعون ليرة عثمانية<sup>(١)</sup>.

اندفع مبارك بعد ذلك نحو توسيع نطاق بساتينه في منطقة البصرة عن طريق الشراء. ويلفت النظر اندفاعه في هذا الاتجاه رغم معرفته بالموقف غير الودي غالباً الذي تتخذه السلطات العثمانية تجاهه. ويبدو أن ذلك كان نتيجة منطقية لموازنة دقيقة اقامها يبين مخاطر ذلك الاستثمار وفوائده ترجح له علي اثرها تفوق كفة الفوائد بما كانت تغله عليه تلك البساتين في عوائد مالية شكلت بنداً مهماً في بنود ايرادات خزانة امارته. لعله ادرك ذلك الواقع السائد منذ أيام جده جابر حين كان مورده المالي الأهم هو ما تغله عليه بساتينه في الفاو والصوفية<sup>(٢)</sup>. ثم احنك هو نفسه بهذا الواقع عملياً بعد توليه السلطة حين رأي الضائقة المالية التي ألمت به نتيجة لحجز عائدات تلك البساتين بعد رفع ابنساء أخويه لدعاواهم أمام المحاكم العثمانية<sup>(٣)</sup>.

واضافة للعائدات المالية التي كانت تلك البساتين تدرها علي خزائنه يبدو أن مباركاً كان يستفيد في الطاقة البشرية لفلاحي تلك البساتين عند الحاجة. ففي اطار مرضه علي مشد كافة امكاناته المتاحة للثأر من

(١) لوريمر، المرجع نفسه، ج ٢، ص ١٥٥٧.

(٢) الرشيد، المرجع نفسه، ص ١٢٣.

(٣) لوريمر، المرجع نفسه، ج ٢، ص ١٥٤٨.

الهزيمة القاسية التي الحقها به سعدون بن منصور آل سعدون في معركة هدية في آذار ١٩١٠<sup>(١)</sup>، أمر مبارك باستقدام الرجال في الفلج والدورة من أجل ضمهم إلى حملته الانتقامية التي كان يزعم توجيهها نحو سعدون<sup>(٢)</sup>. كما لجأ مبارك إلى توظيف تلك القوة البشرية ليس لاستخدامها داخل الأراضي الكويتية فقط، بل لاستخدامها للضغط على أعدائه المحليين في منطقة البصرة ذاتها. ففي أكتوبر ١٩١٠ وبتحريض من مبارك وصديقه فرغلي حاكم المحمرة ثم نهب انتاج بساتين محمد المشري شيخ الزبير المجاورة لبساتين مبارك في منطقة الفداغية. وبلغت كمية الانتاج المنهوب في التمور ستعمائة كارة (١٢,٠٠٠) قدرت قيمتها بستين ألف روبية، ونقلت إلى الضفة اليسرى لشط العرب. وقد تم النهب بعد مقاومة عنيفة من رجال العشري قتل خلالها منهم أربعة أشخاص. والسبب الذي دفع مباركاً للتحريض على ذلك العمل هو رغبته بمعاينة محمد المشري على مساعدته لسعدن في بعض غاراته التي يشنها مؤخراً ضد أراضي مبارك.<sup>(٣)</sup>

ولعل أول البساتين التي اشتراها مبارك في منطقة البصرة بعد الحل الرضائي الذي توصل إليه مع أبناء أخويه هو البستان الذي اشتراه في سعدون بني منصور آل سعدون في أم الغرب، وذلك بمبلغ ثمانية آلاف ليرة سنة ١٩٠٧. ولكن السلطات العثمانية في البصرة

---

(١) لمعرفة تفاصيل تلك المعركة، راجع: خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، الرياض،

١٤٠٣، ص ص ١٢٥-١٢٤.

(2) IOR, R/15/5/25, Extract, From Diary No.13 of Kuwait Political Agency for the week ending 30 th March 1910.

(3) IOR, R/15/5/25, Extract, From Kuwait news for the week ending 25<sup>th</sup> October 1910.

رفضت اجراء التسجيل بالطابو لعملية الشراء بحجة أن مباركاً لا يحمل أوراق الرعوية العثمانية. وحين كتب مبارك لوالسي البصرة عبد الرحمن حسن بك حول الموضوع رد عليه بنصحه بحمل أوراق الرعوية المطلوبة.<sup>(١)</sup> والغريب أن أسم " أم الغرب" لا يرد ضمن أسماء بستين مبارك في منطقة البصرة في الكشف الذي اعده مفوض الاراضي في الإدارة البريطانية بالبصرة سنة ١٩١٥. ولكن يرد بدلاً من أسم بستان " المطوعة" مع الإشارة إلي أنه اشتراه مبارك في وقت غير محدد. وتبلغ مساحة هذا البستان حوالي الف ومائتي ايكر وقدرت قيمته تلك السنة بسبعة وثمانين ألف جنيه استرليني<sup>(٢)</sup>. قلل أم الغرب اسم مرادف للمطوعة أو الجزء منها، أو بالعكس.

وتثير واقعة رفض السلطات العثمانية تسجيل ذلك البستان باسم مبارك بعض التساؤل. فقد ارود لوريمر أن العلاقات بين شيخ الكويت والسلطات العثمانية أصبحت أكثر وداً ابتداء من سنة ١٩٠٥. وقد عزز ذلك الود تبرعه خلال سنتي ١٩٠٥ و ١٩٠٦ ببعض الأموال لمشروعى بناء تكنات جديدة للقوات العثمانية في البصرة وسكة حديد الحجاز.<sup>(٣)</sup> فإذا كان الأمر كذلك فلا بد من سبب دفع السلطات العثمانية لذلك الموقف الذى يضر بحالة الود بين الجانبين ولا يمكن تفسير موقف السلطات العثمانية بأنه مجرد تمسك بحرفية القوانين التي تنص على ربط التسجيل بالرعوية، بدليل أن تلك السلطات عادت وسمحت بتسجيل

(١) الرشيد ، المرجع نفسه ، ص ١٨٤.

(2) Winston and Freeth , op.cit., p.112.

(٣) لوريمر ، المرجع نفسه ، ج ٣ ، ص ص ١٥٥٩-١٥٦٠.

بعص البستين باسم مبارك في وقت لاحق كما سرى رغم أن وضعه القانوني بالنسبة للرعية لم يتغير. إن لابد من الافتراض بأن علاقته مع السلطات العثمانية عادت للتوتر مرة أخرى بعد سنة ١٩٠٦. وليس ذلك بمستغرب إذ إن تلك العلاقة كانت سمتها منذ البداية التذبذب بين التوتر والانفراج من آن لآخر. ويعزز هذا الافتراض واقعة موافقة مبارك سنة ١٩٠٧ علي تأجير قطعة أرض للبريطانيين في الشويخ لإقامة محطة فحم عليها. تلك الموافقة التي أدت إلي استياء الحكومة العثمانية منه.<sup>(١)</sup>

ولم يؤثر ذلك الرفض من جانب السلطات العثمانية في التقليل من اتجاه مبارك إلي شراء المزيد في البساتين في منطقة البصرة. فقد اشترى سنة ١٩٠٨ بستاناً في الفداغية من السيدة عائشة زوجة احمد بن قاسم الزهير تبلغ مساحته الفين ومائتي ابركر، وكانت قيمته سنة ١٩١٥ تقدر بمائة وخمسين ألف جنيه استرليني. وقد رفضت السلطات العثمانية أيضاً تسجيل عملية الشراء في دائرة الطابو متذرة الحجة نفسها، أي عدم حمل المشتري لاثباتات الرعية العثمانية. كما اتخذت السلطات الموقف نفسه حين اشترى مبارك في السنة نفسها بستاناً آخر في الباشية المجاورة للفداغية.<sup>(٢)</sup>

ولم يمر موقف السلطات العثمانية هذا دون تدخل من جانب السلطات البريطانية حامية مبارك. ففي الثالث من شهر مارس ١٩٠٩

(١) فتوح عبد المحسن الختوشي، تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية ١٨٩٠-١٩٢٠،

ط١، الكويت، ١٩٧٤، ص ص ٨١-٨٢.

(2) Winston and Freeth, op.cit., pp.112-3

ابرق السير ادوارد غربي Sir Edward Grey وريز خارجية بريطانيا لسفيره في استانبول السير مبيرارد لوثر Sir G.Lowther يوجهه لمفاتيحة السلطات العثمانية العليا حول طلب والي البصرة من مبارك الحصول علي الرعوية العثمانية باعتبار ذلك يمثل خرقاً لاتفاق "الحفاظ علي الوضع الراهن في الكويت".<sup>(١)</sup> والذي لازالت الحكومة البريطانية ملتزمة به رغم حدوث التغييرات الدستورية الأخيرة في الدولة العثمانية<sup>(٢)</sup> ولكن السفير تحفظ علي وجهة نظر وزير الخارجية لأن الحكومة العثمانية ربما سترد عليه بأن البريطانيين فرقوا الالتزام بذلك الاتفاق بالفعل حين حصلوا من شيخ الكويت علي ايجار قطعة ارض في الشويخ سنة ١٩٠٧. و اضاف :-"من ناحية اخري ربما كانت الحكومة (العثمانية) مشغولة جداً في الوقت الحاضر بالمشاكل أو باعادة تنظيم الادارة، وسيكون من الأصوب ترك قضية وضع الكويت ناحية إلي أن يأتي وقت تجد تلك الحكومة فيه نفسها في وضع يمكنها من الدخول في مناقشة ذلك المبدأ المعقد، وحينها يحتمل ان وجهات نظرها ستعتمد بصورة كبيرة علي النجاح الذي ستحققه جهودها فسي تجديد حكومة البلاد". وختم السفير رده علي الوزير باعلامه بما وصله في القنصل البريطاني في البصرة في نجاح مبارك من تسوية مشكلة مشروعه الاروائي في الفاو.<sup>(٣)</sup>

(١) اتفق الجانبان البريطاني والعثماني علي اتباع مبدأ المحافظة علي الوضع الراهن Statwquo

في الكويت، وذلك في شهر ايلول ١٩٠١. راجع : الخنترش، المرجع نفسه ، ص ٤٦

(٢) يقصد انقلاب تموز ١٩٠٨ بقيادة جمعية الاتحاد والترقي.

(3)FO 424/219, No 396 Sir G Lowther to Sir Edward Grey, dated May 28, 1909.

ولا يرد في المراجع التي بين يدي معلومات عن مشكلة المشروع الاروائي الذي أشار إليها السفير اعلاه. ولكن بحوزتي رثيقة اصلية هي عبارة عن رسالة وجهها مبارك الصباح إلي عبد العزيز المشاري السعدون بتاريخ الثالث في رجب ١٣٢٦هـ (أي آب ١٩٠٨)، ولعلها تلقي بعض الضوء علي تلك المشكلة. ويظهر في هذه الرسالة أن مباركاً بدأ منذ السنة السابقة مشروعاً لكراء الانهر الفرعية التي تروي بساتينه من الفاو والتي يزيد عددها علي عشرين نهراً. وقد أدى ذلك إلي خلاف بينه وبين فريد باشا ومزعل باشا ابني ناصر السعدون لتأثير عملية الكراء علي بساتينهم الواقعة في المعامر والمجاورة لاملاك مبارك في الفاو<sup>(١)</sup>.

ونعود مرة أخرى إلي المشكلة الأساسية التي واجهها مبارك وهي رفض السلطات العثمانية اجراء عملية التسجيل القانوني للبساتين التي اشترها في البصرة. ويبدو أن حجة عدم حملة لأثبات الرعوية العثمانية كانت ذريعة مصطنعة تخفي رغبة السلطات العثمانية في الضغط علي مبارك من أجل دفعة للتجاوب مع سياستها في المنطقة. يدل علي ذلك أن تلك السلطات لم تتردد في تسجيل بستان صغير في العجيراوية مساحته مائة وعشرون ايكر اشتره سنة ١٩١٢ وسجله بأسم ابنته شريفة.<sup>(٢)</sup> فلو كان الحائل الفعلي دون تسجيل البساتين السابقة مائلاً قانونياً فقط وهو عدم حمل أوراق الرعوية لانطبق الأمر علي ابنته شريفة كما انطبق عليه.

(١) راجع صورة الرسالة المرفقة.

(2) Winston and Freeth, op. Cit., p 113

ولكن هل بقي مبارك مكتوف اليدين تجاه ذلك الموقف في السلطنة العثمانية؟ او هل اكتفي بمجرد رفع الشكاوي للجانب البريطاني؟ لا يبدو ذلك بل أن مباركاً المتصف بالذكاء والدهاء حاول أن يجد وسائله الخاصة للضغط علي السلطنة العثمانية ودفعها لتلبيين موقفها تجاهه. فقد حلل القنصل البريطاني في البصرة أسباب تدهور الوضع الأمني في منطقة البصرة في مطلع سنة ١٩٠٩، وحاول تلمس العلاقة بين ما حدث في تدهور وما كان من سوء علاقات بين الوالي القائم في البصرة من جهة، وبين نقيب البصرة والشيخين مبارك الصباح وفزعل المرء او في جهة أخرى . وفي معرض ذلك التحليل قال: "في الملاحظ، علي الأقل، أنه في كل حالة تتدلع فيها الاضطرابات بجوار البصرة، فإنها تكون مسبوقه بشكل ثابت بنزاع ما أو عدم اتفاق بين والي البصرة وجارية القويين حول أمور تؤثر بشكل وثيق علي مصالح الآخرين. وحين يصل النزاع إلي طريق مسدود فإن المناطق التركيه تعزي بعصابات مسلحة تنهب وتغتال وترتكب كل التجاوزات دون عقوبة إلي أن يتحقق هدف الطرف المنتظم وتتهار الثقة بالوالي غير المرغوب فيه ويعزل. أن الموقف المتبع من قبل الوالي السابق<sup>(١)</sup> فيما يتعلق بتسجيل نقل الملكية قد أثر علي شيخين المحمرة والكويت بصورة شديدة. يملك الأول منهما مقداراً كبيراً في الارض والعقارات في البصرة ويحصل علي ايراد ضخم منها. أخبرت أن الوالي أظهر الاعتراض نفسه علي حيازته ملكية جديدة كما فعل بالنسبة للتسجيل الفداغية والأرض التي اشتريت من الشيخ سعدون، في المننق، باسم

(١) يقصد الوالي محرم بك الذي وصل امر عزله للبصرة برقيا في ٣ اذار ١٩٠٩

ويظهر أن مباركاً واصل الضغط علي السلطات العثمانية في هذا السبيل، وهو مطمئن إلي عدم قدرة تلك السلطات علي توجيه ضربة مباشرة له خوفاً من أن يجرها ذلك للصدام مع البريطانيين الذين أسبغوا حمايتهم الفعلية عليه منذ سنة ١٨٩٩. ولذلك اكتفت السلطات العثمانية بالتهديدات اللفظية. فقد عزا والي البصرة احداث السلب والنهب والقتل التي جرت حول بلدة الزبير خلال النصف الأول من سنة ١٩١٠ إلي أنشطة شيخ الكويت. فأبرق له في الرابع من تموز ١٩١٠ عن طريق الفاو يحذره من أنه إذا كان يحاول تأكيد نفوذه بهذه الطريقة في منطقة البصرة فإن الحكومة العثمانية ستتخذ بلا شك اجراء لمنعه. وبعد أن اورد القنصل البريطاني في البصرة ذلك الخبر مضى للقول أن المفترض أن مباركاً يسبب تلك المشاكل نكاية بالوالي الذي لم يوافق علي تسجيل بساينه في الفداغية. (٢)

ولا يبدو أن محاولات مبارك تلك للضغط علي السلطات العثمانية قد عادت عليه بنتيجة عملية. فقد استمر الموقف العثماني الراض لاتمام عملية تسجيل البساين بحجة عدم حمل الشاري ما يثبت رعيونه العثمانية. ولكن ذلك الموقف العثماني تغير في شهر آذار سنة ١٩١٣، حين ابرق وزير الداخلية العثماني لدائرة الطابو في البصرة بالموافقة علي اتمام عملية التسجيل القانونية لملكية شيخي المحمرة والكويت

(1) FO 424/219, No. 17, Consul Crow to Sir G. Lowther, dated March 10, 1909.

(2) FO 424/219, No. 43, Consul Crow to Sir G. Lowther, dated July 8, 1910.

لبساتينهما في منطقة البصرة.<sup>(١)</sup> ويؤكد صدور هذا القرار ما ذكرته سابقاً في ان مطالبة السلطات العثمانية لمبارك بتقديم ما يثبت رعيته قبل التسجيل كانت حجة مصنعة لايجاد مبرر للضغط السياسي عليه. إذ أن قرار الموافقة على التسجيل تم دون أن يتغير شيء في موضوع رعيه مبارك للدولة.

ويحسن التوقف هنا للتعرف على السبب الكافي خلف هذا الانقلاب في الموقف العثماني. وقد علل عبد العزيز الرشيد ذلك الانقلاب بلقحام مبارك على التبرع للمجهود الحربي العثماني في الحرب البلقانية بحوالي احد عشر الف ليرة<sup>(٢)</sup>.

ورغم وجهة ذلك التعليل، إلا اني لا أميل لاعتباره السبب الوحيد لذلك الانقلاب من الموقف العثماني. وارجح ان السلطات العثمانية في سعيها لمواجهة النشاط القومي الفعال الذي كان يقوم به السيد طالب النقيب وانصاره ضدها في البصرة حينئذ<sup>(٣)</sup>، ارادت أن تحيد مباركاً وخزل وتحول دون ارتماؤها إلى جانب السيد طالب بصورة تامة. ولذلك أمرت برفع الحظر المفروض على تسجيل املاكهما في البصرة ثمناً لذلك الحياد المطلوب.

---

(1) IOR, L/P+S/10/1212, Confid., Summary of events in Turkish rag for the month of March 1913.

(2) الرشيد ، المرجع نفسه، ص ١٨٤. والحرب البلقانية نشبت بين الدولة العثمانية من جهة ودول التحالف البلقاني من جهة اخرى في شهر تشرين الأول ١٩١٢ وانتهت في شهر ايار ١٩١٣.

(3) لمعرفة تفاصيل أوفى عن ذلك النشاط ، رادع : خالد السحون، الاوضاع القبلية في ولاية البصرة ، الكويت ، ١٩٨٨، ص ١٨١ وما بعدها.

ويلاحظ فيما يتصل بذلك القرار أخيراً أنه لم يترتب عليه تسجيل كافة بساتين الشيخ في منطقة البصرة علي ما يبدو. يدُ علي ذلك أن تقرير هنري دوبس، مفوض الواردات في ادارة الاحتلال في البصرة سنة ١٩١٥، اورد اسماء بعض بساتين مبارك التي اشتريت في ايام العثمانيين ولم تكن قد سجلت بعد سنة ١٩١٥. ولعل السلطات العثمانية ارادت إلا تحسم الأمر كله دفعة واحدة حتى لا تخسر في صفقة واحدة جميع اوراقها الرابحة التي كانت تستخدمها للضغط علي شيخ الكويت. فلعلها لذلك اوعزت في طرف خفي لدائرة الطابو بالتمهل في اجراءات التسجيل، خاصة وقد ثارت دعاوى قانونية حول ملكية بعض تلك البساتين. ولكن ذلك البطء في اتمام عملية التسجيل لم يحل دون حرص مبارك علي توسيع نطاق بساتينه في منطقة البصرة. إذ تردد في شهر تشرين الأول ١٩١٣ أنه اشترى بساتين جديدة في الفداغية.<sup>(١)</sup>

انقلب الوضع السياسي في المنطقة رأساً علي عقب حين نجحت القوات البريطانية في طرد قوات العثمانيين في البصرة في تشرين الثاني ١٩١٤. وكان البريطانيون قد أكدوا لمبارك انه مقابل وقوفه الي جانبهم في تلك الحرب فأن البساتين المملوكة له حينها في منطقة البصرة سوف تبقي في حوزته وحوزة ورثته دون ان تخضع لدفع ضريبة حكومية، إذا نجحوا في احتلال البصرة.<sup>(٢)</sup> وحين ثبت البريطانيون اقدامهم في البصرة التزموا بتنفيذ ذلك الوعد. وكانت اولي خطواتهم في هذا المجال هي تحديد تلك البساتين المشمولة بالوعد، ثم

(1)IOR, L/P+S/10/212, Confid., Summary of events in Turkish Iraq during October 1913.

(2)Hurewitz, J.C.,Diplomacy in the Near and Middle East, Princeton, 1956.vol.2,p.4.

القيام بإجراءات تسجيلها القانوني باسم مبارك. فكتب السير بريس . كوكس Sir P,Cox كبير الضباط السياسيين المرافقين للحملة البريطانية علي العراق في اوائل ١٩١٥ لشيخ الكويت طالباً منه تقديم بيان مفصل بالبساتين المملوكة له في البصرة.<sup>(١)</sup> ولم تعول ادارة الاحتلال علي البيان الذي قدمه مبارك فقط، بل اعد السير هنري دويس، مفوض الواردات في البصرة، تقريراً حدد فيه بشكل مفصل البساتين المملوكة لمبارك وكل المعلومات المتصلة بها. وتم علي ضوء ذلك تسجيل ملكية بعض تلك البساتين. بينما ثارت حول بعضها الآخر دعاوى قانونية من قبل البائعين مثل بستان واقع في الفداغية سبق لمبارك شراؤه سنة ١٩٠٨ ويسمي بستان الباشية.<sup>(٢)</sup>

وحرصت سلطات الاحتلال البريطاني في البصرة من جانب آخر علي تطبيق الشق الثاني من الوعد، وهو الإغفاء الضريبي الكامل لتلك البساتين، فالترمت بذلك مثل قيام الحكم الملكي في العراق سنة ١٩٢١.<sup>(٣)</sup> ولكن يبدو أن بعض الموظفين البريطانيين في ادارة الاحتلال اعتقدوا ان ذلك الالتزام ليس مطلقاً، فلا يشمل كل أنواع الضرائب، بما فيها الضريبة المفروضة علي التمور المصدرة للخارج. ولذلك قامت الجهات المختصة باستيفاء ضريبة الصادرات علي تمور آل صباح سنة ١٩١٨. وحين بلغ الخبر شيخ الكويت حينئذ سالم بن مبارك تدخل لدى الحاكم الملكي العام في بغداد ونائبه في البصرة.

(١) حسين خلف الشيخ خزعل ،تاريخ الكويت السياسي، بيروت ، ١٩٦٥ ، ج٤، ص٩١ .

(2)Winston and Freeth, op.cit.,pp.112-3.

(٣) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ١٩١٤-١٩٤٥، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٤١ .

وترتب علي ذلك التدخل صدور أمر يؤكد اعفاء تلك الصادرات فسي الرسوم المقررة وحق آل صباح باسترجاع الرسوم التي دفعت سابقاً.<sup>(١)</sup> بقي أن نقف وقفة عجلي عند ناحية أخرى تتعلق بموضوع بساتين آل صباح في منطقة البصرة، وهي كيفية ادارة تلك البساتين. كان الذي يشرف علي ادارة تلك البساتين وكيل لآل صباح، وقد كان ذلك الوكيل زمن مبارك وابنيه جابر وسالم ومفيدة أحمد الجابر هو عبد العزيز السالم البدر.<sup>(٢)</sup> ولكن شيوخ الكويت لم يكونوا يكتفون بإدارة الوكيل فقط، بل درجت عاداتهم عند اقتراب وقت نضج التمور كل سنة أن يسافر الشيخ نفسه أو من ينتدبه من بين افراد أسرته نائباً عنه للاشراف شخصياً علي عملية التضمين<sup>(٣)</sup> ولعل القارئ الكريم يلاحظ معي هنا الازدواجية في وضع شيخ الكويت حينئذ، فهو رئيسي لكيان سياسي قائم بذاته بشكل ما، وهو في الوقت نفسه مالك بساتين عليه ان يتصرف مثل بقية المالكين. وتبرز هذه الازدواجية بشكل صارخ عند اضطرار شيخ الكويت باعتباره مالكا للتعامل مع صغار الموظفين المحليين من اجل تيسير سير العمل في بساتينه. ومن امثلة ذلك التعامل الرسالة التالية التي اوردها حسين خلف الشيخ خزعل والمرسلة من سالم بن مبارك الصباح إلي مدير ناحية الفاو سنة ١٩١٨:-

" جناب حضرة الاجل الأفخم محبنا العزيز مدير ناحية الفاو مستر تام المحترم دام محروسا.

(١) خزعل ، المرجع نفسه ، ج ٤ ، ص ص ٤٨-٤٩ و ص ص ٥٦-٥٧.

(2)Winston and Freeth, op.cit.,p.115.

(٣) خزعل ، المرجع نفسه ، ج ٤ ، ص ٤٩ .

بعد السلام والسؤال عن خاطرکم، لا يخفي علي جنابکم کنا  
عازمين هذه الايام نتوجه لطرفکم حسب العادة لأجل مباشرة تضمين  
املاکنا وبالفرصة نزورکم ولكني ما حصلت فرصة، كذلك بالوقت  
نفسه صار بعض اللازم وأوجب تأخيرنا وقد عمدنا اخينا سليمان بن  
حمود الصباح كي يقابل القتح بخصوص الضمان واوصيناه يزور  
جنابکم بالنيابة عنا، نؤمل انشاء الله يشاهدکم في خير وسرور ويعود  
شاکر صنيعکم...»<sup>(١)</sup>.

وبعد، فأني لا ازعم بأنني قد وفيت الموضوع حقه بالبحث في كافة  
جوانبه. وحسبي أن اثر اهتمام باحثينا بهذا الموضوع علمهم يتناولون  
بتوسع اكثر مستقبلاً. وربما اقتنع امر معدي رسائل الماجستير  
بالموضوع واختاره ميداناً لرسالته فيلم اطرافه ويتابع تطوراتہ في  
العهد العثماني ثم زمن الاحتلال البريطاني وصولاً إلي العهد الملكي.  
وتسهيلاً علي مثل هذا الباحث، أن وجد، فأني انصحہ بالرجوع إلي  
ملفات الوثائق التالية :

في India Office Records بلندن:

R/15/5/6, R/15/5/5 وتتناول التطورات حتى سنة ١٩٢٠.

R/15/5/135 حتى R/15/5/155 وتتناول التطورات حتى آخر سنة ١٩٤٩

---

(١) خزعل، المرجع نفسه، ج٤، ص ٥٠.

## المصادر والمراجع

□ الوثائق غير المنشورة:-

أ. باللغة العربية:

◆ رسالة من مبارك الصباح لعبد العزيز المشاري مؤرخة في ٣ رجب ١٣٢٦.

ب. باللغة الانكليزية:

1- IOR, R/15/5/25:

◆ Extracts from Diary No.13 of Koweit Political Agency for week ending 30 th March 1910.

◆ Extracts from Kuwait news for week ending 26<sup>th</sup> October 1910.

2- FO 424/219, No.396, sir G. Lowther to Sir Edward Grey, dated May 28, 1909.

3- FO 424/219, No.17, Consul Crow to Sir G.Lowther, dated March 10, 1909.

4- FO 424/224, No.43, Consul Crow to Sir G. Lowther, dated July 8, 1910.

5- IOR. L/P+S/10/212, Confid., Summary of events in Turkish Iraq during October 1913.

□ المراجع العامة:-

أ. باللغة العربية:

١- أحمد نور الانصاري، النصر في اخبار البصرة، تحقيق يوسف

عز الدين ، بغداد ، ١٩٧٦.

٢- جمال زكريا قاسم، الخليج العربي ١٩١٤-١٩٤٥، القاهرة، ١٩٧٣

٣- حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، ج٤، بيروت، ١٩٦٥.

٤- خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، الرياض، ١٩٨٣/١٤٠٣ الاوضاع القبلية في ولاية البصرة، الكويت، ١٩٨٨.

٥- عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، بيروت ، ١٩٧٨.

٦- فتوح عبد المحسن الختوش، تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية ١٨٩٠-١٩٢١، الكويت ١٩٤.

٧- لوريمر ، ج.ج.، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة ديوان حاكم قطر، الدوحة، دون تاريخ ، ج٣.

٨- لونغريك ، س.ه.، اربعة قرون في تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط٦ ، بغداد ١٩٨٥.

ب. باللغة الانكليزية:.

- ◆ Hurewitz J.C., Diplomacy in Near and Middle East, Prinectum, 1956.
- ◆ Winston, H.V., and Freeth, Z., Kuwait Prospect and Reality, Landon , 1972.

## **الفصل الخامس**

**صفحات من صراع الرياض وحائل**



## صفحات من صراع الرياض وحائل

١٩٠٢ - ١٩٢١

قليلة هي الكتب التي أفردت لتناول تاريخ حائل. وأقل منها تلك التي تناولته من وجهة نظر رشيدية فالمغلوب لا نصير له. تلك عبرة من عبر التاريخ ودرس من دروسه. وكان من حسن الصدق أن عثرت ضمن بعض الوثائق البريطانية على كراسة ألفها كاتب يدعى سليمان البسام، وأرسل نسخة منها إلى القنصل البريطاني في جدة في مايو ١٩٠٩. وقد عرف القنصل وهو يرفعها لمراجعة، شخصية كاتبها بأنه "التاجر الكبير المقيم في مكة، والمواطن في عنيزة في نجد، والنصير القوي لأبن رشيد، والمعارض للجماعة الوهابية أو جماعة ابن سعود". وقوم القنصل الكراسة بعد ذلك بقوله :- "يفترض المؤلف أن قراءه يعرفون السياق العام للأحداث في نجد، لذا فإن روايته غير كاملة وتعيينه التواريخ الدقيقة للأحداث وفق تسلسلها الزمني غير واضح".<sup>(١)</sup>

ولكن الكراسة على الرغم من هذه الشوائب تعطي قدرا كبيرا من المعلومات من وجهة نظر رشيدية على حد قول السير جورج لوثر G-Lowther السفير البريطاني في اسطنبول حينئذ<sup>(٢)</sup> أما رأي الوكيل السياسي البريطاني في الكويت بعد اطلاعه على الكراسة فهو انها مهمة لأنها تعطي شرحا للأمور والسياسات في بلاد العرب الداخلية أكثر تفصيلا وصراحة مما يمكن الحصول عليه عموما من الاستفسارات المحلية<sup>(٣)</sup>.

(1) IOR, R/15/5/25, No 23, H.B.M's. Consul, Jeddah, to Sir G. Lowther, dated 15 - 5 - 1909.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 609, Sir G. Lowther to Forign Office, dated 29 - 6 - 1909.

(3) IOR, R/15/5/25, No. C - 1, Captain W-H- Shakespear, Pol-Agent, Kuwait, to the First Assistant Resident. Bushire, dated 4 - 1 1910

لقد أعدت نقل تلك الكراسة إلى اللغة العربية من ترجمتها الإنكليزية التي قام بها القنصل. فجاءت في ثماني صفحات أعطيتها أرقاماً متسلسلة . وغداً وجود هذه الكراسة محفزاً لي، إذ أخذت أدون أية معلومة عن تاريخ حائل ترد في الوثائق البريطانية الأخرى. فتراكم نتيجة لذلك كم لا بأس به من المعلومات ينتظر الاستفادة منه. وقد شاء الله أن أنشط لذلك مؤخراً مستعرضاً ما جاء في كراسة البسام، معارضاً معلوماتها بما جاء في الوثائق الأخرى وبعض المراجع، مستكملاً تسلسل أحداثها التي تقف عند الشهور الأولى من سنة ١٩٠٩ بما جاء في الوثائق البريطانية أساساً حتى سقوط حائل بيد الأمير عبد العزيز آل سعود سنة ١٩٢٠ ولا أزعم وأنا أخرج هذا البحث إنني أرخت إمارة حائل في فترة حاسمة من فترات حياتها، فذلك ما لم أطمح له منذ البدء. فغاية الطموح هي أن أضع أمام القارئ صفحات قد تساعده في الإطلاع على روايا معتمدة من ذلك التاريخ عله يجد فيها ما يصلح للدرس والتأمل.

تغفل كراسة البسام تقديم أية معلومات عن نشأة إمارة آل رشيد في حائل. لذا فإن من حق القارئ أن يلم إمامة موجزة بتلك النشأة إذ كانت حائل خلال القرن الثاني عشر الهجري حاضرة لإمارة آل علي، وهم من آل جعفر من عبده من قبيلة شمر. وقد انضوت تلك الإمارة تحت لواء الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٠١هـ (١٧٨٦م). (١٧٨٧م)<sup>(\*)</sup>، وظلت على ولايتها لها حتى سقوطها على أيدي قوات

(\*) يذكر بعض المؤرخين ان خضوع حائل لحكم آل سعود سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م.

محمد الراعير ، إمارة آل رشيد في حائل، بيار للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧، ص ٥٢.

محمد علي باشا سنة ١٨١٨ ، وحين أعاد الإمام تركي بن عبد الله آل سعود تأسيس الدولة السعودية التي عرفت بالثانية انضمت حائل لتلك الدولة بمحض اختيارها<sup>(١)</sup>. وفي غضون هذا الوقت قاد عبد الله بن علي بن رشيد تمرداً في حائل بهدف انتزاع السلطة من آل علي، ولكنه فشل<sup>(٢)</sup> ولجأ بعد حين إلى الإمام تركي وابنه فيصل حيث توّقت علاقته بالأخير إلى درجة أنه بادر بعد توليه الإمامة إلى عزل صالح بن عبد المحس آل علي عن إمارة حائل وعين مكانه عبد الله بن علي بن رشيد سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٥م<sup>(٣)</sup> ومن هنا بدأت إمارة آل رشيد التي ظل مؤسسها بالمقابل مخلصاً للإمام فيصل حتى نهاية أيامه<sup>(٤)</sup>.

ولكن "الاخلاص" كلمة مطاطة لا تحدد بدقة طبيعة العلاقة بين الحاضرتين. وذلك ما تصدى سليمان البسام لمعالجته فكتب في كراسته قائلاً :- "كانت إمارة آل رشيد مستقلة ولا تملك أسرة آل سعود سلطة عليها، لكنها بالأحرى تحترمها وتتودد إليها وتمنحها سنويا هدايا من إيرادات نجد . وهكذا كانت العلاقات بين الأسرتين ودية زمن فيصل. وكانت الحدود بينهما في القصيم، حيث كان الشمال تحت سيطرة أسرة

(١) تفاصيل كل ذلك في دراسة وصفية أعدها د. عبد الله العثيمين، نشأة إمارة حائل، الرياض، ١٩٨١، ص ٥ - ١٤.

(٢) لوريبر/ ج.ج.، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة ونشر ديوان حكام قطر، محمد الزعاريب النوحه، د. ت.، ج ٣، ص ١٧٢٤. وعن تفاصيل ذلك التمرد راجع :- إمارة آل رشيد في حائل، عمان، ١٩٩٧، ص ٥٣ - ٥٤.

(٣) العثيمين، المرجع نفسه، ص ٣٤ - ٤٢.

(٤) لوريبر، المرجع نفسه، ج ٣، ص ١٧٢٦.

أل رشيد والجنوب تحت سيطرة أسرة آل سعود<sup>(١)</sup> ويؤكد البسام في موضع آخر على طابع التحالف بين الأُسرتين فيقول :- "وشيوخ شمر حتى أربعين سنة مضت كانوا في مركز الحلفاء المستقلين والمعاونين لآل سعود، معترفين على الأخص بسلطتهم على الأجزاء الجنوبية والغربية والشرقية من نجد، ويحصلون من الرياض على إعانات مالية سنوية، ولهم سلطة كاملة على الشمال وعلى الغرب حتى المدينة وإلى الشرق حتى السماوة والحسين ومشهد"<sup>(٢)</sup>.

وتبدو كلمة "الاستقلال" التي أكد عليها البسام أعلاه مبالغاً فيها بعض الشيء فطوال فترة حكم عبد الله بن رشيد ظل ولاء إقليم جبل شمر للرياض امراً غير قابل للمناقشة<sup>(٣)</sup> إذ كان عبد الله يعترف رسمياً بالسيادة العليا للإمام فيصل، ولكنه مع ذلك كان يتمتع باستقلال ذاتي لم يكن غيره من أمراء المناطق التابعين للإمام يملكونه أو يحلمون بالوصول إليه، تدل على ذلك ندرة اشتراك بن رشيد في الغزوات التي تشنها الرياض، وحرية تحركه الحربي ضد خصومه الخاصين، وعدم ورود ما يدل على أن زكاة منطقة جبل شمر كانت ترسل إلى خزينة الدولة المركزية في الرياض<sup>(٤)</sup> وبخصوص ما أورده البسام عن تلقي ابن رشيد هدايا أو إعانات مالية سنوية من الرياض، فلم يرد في المراجع المتاحة ما يدل عليه. ولكن ورد العكس، إذ تجمع تلك المراجع

(١) سليمان البسام، الكراسة المنكورة، ص ١.

(٢) البسام، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٧٢٦.

(٣) لوريمر، المرجع نفسه، ج ٢، ص ١٦٥٤ - والزعاير، المرجع نفسه، ص ٦٣.

(٤) العثيمين، المرجع نفسه، ص ١٠٠ - ١٠٢.

على أن أمير حائل كان يرسل للرياض سنويا هدية من الخيول الأصيلة<sup>(١)</sup> أما عن الحدود التي ذكر البسام أنها كانت تفصل بين نفوذ الحاضرتين فيبدو عدم الدقة متعمدا بقوله أنها كانت في القصيم تعميما دون ذكر مكان محدد في القصيم الذي هو إقليم واسع. وقد رجح أحد الباحثين أن تكون منطقة "الكهفة" الواقعة على بعد مائة وخمسة وسبعين كيلو مترا جنوب شرقا حائل هي الحد الفاصل بين نفوذ عبد الله بن رشيد وزعماء القصيم<sup>(٢)</sup> على الرغم من أن "لوريمر" ذكر ما يشير إلى أن إقليم القصيم كله أصبح حوالي سنة ١٨٤٨ خاضعا لحماية أمير جبل شمر الذي غدا وسيطا بين سكانه والرياض<sup>(٣)</sup>(\*) ولعل القول الفصل في هذا الأمر موكل للرحالة دواتي Doughty الذي تجول في أرجاء إمارة آل رشيد وكتب يقول أن حدودها الشمالية هي تخوم قبائل الرولة وشمر الشمالية والظفير، وحدودها في الشرق توابع بريدة، وفي الجنوب تمتد حتى حوالي مائة ميل من المدينة المنورة، وتمتد في الغرب إلى طريق الحج الكبير الواصل إلى سوريا<sup>(٤)</sup> لذا فلا عبرة بمبالغة البسام حين مد حدود الإمارة الشمالية وجعلها بلدات السماوة والحسين (كريلاء) ومشهد (النجف) التي كانت خاضعة حينئذ للحكم العثماني المباشر في العراق.

(١) لوريمر، المرجع نفسه، ج٣، ص ١٦٥٤ والعثميين، المرجع نفسه، ص ١٠٣ و Doughty, C., Travel in Arabic Deserta, New York, 1979, Vol-2, p- 46.

(٢) العثميين، المرجع نفسه، ج٣، ص ١٦٥٤.

(\*) روى أن علاقة أهل القصيم بحائل تحسنت بعد وفاة عبد الله آل رشيد سنة ١٢٦٣هـ / ١٨٤٧م حتى أنهم طلبوا مساعدة حائل ضد الحكومة المركزية في الرياض. الزعاري، المرجع نفسه، ص ١٢٣.

(٣) لوريمر، المرجع نفسه، ج٣، ص ١٦٨٩

(٤) Doughty, op, cit, Vol,2p. 37.

وضرب البسام بعد ذلك صفحا عن ذكر الأحداث التي جرت في نجد عقب وفاة الإمام فيصل بن تركي آل سعود سنة ١٨٦٥ وتتنازع وورثته فيما بينهم إذ جرت تلك الأحداث آل رشيد على التطلع إلى منافسة آل سعود على السيادة على نجد. وقد جاءت أول الأعمال العدائية من حائل تجاه الرياض سنة ١٨٧١<sup>(١)(\*)</sup> وتصاعدت بعد ذلك وتيرة العداء حتى بلغت ذروتها في وقعتي "المليداء" سنة ١٨٩٠ وحرملاء سنة ١٨٩١ اللتين حققنا للأمير محمد بن عبد الله آل رشيد السيدة على نجد كلها. واكتفى البسام بدلا من ذلك كله بالإشادة بصفات الأمير محمد وإطراء سياسته الداخلية والخارجية التي أدت إلى استقرار البلاد وتمتعها بالأمن والازدهار خلال المدة في ١٣٠١ - ١٣١٥ هـ (١٨٨٣ - ١٨٩٧)<sup>(٢)</sup> ولم يكن البسام شاذا في ذلك الإطراء، فكل من كتب عن حكم الأمير محمد أنى على حسن سياسته وحزم قيادته.

تولى الإمارة في حائل بعد وفاة محمد بن عبد الله الرشيد ابن أخيه عبد العزيز بن فيصل الرشيد. ويبدو أن البسام كان راضيا عن سياسته خلال السنوات الخمس الأولى من حكمه (١٣١٥ - ١٣١٩ هـ) التي سار خلالها على هدي خطوات عمه، وكان الناس أثناءها في أعظم الراحة والأمان. ثم أضاف: - "ولكن عبد العزيز كان شخصاً عنيدا ذا رأي مستقل لا يقبل النصيحة فأضر ذلك بمركزه في

(\*) يعتبر البعض أن مساعدة محمد آل رشيد لأهل المجمع ذ الإمام عبد الله الفيصل سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ أول صدام بين حائل والرياض. الزعاري، المرجع نفسه، ص ٨٧.

(١) لوريير، المرجع نفسه، ج ٣، ص ١٦٨٩

(٢) البسام، المصدر نفسه، ص ١.

الوطن وفي الأمور الخارجية وكان تصميمه وشجاعته دون جدوى. ففرق عنه أنصاره لأنه لا يشاورهم ولا يعيرهم اهتماماً<sup>(١)</sup> ويلاحظ أن المؤلف ركز انتقاده لحكم عبد العزيز الرشيد خلال الفترة التي تلت سنة ١٣١٩هـ، وهي السنة التي أستعاد فيها الأمير عبد العزيز آل سعود الرياض، فكانه أراد بذلك انتقاد معالجة حاكم حائل للأمر دون أن يفصح صراحة.

صور المؤلف استعادة عبد العزيز آل سعود للرياض وكأنها نتيجة مؤامرة مدبرة لعب الدور الرئيسي فيها الشيخ مبارك الصباح. فقد كتب يقول :- "قتل مبارك الصباح شيخ الكويت أخويه محمد وجراح في ٢٤ ذي القعدة ١٣١٣ هـ (١٨٩٥)، فلجأ أولاد القتييلين في الحال إلى خالهم يوسف الإبراهيم المشهور بثروته وتقديم حمايته الكريمة للمحتاجين. ثم لجأ أولئك الأولاد أيضا إلى الحكومة العثمانية في ولاية البصرة في زمن الوالي حمدي باشا. وأصبح مبارك خائفا لما يعرفه عن يوسف وع حق الحكومة العثمانية في التدخل، ولا تحتاج تلك الأمور إلى تفصيل لأنها معروفة عموما. ومن أجل حماية نفسه، فكر مبارك في اتخاذ أمراء البيت السعودي وأهالي القصيم الذي كانوا يقيمون مؤقتا في جوار الكويت حجر عثرة في طريق ابن رشيد، لأنه عرف أن الأخير سيكون وكيلا للحكومة العثمانية، وخشى أن تحته الحكومة على إخضاع الكويت من جهة البر. وفي الحقيقة فأن ابن رشيد عرض هذه الفكرة على قصر يلدز أكثر من مرة، ولكن الحكومة

(١) البسام، المصدر نفسه ص ٢-١.

لم توافق عليها، إذ كانت الحكومة تحت تأثير المتآمرين الذين استخدمهم مبارك.

وقد كان مبارك يعارض لاعتبارات مالية حماية الحكومة لأبناء الأميرين القتيلين وخالهم يوسف بن إبراهيم الذي أعذر نفسه نتيجة لذلك وغادر إلى الهند وحين علمت الحكومة العثمانية بمغادرة يوسف بن إبراهيم اقترحت على ابن رشيد أن يدعوهُ إلى حائل. وبدأت الحكومة بترتيب السلام بين مبارك وأبناء أخويه. وانصاع ابن رشيد للأمر فأرسل إلى يوسف بن إبراهيم. وحين ذهب الأخير إلى حائل تتبته مبارك للخطر وحاول ان يرسل غارة في الصحراء ضد ابن رشيد تضم أمراء بيت آل سعود وأهل القصيم النازلين بجوارهِ، فرفضوا لانهم يعرفون أنهم أضعف من ذلك ولكنه أكرههم، فلم يجدوا بدا من الخروج لإرضائه<sup>(١)</sup>.

وطوال ست سنوات ظلوا يغيرون على إمارة ابن رشيد. كما انقلب رجال القصر ضد ابن رشيد نتيجة لـ (الحجج الذهبية)<sup>(٢)</sup> التي استخدمها مبارك. ولم يبق إلا السلطان نفسه فقط مؤيدا لابن رشيد على الرغم من المفترين الذين حاولوا قلبه ضده لأنه عرف الحقيقة عن إمارتي ابن سعود وابن رشيد فالاول يطلب المملكة والخلافة والثاني

---

(١) تذكر المرجع الأخرى أولئك اللاجئين وعلى رأسهم الأمير عبد العزيز آل سعود وكانوا هم الذين يلحون على مبارك في امر تلك الغارات التي وصلت قمته في معركة الصريف والتي ثلثها في السنة التالية (١٣١٩ - ١٩٠٢م) استعادة عبد العزيز للرياض. راجع ذلك كله في : خالد السعدومة، العلاقات بين نجد والكويت، الرياض، ١٩٨٣، ص ٥٤٢.

(٢) بقصد الليرات الذهبية.

مجرد أمير تحت ظل الهلال العثماني. ولكن الكائدين منعوا السلطان من مساعدة ابن رشيد ومن ملاحظة أعمال ابن سعود الشريرة وكبان ذلك بسببه، رجحان نفوذ جماعة أبي الهدي<sup>(١)</sup>.

ضرب البسام بعد ذلك صفحا عن ذكر الأحداث التي أعقبت استعادة الأمير عبد العزيز آل سعود للرياض، وتفاصيل الصراع الذي قام بعدها بين الحاضرتين والذي استغرق قرابة أربع سنين، وانتهى بمقتل الأمير عبد العزيز الرشيد في معركة روضة مهنا سنة ١٩٠٦. ولعل مرد ذلك نفور المؤلف من ذكر أحداث جرت على غير ما كان يشتهي آل رشيد الذين منحهم وده وتأييده.

#### □ إمارة متعب بن عبد العزيز الرشيد:

رجح مقتل عبد العزيز المتعب كفة ابن سعود في الصراع، فوسع عملياته الحربية ضد حائل حتى أبواله المدينة ذاتها. ولم يقبوا سبيعايد الأمير الجديد الدعم العثماني له، حين أبلغه أمير سر السلطان أسف السلطان لمقتل والده وعزم الباب العالي على إيقاع العقاب بقتلته، وقرار التصديق على خلافته لأبيه بالراتب الذي كان مخصصا له وهو مائتا ليرة شهريا ومائتا كيس من الأرز سنويا<sup>(٢)</sup> ولم يفد كل ذلك الدعم من تعديل موازين القوى بين الحاضرتين نتيجة الخلل في الوضع

(١) البسام، المصدر نفسه، ص ٢-٣ ويقصد المؤلف بالجملة الأخيرة أبا الهدي الصيادي

الرفاعي، وهو أحد مشايخ المطوفة، وكان متفندا لدى السلطان عبد الحميد الثاني. وقد استخدم

مبازك السيد طالب (الرفاعي) وسيلة للوصول إلى أبي الهدي.

(٢) لوريمر، المرجع نفسه، ج ٢، ص ١٧١١-١٧١٣

الداخلي للإمارة الذي تحدث عنه البسام بقوله أن مقتل عبد العزيز المتعب فتح باب التنافس والصراع على الحكم بين آل رشيد مرة أخرى، وهو الأمر الذي كانت عاقبته وخيمة عليهم جميعا. فبعد مقتله انبسطت مقاليد الإمارة بينه متعب الذي كان شابا في الثامنة عشرة من عمره. ونتيجة لحدائثة سنة وقلة تجربته فقد اعتمد في تصريف الأمور على اخواله أبناء حمود بن عبيد الرشيد وهم سلطان وسعود وفيصل الذين فرضوا سيطرتهم الكاملة على الأمور في الإمارة. ولكن تلك المكانة الكبيرة التي نبأوها لم تقنعهم بترك الإمارة الاسمية لابن أختهم الشاب، بل وطمحوا بحمل لقب الإمارة ولو جاء على جثة ابن أختهم ومن يؤيده من عصبته. وبالفعل قام الأخوال الثلاثة بقتل متعب وأخويه وابن عم له<sup>(١)</sup>. وكان مقتل متعب في شهر يناير ١٩٠٧، وبذا دامت إمارته تسعة أشهر فقط<sup>(٢)</sup>.

### □ إمارة سلطان بن حمود الرشيد:

تولى إمارة حائل بعد مقتل متعب سلطان بن حمود يعاونه أخواه سعود وفيصل. وهو تطور لم يحظ بإقرار اسطنبول، فلم تعترف بالأمير الجديد وقطعت عنه الإعانة التي كانت تدفعها لاسلافه<sup>(٣)</sup>. ولم يفت ذلك بقصد الأمير الجديد الذي اتخذ أخاه سعود وزيرا له وأرسل أخاه الثاني فيصل حاكما لمنطقة الجوف في الشمال. ولم يطل امد الونام

(١) البسام، المصدر نفسه، ص ٣.

(٢) IOR R/15/5/25, No-23,H-B-M's-Consul, Jeddah, to Sir G-Lowther, Dated 15-5-1905

(٣) لوريمر، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٧٤٣.

بين الامير الجديد وأخيه الوزير، فأخذاً يتافسان على السلطة. وحتى يدعم الأمير موقفه قرب آل سبهان، وهم أسرة شمرية ثرية ارتبطت مع آل رشيد برباط المصاهرة منذ القدم، وكانوا وزراء الإمارة في الفترة التي سبقت مقتل متعب. ولم تحل خطوة سلطان تلك دون تفاقم الصراع وبلوغه مرحلة حرجة جعلت آل سبهان يخشون معه على أنفسهم وعلى ابن اختهم الطفل سعود بن عبد العزيز الرشيد، وهو الوخيد من أخوة الأمير السابق القتييل الذي نجا من المذبحة بسبب حماية أحواله له. ولذلك تظاهر كبير آل سبهان "حمود" بالمرض، واتجه نحو المدينة المنورة مصطحباً مقتنياته الثمينة والصبي سعود. بينما استمر في الجانب الآخر صراع الأخوين سلطان وسعود إلى أن انتهى بمقتل سلطان<sup>(١)</sup>. وكان ذلك في أبريل ١٩٠٨م (ربيع الأول ١٣٢٦هـ)<sup>(٢)</sup>.

وقد كان من الطبيعي أن يتابع ابن سعود باهتمام كبير ما يجري بين خصومة في عاصمة ملكهم، وأن يحاول استغلاله لتحقيق مكاسب لصالحه. ويؤكد البسام سلوك ابن سعود ذلك السبيل، فيقول :- "وحين رأى عبد العزيز بن عبد الرحمن كبير البيت السعودي الضغائن في بيت آل رشيد أراد الاستفادة منها، فبدأ مراسلة علنية مع الأمير سلطان. وبدا في الوقت ذاته مراسلة سرية مع أعداء الأمير. لقد ترأسل مع البدو والحضر في نجد ومع الحكومة العثمانية ومع امراء الخليج العربي. واعتقد المراقبون الأوروبيون أنه سيحقق السيطرة على نجد دون مقاومة. ولكنه كان يعلم بأن ذلك لا يمكن تحقيقه دون مساعدة

(١) البسام، المصدر نفسه، ص ٤ - ٥.

(2)IOR, R/15/5/25, No-23, --

الأمير... ولذلك فإن ابن سعود أخذ يتقرب لزعماء شمر ويهيج النزاع داخل عائلة الرشيد، ولكن دون جدوى لأن أغلب زعماء شمر كانوا يتذكرون محمد بن رشيد المشهور بعدله وسياسته الحكيمة، ولأن كل الزعماء كانوا قد أقسموا على القرآن متعهدين بالإخلاص لبيت آل رشيد<sup>(١)</sup>.

### □ إمارة سعود بن حمود الرشيد

تولى الإمارة بعد مقتل أخيه سلطان. ولكن إمارته لم تستمر إلا قرابة ستة شهور<sup>(٢)</sup>. فقد تضافرت عدة عوامل أدت إلى إسقاطه. وكان منها أن حمود السبهان بعد استقراره في المدينة أخذ يؤلب السلطات العثمانية ضد مغتصبي الحكم في حائل. وروى البسام إنه صادف في ذلك نجاحا كبيرا، إذ نال شكر السلطان ووزرائه "العادلين" على حمايته للصببي سعود بن عبد العزيز آل رشيد الوريث الشرعي للأمارة. وقد منحته الحكومة مع مرافقيه مخصصات كافية خلال إقامتهم في المدينة. وروى البسام أيضا أن حمود السبهان تحرك في اتجاه آخر، فأخذ يتصل بزعماء قبيلة شمر حتى استطاع إقناعهم بفكرة إسناد

---

(١) البسام، المصدر نفسه، ص ٤.

(٢) روى باحث أن مدة حكمه حوالي ١٤ شهرا وهو خطأ واضح لأنه ذكر في الصفحة ذاتها أن سعود بن عبد العزيز تولى الحكم في أغسطس ١٩٠٨ - فتكون مدة حكم سعود بن حمود حسب روايته بين أبريل ١٩٠٨ وأغسطس ١٩٠٨. راجع: الزعاريير. المرجع نفسه، ص ٦٩.

الإمارة للصبي سعود تحت وصاية أخواله السبهان<sup>(١)</sup>. ومما زاد فى نجاح حمود فى تأليب زعماء شمر على أبناء حمود الرشيد كون الأخيرين قد وضعوا خطة لاقتسام بيت مال الإمارة فيما بينهم. وقد أدى افتتاح أمر الخطة إلى ازدياد الهياج بين زعماء شمر الذين أرسلوا رسالة عاجلة لحمود السبهان فى المدينة ليقدم إلى حائل وينفذ شمر من الخائن<sup>(٢)</sup> وهكذا نجحت خطة المتآمرين ضد سعود بن حمود فعزل عن الإمارة فى أغسطس ١٩٠٨، ثم قتل بعد ذلك بقليل<sup>(٣)</sup>.

ومن زيادة الفائدة هنا التعرف على موارد بيت المال فى حائل كما حددها البسام إذ قال أن الأمير فى حائل لم يكن يملك شيئاً بصورة شخصية إلا ما كان يملكه قبل تسلمه منصبه. أما ما يجمعه من موارد حين يصبح أميراً فيؤول إلى بيت المال، ولا يستطيع أحد إنفاقه حتى الأمير نفسه، إذ أن السلطة الكاملة على بيت المال للمجلس<sup>(٤)</sup> ولكن البسام لم يبين ماهية ذلك المجلس. ولعله قصد به هيئة من رجال العائلة الحاكمة وكبار مستشاريهم. كما أن المراجع الأخرى المتاحة لم تذكر شيئاً عن وجود مثل ذلك المجلس وإن ذكرت وجود "بيت المال"

---

(٥) يروى أن أهالي حائل هم الذين رفضوا إمارة سعود بن حمود وكتبول إلى سعود عبد العزيز يدعونه للعودة إلى حائل ويعدونه بفتح أبواب المدينة أمامه. راجع : الزعاري، المرجع نفسه،

ص ٦٨-٦٩.

(١) المصدر نفسه، ص ٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥.

(٣) IOR, R/15/5/25, No-23. —

(٤) البسام، المصدر نفسه، ص ٥.

وتحدثت عن الفرق بينه وبين أملاك الامير الحاكم الخاصة<sup>(١)</sup>. وحدد البسام بعد ذلك موارد بيت مال الإمارة كما يلي :-

١- ضريبة على الإبل مقدارها ربع دولار ماريا تريزا على كل جمل إذ تجاوز عدد الإبل لدى المالك عشرة. أما إذا كان عددها أقل من ذلك فهي معفاة من الضريبة.

٢- ضريبة على الأغنام مقدارها ربع ليرة عثمانية على كل أربعين رأساً. ويعفى المالك من الضريبة إذا كان عدد قطيعه أقل من أربعين رأساً.

٣- ضريبة على الغلال والتمور بنسبة خمسة بالمائة من المحصول<sup>(٢)</sup>. وقد أوردت مراجع أخرى تفصيلات أوفى عن تلك الموارد، فذكرت أن أبرزها هي الزكاة وضريبة قوافل الحج والتجارة التي كانت تشكل أكثر من ربع الدخل أيام إمارة محمد بن عبد الله الرشيد، علاوة على خمس غنائم الغزوات التي كان الحاكم يقوم بها ضد أعدائه<sup>(٣)</sup>.

وكانت تلك الموارد جميعها تغل على الأمير محمد حوالي أربعين ألف جنيه سنوياً، تسهم باديته بخمسها. بينما كانت انفاقاته السنوية المختلفة تقدر بثلاثة عشر ألف جنيه<sup>(٤)</sup>.

---

(١) Doughty, op-cit, Vol - 1, p - 664.

(٢) البسام، المصدر نفسه، ص ٥.

(٣) العثيمين، المرجع نفسه، ص ٥.

(٤) Doughty, op-cit, Vol - 2, p - 35. قارن هذه الموارد بما جاء في ك الزعاري، المرجع

نفسه، ص ص ٩٩ - ١٠٥.

## □ إمارة سعود بن عبد العزيز الرشيد:

نودي به أمير على حائل بعد عزل سميّه سعود بن حمود في رجب ١٣٢٦هـ / أغسطس ١٩٠٨م. وكان عمره حينئذ قرابه عشر سنين فكان من الطبيعي لذلك أن غدا الحاكم الحقيقي لإمارة حائل خاله والوصي عليه حمود السبهان ويبدو أن الأخير كان ذا شخصية قوية وإدارة حازمة، فاستطاع خلال مدة قصيرة لا تتجاوز ثلاثة شهور أن يوطد الاستقرار الداخلي في الإمارة حسبما روى البسام. وانصرف بعد ذلك نحو اكتساب القبائل المحيطة بحائل إلى صفة. وكانت وسيلته لذلك مزيجا من الترغيب والترهيب. ويظهر أنه حقق نجاحا ملحوظا في مساعاه هذا، ساعده على تحقيقه ما كان يتمتع به من سمعة طيبة في أوساط شيوخ القبائل<sup>(١)</sup>.

وقد رحبت الحكومة العثمانية بتولي سعود لإمارة حائل. إذ قبلت الحكومة العثمانية توليه وأقرته، وعينت له ولأخواله السبهان مخصصات كافية ومنحتهم أوسمة ونياشين، وأعطت سعود بن عبد العزيز لقب "أمير نجد" وأصدرت بذلك التعليمات لكل ولاية الولايات العربية في بغداد والبصرة وحلب ودمشق والحجاز وللمتصرفين في ألوية المدينة والأحساء ونجد. أن ميل الحكومة العثمانية نحو بيت آل رشيد معروف جيدا لكل العرب. وكان ابن رشيد سعيدا لاستلام فرمانات التقليد من الحكومة العثمانية التي وضع تحت قدميها وجنتيه

(١) البسام، المصدر نفسه، ص ٥.

كما فعل آل رشيد كلهم منذ قدوم المصريين اول مرة إلى نجد" (١).

ولم يطل العمر بحمود السبهان كي يواصل توطيد أركان الإمارة في حائل، إذا توفى في أوائل سنة ١٩٠٩. ولكن وفاته لم تهز الإمارة على حد قول البسام حيث كان هناك خمسة وعشرون رجلا من آل سبهان كل منهم قادرا على الحطول محله. وقد سد الفراغ الذي نتج عن رحيله بالفعل، حين تولى الوصاية على الأمير الصبي زامل السبهان، وهو رجل في الخامسة والثلاثين من عمره. وكان إلى جانبه شخص قوي آخر من آل سبهان هو ناصر السبهان الذي تولى مسؤولية خزنة بيت مال الإمارة (٢).

## □ الصراع بين حائل والرياض منذ تولى سعود وحتى قيام الحرب العالمية الأولى.

كان لاستقرار الأوضاع في حائل على الصورة أعلاه انعكاس على الصراع التقليدي بينها وبين الرياض دون ريب. ويظهر من الروايات المختلفة أن ذلك تزامن مع تطورات غير مواتية بعض الشيء للأمير عبد العزيز آل سعود. ويحسن استعراض تلك الروايات للتعرف على حقيقة ما حدث، بدءا برواية البسام على طولها، وهي تقول:- "لم يبق عربي في نجد إلى جانب ابن سعود إلا بعض قبيلة مطير وبعض رجال القصيم والوشم والمحمل وسدير. والمجاعة

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦. ويقصد بالمصريين قوات محمد علي باشا التي اكتسحت الدولة السعودية الأولى سنة ١٨١٨.

(2) IOR, R/15/5/25, Letter From Mr. G. E. Leachman to Mr. J.G. Lorime, dated 22-2-1910.

مزمنة بين كل أولئك، فهم أناس يأسون لأن الأرض مقحقة والمؤمن نادرة، بينما أراضي ابن رشيد مخصبة تماما. لذا فإن أغلب أهل نجد ميالون لابن رشيد نتيجة عدائهم لابن سعود وإيمانهم بان الحظوظ تسير ضده»<sup>(١)</sup>.

وانتقل البسام بعد ذلك إلى إيراد احصائية عن أفراد القبائل وسكان نجد في مناطقهم المختلفة على الوجه التالي<sup>(٢)</sup>.

شمر ٤٠٠٠٠ نسمة<sup>(٣)</sup>

حرب ٢٠٠٠٠ نسمة<sup>(٤)</sup>

مطير ٢٠٠٠٠ نسمة<sup>(٥)</sup>

الصغير، Sagayr ١٠٠٠٠ نسمة (ليست هناك قبيلة بهذا الاسم، ولعله مصحف)

(١) البسام، المصدر نفسه، ص ٥.

(٢) وصف القنصل البريطاني في جدة الذي قام بترجمة كراسة البسام إلى الإنكليزية هذه الفقرة الإحصائية في الكراسة بأنها مضطربة - وهي كذلك بالفعل كما يلاحظ القارئ.

(٣) ذكر العثمانيين، المرجع نفسه، ص ٨٠ أن تقديرات سكان منطقة جبل شمر حاضرة ويادية تتراوح بين عشرين وخمسة وسبعين ألف نسمة - بينما قدر داوتي حاضرة جبل شمر بحوالي عشرين ألف نسمة وبإديته بقراية أربعة عشر ألف نسمة ويضمهم شمر الجنوبية التي قدر تعدادها بألفي نسمة فقط. راجع Doughty, op-cit., Vol-2, p-34. وذكرت احصائية تقديرية اخرى أن تعداد شمريا بادية وحاضرة في عهد سعود بن عبد العزيز آل رشيد بلغ ثلاثمائة ألف نسمة. راجع: الزعاري، المرجع نفسه، ص ٣٥. وتدل عبارة القنصل الأخيرة على أنه لم يكن عارفا بحقيقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو أنه متحامل عليها، وأنه ينقل فحسب وجهة نظر الحكومة العثمانية المعادية.

(٤) قدر داوتي حرب الشمالية التابعة لابن رشيد بألف نسمة فقط. Ibid., Vol - 2, p-34.

(٥) قدرها داوتي بخمسة الآف نسمة فقط. Ibid., Vol - 2, p-394.

عزرة ٩٠٠٠٠ نسمة

عريدار ٥٠٠٠ نسمة

عنية ٤٠٠٠٠ نسمة (١)

قحطان ٢٠٠٠٠ نسمة

هيثم ٢٥٠٠٠ نسمة (٢)

العجمان ١٠٠٠٠ نسمة

المره ١٠٠٠٠ نسمة

الرولا ٥٠٠٠ نسمة

مناجير، Managir? ٥٠٠٠ نسمة (وليس هناك قبيلة بهذا الاسم  
بحدود علمي)

القصيم ٤٠٠٠٠ نسمة

الوشم ٢٠٠٠٠ نسمة

سدير ٤٠٠٠٠ نسمة

العافية? Alavia ٢٠٠٠٠ نسمة (ولعله قصد "العوجة" وكتبها  
باللهجة الدارجة التي تقلب الجيم ياء "العوية"، فحين نقلها المترجم

(١) قدرها داوتي بستة آلاف نسمة فقط. Ibid., Vol - 2, p-34.

(٢) قدر داوتي هيثم الثابطين لابن رشيد بألف وخمسمائة نسمة فقط. Ibid., Vol - 2, p-34.

للإنكليزية وضع مقابل الياء حرف V بدل W وهو امر مألوف في الإنكليزية فحدث التصحيف نتيجة لذلك).

متفرقات ٤٠٠٠٠ نسمة

المجموع ٤٦٤٠٠٠ نسمة

ومضى البسام بان ٣٠٤٠٠٠ نسمة من أولئك السكان بادية ١٦٠٠٠٠ نسمة حاضرة. وخص بعد ذلك قبيلة شمر بالقول أنها أكبر قبيلة في نجد. تتحالف معها وتتنسب لها قبائل تعد أكثر من مائة ألف نسمة تعيش في الطرق وتدفع الضريبة للحكومة العثمانية. وبدوها في نجد أقوى البدو لكون أمير حائل منهم منذ عدة أجيال، وحيث يحرص أمراء حائل على تسليحهم بأحدث البنادق. علاوة على ذلك فهم يمتطون سهوات اجود الخيول، لانهم يملكون أفضل سلالات الخيول في بلاد العرب<sup>(١)</sup> ولا تخفى على القارئ محاولة المؤلف تضخيم قوة شمر على غيرها من القبائل.

وانتقل البسام بعد ذلك للمقارنة بين الوضع الداخلي في إمارتي حائل والرياض. فقال :- ليس هناك الآن إلى جانب ابن سعود أي من القبائل المذكورة أعلاه. فقبائله هي بقايا قبائل متفرقة، وهو يعتمد كليا على عرب الرياض المتوطنين والقرى المجاورة. وحيث أن الإمارة انتزعت من آل سعود قبل خمس وأربعين سنة، ولانهم أخذوا يتعرضون لغارات مستمرة منذئذ، فقد تدهور وضع أولئك السكان فيما

(١) البسام، المصدر نفسه، ص ٧-٨.

يتعلق بما يملكون من خيل وسلاح، وفقدوا جزءا كبيرا من تجارتهم، فغادر عدد كبير منهم إلى الاحساء والبحرين ولم يعودوا قط. أما فسي الجانب المقابل فإن ابن رشيد يملك موارد كافية لاغراضه الحربية، وحكومته معتدلة وضرائبه بسيطة. ويتقبل ابن رشيد، كما هي عادة آل رشيد دائما، اللاجئ المستغيث مهما كان ذنبه، ويسوى له قضيتَه إذا كان ذلك ممكنا، وإذا تعذر ذلك فإنه يدعه يذهب بسلام. وحين يتعلق الأمر بالأمير شخصا فإنه يعفو عن المذنب في العادة، وهذا أمر يجتذب ولاء الناس لابن رشيد. في حين أن عادة آل سعود مناقضة تماما، وخاصة على أيام الإمارة الأخيرة. ويحوز ابن رشيد مساندة حكومات الولايات العثمانية المجاورة كلها، وهو مقدر تقديرا كبيرا من البرلمان العثماني وجمعية الاتحاد والترقي. أن برقية التهئة التي بعثها عند افتتاح البرلمان قوبلت برضا كبير. والنقيب هو استثناء لذلك لأنه عدو شخصي لابن رشيد واحد اتباع ابو السهدى صديق شيخ الكويت وابن سعود<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت قوة ابن رشيد كما وصف البسام، فلم لم يحقق نصرا ساحقا على خصمه ابن سعود؟ رد البسام على ذلك التساؤل بقوله :-  
"ان السقوط الكامل لابن سعود لا يبدو قريبا، فقط لأن مبارك الصباح شيخ الكويت جدد مسانده له، لذلك فإن استمرار الصراع ربما سيؤدي إلى بقاء حكم ابن سعود لسنة أو اثنتين. إذ يبدو الآن وكأن مبارك يتراجع ولا يبالي بفوز أي من الجماعتين، لأنه يتمسح باعتاب الحكومة

(١) المصدر نفسه، ص ٨. وليس من المعروف أن هناك عداء شخصيا بين ابن رشيد والنقيب، ولا حتى بين أسرتهما.

العثمانية علنا وباعتاب الحكومة الإنكليزية سرا. وربما خانت الحكومة العثمانية قد وضعت خططا لإعانة ابن سعود ماليا واسترضائه ظانة أنه يستطيع تثبيت الأوضاع في نجد، في حين أنه فعليا ليست لديه قوة للسيطرة على أي شيء. ولكن الحكومة مخدوعة نتيجة لجهلها ومكائد الكائنين، على الرغم من أنها سوف تكتشف سريعا مرة أخرى السبيل القويم وهو الصداقة مع آل رشيد. فكما قلنا ان ابن رشيد على عكس ابن سعود مخلص للسلطان الذي يدعى له في صلوات الجمع في أراضيهِ»<sup>(١)</sup>.

ويتسم كلام البسام عن موقف الحكومة العثمانية من الصراع بين الأميرين بسمة الارتباك الواضح. إذ أنه يناقض ما سبق أن قاله عن تأييد تلك الحكومة لحكم سعود ابن عبد العزيز تحت وصاية آل سبهان. كما أنه يتعارض كلية مع الآمال الواسعة التي عقدها على تعاون تلك الحكومة مع إمارته حائل والذي سطره على الشكل التالي : "والحكومة العثمانية تعاونهم بدستورها الجديد، وسيدخل في نجد برنامج دستوري بلا ريب تحت رعاية الحكومة العثمانية"<sup>(٢)</sup>. وبصرف النظر عن حلمه الدستوري هذا المغرق في خياليته، فإن كلامه السالف يناقض أيضا الحقائق التي أوردتها المصادر المستقلة عن تأييد الحكومة العثمانية لابن رشيد. فالسفير البريطاني في اسطنبول يفيد بأن الترك يمنحون مساندة لهم لابن رشيد ويدفعون له راتبا شهريا مقداره مائة وخمسون جنيها

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥-٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦.

استراليا<sup>(١)</sup>. وفي حين يذكر القنصل البريطاني في دمشق أن ذلك الراتب يبلغ نصف الراتب الذي كان يدفع لوالد ابن رشيد، وأن الحكومة العثمانية لم تشارك فعليا منذ عهد قريب في النزاع بين الرياض وحائل، إلا أنها تؤيد ابن رشيد "وتأمل في أنه سيكون قادرا يوما ما على سحق الوهابيين الذين يتهمون ببقية المسلمين بالكفر"<sup>(٢)</sup>.

ومن المفيد أيضا تبين حقيقة ما ذكره البسام عن مساندة مبارك الصباح لابن سعود في هذه الفترة. فالسفير البريطاني في اسطنبول يرى أن ابن سعود يعتمد بصورة كبيرة على شيخ الكويت، وحيث أن ذلك الشيخ يعتبر تحت الحماية البريطانية فإن هناك نوعا من الاعتقاد بأن ابن سعود يتمتع بنوع من التشجيع البريطاني<sup>(٣)</sup>. ويزيد الوكيل السياسي البريطاني في الكويت سياسة مبارك توضيحا وبما يرجح رواية البسام عن تراجع مبارك عن تأييده المطلق لابن سعود، فيقول: - "أن سياسة الشيخ مبارك هي بلا ريب الحفاظ على هذا التوازن بين الخصمين. ولقد اخبرت أكثر من مرة بأن تعاملات الشيخ مبارك مع القبائل البدوية تهدف أساسا إلى تحقيق هذا التوازن، وإلى نيل التبجيل لشخصه بحيث تصبح مساعدته هي الهدف المرغوب فيه جدا من لدن الزعيمين المتخاصمين معا"<sup>(٤)</sup>.

أما عن حقيقة قوة موقف ابن رشيد تجاه ابن سعود على الصورة

---

(1) IOR,R/15/5/25, No. 609, Sir G. Lowther to Foreign Office, dated 29-7-1909.

(2) IOR,R/15/5/25, H.B.M's. Consul, Damascuss, to Sir G-Lowther, dated 7-7-1909.

(3) IOR, R/15/5/25, No. 609, ---

(4) IOR, R/15/5/25, No. c-1, ---

التي رسمها البسام، فيظهر من الوثائق البريطانية التي كانت تتابع الوضع أولاً باول أن إمارة حائل تمتعت ببعض الحيوية والنشاط بعد أن تولى مقاليدها الأمير الصبي سعود فالسفير البريطاني في اسطنبول يقول :- "منذ مقتل سعود بن رشيد [يقصد سعود ابن حمود] وحلول الصبي عبد العزيز [كذا في الأصل، وهو يقصد سعود بن عبد العزيز] محله حاكماً تحت وصاية زامل بن سبهان ابتسم الحظ للعائلة الشمالية. وأصبح ابن سعود في إرأى فنصل جلالته في دمشق في خطر من التحول إلى مجرد وجيه ذي مكانة باعتباره أميراً للوهابيين بالوراثية. بينما يصور فنصل جلالته في جدة هذه الطائفة [الوهابيين] على أنها محتضرة. انها ذات معتقدات خاصة، على أية حال، تبدو مختلفة عن معتقدات السنوسية فقط فيما يتعلق بالطقوس الدينية التي يمارسونها. أن هدف العودة إلى صفاء الإيمان في أيامه الأولى أمر مشترك بينهما معاً"<sup>(1)</sup>، اما تقرير القنصل البريطاني في دمشق الذي أشار إليه السفير فقد جاء فيه :- "أن الصبي ابن رشيد تحت وصاية خاله زامل السبهان وأصل القتال... لدمج أكثر ما يستطيع من القبائل ضمن قواته وجماعات الجند العاملة تحت رايته. وطبقاً للتقارير التي وصلت دمشق فإنه نجح في هدفه هذا إلى حد بعيد. علم توا أن قبيلة مطير القوية التي اعتادت أن تكون النزاع الأيمن لابن سعود قد نبذت ولائها للأخير وانضمت إلى ابن رشيد الذي أبرق قبل ثلاثة أيام لصديق في هذه المدينة مبينا أن أغلب أهل القصيم مع مطير هم الآن انصاره وأنه يامل في القدرة على سحق خصمه ابن سعود والسيادة على نجد كلها خلال وقت قصير...

(1) IOR, R/15/5/25, No. 609, ---

لا زالت مدينة بريده مخصصة لابن سعود الذي يعتمد وبصورة كبيرة جدا على صداقة ابن صباح شيخ الكويت. .. أن ابن سعود فقد بصورة ثابتة التأثير والمكانة في نجد اللتين تراكمتا لخصمه منذ عهد قريب. أن أهل القصيم الذين يعول ابن سعود عليهم دائما غدوا في الحقيقة نافذي الصبر من تلك الغزوات المتواصلة ومتشوقين للهدوء. الترك والسوريون ميالون بقوة إلى ابن رشيد عموما. وعلى الرغم من ان قبيلة عنزة، وهي القبيلة الرئيسية الأكبر في الصحراء السورية، ميالة لابن سعود إلا أنها غير متورطة [في الصراع] إلا قليلا، وهي بعيدة عن إظهار حماسها لجانبه ولدى ابن رشيد قبيلة شمر القوية تستمد منها قوتها، بينما ليس لخصمه مصادر مشابهة، وربما لن ينال [ابن سعود] قريبا سوى احترام وتكريم تقليديين باعتباره أمير الوهابيين بالوراثه<sup>(1)</sup>.

وعلق الوكيل السياسي البريطاني في الكويت على ما رواه البسام في كراسته بقوله:- "..لأن تلك الرواية كانت من وجهة نظر متحيزة بصورة جلية لحزب ابن رشيد فأنتي بذلت بعض الجهد لتقصي المعلومات من المصادر المتيسرة في الكويت والتي يمكن الإقتراض بأنها متحيزة بقدر مساو إلى الزعيم الوهابي. وفي مناقشته مع الشيخ مبارك حول الوضع الراهن ونفوذ الزعيمين كليهما ظهر لي ان مكانة ابن سعود قد تضررت بلا شك نتيجة الفصول السيئة التي مرت على أراضيه وما سببته من هزال بأبله وخيوله وارتفاع لأسعار المؤن الغذائية. بينما يملك زعيم شمر بالمقارنة خزينة مملوءة ويمتلك أتباعه محاصيل جيدة، وركائبهم في حالة طيبة، وقوة العربي هي أبله وخيله"

(1) IOR, R/15/5/25, H- B. M's - Consul, Damascus, to Sir G- Lowther, dated 7-7-1909.

كما قال الشيخ. ولم يسلم الشيخ مبارك بوجود ارتدادات بن ابن سعود من قبل أي عدد كبير من القبائل التي كانت تعتبر سابقا من مؤيديه. وأكد إنه طبقا لأكثر ما تيسر جمعه من أموال الرجال فإن ابن سعود كان الأكثر قوة رغم أنه لا يملك مصادر الحرب من مال وعدد ودواب. ولم يؤكد وجهة النظر هذه. على أية حال. تاجر عربي مطلع، اعترف بأن هناك بالفعل ارتدادات كبيرة عن ابن سعود. فالبدوي، كما قال ببساطة، يتعلق بمن يبدو قويا في اللحظة الراهنة. ومما هو جدير بالذكر أن كلا من القائد الوهابي وابن رشيد لم ينغمسا في أية حملات جدية منذ عدة أشهر، فكل منهما باق في عاصمته. وتعزى هذه الهدنة لأسباب ضعف الأول وتوقع الأخير مقاومة كبيرة ستواجهه بالتأكيد إذا ما قام بأية محاولة ضد قرى ابن سعود ويقاعه المأهولة. يمكن لذلك اعتبار الأمر حقيقة عند القول بأن هاتين القوتين كليهما في بلاد العرب الداخلية في حالة توازن تقريبا. وان سياسة الشيخ مبارك هي بلا ريب الحفاظ على هذا التوازن. (١).

ويتعارض ما ذكره الوكيل السياسي البريطاني في الكويت عن هدوء الحاكمين لكليهما خلال الشهور الماضية مع ما رواه البسام الذي كان يوالي ارسال معلوماته إلى القنصل البريطاني في جدة. وقبل التعرف على ماهية معلوماته الجديدة، يجدر التساؤل عن هدفه من ائصال تلك المعلومات إلى القنصل. فهل كان يبرز قوة ابن رشيد أمام القنصل لإغراء البريطانيين بإسناد ابن رشيد مثلما اسندوا شيخ الكويت؟ ولو كان ذلك صحيحا، فهل كان يقوم بتلك المحاولة من تلقاء نفسه

(1) IOR, R/15/5/25, No. c-1, ---

تطوعاً، أو بتنسيق مع حكام حائل؟ الأفضل تأجيل الإجابة على ذلك التساؤل قليلاً، والعودة للتعرف على مضامين معلوماته الجديدة التي تقول :- "كان ابن رشيد خلال الشهور الأربعة الماضية يؤدب بدو نجد الذين ثاروا ضده، فحدثت ثلاثة أو أربعة صدامات، فامتلاً البدو والحضر بعدها بالربح. ولكن ابن سعود لا يمكن أن يظهر فاعلية مماثلة لأن أراضيه محملة وتموينه سيئ من الركائب والأغنام والمواشي. وقد وصل إلى مكة في الحادي والعشرين من مايو رجال من قبيلتي عتيبة وحرب وانفقوا في رواياتهم على أن ابن سعود كان خارج أراضيه في حملة حربية ضد بعض أقسام من قبيلتي حرب وشمر التابعين لابن رشيد، فغنم بعض مخيماتهم ولكنه لم يستطع أخذ انعامهم. وعندما علم ابن رشيد بذلك سار في أثر ابن سعود، وبعد ثلاثة أيام أصبحا معا في مكان يدعى العروق Unuk، وهي تلال تبعد مسافة ثلاثة أيام عن القصيم. وقبيل الفجر بقليل شن ابن رشيد الهجوم، واستمر القتال إلى ما قبل حوالي ساعتين من الظهر، فهزم ابن سعود وطورد حتى الليل. اسفرت الواقعة عن مقتل مائتي رجل من جانب ابن سعود وأربعين من جانب ابن رشيد الذي غنم عددا كبيرا من الأبل والخيل. وبينما لجأ ابن سعود مع من بقي من رجاله إلى عنيزة عاد ابن رشيد إلى أراضيه. إن قضية ابن سعود تتحدر باستمرار في نجد، والناس يميلون نحو ابن رشيد الذي من المتوقع أنه سيصبح سيدا لكل نجد بنهاية هذه السنة..."<sup>(1)</sup>.

ولم يرد في أخبار الكويت ما يدل على هزيمة لحقت بابن سعود

(1) IOR, R/15/5/25, H.B.M's. Consul, Jeddah, to Sir G-Lowther, dated 30-5-1909.

على يد خصمه في هذه الفترة، وأن كانت تؤكد نشاط ابن رشيد في تأديب بعض القبائل. فقد وصل إلى الكويت في الثاني والعشرين من يناير ١٩١٠ رسول من ابن رشيد يحمل تقريراً للشيخ مبارك عن غزوة قام بها ابن رشيد على فخذ بني عبد الله من قبيلة حرب، وعمّا غنمه منهم من غنائم كثيرة<sup>(١)</sup> ولا ريب أن اهتمام ابن رشيد باطلاع مبارك على تلك الأخبار كان يخدم غرضاً خفياً وهو إظهار قوة حائل أمامه في محاولة لإقناعه عن طريق غير مباشر بعدم جدوى التزامه لحليفه ابن سعود إلى ما لإنهاية، وأن من الخير له أن يلتزم موقفاً محايداً على الأقل في الصراع الدائر بين الخصمين.

وفي أثناء ذلك دخل ابن رشيد في صراع مع قبيلة عنزة الكبيرة الميالة لابن سعود وتتفق المصادر على أن السبب المباشر لذلك الصراع هو السيطرة على منطقة الجوف وسكاكا التي كان عبد الله بن علي ابن رشيد قد ضمها لأملكه سنة ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م<sup>(٢)</sup> ولكنها تختلف بعد ذلك في التفاصيل. إذ ذكر القنصل البريطاني في جدة أن بداية الصراع كانت غزوة شنّها أمير حائل على قبيلة الرولة في عنزة شمال الجوف حيث الحق بها هزيمة كبيرة. وعلى اثر ذلك غزت الرولا الجوف انتقاماً ونجحت في أسر حاكمه، وهو على السبهان خال الأمير، مع أشخاص آخرين. وطلبت مقابل إطلاقهم فدية مقدارها عشرون ألف ليرة<sup>(٣)</sup>. ولكن المقيم السياسي البريطاني في بغداد

(1) IOR, R/15/5/25, Extracts From Diary No. 4 of the Kowiet Political Agency for the week ending 26th January 1910.

(٢) العثيمين، المرجع نفسه، ص ١١٨ - ١١٩.

(3) IOR, R/15/5/25, No. 30, Consul Monahan to Sir G Lowther, dated 11-6-1910.

"لوريمر" صور الأمر وكأن أحد أفخاذ قبيلة عنزة بادر قبل عدة أشهر ماضية للاستيلاء على بلدة الجوف التابعة لابن رشيد حيث ذبح حاكمها ونهبت البلدة ذاتها<sup>(١)</sup>. (٢) وترجع رواية شاهد عيان ما ذكره المقيم السياسي. فقد كان الضابط البريطاني ليتسمان Leachman يجوب تلك المنطقة حينئذ. وقد ضمن مشاهداته في رسالة بعثها للمقيم البريطاني في بغداد. ومما جاء في تلك الرسالة :- "أنني أكتب لك من معسكر الأمير ابن رشيد قرب بركة الشاهية على درب زبيدة الممتد إلى بغداد على بعد ثلاثة أيام من حائل. بعد مغادرتي كربلاء، التي تمت بصعوبة كبيرة، سافرت مع بدو من شمر يقودهم ماجد بن عجل باتجاه جنوبي غربي. غادرت كربلاء في السادس والعشرين من يناير وظللت مع شمر لغاية الثاني عشر من فبراير. وفي ذلك التقينا بغتة بغزو كبير من عنزة في طريق للقتال مع ابن رشيد. لقد هاجم العزليون شمر ولكن قبل ان يتم التطويق فعلا انسلت مع رفاقي وعبرنا إلى خيم شيخ عنزة فهديك [الهدال] الذي قبل دخالتنا. استولت عنزة على كل الدواب والممتلكات. وكانت التحركات السابقة على ذلك هي أنه في وقت العيد [عيد الأضحى ١٣٢٧هـ / قرابة العشرين من ديسمبر ١٩٠٩] أخذت الرولة تحت قيادة النوري بن شعلان الجوف من ابن رشيد، بعد ان قتلت حاكمها ونهبت البلدة ثم عبرت النفوذ تاركة حامية في الجوف. وعلى آبار حائل Hayil (موجودة على الخريطة) أوقفها غزو لابن

(١) IOR, R/15/5/25, Loimer, Baghdad, to Shakespeare, Kawliet, dated 11-4-1910.

(٢) روى أن الجوف عادت طواعية لحكم ابن شعلان أمير الدولة. الزعاري، المرجع نفسه، ص

رشيد، ولكنها انجذت بالعمارات تحت قيادة فهديك والداهامشة، وحين قابلت جمعهم كان كتلة كبيرة من الرجال. تحركت معهم إلى بركة الجميمة على درب زبيدة وتوقفنا هناك لإتاحة الفرصة لتكامل التعزيزات. والتحق بالجمع هناك عدد من عرب المعدان في الفترات وكذلك رجال من عنزة أيضا. علم في ذلك الوقت أن ابن رشيد على مبعده يومين مع عدد قليل فقط من شمر. وفي السابع عشر من فبراير، وفي حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر، هاجمت جماهير من شمر مخيم عنزة الممتد عدة أميال. وبعد قتال جيد أندفع الشمريون داخل المخيم في الميمنة. أخذت ملجأ مع بعض الأسرى الشمريين [الدى عنزة] وانقذت أغلب أدواتي الشخصية عدا أشياء قليلة. هربت عنزة بأقصى سرعة وشمر في أثرها إلى أن حال الليل بينهم وبين شمر التي عادت ونهبت المعسكر. في صباح اليوم التالي لم يبق عدد من آلاف الخيم تلك. لقد كسرت عنزة تماما، فأرسل فهديك عرضا للسلام. الظاهر أن هذه الحركة من عنزة متفق عليها بينها وبين ابن سعود حاكم الرياض بهدف القضاء تماما على قوة ابن رشيد... ليست قوة ابن رشيد كبيرة جدا في الوقت الحاضر، ولكن هناك قليلا من الشك في أن هذا النصر على عنزة سوف يجلب عدة قبائل إلى صفه...".

وانتقل ليشتمان بعد ذلك إلى وصف لقاءته بحكام حائل، فقال :-  
"استقبلت مقابلة رسمية في اليوم التالي. سعود بن رشيد صبي في الثانية عشرة من عمره. .. الوصي عليه يدعى زامل بن سبهان وهو

رجل في الخامسة والثلاثين. .. قوبلت مقابلة كريمة جدا وسألني زامل شخصيا بعد ذلك عن هدفي في القدوم إلى شمر. فقلت بأنني قدمت من أجل السياحة، فقال :- "نحن نعلم أن مملكة انكلترة مملكة طيبة وقوية وأحسن من كل الممالك ونرغب في صداقتها، ونأسف لأن ديننا غير دينكم". لقد عبر عن هذا الرأي كل الرسميين الآخرين. .. لقد رجوني أن اكتب لك وصفا لنصرهم على عنزة وكذلك الكتابة للكوييت...<sup>(1)</sup> ولعل في هذه الفقرة ما يرد على التساؤل الذي طرح سابقا عن أسباب حرص سليمان البسام على ابلاغ السلطات البريطانية بانتصارات حائل. فقد كان ذلك انعكاسا لتوجه لدى حكام حائل في هذه الفترة لكسب ود بريطانيا وإن كانت مشاعرهم الدينية وحرصهم على علاقتهم بالعثمانيين تعرقل تطوير هذا التوجه ووصوله إلى نتائج عملية محددة.

ويبدو أن نشاط ابن رشيد هذا كان يقابل بارتياح من قبل السلطات العثمانية. إذ روى القنصل البريطاني في جدة أن جريدة "الحجاز" نشرت في الحادي العشرين من أبريل ١٩١٠ نص رسالة وجهها وكيل الوالي المشير عبد الله باشا إلى ابن رشيد. ومما جاء فيها :- "استلمنا رسالتكم وتحدثنا مع رسولكم، وشمنا مسرورين شذى شجاعة ليوث الصحراء العربية... عارفين بإخلاصكم للخلافة والحكومة العثمانية. وسررنا سرورا كبيرا لما انزلته بالعصاه البدو من تأديب وعقاب حسبما أفدت، وهو واجب كل المسلمين والرعايا المخلصين طبقا لنص القرآن، أن هدف سلطاننا وحكومته هو القضاء على الظلم ونشر العدل والمساواة وضمنان رخاء الرعايا. ولقد أرسلت لأداء واجب الحكم

(1) IOR, R/15/5/25, Mr.G.E. Leachman to Mr.J.G. Lorimer, dated 22-2-1910.

وتقديم الخدمة الضرورية لك ولكل مسلم. ولتعلم أن دار الحكومة مشرعة الأبواب دائما وأن إذن الشفقة هنا مستعدة باستمرار للإصغاء لندائك، وأن يد العدالة ستحرس حقوقك، وإنك ودبعة من الله تحت رعايتي. لذا عليك أن تخبرني عن حاجات سعادتك اللازمة لضمان أمنك، وسنقوم حالا بما هو مطلوب بإذن الله. انقل سلامي لأفراد قبيلتكم اخواننا في الدين". وعلق القنصل على الرسالة بالقول أن الجريدة لم تنشر إلى ظروف أو مناسبة إرسالها، ولكنه علم من مصادر معلوماته أن رسول ابن رشيد الذي جاء إلى مكة قدم طلبا للسلطات العثمانية للمساعدة أو التوسط في قضية الجوف الذي سيطر عليه الرولة القاطنون في الأراضي السورية تحت حكم الحكومة العثمانية. وقد عاد الرسول إلى حائل حاملا الرسالة أعلاه دون أن تنتج نتيجة مباحثاته مع السلطات العثمانية في مكة<sup>(1)</sup> ولعل ذلك هو ما جعل السلطات العثمانية تعمل على إرضاء ابن رشيد في هذا الوقت حيث زادت مخصصاته الشهرية من مائة وخمسين إلى مئتي ليرة شهريا، كما منحته وساما ولقب "أمير الأمراء"<sup>(2)</sup>.

وإزاء ذلك النشاط الواضح الذي كان ابن رشيد يبديه، فلا بد أن خصمه ابن سعود كان يتحرك بشكل معاكس، إلا إذا كان شيء ما قد شغله. وهو ما كان بالفعل. إذ روى لبيشمان أن أخبارا وصلت إلى مخيم ابن رشيد في الحادي والعشرين من فبراير تقيد بوجود حالة حرب بين "الأخوة" المتنافسين داخل البيت السعودي. وإن تلك الحالة

(1) IOR, R/15/5/25, No. 30, ---

(2) IOR, R/15/5/25, Lorime, Baghdad, to Shakespear, Kowite, dated 22-2-1910.

هي التي ربما منعت ابن سعود من مضايقة ابن رشيد منذ زمن (١) وصحح المقيم السياسي البريطاني في بغداد تلك المعلومة بالقول إن الخلافات لم تكن بين ابن سعود وأخوته، وإنما بينه وبين بعض أفراد الأسرة الحاكمة في نجد. وذكر أن تلك الخلافات تساعد أمير جبل شمر في نضاله ضد العائلة السعودية (٢). وتصحيح المقيم كان دقيقاً بالفعل، إذا كانت الخلافات بين الأمير عبد العزيز آل سعود ومجموعة من أقربائه أحفاد سعود بن فيصل، وهم الذين دعوا بـ "العرائف" (٣).

ولا يجوز هنا التوهم بأن نشاط ابن رشيد ذلك قد أعطاه هيمنة كاملة على قبائل نجد، فأصبح في موقع الرجل الذي لا يقهر. إذ تظهر الأحداث أنه تعرض لانكسارات على أيدي بعض القبائل حتى وهو في أوج نشاطه هذا. فقد أعد ابن رشيد قواته واستعد لشن غارة على قبيلة مطير القوية. وكان في أواخر مارس ١٩١٠ على آبار الهليبة على مسافة يوم واحد غرب حفر الباطن في طريقه نحو هدفه (٤) ولكن الاشتباك بين الطرفين الذي جرى حوالي الأول من أبريل في الصحن أسفر عن هزيمة ابن رشيد وخسارته لتسعين من خيله غنمها قبيلة مطير (٥) وفي غزوة أخرى شنها ابن رشيد على قبيلة عتيبة في الشهر

---

(1) IOR, R/15/5/25, Mr. G.E Leachman 22-2-1910

(2) IOR, R/15/5/25/ Lorimer 11-4-1910.

(٣) للتعرف على حركتهم تراجع أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ط٦، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٨١.

(4) IOR, R/15/5/25 Extracts Form Diary No. 13 of the Kowite Political Agency for week ending 30th March 1910.

(5) IOR, R/15/5/25 Extracts Form Diary No. 15 of the Kowite Political Agency for week ending 13th April 1910

التالي كان الاخفاق حليفه ايضا، حيث غنمت منه عتية حوالي مائتين من الخيل علاوة على ممتلكات أخرى<sup>(١)</sup>.

ويؤكد عدم هيمنة ابن رشيد الكلية على الموقف عجزه عن استعادة الجوف من الرولة فعلى الرغم من انتصاره الكبير على عنزة في شهر فبراير ١٩١٠ ظل الجوف باقيا بيدي النوري بن شعلان شيخ الرولة<sup>(٢)</sup>. وهذا ما جعل ابن رشيد يجدد أنشطته الحربية ضد قبيلة عنزة، حيث شن عليها حملة جديدة بالاشتراك مع قبيلة مطير قرب حوران وتيماء وغنم منها غنائم ضخمة، وكان ذلك في غضون شهر يونيو ١٩١٠<sup>(٣)</sup> وقد ارسل ابن رشيد أخبار غارته تلك إلى وكيله في بغداد جاد الله الدخيل معلما أياه أن شمر أدبت قبيلة عنزة مرة ثانية بجوار سكة حديد الحجاز. وعلق المقيم السياسي البريطاني في بغداد على تلك المعلومة بقوله :- "ما يزال الجوف على أية حال تحت سيطرة الشيخين النوري ونواف من قبيلة الرولة من عنزة، اللذين استولوا عليه منذ بضعة شهور مضت. إن موقف ابن رشيد تحسن كثيرا من جراء انتصاراته على عنزة، وفي الموثوق به الآن توقع استعادته للجوف قريبا، وبعد ذلك يجدد صراعه القديم مع ابن سعود، الأمير الوهابي للرياض، حول السيادة على نجد. أن محك السيادة تلك هو السيطرة على القصيم المثيرة للجدل والتي تقع بين حائل والرياض، وهي الآن ومنذ عدة

---

(1) IOR, R/15/5/25 Extracts Form Diary No. 20 of the Kowite Political Agency for week ending 18th May 1910.

(2) IOR, R/15/5/25 Extracts Form Diary No. 16 of the Kowite Political Agency for week ending 20th April 1910.

(3) IOR, R/15/5/25 Extracts Form Diary No. 26 of the Kowite Political Agency for week ending 29th Jun 1910.

سنوات بأيدي آل سعود. ويقال أن عددا من قبائل البدو تأتي في أصقاع نائية لابن رشيد الذي تعتبر إمكاناته أكثر اشراقا من تلك التي كانت لوالده (عبد العزيز) في كل مكان" (١).

ولم يصدق توقع المقيم بان الصراع المباشر بين حائل والرياض سوف يتأجل ريثما يستعيد ابن رشيد الجوف، إذ أن ذلك الصراع قد تجدد بالفعل قبل استعادته. ولكن توقعه الآخر بأن يكون محور الصراع في القصيم ثبتت صحته. إذ قام ابن رشيد بشن غارة على أراضي ابن سعود في غضون شهر مايو ١٩١٠. وقد وصل في غارته تلك إلى "الشبرمة" على مسيرة ثلاثة أو أربعة أيام جنوب بريدة عاصمة القصيم، واستطاع الاستيلاء على بيت مال ابن سعود هناك ثم قفل راجعا إلى حائل. ولكنه كتب قبل عودته رسائل إلى أهالي القصيم يعلمهم بأنه غدا سيدهم الأعلى لان ابن سعود تخلى عن أمورهم وما فيه صلاحهم لمبارك الصباح. وقد قام اهل القصيم بإنقاذ تلك الرسائل إلى ابن سعود مع التماساتهم بأن يعود إلى القصيم (٢). ويستشف من العبارة الأخيرة التي أوردتها يومية وكالة الكويت البريطانية أن ابن سعود ربما كان في غضون هذا الوقت مغاضبا لزعماء القصيم فتركهم وشأنهم ليذوقوا نار خصمه ويعودا له مستغيثين.

ويلاحظ هنا أن رد فعل ابن سعود كان سريعا وقويا، وبشكل مختلف عن ردود أفعاله تجاه غزوات ابن رشيد السابقة. وذلك شيء

---

(1) IOR, R/15/5/25 No. 572 of 1910, Political Resident in Turkish Arabia, Baghdad, to the Political Agent, Kowite, dated 9-7-1910.

(2) 'OR, R/15/5/25 Extracts Form Diary No. 20 --- 18th May 1910.

طبيعي لأن تلك الغزوات على الرغم من أن محصلتها النهائية كانت  
تضر بمصالح ابن سعود بيد أنها لم تكن موجهة ضده مباشرة، بل  
طالت قبائل يمكن عدها متعاطفة معه. أما حين أصبح الهجوم مباشراً  
ضد أراضيهم فلم تمنعه كل مشاغله عن الرد السريع. إذ وصل رسول  
من ابن سعود إلى مبارك في الأسبوع الثاني من شهر يوليو ١٩١٠  
يفيد بأن ابن سعود غزا عشيرتي الحميدان وبنى درويش من قبيلة  
مطير وعشائر أخرى من قبيلة شمر، وغنم منها حوالي أربعة آلاف  
جمل وممتلكات أخرى. وقد وقعت الغزوة قرب آبار "أذين المخل  
Athain ul Makhal الواقعة في أراضي ابن رشيد في منتصف الطريق بين  
بريدة وحائل"<sup>(١)</sup> وقد تأكدت تلك الأنباء لدى الوكالة السياسية البريطانية  
في الكويت، حيث عرف أن هجوم ابن سعود كان مؤلفاً من شعبتين،  
قاد هو أحدهما بنجاح وتوغل إلى مسافة يومين شرق حائل. بينما قاد  
أخوه محمد بن عبد الرحمن الثانية التي تكونت فعالياتها من غزوتين  
ناجحتين ضد قبيلتي حرب وعتيبة إلى الجنوب الغربي من حائل على  
الطريق الذي تسلكه القوافل بين تلك البلدة والمدينة المنورة<sup>(٢)</sup>.

وقد أدى تجدد الصدام المباشر بين الطرفين إلى نشاط  
الوساطات بينهما من قبل الأطراف الإقليمية المجاورة. وكان أول  
المتوسطين هو الشيخ مبارك الصباح الذي مر سابقاً أن سياسته كانت  
الإبقاء على التوازن بين الجانبين، فلما رأى أن ذلك التوازن أخذ  
يضطرب نشط للتدخل. وقد علل المقيم السياسي البريطاني في بغداد

(1) IOR, R/15/5/25 Extracts Form Kowite news for the week ending 13th July 1910.

(2) IOR, R/15/5/25 Extracts Form Kowite news for the week ending 27th July 1910.

سلوك الشيخ مبارك بكونه أصبح متعبا من تحالفه مع ابن سعود مما جعله يميل إلى صداقة ابن رشيد. وأضاف أن سياسته الحالية هي السعي إلى التوفيق بينهما<sup>(١)</sup> هذا من جانب ومن جانب آخر فقد بذل شريف مكة مساعيه الحميدة لإعادة العلاقات الودية بين الحاضرتين<sup>(٢)</sup>. ونتيجة لذلك المسعى المزدوج فقد أقيم السلام بين ابن سعود وابن رشيد في أواخر شهر أغسطس ١٩١٠<sup>(٣)</sup> ولم تنكر المصادر المتاحة شروط صفقة السلم تلك.

ويجدر التعرف هنا على موقف السلطات العثمانية تجاه مسار الأحداث في نجد خلال تلك الشهور الحافلة بالتطورات. وكان المقيم السياسي البريطاني في بغداد معنيا بمتابعة ذلك الموقف، فكتب في التاسع من يوليو ١٩١٠ :- "أقترح ناظم باشا، والي بغداد الجديد، على جار الله الدخيل مؤخرا ضرورة زيارة ابن رشيد له في بغداد. فرد الوكيل بأنه يخشى أن يكون من المستحيل على الأمير ترك إقليمه ما دامت اموره باقية في وضعها الحالي غير المستقر، ولكنه يظن بأنه سيكون بمقدور الامير ارسال مبعوث مناسب بدلا عنه. قبل الوالي الاقتراح، وعلم بأنه قد تم الترتيب لأن يوفد ابن رشيد في القريب شيئا اسمه ابراهيم بن سبهان ليزور الباشا في بغداد زيارة رسمية. علاقات الترك مع ابن رشيد أو "سعود باشا" كما يسمونه تبدو ودية وعلى الأخص في الوقت الحاضر. قيل بأنهم يدفعون الآن مائتين وخمسين

(1) IOR, R/15/5/25 No. 572 of 1910, --- 9-7-1910.

(2) IOR, R/15/5/25 Extracts Form Kowite news for week ending 31st August 1910.

(3) IOR, R/15/5/25 No. 823 of 1910, the Political Resident in Turkish Arabia, Baghdad, to the Political Agent, Kuwait, date 19-9-1910.

ليرة تركية شهريا له ولاخته جوزه، وإن الهدايا تتبادل بين الطرفين احيانا. ومن ناحية أخرى قيل أن المخصصات التي كانت تدفع سابقا لعائلة ابن سعود زعيم الرياض قد قطعت<sup>(١)</sup> وليس من الواضح ما إذا كانت رغبة الوالي الجديد بمقابلة ابن رشيد جاءت وليدة حرصه على تزويده بتعليمات محددة أو لمعالجة قضية معينة، أو أنها كانت فقط من أجل توثيق العلاقة معه، سيما وأن الوالي الجديد دأب منذ وصوله لبغداد على مقابلة شيوخ القبائل في المناطق الخاضعة لإشرافه<sup>(٢)</sup>. لقد مال المقيم البريطاني في بغداد الترجيح الاحتمال الأول حين كتب :- "يفترض أن والي بغداد كتب إلى ابن رشيد حوالي بداية يوليو طالبا منه سرعة ارسال اثنين من أفراد عائلته إلى بغداد. إن كان ذلك صحيحا فربما كان الأمير لا يساير طلبات الوالي، وإن الشك بداية أوقض في ذهن الأمير، وإن هناك بعض الأساسي لروايات عن للمفاوضات بين حائل والرياض والكويت. أخبرني الوكيل السياسي البريطاني في الكويت بأن والي البصرة يبدو شاغلا نفسه بوضع الكويت<sup>(٣)</sup> وعلى الرغم من تلميح المقيم هذا بأن رغبة الوالي مرتبطة بالوضع بين تلك الحواضر الثلاث إلا أن ابن رشيد استجاب لرغبة والي بغداد فأوفد رسولا له يدعى ناصر باشا الخشمان حيث قام بتهنئة الوالي بمنصبه الجديد ثم عاد إلى حائل<sup>(٤)</sup>. مما يدل على أن الأمر لا يعدو أن يكون مجاملة بين الطرفين.

(١) IOR, R/15/5/25 No. 572 of 1910, --- 9-7-1910.

(٢) خالد السعدون، الأوضاع القبلية في ولاية البصرة العثمانية، الكويت، ١٩٨٨، ص ٩٣.

(٣) IOR, R/15/5/25 No. 716 of 1910, The Political in turkish Arabia, Baghdad, to the Political Agent, Kowite, dated 18-8-1910.

(٤) IOR, R/15/5/25 No. 823 of 1910, The Political in turkish Arabia, Baghdad, to the Political Agent, Kowite, dated 19-9-1910.

ويبدو ان اتفاقية السلام بين الرياض وحائل قد مكنت ابن رشيد من التفرع لمباشرة بعض المهام التي كانت الدولة العثمانية تنيطها بأسلافه. إذ كانت الحكومة توكل إمارة الحج العراقي لابن رشيد كسي تسافر قوافل الحج السنوية تحت حمايته. وقد أوفد ابن رشيد أحد أقاربه ليمهد لاستئناف سير تلك القوافل، حيث وصل بغداد في بداية اكتوبر ١٩١٠<sup>(١)</sup>. وقد وصف المقيم السياسي البريطاني في بغداد جهود ذلك الموفد وهو ابراهيم السبهان، فقال :- "إنه قدم نيابة عن أمير حائل تعهدات مكتوبة بسلامة وحسن معاملة الحجاج الذين سيرافقونه إلى القائ مقام التركي [بلدة النجف] والي المجتهدين سيد كاظم يزدي وملا كاظم خراساني. دخل الحملارية<sup>(٢)</sup>، أو وكلاء نقل الحجيج في النجف، بناء على ذلك، باتفاقية معه، وسلموه ثلاثمائة حاج نصفهم من الفرس والبقية من العرب المحليين. بينما أحجم حملارية الكاظمين عن الاتفاق معه متذرعين بنقص الثقة. غادرت القافلة النجف نحو مكة في الثالث عشر من نوفمبر بقيادة "أمير الحج" ابراهيم. إنها المرة الأولى منذ سنوات، كما اعتقد، التي تنظم فيها ترتيبات مرافقة الحجاج في ما بين النهرين إلى الحجاز من قبل ابن رشيد. لقد كانت هناك سابقا قافلة سنوية محمية من قبله، ولكنها توقفت خلال الحرب الطويلة الأخيرة بين عائلته وعائلة ابن سعود. الوضع العام في نجد طبقا للمعلومات التي يمكن الحصول عليها هنا هو ان هناك حلفا بين أمير حائل وشيخ الكويت موجها جزئيا ضد أمير الرياض ابن سعود الذي يفقد مواقع

(1) IOR, R/15/5/25 No. 1000 of 1910, The Political in turkish Arabia, Baghdad, to the Political Agent, Kowite, dated 15-11-1910.

(٢) جمع 'حملة دار' وهي كلمة فارسية تعني قائد الحملة أو المسؤول عنها.

من جراء هذا الاتحاد ونتيجة للنزاع الذي نشب في عائلته. مازال ابن رشيد يكسب مواقعاً، ولكن الجوف وسكاكا التي انتزعتها عنزة منه لازالت تحت سيطرة تلك القبيلة<sup>(١)</sup>.

كما مكن الصلح المشار إليه أعلاه ابن رشيد من التفرغ لمواصلته صراعه المسلح مع قبيلة عنزة من أجل استعادة الجوف. ففي غضون شهر أبريل سنة ١٩١١ شن ابن رشيد غزوة ناجحة على تلك القبيلة في صحراء الحماد في جنوب غرب بغداد، فانتصر عليها وكبدها خسائر فادحة حسبما جاء في رسالة بعثها زامل السبهان إلى الكويت<sup>(٢)</sup> وشن خلال الشهر التالي هجوماً آخر على الرولة وهتيم إلى الغرب من حائل، في حين عبأ عدداً كبيراً من رجال قبيلة شمر النازلين على الأبار الواقعة إلى الشرق من درب السماوة. وقد علل الوكيل السياسي البريطاني في الكويت سبب تلك التعبئة بأنه تمهيد لغزوة أخرى يشنها على قبيلة عنزة في الشمال<sup>(٣)</sup>.

وإذا كانت الظاهرة البارزة في تاريخ إمارة حائل في الفترات السابقة هي ظاهرة احتدام الصراع داخل البيت الحاكم، فإن فترة حكم سعود بن عبد العزيز الرشيد لم تخل من هذه الظاهرة أيضاً. فقد قاد المعارضة الداخلية لحكم الأمير الصبي وأخواله من آل سبهان كل من فيصل بن حمود العبيد الرشيد، أخي الأميرين القتيلين السابقين

---

(1) IOR, R/15/5/25 No. 1100 of 1910, The Political in Turkish Arabia, Baghdad, to the Political Agent, Kowite, dated 15-12-1910.

(2) IOR, R/15/5/25 Extracts From Kuwait news For Week ending 10th May 1911.

(3) IOR, R/15/5/25 Extracts From Kuwait news For Week ending 25th May 1911.

سلطان وسعود، وابن عمه ضاري العبيد الرشيد. ويبدو أن سيطرة آل سبهان على مقاليد الأمور في حائل كانت محكمة لدرجة لم تتح لهما فرصة التحرك داخل الإمارة، ولذلك اتجها للعمل المعارض من خارجها. ففي غضون شهر نوفمبر ١٩١٠ وصل فيصل إلى الكويت بصحبة خمسة وعشرين مرافقا جالبيين معهم هدية لمبارك الصباح أربعة خيول. وكان فيصل قبلها مع ابن عمه ضاري يتجولان في إمارات الخليج العربي، فزارا الشيخ جاسم بن ثاني شيخ قطر الذي أهداهما ألفي روبية وأربعة ركائب. ثم انتقلا من قطر إلى العجيرة، ومن هناك أرسل كل ممتلكاتهما إلى الإحساء واتجها إلى البحرين حيث نزلا ضيفين على الشيخ عيسى بن خليفة الذي قدم لهما بعض الهدايا أيضا. ثم افترقا في البحرين حيث ذهب ضاري إلى مسقط لمقابلة سلطانها، بينما اتجه فيصل إلى الإحساء ومنها إلى الكويت. وإذا كان هدفهما المرجح من تلك الجولات هو حشد التأييد لهما ضد أمير حائل، فإن من الأولى أن ينشدا ذلك التأييد من ابن سعود خصم حائل التقليدي قبل غيره. وذلك هو ما حدث بالفعل على حد ما ذكره الوكيل السياسي البريطاني في الكويت حين كتب :- "ذكر أن ابن سعود كان يريد من فيصل وضاري أن يستقرا في حائل ويتوليا حكمها ولكن في هذا الوقت سوى ابن رشيد وابن سعود خلافتهما، ولم يدع ذلك فرصة لتعزيز أهداف فيصل وضاري في حائل. ولذلك اقترح ابن سعود عليهما البقاء في حائل أو الذهاب إلى أي مكان آخر يرغبان فيه لأنه غير مستعد لإيوائهما في أراضيه". وأضاف الوكيل قائلاً أن الرأي السائد هو أن ضاري سيعود من عمان بحرا إلى الكويت، ثم يتجه هو و فيصل إلى

الجوف لرؤية ابن شعلان شيخ الرولة الذي مازال مسيطرا على تلك البلدة<sup>(١)</sup>.

ولم يغادر الشيخان المذكوران الكويت إلا بعد قرابة سنة، حيث اتجها في سبتمبر ١٩١١ نحو الشمال. ورجح الوكيل السياسي البريطاني في الكويت أن تكون وجهتهما هي قبيلة الظفير للتسيق معها، ثم يتجهان بعدها إلى قبيلة الرولة لممارسة الكيد لأمير حائل<sup>(٢)</sup>. ولكن ثبت فيما بعد أن وجهتهما الحقيقية كانت الاستقرار لدى قبيلة عبدة في شمر. ذكر الوكيل السياسي البريطاني في الكويت الذي نقل ذلك الخبر أن عبدة لا تميل إلى آل سبهان على الرغم من استعدادها للاعتراف بإمارة الصبي سعود على حائل. وأضاف أن عبدة في الوقت نفسه على علاقة جيدة مع قبيلة الظفير التي تناصب حائل العداء<sup>(٣)</sup>. وعلى الرغم من نشاط الشيخين المعارضين ذلك فيبدو أن سيطرة آل سبهان على الأمور في حائل جعلت تلك المعارضة غير ذات جدوى. حيث لم يرد في المصادر المتاحة ما يشير إلى أن الشيخين المعارضين حقا لقضيتهما أي تقدم أو أنها شكلا تهديدا جديا لاستقرار الحكم في حائل، مع أنه قد أشيع في هذه الأونة أن خلافات نشبت داخل عائلة آل سبهان فقد ذكر أن زامل السبهان، الوصي على الأمير سعود، ظل على إخلاصه للأمير الصبي، في حين أن خازن بيت مال الإمارة ناصر

---

(1) IOR, R/15/5/25 Extracts From Kuwait news For Week ending 9th November 1910.

(2) IOR, R/15/5/25 Extracts From Kuwait news For Week ending 20th Septmber 1911.

(3) IOR, R/15/5/25 Extracts From Kuwait news For Week ending 26th Septmber 1911.

السبهان يتطلع إلى طرد ابن رشيد ونقل السلطة إلى عائلة آل سبهان<sup>(١)</sup>. ولعل تلك الشائعات مجرد جزء من الحملة التي كان يشنها المعارضون وفي مقدمتهم فيصل وضاري من أجل تجريد آل سبهان من تأييد قبيلة شمر وإظهارهم أمامها بمظهر المتآمرين الذين يسعون لاغتصاب السلطة.

ولم تشغل تلك المعارضة غير الفعالة ابن رشيد عن الانصراف لأمر أخرى تعلق من شأن إمارته في محيطها الإقليمي وتقوى ساعدها بحلفاء خارجيين. ومن ذلك تعزيزه لتحالفه مع عجمي السعدون، شيخ المنتفق في العراق، وهو ما دفعه للسير نحو العراق لنجدة حليفه ضد قبائل الظفير في مارس ١٩١٢. وفي أبريل ١٩١٤ كان ابن رشيد زائرا لحليفه عجمي في مضاربه قرب بلدة سوق الشيوخ، وقد التقى أثناء تلك الزيارة بوالي البصرة الجديد سليمان شفيق باشا<sup>(٢)</sup>. وروى المقيم السياسي البريطاني في بغداد أن الوالي استفسر عن ابن رشيد خلال لقائهما عما إذا كان قادرا. عند الضرورة. على استرجاع الاحساء للحكم العثماني. فرد ابن رشيد على الاستفسار بالإيجاب إذا أمدته الحكومة بمائتي جندي نظامي. وذكر المقيم أن فحوى ذلك الحوار تسربت لابن سعود الذي أعلم على أثرها ابن رشيد وعجمي بأنهما لم يعودا صديقين له وعليهما أن يتوقعا المتاعب من جانبه<sup>(٣)</sup>. ولا ريب أن ذلك الموقف الذي اتخذته ابن سعود تجاه ابن

(١) IOR, R/15/5/25 Extracts From Kuwait news For Week ending 20th Septmber 1911.

(٢) السعدون، الأوضاع القبلية في ولاية البصرة العثمانية، ص ١٥٤ و ص ٢٠٥.

(٣) IOR, R/15/5/25 Summary of events in Turkish Trap during May 1914.

رشيد لم يكن نتيجة لذلك الحوار فقط، بل ونتيجة لما تلاه الأخبار قبلا عن إمداد الحكومة العثمانية لابن رشيد في أوائل فبراير ١٩١٤ بعشرين ألف بندقية ماوزر وعدد من المدافع المتنوعة ثم إيفادها له بعد ذلك وفدا من عدة ضباط لمناقشة أمور تتعلق بنجد والعراق. وقد كان الوفد يحمل معه بندق جديدة علاوة على سيارة مهدها للأمير من الحكومة. وقد علق المقيم السياسي البريطاني في بغداد، وهو ينقل تلك المعلومات، قائلا أن الحكومة العثمانية ربما تأمل في إشراك ابن رشيد في حملة تستعيد لها الاحساء من ابن سعود. وفي غضون هذا الوقت كان ابن سعود يحشد تأييد شيوخ القبائل المهمة في نجد خلفه ويتيقن من استمرار ولائهم له<sup>(١)</sup>. وربما جاء ذلك إدراكا منه للأخطار التي غدت محيطة به بعد تلك التحركات كلها.

### □ الصراع بين الرياض وحائل أثناء الحرب العالمية الأولى:

وهكذا كانت العلاقات بين الحاضرتين قد عادت إلى التوتر خلال الشهور التي سبقت نشوب الحرب العالمية الأولى في أوروبا. وكان الاشتراك المحتمل للدولة العثمانية في تلك الحرب قد جعل كلام العثمانيين والبريطانيين حريصين على كسب ولاء القوى المحلية وضمأن وقوفها إلى جانبهم. ولقد بذل الجانبان جهودا حثيثة لإقناع ابن رشيد وابن سعود بالتعاون معهما. أما بالنسبة للأول فيبدو أنه قد حدد منذ البداية موقفه صريحا وواضحا من الحرب المتوقعة وهو الوقوف خلف الدولة العثمانية دون تحفظ. ولعل ذلك يفسر خطو الوثائق

(1) IOR, R/15/5/25 Summary of events in Turkish Trap during February and March 1914.

البريطانية المتاحة من ذكر أية محاولة قام بها الجانب البريطاني لكسب ود ابن رشيد، خاصة في الفترة التي سبقت دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا<sup>(١)</sup>.

. أما فيما يتعلق بابن سعود فقد تسابقت الدولتان على إقناعه بالتعاون. إذا استلم في أواخر أكتوبر ١٩١٤ برقية من أنور باشا، وزير الحربية العثماني، تحثه على التخلي عن استعداداته لشن حملة ضد ابن رشيد، وأن يجمع كل القوات الموجودة تحت قيادته ويقدم بها لمساعدة الحكومة العثمانية في الدفاع عن البصرة. وقد رفض ابن سعود الاستجابة لذلك الطلب، وعلل رفضه بالأمرين التاليين :-

١- أنه يرفض التخلي عن العمليات الحربية ضد ابن رشيد إلى أن يقبل الأخير النزول إلى مرتبة التابع له.

٢- أنه لا يستطيع التوجه نحو البصرة لكونه شخصياً مشغولاً مع قواته بتلك العمليات.

وعلق الوكيل السياسي البريطاني في الكويت على ذلك الرد بقوله أن حملة ابن سعود الحالية ضد ابن رشيد توفر له عزراً ملائماً لرفض معونة الترك في الحرب الحالية<sup>(٢)</sup>. ولم ييأس ذلك الرد الحكومة العثمانية، بل والت إيفاد الرسل لابن سعود لإقناعه بإتمام الصلح مع

---

(١) خالد السعدون، موقف إمارة حائل في الحرب العالمية الأولى، مجلة الدارة، السنة التاسعة، العدد الثاني، محرم ١٤٠٤هـ / أكتوبر ١٩٨٣، ص ص ٢٩-٣٩.

(2) IOR, R/15/5/25 No. c. 48/49 of 1914, Political Agent, Kuwait, to the Political Resident in the Persian Gulf, Bushire, dated 1-11-1914.

خصمه. ولكنه أصم أذنيه عن سماع تلك النداءات<sup>(١)</sup>.

ومن جانب آخر استقر رأى الحكومة البريطانية على إيفاد الكابتن  
وليم شكسبير Shakespear مبعوثاً منها إلى ابن سعود لإقناعه بالتزام  
الجانب البريطاني. وكانت قبل ذلك قد قامت بمحاولة أخرى تهدف  
للنتيجة ذاتها عن طريق مبارك الصباح شيخ الكويت<sup>(٢)</sup>. وقد اتجه  
شكسبير بالفعل إلى نجد للقاء ابن سعود، حيث وجده في معسكره في  
"الخفس" يستعد لمهاجمة ابن رشيد. وبعد اجتماعه بأبن سعود ودراسته  
للموقف عن قرب، كتب شكسبير إلى مراجعه تقريره الأول الذي جاء  
فيه :- "قبل الإقدام على معالجة علاقات ابن سعود مع الحكومة  
البريطانية سيكون من المفيد إعطاء خلفية تشرح علاقاته الحالية مع  
جيرانه.

إن ابن سعود مع كل الزعماء العرب الآخرين تسلم التماسات  
متكررة من الباب العالي لإعلان الجهاد ضد البريطانيين. وكان الدور  
المخصص له هو حماية البصرة وبغداد والدفاع عنهما ضد أي تقدم  
بريطاني في جنوب ما بين النهرين. وكان على ابن رشيد أن يضم  
قواته إلى الرولة (عزة) والحويطات وبني صخر والشرارات والقبلائل  
الغربية الأخرى المجاورة لسكة حديد الحجاز، ويتحرك معها نحو شبه  
جزيرة سيناء ومصر. بينما كان على شريف مكة والإمام يحيى والسيد  
الإدريسي تأمين ساحل البحر الأحمر والدفاع عن الأماكن المقدسة

(١) مكي شبكية، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، بيروت، ١٩٧٠، ١،  
ص ٤١.

(٢) خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، الرياض، ١٩٨٣، ص ص ١٥٠ - ١٥١.

والموائئ الأخرى في الحجاز واليمن. اخفقت الخطة للأسباب نفسها التي أخفقت فيها محاولة التحريض على الجهاد... فالحكومة العثمانية فشلت في أن تأخذ في الحسبان السخط الذي سببته سياستها خلال السنوات الخمس الأخيرة في بلاد العرب. وفشلت في إدراك عدم إمكانية قيام عمل موحد بين القبائل دون تسوية ثابتة كثيرا أو قليلا لنزاعاتها وعداوتها وغيرها من بعضها البعض.

وفشلت في إدراك أن الحماس الديني لا يمكن خلقه بالحجج الواهية التي قدمت. كانت النتيجة أن الزعماء نشاوروا فيما بينهم قبل التحرك وتوصلوا بصورة جلية إلى استنتاج مفاده أنه سيكون مفيدا لهم انتظار تطورات الاحداث أكثر من التزام القضية التركية. قرر ابن سعود وشريف مكة وشيوخ قبيلة عنزة الكبيرة في بلاد العرب الشمالية الاتحاد فيما بينهم والبقاء على اتصال مستمر.

ابن سعود وابن رشيد كان على علاقة سيئة منذ الصيف، ولأن الأول كان قد صمم على بدء الاعمال العدائية حالما يسمح الطقس، فإنه أخبر شيوخ عنزة في الشمال عن نواياه وحصل على وعد منهم بمساندته ضد ابن رشيد.

ومضى شكسبير في تقريره قائلا :- "أخبر ابن سعود في الوقت نفسه الحكومة التركية بأنه نتيجة كونه في نزاع مع ابن رشيد يستحيل عليه التحرك شمالا لحماية ما بين النهرين تاركا نجدا عرضة للهجوم، إلا إذا تحرك ابن رشيد نحو مصر. ولكونه وجد بهذه الطريقة عذرا شرعيا لعدم اتخاذ عمل يبرح تعارضه مع الأهداف البريطانية في

العراق، فقد شرع في استعداداته لحملة ضد ابن رشيد ذات هدف مزدوج هو منعة من أي تقدم نحو مصر وتنفيذ خطته الأصلية الرامية لسحقه.

أن ابن رشيد الآن ذو شأن قليل جداً، فهناك نزاعات متكررة بين قبائله وليست لديه القوة للسيطرة عليها، بينما نقل بعضها ولاءه بالفعل إلى ابن سعود. جمع ابن سعود في معسكره حوالي ثلاثة إلى أربعة آلاف رجل من الحضر ولديه كل بدو قبيلتي مطير والعجمان رهن إشارته. وأصدر الأوامر بالتحاق أربعة آلاف من الحضر الآخرين بقواته خلال الأيام القليلة القادمة. أن استعداداته تجرى على نطاق لم تتم تجربته منذ ١٩١١ [الأصح ١٩١٠] حين قام شريف مكة بتحريض من الترك بغزوته في الوشم. سيتحرك ابن سعود خلال الأسبوع وهو يامل أن يجد ابن رشيد ويسحقه قبل نهاية يناير ما لم يكن الأخير قد تحرك غرباً، وفي هذه الحالة فأن خططا أخرى ستوضع<sup>(١)</sup>.

ويتضح من الحماس الذي تحدث به شكسبير عن حملة ابن سعود ضد ابن رشيد مدى تحامل البريطانيين ضد الأخير، وهو يعكس بلا ريب بأسهم في هذه الفترة من كسب ابن رشيد إلى جانبهم. ولم يلبث شكسبير طويلاً قبل أن يلحق تقريره السالف بتقرير آخر قارن فيه ميزان القوى بين الخصمين قبيل صدامهما الوشيك. فقال في تقريره المؤرخ في السادس عشر من يناير ١٩١٥ ان قوات ابن سعود تكاملت بشكلها الأخير فبلغت ستة آلاف رجل من الحضر إضافة إلى قبائل

(1) IOR, R/15/5/25 No. S. 13 of 1915, Captain W.H.I. Shakespear to the Political Resident in the Persian Gulf, Bushire, dated 4/1/1915.

العجمان ومطير وحرب. في حين كان مع خصمه سبعمائه رجل فقط من الحضر وقوة كبيرة من أفراد قبيلة شمر. وكان ابن رشيد معسكر على بعض الآبار التي تبعد خمسة وعشرين ميلا عن مخيم ابن سعود الذي كان يوشك على تحريك مخيمه خمسة عشر ميلا للأمام وعندها يهاجم خصمه. ونقل شكسبير الاعتقاد العام السائد بحتمية انتصار ابن سعود في المعركة القادمة<sup>(١)</sup>.

ولكن ذلك الاعتقاد العام ثبت فساده، فقد جرت بين الطرفين في "جراب" معركة عنيفة غير حاسمة، كان من جملة ضحاياها الكابتن شكسبير نفسه. وقد لخص السير برسي كوكس Cox، رئيس الضباط السياسيين المرافقين للحملة البريطانية في العراق نتائج تلك المعركة في برقية أرسلها إلى حكومة الهند، جاء فيها: - "الموقف في بلاد العرب المركزية كالآتي: - يدعى ابن سعود أنه هزم ابن رشيد هزيمة تامة. ولكن الروايات المستقلة تفيد بأن الجانبين كليهما تحملا خسائر كبيرة وأن كلا منهما تراجع لمواقعه، الأول إلى بريده والثاني إلى حائل. لا يحتمل انخراطهما في الأعمال الحربية ثانية إلا بعد مضي بعض الوقت"<sup>(٢)</sup>. وقد صدق حدس كوكس إلى حد ما، إذ ترتب على ما جرى من معركة "جراب" ميل الجانبين إلى الصلح، فعقدت بينهما اتفاقية في يونيو ١٩١٥<sup>(٣)</sup>. وكان نص تلك الاتفاقية كما نقله ابن سعود للجانب البريطاني يتضمن اعتراف ابن سعود لابن رشيد بحكم حائل وقراها

(1) IOR, R/15/5/25 No. 167. B, Sir P. Cox, Basrah, to Foreign, Delhi, dated 29-1-1915.

(2) IOR, R/15/5/25 No. 336. B, Sir P. Cox, Basrah, to Foreign, Delhi, dated 24-2-1915

(3) Troeller, G., The Birth of Saudi Arabia| Britain and the rise of the House of sa'ud, London, 1967, p. 93.

وقبيلة شمر، واعتراف ابن رشيد لابن سعود بالسيادة على بقية مناطق نجد وقبائلها. كما اتفق الرجلان على عدم تدخل أحدهما في شؤون الآخر. وتعهد ابن رشيد بعدم التآمر مع الحكومة العثمانية ضد ابن سعود وبأن يميل معه إلى الحكومة التي يؤيدها، وهي إشارة ضمنية للحكومة البريطانية<sup>(١)</sup>. ويظهر سياق الأحداث اللاحقة أن من المستبعد التزام ابن رشيد بالتعهد الأخير في الاتفاقية، أو أنه كان مصمما سلفا على عدم التقيد به.

ويبدو أن عجز ابن سعود عن تحقيق ما كان يؤمله البريطانيون من سحق لابن رشيد قد أدى إلى فتور حماسهم نحوه. لاسيما وأنه تعرض لمحنة أخرى هي تمرد قبيلة العجمان وأبناء عمومته "العرائف" ضده خلال صيف سنة ١٩١٥<sup>(٢)</sup>. وقد لاحظ الوكيل السياسي البريطاني في الكويت ذلك الفتور فكتب في يونيو ١٩١٥ إلى مراجعه منبها إلى عداة ابن رشيد المستمر للبريطانيين. ودلل على ذلك برد ابن رشيد الجاف على رسالة بعثها له مبارك الصباح شيخ الكويت ملتصا منه فيها إعادة أبل نهبت على أيدي أفراد من قبيلة شمر في أرضيه، حيث ورد في ذلك الرد تأكيد على ولاء ابن رشيد للعثمانيين. وأضاف الوكيل يقول:- "ليس هناك شك مهما كان في أن شمر كانت ستتضم للترك لو لم تكن قد أشغلت. ونحن مدينون بالشكر لغيابها لحد الآن عن صفوف أعدائنا إلى السير مبارك الذي اقترح السياسة التي أبتقتهم مشغولين وإلى ابن سعود الذي قام بتنفيذها". وأضاف الوكيل قائلا أنه نظرا لمقتل شكسبير

(١) شبكة، المرجع نفسه، ج٢، ص ٥٢.

(٢) السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص ١٧ - ١٧٨.

على أيدي الثمريين وغارتهم الواسعة في أراضي الشيخ مبارك، تابع الإنكليز وحليفهم، فإن من الصواب في رأيه مساعدة ابن سعود على إعادة تأكيد سلطته القانونية على حائل والإقليم المحيط بها، وأن لدى البريطانيين الآن بشكل جلي سببا كافيا لدعم قضية ابن سعود بطريقة عملية<sup>(١)</sup>.

وكان ابن سعود من جانبه يستثير تعاطف البريطانيين معه بالربط بين قبيلة العجمان المتمردة ضده وبين ابن رشيد. فقد كتب إلى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين قائلاً أن سبب قتاله السابق مع ابن رشيد هو اتصال الأخير بالعجمان. إذ أرسل لهم مقدارا كبيرا من المال رشوة من الترك، وذلك هو ما شجعهم على ممارسة نشاط واسع على حدود الكويت. وأضاف ابن سعود أنه حين تفرغ في القتال مع ابن رشيد طلب من العجمان إعادة الأموال التي نهبوا من الكويت. ولكنهم رفضوا متقوين بمساعدة العرائف وأهل عمان لهم وبالأموال التي أرسلها ابن رشيد لهم<sup>(٢)</sup>. ولكن الشيخ مبارك الصباح في محادثة له مع الوكيل السياسي البريطاني في الكويت وصف رواية ارسال ابن رشيد أموالا تركية للعجمان بأنها رواية غير صحيحة. وعقب الوكيل على ذلك بالقول أنه هو أيضا ليس لديه دليل مهما كان يؤيد تلك الرواية<sup>(٣)</sup>. ومع ذلك كله استجاب البريطانيون لطلب ابن سعود فأمدوه بثلاثمائة

---

(1) IOR, R/15/5/25 No. C. 19 of 1915, Political Agent, Kuwait, to the Political Resident in the Persian Gulf, Bushijre, dated 29-6-1915.

(2) IOR, R/15/5/25, Keyes, Bahrain, to Sir P-Cox, Basrah, dated 8-7-1915.

(3) IOR, R/15/5/25 No. C. 26 of 1915, Pol. Ag., Kuwait., to the Pol. Res. In the P. G., Bushire, Dated 23-7-1915.

بندقية وعشرة آلاف روبية<sup>(١)</sup>.

لقد كان من المنطقي أن يستغل ابن رشيد انشغال خصمه في قمع تمرد العجمان ليحاول تحسين مركزه على حسابيه. لاسيما وأن الحكومة العثمانية قد أوفدت له ضابطا يغريه بنقض اتفاقيته مع الرياض وتجديد حربه معها على حد ما رواه ابن سعود للبريطانيين<sup>(٢)</sup>. وسواء أكان تحرك ابن رشيد بمبادرة منه أو بتحريض من العثمانيين فإنه نقض بالفعل صلحه مع ابن سعود وتحرك نحو القصيم. وقد وصف ابن سعود ما حدث في رسالة وجهها في أكتوبر ١٩١٥ للوكيل السياسي البريطاني في البحرين، وجاء فيها :- "قيما يتعلق بالأخبار الواردة من القصيم فإن ابن رشيد أراد القيام بأمور غير شرعية ضد بعض القرويين في الأجزاء القصية من القصيم من أجل النهب مستغلا إنشغالنا في هذه الأجزاء. ولذلك فإنه توجه نحوهم بقواته وقبائله، ولكن حامياتنا واهل بريدة خرجوا للقائه، وهاجموا مخيمه ليلا فقتلوا خمسين وجرحوا ثلاثة وعشرين من رجاله ونهبوا بعض خيامه، فهرب بعيدا إلى أراضيه نتيجة للمذبحة التي أنزلها به خيالتنا الشجعان"<sup>(٣)</sup>. ويبدو غريبا ما روى عن تقدم الشريف عبد الله بن الحسين على رأس قواته وأعاقته لتحرك ابن رشيد نحو القصيم مما اضطره للترجع عنها<sup>(٤)</sup>.

(١) Troeller, op. Cit., p. 93.

(٢) شبكة الموقف نفسه، ج ٢، ص ٥٠.

(٣) IOR, R/15/5/25 No. 60. C, Pol. Ag., Bahrain, to Sir P. Cox, Basrah, dated 11-10-1915.

(٤) طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز ١٩١٦ - ١٩٢٥، البصرة، ١٩٨٢، ص ٢٦٥.

وإذا كان وضع ابن سعود قد اعتراه بعض الضعف نتيجة ما حدث في معركة "جراب" وما تبعها من تمرد العجمان والعرائف، فإن وضع ابن رشيد بالمقابل لم يسلم من ظهور عامل ضعف تمثل في النزاعات داخل بيت الإمارة. فقد استمر فيصل بن حمود العبيد وضاري العبيد في معارضتهما لحكم الأمير سعود، وانضموا لخصمه ابن سعود مع معارض ثالث هو عبد الرزاق بن حمود العبيد. وقد استقبلهم ابن سعود بحفاوة، حتى أنه جعل من فيصل أحد قواد حملاته الحربية<sup>(١)</sup>. وفي حين كانت تلك المعارضة تتطلب من القائمين على الحكم في حائل رص صفوفهم، إلا أن الخلاف شجر بينهم. ففي غضون شهر يناير ١٩١٦ وصلت أخبار إلى البحرين تفيد بأن أمير حائل قتل سعود الصالح السبهان<sup>(٢)</sup> ولكن تلك الأخبار صححت بعد ذلك، فقد ظهر أن الأمير وسعود السبهان قد تشاجرا فحسب، ولم يصل الأمر حد القتل<sup>(٣)</sup>. وقد غادر سعود حائل إثر ذلك الشجار وانضم إلى ضاري بن طوالة واضعاً نفسه مثله تحت تصرف البريطانيين. إذ كانت السلطات البريطانية تعمل على كسب ولاء بعض الزعماء الثمريين لوضعهم

(1) IOR, R/15/5/25 No. No. 28. C, Pol. Ag., Bahrain, to the Pol. Res. In the P. G., Basrah, dated 29 - 2 - 1916.

(٢) حدث قبلها نزاع على السلطة بين سعود السبهان وزامل السبهان. وقد نجح الأول بإيغار صدر الأمير ابن رشيد على خصمه فأمر بقتله مع أخيه وعمه في رجب ١٣٣٢ هـ / يونيو ١٩١٤.

الزعاير ، المرجع نفسه، ص ٢١٢.

(2) IOR, R/15/5/25 No. No. 13. C, Pol. Ag., Bahrain, to the Pol. Res. In the P. G., Basrah, dated 27 - 1 - 1916.

(3) IOR, R/15/5/25 No. No. 19. C, Pol. Ag., Bahrain, to the Pol. Res. In the P. G., Basrah, dated 12 - 2 - 1916.

بوجه ابن رشيد. وكان أول الزعماء الذين كسبتهم ضري بن طوالسه، أحد مشايخ الاسلام من شمر. لذا فقد رحب البريطانيون بانضمام سعود السبهان له، وعقدوا الآمال على إيرازه منافسا لابن رشيد لعله يستقطب ولاء أقسام مهمة من شمر. ولكن ثبت لهم في النهاية بأن طموحات ذلك الرجل أقل من آمالهم<sup>(١)</sup>. ولعل انشقاق سعود السبهان هو الذي دفع ابن رشيد لإطلاق سراح بعض أقاربه آل رشيد الذي كانوا مسجونين منذ مدة طويلة في حائل<sup>(٢)</sup> ولكن تلك الخطوة لم تعد عليه بفائدة إذ تسلل أولئك المطلقون من حائل والتحقوا بابن سعود<sup>(٣)</sup>. ولقد كان أولئك المعارضون مثل البريطانيون يعلقون أملا كبيرا على تطور الخلاف بين أمير حائل وسعود السبهان، لعله يتحول إلى مذبحه يروح ضحيتها أحد الجانبين وتكون محصلتها النهائية لصالحهم<sup>(٤)</sup>.

ولم تؤثر تلك الصراعات الداخلية على مركز ابن رشيد. إذ استمر البريطانيون يعتبرونه قوة مؤثرة في حسابات ميزان القوى بينهم وبين العثمانيين في المنطقة. لا سيما وأنه جعل حائل مركز إمداد خلفي للقوات العثمانية. فقد كتب السير هنري مكماهون إلى الشريف حسين في مارس ١٩١٦ يخبره بأن ابن رشيد يبيع أعداد كبيرة من الإبل للعثمانيين الذين يرسلونها لقواتهم في دمشق. وطلب من الشريف استخدام نفوذه لدى ابن رشيد للكف عن ذلك، أو التنسيق مع القبائل

(1) Troeller, op. Cit. Pp. 103 - 4.

(2) IOR, R/15/5/25 No. No. 11. C, Pol. Ag., Barhain, to the Pol. Res. In the P. G., Basrah, dated 23 - 1 - 1916.

(3) IOR, R/15/5/25 No. 19. C, --- 12 - 2 - 1916.

(4) IOR, R/15/5/25 No. 28. C, --- 29 - 2 - 1916.

السائنة شمال حائل لنهب تلك الإبل عند مرورها بديارها<sup>(١)</sup> كما كان مهما للبريطانيين منع ابن رشيد من مغادرة أراضيه للانضمام إلى القوات العثمانية التي تحاربهم في العراق. ولقد كانت هذه القضية محور البحث في لقاء السير برسي كوكس وابن سعود في السادس والعشرون من ديسمبر ١٩١٥ حسبما يظهر من المذكرة التي كتبها كوكس. وجاء فيها: - "بيدو انه [ابن سعود] كان يبذل بعض الشيء في محاوراته مع الوكيل السياسي في البحرين قبل وصولي. وقد اعترف بأنه لم تكن لديه بعد اخبار دقيقة تتعلق بمكان وجود ابن رشيد. قال أن من المؤكد أن ابن رشيد قد تحرك خارج حائل، ولكن إلى حد وإلى أي اتجاه غربا أو شرقا فذلك ما لا يعلمه بعد. وحيث انه سيكون مسلكا طبيعيا من أن ابن رشيد يحاول مضايقته في القصيم فقد ارسل اخاه [محمد بن عبد الرحمن] قدما لمواصلة الحيلة في ذلك الجزء. بينما سيتوجه هو نفسه إلى عاصمته الرياض للتأكد من عدم انتشار القلق الذي بثه مبعوثو الترك بين رجال قبائله.

ومضى كوكس يقول: - "أن الرسائل التي اعترضت أثناء نقلها من ابن رشيد وعجمي [السعودي] لبعض اقاربه المتمردين وشيوخ العجمان ليست لها قيمة كبيرة ولا يعتبرها خطيرة حقا. اعتقاده هو أن ابن رشيد لا يجرؤ على التقدم بعيدا سواء نحو الكويت أو الناصرية خوفا من أن يتجه ابن سعود إلى حائل في غيابه. إنه يعتقد أن تلك الاحاديث الطنانة

---

(١) شبكة، المرجع نفسه، ج ٢، ص ٧٤.

ستُخدم حين تتقدم ثانية<sup>(١)</sup>. ويقول إنه على أية حال سيكون مسير أية قوات كبيرة في الوقت الحالي امرا غير وارد نظرا لنقص الأمطار والمراعي. يعتقد أن الأمر الأكثر احتمالا هو ان ابن رشيد سيبدأ بتقديم عروض له، وإذا ما فعل ذلك فإن ابن سعود، سيعرض عليه الصلح بشرط أن يشايعنا، وإذا لم يرض بذلك فعليه الموافقة على البقاء محايدا بصورة قاطعة. وإذا لم يقبل ابن رشيد أيا من ذلك الشرطين فإنه، ابن سعود، سوف يهاجمه ويحث عزة على مهاجمته أيضا<sup>(٢)</sup>.

ولم يكن ابن سعود منفردا في توقعه الصلح مع ابن رشيد، فأحد آل رشيد المعارضين أكد للوكيل السياسي البريطاني في البحرين أن عقد الصلح بين الخصمين اللدودين كان وشيكا في أواخر يناير ١٩١٦. ووثق هذه المعلومة كذلك وجيه نجدي وصفه الوكيل نفسه بأنه جيد الإطلاع، فقد ذكر أن مفاوضات السلام كانت تجري دون شك بين الطرفين بواسطة الشريف حسين<sup>(٣)</sup>. وكان وكيل ابن سعود في البحرين عبد الله القصيبي أيضا يتوقع إتمام الصلح بين الجانبين<sup>(٤)</sup>. أما عبد الرزاق بن حمود العبيد الرشيد فقد زاد على تلك التوقعات بالقول للوكيل السياسي البريطاني في البحرين عند وصوله إليها أواسط فبراير ١٩١٦ أن السلام قد أُقيم عمليا بين حائل والرياض<sup>(٥)</sup>. وعلى الرغم من

---

(١) كان الجيش البريطاني محاصرا في الكويت على دجلة أثناء وقت هذا اللقاء بين كوكس وابن

سعود.

(2) IOR, R/15/5/25 No. 9-2, Note regarding interview with BinSaud on 26 th Dec. 1915.

(3) IOR, R/15/5/25 No. 11. C, --- 23 - 1 - 1916.

(4) IOR, R/15/5/25 No. 1٢. C, --- 27 - 1 - 1916.

(5) IOR, R/15/5/25 No. 19. C, --- 12 - 2 - 1916.

كل تلك التوقعات، فلم يرد في الوثائق البريطانية المتاحة ذكر صريح لخبر مؤكد عن عقد الصلح بين الطرفين في هذه الفترة. كما أن رسائل ابن سعود للسلطات البريطانية تظهر ما يناقض تلك التوقعات. ففي رسالة منه للوكيل السياسي البريطاني في البحرين وصلت في آخر يناير ١٩١٦ قال ابن سعود :- "تأكدت أن وفدا يضم ضابطين حربيين أرسلته الحكومة التركية إلى ابن رشيد لحثه على التحرك نحو العراق. ولكن لعلمه بتحريك أخي محمد بن عبد الرحمن فإنه اجل مغادرته. إنني أراقب الآن تحركات المذكور أعلاه"<sup>(١)</sup>. ولم يلبث ابن سعود إلا قليلا حتى كتب رسالة أخرى إلى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين أخبره فيها أن ابن رشيد بمجرد علمه بمغادرة محمد بن عبد الرحمن للقصيم راجعا إلى الرياض زحف خارجا من حائل. وكان معه عدد من اتباعه لا يتجاوزن مائتي رجل إضافة إلى وفد الحكومة التركية الذي يضم ضابطين ألمانيين. ولكن نظرا لندرة الأمطار فأن ركائبه وحتى رجاله كانوا في حالة خطر. وأضاف ابن سعود انه بمجرد سماعه بمغادرة ابن رشيد حائل فقد أنفذ ابنه تركي وبمعيته فيصل آل رشيد مع قوة كافية للقيام بعمليات حربية مخطط لها قرب مدينة حائل"<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن البريطانيين خامرهم بعض الشك في مدى جدية ابن سعود في العمل ضد خصمه. يستدل على ذلك من رسالة بعثها ابن سعود في العشرين من يوليو ١٩١٦ إلى السريرسي كوكس. وجاء فيها:-

---

(1) IOR, R/15/5/25 No. No. 14. C, Pol. Ag., Bahrain, to the Pol. Res. in the P. G., Basrah, dated 31 - 1 - 1916.

(2) IOR, R/15/5/25 No. No. 11. C, Pol. Ag., Bahrain, to the Pol. Res. in the P. G., Basrah, dated 24 - 2 - 1916.

"...وحول كون ابن رشيد قادرا على الحفاظ على مركزه في حائل أمنا، فليس هنالك شك في أن الشخص الذي زودكم بتلك المعلومات كان عدوا. ويحتمل أنه واحد من اتباع ابن رشيد الذين أرسلهم لكم مؤملا أنه بسبب نشاطاتهم حولكم وقربهم منكم فيمكن أن يوجدوا لديكم بعض الخشية منه، وهكذا ربما تلبون طلباته. ولكن الحمد لله لأن ما حدث هو عكس ذلك، وأصبح ابن رشيد غير ذي أهمية في نظركم مثلما قلت لكم سابقا. ومن الواضح أن سعادتك شخصا أدركتم قللة اتباعه وتقاهة شخصيته لإتكم سجلتم ذلك في رسالتكم. وبالإشارة إلى العبد [٥] وحائل فقد أرسلت ضدهم ولدى تركي وفيصل بن رشيد مع قوة كافية. ومنذ افتراقنا أنا وأنت في القطيف ولحد الآن فأنهم يحاصرون حائل ويقطعون "مسابقتها" تموينها. هنالك عدد قليل فقط من غرب الصحراء في حائل، ولكن حقيقة أننا كنا غير قادرين على دخول البلدة عنوة عائدة الى أولا أن الأرض بين القصيم وحائل أرض جرداء لا نبت فيها لمرعى الأبل (وأنت تعلم بان لا شيء يمكن عمله عن طريق العرب بدون ابلهم). وثانيا لأن البلدة محصنة وليس من الممكن شن هجوم ناجح عليها بدون سلاح فعال. أن لدينا مدافعنا الأصلية فقط والتي هي كما قلت لك، مدافع طفيفة، وعلاوة على ذلك ليس لدينا ذخيرة كافية تمكننا من الدخول في قتال طويل مع ابن رشيد ومن الحرب مع الترك عموما.

وانتقل ابن سعود للقول :- "فيما يتعلق بمراسلة ابن رشيد مع الشيخ ابراهيم<sup>(١)</sup> وعلاقتكم به فإنني أقر بما قلته سعادتك في أن الجميع

(١) هو الشيخ ابراهيم بن عبد الله آل ابراهيم شيخ الزبير حبيذ.

متفقون على أنه فتى جاهل طائش وكما لاحظتم فإن اتباعه يقدر  
بمائتين أو ثلاثمائة رجل فقط. ومع ذلك فإن بقاءه في الشامية غير  
ملائم. أن سياستكم تجاهه ومراسلتكم معه تبدو لي ملائمة تماما،  
ولكن ليس هناك شك في أن ابن رشيد غير قادر على إدراكها  
وتمييزها. أنه غير قادر إطلاقا على توجيه خطواته وأقل قدرة على  
قيادة عرب الصحراء والناس الذين يماثلونهم. إنه يعتقد، ببقائه بجواركم  
وبإظهاره قدرا كبيرا من النشاط، بأنه سيحصل على واحد من أمرين  
فإما إنكم تستجيبون لطلباته (وذلك مستحيل لأنكم. نظرا لدبلوماسيتكم  
وبراعتكم- تتركون مركزه كما أدركتم مراكز الآخرين)، أو أنه  
سيحصل على بعض المنافع من الترك. أن كل ترتيبات الترك معه  
أعدت بصورة سيئة. لقد استجابوا لرغباته إلى حد ما ولكن يبدو أنهم  
تخلوا عنه باعتباره مثلا سيئا، نظرا لسلوكه السابق معهم وطريقته  
العابثة.

وبعد أن شرح ابن سعود بتلك الصورة أسباب وجود ابن رشيد  
حينئذ في أطراف العراق انتقل للقول :- "استلمت بالفعل الأخبار  
البرقية التي بعثتها سعادتك إلى عبد اللطيف المنديل في البحرين التي  
تفيد بأن خيالتكم مع الظفير وابن طوالة قد هاجموا ابن رشيد  
وهزموه. إنني سعيد جدا باستلام تلك الأخبار وأود الحصول على تأكيد  
لها. وادعوا الله أن يتحقق كل ما فيه الخير لمصالح الحكومة. وقد  
ذكرتم أيضا أن ابن طوالة زاركم قبل يومين وأن من المؤمل أنه  
سيعمل بالتعاون مع الظفير. ولاحظتم أيضا أن أخبركم عن عمليات ابن  
تركي وفيصل العبيد ضد حائل وما جاورها. وتقولون أيضا أن ابن

طواله يؤمل الاتحاد مع القبائل التي تنضم إليه، وإنكم تتوقعون مني إخباره بأنه يمكنه الاعتماد على مساعدتي. فيما يتعلق بتركي أخبرتكم عنه وأرجو الله أن ينهض بواجباته كاملة. وفيما يتعلق بابن طواله ومساعدتي له فقد كتبت له في الحال رسالة أرفقها طيباً لسعادتكم لتطلعوا عليها فإن نالت موافقتكم أرجوا إرسالها له. ليس هناك شك في أن ابن طواله إذا عارض ابن رشيد فسوف تتوثق علاقتنا به ونساعده في كل الظروف. إن ابن طواله ومعه قبيلة الاسلم معتاد على أن يكون تحت حمايتنا منذ القديم، وحتى ابن رشيد نفسه كان كذلك. وسوف تستعاد الأوضاع القديمة إن شاء الله. وبخصوص ابني تركي وتحركاته فلم يحدث شيء مؤخراً، ولكننا قررنا. إذا سار كل شيء على ما يرام. أن نلحق به بعد رمضان لتعزيز العمليات. سنعمل إما في جوار حائل أو في الموقع الذي سيكون فيه ابن رشيد، ولكن لا شيء يمكن قوله بصورة نهائية في هذه اللحظة لعدم التأكد من تحركات العرب<sup>(1)</sup>.

ولم تكن السلطات البريطانية غافلة عن تردد ابن سعود رغم ما كان يبديه له من حماس لفظي، في الضغط على ابن رشيد. وكانت تعزو ذلك التردد إلى عدم رغبته بمحاربة الدولة العثمانية تارة، وإلى نقص الأسلحة والأموال لديه تارة أخرى. ولإدراكها لأهمية تنشيط عملياته من أجل تقييد ابن رشيد ومنعه من التحرك ضد الشريف حسين أو الوجود البريطاني في البصرة فإنها كانت مستعدة لتزويده بما يتطلبه ذلك الهدف من أسلحة وذخائر. وكان ذلك الاستعداد موضوع مراسلات عديدة بين الجهات البريطانية المعنية في خريف ١٩١٦ وشتائها. وقد

(1) IDR, R/15/5/25, No. 7997, C.P.O., Bashire, dated 4 - 9 - 1916.

أسفرت زيارة ابن سعود للسلطات البريطانية في البصرة خلال شهر  
نوفمبر ١٩١٦ عن اتفاق محدد بين الجانبين حول هذه القضية. إذ تعهد  
ابن سعود للبريطانيين بحشد قوة لا تقل عن أربعة آلاف مقاتل في  
القصيم بصورة دائمة لمراقبة تحركات ابن رشيد. فإذا تحرك نحو  
العراق يسير ابن سعود بموازاته على رأس تلك القوة إلى الزبير،  
وهناك ينضم إلى القبائل الموالية لبريطانيا وقوة قادمة من الكويت،  
ويقف الجميع بوجه ابن رشيد. أما إذا بقي الأخير قابعا في حائل  
فسيبقى ابن سعود على رأس قوته في القصيم مزعجا إياه بين أونة  
وأخرى أو هاجما عليه في حائل إذا ما سنحت له فرصة. ومقابل ذلك  
تعهدت الحكومة البريطانية بمنح ابن سعود إعانة مالية شهرية مقدارها  
خمسة آلاف جنيه علاوة على أربعة رشاشات وألف بندقية تسلم له  
فوراً وألفي بندقية تسلم له فيما بعد<sup>(١)</sup>.

ولقد لوحظ أن ابن رشيد ظل هادئا خلال النصف الأول من سنة  
١٩١٧، إما بسبب تسرب أنباء ذلك الاتفاق إليه، أو نتيجة لضعف  
موقف حلفائه العثمانيين بعد سقوط بغداد بأيدي البريطانيين في مارس  
١٩١٧. ثم لم يلبث ابن رشيد طويلا حتى فاتح ابن سعود برغبته بإقامة  
السلام بين الجانبين. واشترط ابن سعود لتلبية هذا الطلب إعلان ابن  
رشيد ولاءه لبريطانيا. وقد رفض ابن رشيد هذا الشرط مما أبقى  
الوضع بين الجانبين على حاله أي بقاء حالة الحرب معلنة ولكن دون  
عمليات حربية ذات شأن. وفي غضون ذلك كانت بعض الجهات  
البريطانية الرسمية تلح على ضرورة تحرك ابن سعود ضد ابن رشيد

(١) شبكة، المرجع نفسه، ج٢، ص ٢٦٨ - ٢٧٦.

تحركا أكثر فاعلية. ومن أجل هذه الغاية تقرر في مايو ١٩١٧ إيفاد مبعوث بريطاني إلى ابن سعود. وقد وصل فلبي Philby إلى الرياض في أواخر نوفمبر ١٩١٧ للقيام بمهمة حث ابن سعود على التحرك. وأسفرت محادثاته مع ابن سعود عن استعداد الأخير لحشد خمسة عشر ألف مقاتل لمهاجمة حائل إذا زودته بريطانيا بمدفعي حصار ومدفعي ميدان وعشرة آلاف بندقية وخمسين ألف جنيه شهريا طوال فترة العمليات. وقد اعترضت بعض المراجع البريطانية على تلبية تلك المطالب لأن تقوية ابن سعود بذلك الشكل قد تخريه بمهاجمة الحجاز لا حائل. وأثار بعضها إلى أن احتلال حائل لم يكن هدفا حريا ذا أهمية كافية لتبرير إعطاء ابن سعود كل تلك المساعدات. واستقر رأي السلطات البريطانية في النهاية على إمداد ابن سعود ببعض الأموال والتفتير بإمداده بال سلاح<sup>(١)</sup>.

وخلال ذلك كله استمر ابن رشيد على ولائه للعثمانيين جاعلا حائل مركزا لتهريب الأبل والمؤن إلى المناطق الواقعة تحت سيطرة القوات العثمانية<sup>(٢)</sup> لذا كانت التعليمات التي حملها فلبي عند عودته من الحجاز إلى الرياض في أبريل ١٩١٨ هي حث ابن سعود على إحكام سيطرته على القصيم وإيقاف التهريب هناك وممارسة ضغط حقيقي على حائل. ولم يستجب ابن سعود لفكرة الهجوم على حائل، فقد أخبر

(١) Troeller, op. Cit., pp. 104 - 116.

(٢) أوكل العثمانيون لابن رشيد أيضا مهمة حماية خط سكة حديد الحجاز شمال المدينة المنورة من هجمات قوات ثورة الشريف حسين بعد قيامها في يونيو ١٩١٦. وقد حصلت صدامات عديدة بين تلك القوات واتباع ابن رشيد قرب السكة. سليمان الموشى، الثورة العربية الكبرى: الحرب في الحجاز ١٩١٦ - ١٩١٨، عمان، ص ٩٠ و ١٩٠ و ٢٢٧ و ٢٣٠.

فلبني أنه لا يستطيع التعهد بالقيام بعمليات ضد حائل نظراً لتكلفه إبقاء قواته في الميدان وعدم توفر الأموال لديه. وحين عرض عليه فلبني تقديم قرض له شريطة العمل ضد حائل، قبل ابن سعود العرض وأخذ يحضر للهجوم الذي تقرر أن يبدأ في مطلع رمضان. ووصف فلبني الاستعدادات للهجوم بأنها كانت جارية بشكل يدعو للأمل في نجاحها إذا لم يحدث ما يعاكسها. وحذر فلبني من تأثير المشاكل التي كانت قائمة حينئذ بين ابن سعود وشريف مكة والعجمان وشيخ الكويت على سرعة العمليات ضد حائل التي أصبحت تحتل المرتبة الرابعة من سلم اهتمامات ابن سعود بعد تلك المشاكل<sup>(1)</sup>.

ولم يلبث ابن سعود إلا أياماً قلائل حتى تراجع عن تعهده ذلك. فقد قدم في الرابع والعشرين من يوليو ١٩١٨ وثيقة مكتوبة طويلة إلى فلبني أوضح فيها أن تعهده بالعمل لصالح البريطانيين ضد ابن رشيد تم على ضوء الفهم بأن البريطانيين سيحمون مصالحه في مواجهة الشريف والعجمان والكويت. ولكن الأحداث الأخيرة قد غيرت الوضع عملياً، إذا ظهر بأنه غير محمي بصورة كافية من قبل البريطانيين ضد أعداء محدقين به من كل صوب، ولذلك فهو لا يستطيع شن هجوم على ابن رشيد. وحين أخبره فلبني أثناء حوار جرى بينهما بعد تقديم تلك الوثيقة أنه لم يقم بدوره حسب صفقة القرض الذي استلمه، رد ابن سعود بأنه مستعد لإرجاع القرض مفضلاً ذلك على أن يغامر بوقوع كارثة من جراء ترك جناحيه غير محميين تجاه العجمان والشريف. وطالب ابن سعود بإعطائه ضمانات صريحة بأن الحكومة البريطانية

(1) IOR, R/15/5/25, No. M 111, Philby, Rlgad, to Political, Baghdad, dated 19/7/1918.

سوف تلتزم بمعالجة تلك المشاكل قبل تحركه ضد ابن رشيد. وكان أحد الضمانات التي طلبها أيضا هو أنه إذا ابتدأ أعماله الحربية ضد ابن رشيد فيجب على البريطانيين عدم تركها تتوقف نتيجة لحجب مصادر الحرب الضرورية عنه. وعلق فلبى على تلك المطالب بقوله: - "أن من لضروري بصورة عاملة توريط بن سعود في أعمال عدائية ضد ابن رشيد بدون تأخير. جزئيا لابعاد ذهنه عن التحديق بإمعان في الشكاوى الأخرى، ورئيسيا لتقادي انضمامه إلى رشيد في مهاجمة الشريف. ولن يكون الاحتمال الأخير مستحيلا إطلاقا إذا تركت ابن سعود في مركز حرج بعدم أنصاف شكواه، كما أنه سيكون حركة مرغوبا بها من قبل الناس هنا إلى حد بعيد" وأضاف فلبى أنه نتيجة لذلك ولأسباب أخرى تتعلق بهياج الرأي العام في نجد ضد بريطانيا نتيجة لتلك الأحداث فقد تصرف بدون استئذان مراجعه وأعطى ابن سعود تعهدات مكتوبة. وقد نصت تلك التعهدات على ضمانات لابن سعود ضد أية أعمال عدائية أخرى من قبل الشريف والعجمي والقبائل الموضوعة تحت الحماية البريطانية، ووعده بتصحيح تنظيمات الحصار الاقتصادي البريطاني في الكويت<sup>(١)</sup>. ونصت أيضا على التعهد بأن موارد ابن سعود المالية سوف لن تتضرر من جراء أية أعمال حربية يقوم بها لصالح بريطانيا. ومضى فلبى قائلا: - ولكن أوضحت له بصرحة أن التعهدات أعلاه مشروطة بوفائه بوعده بالقيام بالأعمال الحربية على الفور وشروعه بالتحرك من الرياض خلال عشرة أيام

(١) عن موضوع ذلك الحصار راجع: خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص ص

من هذا التاريخ. وقد تعهد من جانبه بتنفيذ ذلك. ولقد أضفت أنه إذا لم تكن الحكومة راضية أو قادرة على المصادقة على ضماناتي أو على العمل بموجبها فليس من المتوقع منه الوفاء بنصيه من الصفقة... وفيما يتصف بالنقود فبالنظر لما روى من معاملة الترك السخية لابن رشيد وإمكانية تزايد نشاطه فأن قضية وضع موارد مالية وافرة تحت تصرفي تبدو ملحة إذا كان من المرغوب منه حقا شن حملة قوية...<sup>(١)</sup>.

وأثناء ما كان فلبني يحدث بذلك الشكل ابن سعود على التحرك العاجل ضد ابن رشيد حدث تطور هام يؤثر على علاقة حاكم حائل بالجانب البريطاني. فقد هزمت قوات تابعة للملك حسين بن علي يقودها شاكربن زيد قوات ابن رشيد قرب تيماء في مايو ١٩١٨. وقد أدى ذلك إلى انسحاب ابن رشيد من ميدان القتال وعودته إلى حائل بعد أن كانت الخطة الحربية العثمانية قد اوكلت له حماية خط سكة حديد الحجاز وإعاقة العمليات الحربية التي تقوم بها قوات الملك. بيد أن القيادة العثمانية أخذت تتهم ابن رشيد بالتراخي في تنفيذ المهمة الموكولة له على الرغم من الأموال التي أهدقت عليه حتى أنه لم يجلب إلى ميدان القتال إلا ألف مقاتل فقط في حين أنه كان قد وعد بجلب أربعين ألف مقاتل. وانتقد قائد القوات العثمانية في المدينة المنورة فخرى باشا ابن رشيد قائلاً أنه كان يسعى من أجل المال فقط.

(١)IOR, R/15/5/103, No. M 123, Philpy, Riyad, to Political, Baghdad, dated 24 - 7 - 1918.

وقام القائد المذكور بوضع يده على المساعدات التي أرسلتها الدولة إلى ابن رشيد الأمر الذي حدا بالأخير إلى ترك ميدان القتال والعودة إلى حائل<sup>(\*)</sup>. وقد دفع ذلك الموقف ابن رشيد لإبداء تزميره من السترك، إذ حدث أن استولى اتباع عبد الله بن الملك حسين على رسائل كتبها ابن رشيد تعرب عن ذلك التزمير. واستغل عبد الله الفرصة فأوفد رسلا إلى حائل يحملون عروض سلام لابن رشيد. وقد علق فلبلي على محاولة عبد الله هذه حين وصلته أخبارها بالقول :- "لا يعتقد ابن سعود أن ابن رشيد سيصغي لأية عروض، وهو يعتبر عمل عبد الله عملا عدائيا موجها ضده. إنه استنتاج صحيح على الأرجح. أن عدة مؤشرات أخيرة تجعلني ميالا للظن بأن ما يروى عن احتمال قوي لعروض سنأتى من ابن رشيد غير ذى أساس وفي هذه الحالة يمكن توقع قيامه بأعمال عدائية بصورة نشطة حين تنتهي استعداداته<sup>(1)</sup> ويبدو أن ظن فلبلي لم يكن في محله ففي الثالث عشر من يوليو ١٩١٨ كتب عبد الله بن الحسين رسائل إلى عدد من شيوخ قبيلة عتيبة يعلن فيها أن الصلح قد عقد بين والده وابن رشيد<sup>(\*\*)</sup>.

وقد أيد فلبلي رأي ابن سعود القائل بأن محاولة الشريف الاتفاق مع ابن رشيد لم تكن تهدف إلى مجرد التوصل إلى السلم بين الطرفين فقط، بل وإلى تشكيل حلف بينهما معاد له أيضا. وقد جاء ذلك التأييد في رسالة كتبها بعد عدة أيام وقال فيها :- " فيما يتعلق بابن رشيد

(\*) الموسى، المرجع نفسه، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ وص ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(1) IOR, R/15/5/103, No. M 137, Philby, Riyad, to Political, Baghdad, dated 1-8 - 1918.

(\*\*) الموسى، المرجع نفسه، ص ٢٧٦.

التمس تزويدي بمعلومات حول المفاوضات معه والمدى الذي ستؤيدها فيه الحكومة. إذا كان مرجحاً \_ كما يبدو \_ أن الشريف يعطيه أموالاً ووعوداً بالعون ضد ابن سعود فأن موقف البعثة [بعثة فلبى للرياض] يغدو حرجاً إلى حد ما<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من أن تلك الأخبار كانت تتطلب من فلبى التريث في أمر الحملة المزمعة ضد ابن رشيد لحين يتبين رد فعله تجاه عروض السلام، فإنه كان متحمساً لمواصلة الحملة ضد حائل. إذ كتب إلى مراجعه في بغداد :- إن خططنا سنتخذ لحين استلام أوامر نهائية تفيد بأن السلام قد عقد. أشك باحتمال عقد ابن رشيد للسلام، وربما كان غرضه كسب الوقت. أثق خلال ذلك في أن الشريف لا يزوده بالمال والسلاح<sup>(2)</sup>. وخلال ذلك كان ابن سعود قد أكمل استعداداته وغادر الرياض بصحبة فلبى في الخامس من أغسطس متجهاً نحو شقراء في إقليم الوشم التي كان يتوقع وصوله إليها في الحادي عشر من الشهر نفسه. وكان مقرراً أن يمضي حوالي عشرة أيام هناك لتعبئة قواته قبل التوجه نحو القصيم<sup>(3)</sup>.

وكانت المراجع البريطانية المختلفة في المنطقة تدرس، في هذه الأثناء، الضمانات المكتوبة التي قدمها فلبى إلى ابن سعود بالصورة التي مر ذكرها. وقد اتفقت كلها على تصويب فكرة فلبى حول توجيه نشاط ابن سعود الحربي نحو حائل. فقد كتب وكيل المندوب السامي

(1) IOR, R/15/5/103, No. M 143, Philpy, Sadus, to Political, Baghdad, dated 6 - 8 - 1918.

(2) IOR, R/15/5/103, No. M 152, Philpy, Tharmide, to Political, Baghdad, dated 9 - 8 - 1918.

(3) IOR, R/15/5/103, No. M 156, Philpy, Tharmide, to Political, Baghdad, dated 9 - 8 - 1918.

البريطاني في بغداد إلى مراجعته العليا مقترحاً إقرار عهد قلبي لابن سعود بتزويده بالموارد المالية اللازمة لحربه مع ابن رشيد، وأضاف:-  
"ان العمليات ضد ابن رشيد تبدو القناة الوحيدة التي يمكن تحويل انتباه ابن سعود ومطامحه إليها الآن، والتي لا تؤدي إلى وضعه في نزاع مع الملك حسين. إنني اتوقع نتيجة ضئيلة من تلك العمليات، وربما تكون حصيلة النجاح فيها مريكة للملك حسين، ولكن للسبب المبين أعلاه فأنتني أوصي بتحويل وضع اعتمادات مالية سخية تحت تصرف قلبي لمواصلة الحملة ضد ابن رشيد، علاوة على تزويده بألف بنديّة ومائة وخمسين ألف طلقة ذخيرة"<sup>(1)</sup> أما المندوب السامي البريطاني في القاهرة فاتفق مع وجهة النظر هذه ولكن بتحفظ ظاهر، حين كتب:-  
"أنني أوافق على أن يعامل ابن سعود بسخاء فيما يخص الاعتمادات المالية التي يمكن أن يكون لها أيضا تأثير مهدأ على الرأي العام المعادي الذي أشار له السير قلبي. ولكنني أحث على وجوب عدم تزويدنا له بمصادر القوة الحربية الأخرى إلا إذا كانت ضرورية بصورة جازمة، وأن يكون تزويدها بعد هذا بالكميات الدنيا اللازمة للإبقاء على شعوره الودي وسلطته... إنني أوافق على أن عمل ابن سعود ضد ابن رشيد ربما يقدم إلهاءً ومنقذاً أكثر أمنا لطاقت الأول. وطبقاً لآخر المعلومات فإن وضع ابن رشيد أكثر ضعفاً، ويرجح أن يصل لاتفاق مع الملك حسين آخر الأمر"<sup>(2)</sup> وقد أقرت الحكومة البريطانية وجهة نظر ونغيث Wingate

(1) IOR, R/15/5/103, No. 6491, Political, Baghdad, to Foreign, Simla, dated 7 - 8 - 1918.

(2) IOR, R/15/5/103, No. 1200, Wingate Bacos, Ramleh, to Foreign Office, London, dated 13 - 8 - 1918.

هذه وخولت قلبي العمل وفق ما جاء فيها<sup>(١)</sup>.

وفيما كانت المراجع البريطانية المختلفة تتداول فيما بينها عاد قلبي لتأكيد موقفه الداعي إلى ضرورة تنشيط عمليات ابن سعود ضد حائل. فكتب في الثاني عشر من أغسطس :- "فى رأى أن النشاط الفعلي هو الدواء العام للأدواء الناشئة عن الحياة الكسولة التي يحيهاها العرب بطبعهم. وقد أبقيت هذا الاستنتاج قيد الاعتبار دائما فيما يخص العمليات المزمعة ضد حائل. لم أكن قادرا على فعل الكثير بالموارد المحدودة الموجودة تحت تصرفي ولكنني كنت أشعر بنفوس طبيعي من التراجع عن موضوع الهجوم على حائل. مع ذلك لو لم يكن هناك ترتيب كهذا استطعت وضعه لما كانت هناك قناة جاهزة يحول إليها الشعور الحربي الناشئ عن الهجوم الاول على الخرمة<sup>(٢)</sup>. أن الهجوم الوشيك كان لثقة سعيدة بأعباره في أسوأ الأحوال تعبئة تمكن ابن سعود من جمع قواته وإيقائها تحت السيطرة المباشرة راضية بإطعامها المنتظم. أن النقود المنفقة في هذه المغامرة لن تستمر للأبد لسوء الحظ، ولا أستطيع في هذا الوقت القول كم من الوقت سيسري مفعول التعبئة... أشعر بثقة تامة بإمكان إبقاء قوة كبيرة تستخدم بفاعلية في عمليات ضد حائل وما جاورها إذا كانت الحكومة تستطيع وضع أسلحة ونقود أكثر تحت تصرفي. أن مقترحاتي هي كما يلي :-

١- فيما يتعلق بالمدفعية أرى أنه لضياع الوقت في التدريب

(١) IOR, R/15/5/103, No. 207, Sec - of State for India to Viceroy, dated 15 - 8 - 1918.

(٢) شنت قوات الملك الحسين هجوما على قرية "الخرمة" الحدودية المتنازع عليها مع ابن سعود

في يونيو ١٩١٨.

فلا مدافع يمكن استخدامها بشكل نافع.

٢- فيما يتعلق بالأسلحة الصغيرة التمس ارسال خمسة آلاف  
بندقية من نوع جيد مع ذخيرة كافية إلى الكويت ليتم صرفها  
بتقدير من جانب الوكيل السياسي بناء على طلبي. من الجوهرى  
أن لا يعلم ابن سعود ووكيله في الكويت شيئا عن ذلك. أفضل أن  
ينال ألف بندقية في الحال وأن يصرف الباقي بتقدير في حالة  
حدوث أزمة شريفة، باعتبار ذلك عمليا رشواى مقابل عدم اتخاذه  
عملا في ذلك الاتجاه.

٣- أن للنقود أهمية بالغة، فأبن سعود لا يمكنه إبقاء قواته في  
الميدان دون إطعامها لذا اقترح إما إعطائي حصة شهرية مقدارها  
عشرة آلاف جنيه، والسماح لي بأن اسحب من الكويت دون قيد  
أو شرط مبلغا إجماليا حده الأعلى خمسون الف جنيه حتى نهاية  
ديسمبر. إنني واثق أخيرا من أن تلك الاقتراحات ستنال اعتبارا  
مواتيا. وتوقعا لقبولها من حيث المبدأ فأنتني طالب من الوكيل  
السياسي في الكويت تزويد وكيل ابن سعود بثلاثة آلاف كيس من  
الرز ومائتي كيس قهوة ومائتي كيس سكر من المخزون الموجود  
لديه وقبدها على حساب البعثة. أخبرت ابن سعود ان يرسل لجلب  
ما ورد أعلاه بعد التقاهم على أنه سيدفع ثمنه في الوقت  
المناسب<sup>(١)</sup>. وقد أحال المندوب السامي البريطاني في بغداد  
مقترحات فلبني تلك إلى السلطات العليا، ولكنه خوله سحب مبلغ

(1) IOR, R/15/5/103, No. M 169, Philpy, Wushaiqlr, to Political, Baghdad, dated 18 - 8 - 1918.

شهري لا يتجاوز عشرة آلاف جنيه من الوكيل السياسي في الكويت. كما أمر الوكيل المذكور بتسليم المؤن التي طلبها<sup>(١)</sup>.

ويحسن هنا التوقف عن متابعة صيرورة صراع الخصمين لإلقاء نظرة على مآل المعارضة التي واجهت أمير حائل قبل حين. فقد انضم إلى ضاري بن طوالة وسعود الصالح السبهران اللاتذيين بالحماية البريطانية كما مر معارض آخر هو ماجد بن عجل أحد شيوخ عبده. ولم ينضم أولئك المعارضون الثلاثة ألبا إلى جانب ابن سعود كما فعل فيصل العبيد وضاري العبيد من قبل، لا بل استمر اتباعهم يقومون بأنشطة معادية ضد ابن سعود ويشنون الغارات داخل أراضيهم<sup>(٢)</sup>. لذا فإن ابن سعود حرص على أن تضمن السلطات البريطانية في العراق عدم انضمامهم ثانية لابن رشيد حين تحين لحظة الصدام معه بأن تزمهم بالبقاء تحت سيطرتها في الأراضي العراقية المحتلة، أو ان ترحلهم لأراضي ابن سعود كي يقوم بتوطينهم في مناطق آمنة بعيدة عن ميدان صراعه من ابن رشيد<sup>(٣)</sup>. وإذا كان أولئك الشيوخ الثلاثة قد عز عليهم الانضمام لخصمهم التقليدي على الرغم من خلافاتهم مع ابن رشيد، فإن تسعة شيوخ شمريين آخرين أقل أهمية لم يترددوا في الالتحاق بابن سعود في أغسطس ١٩١٨<sup>(٤)</sup>. وتؤثر ظاهرة انشقاق شيوخ شمر عن ابن رشيد وجود خلل ما في إدارة سعود بن

(1) IOR, R/15/5/103, No. 5750, Political, Baghdad, to Political Kuwait dated 11 - 9 - 1918.

(2) IOR, R/15/5/103, No. M 111, --- 19-7 - 1918.

(3) IOR, R/15/5/103, No. M 150, Philpy, Tharmide, to Political, Baghdad, dated 9 - 8 - 1918.

(4) IOR, R/15/5/103, No. M 172, Philpy, Buradia, to Political, Baghdad, dated 27 - 8 - 1918.

عبد العزيز الرشيد. ولعل ذلك الخلل ناشئ عن فتوته وقلّة خبرته ورغبته بتصريف شؤون الإمارة على هواه وارثا العناد والتفرد بالرأي عن أبيه.

اما عن مآل حملة ابن سعود التي اتجهت إلى القصيم كما مر، فقد حدث أن قررت الحكومة البريطانية في غضون الوقت نفسه وجوب كف يد ابن سعود عن مهاجمة حائل، وأن تكون السياسة البريطانية بشأن الصراع بين الخصمين هي سياسة "مراوحة الخطى". ولكن أوامر الحكومة البريطانية الجديدة لم تصل قلبي في الوقت المناسب، بل وصلته بعد تحرك القوات نحو بلدة حائل حيث أنها شنت هجوما عليها لم يسفر عن شيء ذي بال، وحين أخبر قلبي ابن سعود بقرار حكومته أظهر غضبه، مما جعل السلطات البريطانية تسعى لامتصاص ذلك الغضب عن طريق تزويده بألف بندقية جديدة، ولكنها اخبرته في الوقت نفسه بعدم ضرورة تحمل عناء أية عمليات حربية أخرى في أي اتجاه<sup>(١)</sup>. وقد اعقب ذلك وترتب عليه عقد الصلح مجددا بين حائل والرياض<sup>(٢)</sup>.

## □ تطورات الصراع بين حائل والرياض بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى:

انتهت الحرب العالمية وصمت هدير المدافع في الجزيرة العربية وما حولها. وتكاثفت بعدها سحب الخلاف بين الشريف حسين وابن

(1) Troeller, op. Cit., pp. 136 – 8.

(٢) الريحاني، المرجع نفسه، ص ٢٦٧.

سعود حول الزعامة والحدود: الفاصلة بين أراضيها. وكان من الطبيعي أن تميل حائل نحو تأييد مملكة الحجاز في صراعها مع عدوها المشترك ابن سعود. وقد تنامي هذا الميل خاصة بعد معركة نزية في مايو ١٩١٩ حين أخذ الملك حسين يحرض حائل ويعدها بالمال والسلاح إن أعانته على حرب العدو المشترك وقد استجاب ابن رشيد للإغراء الحجازي وأعلن عن عزمه على قتال ابن سعود. ولكنه تراجع عن عزمه حين عارض بعض أتباعه هذا الاتجاه ونصحوه بالتروي، سيما وأن الأخبار كانت ترد بنجاح خصمه في استمالة بعض عشائر شمر إلى جانبه<sup>(١)</sup>. ولذلك كله اضطر ابن رشيد إلى مصانعة خصمه فاعتذر له عما بدر منه، وطلب تجديد الصلح بينهما ثانية فأجيب إلى طلبه<sup>(٢)</sup>.

ولم تكن اهتمامات أمير حائل في هذه الفترة قاصرة على إدارة صراعه مع الرياض، بل وكان يتطلع إلى تحقيق المهمة التي طالما حلم بإنجازها منذ سنين، وهي استعادة الجوف من أيدي الرولة. وجاعته الفرصة التي كان ينتظرها حين صار أهالي تلك البلدة واستجدوا به فأجدهم بقوات استطاعت هزيمة الرولة ودخول البلدة قرابة شهر مارس ١٩٢٠<sup>(٣)</sup>. وكان هذا الإنجاز يدل على أن إمارة حائل كانت تملك بقية قوة تمكدها من إظهار بعض النشاط على المسرح الإقليمي. ولعل هذا الواقع هو الذي جعل السلطات البريطانية تفكر في الحيز

(١) وهيم، المرجع نفسه، ص ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٢) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية، بيروت، د.ت.، ج ٢، ص ٢٢١.

(٣) صلاح الدين المختار، المرجع نفسه.

الذي يمكن إفراده لحائل في مجمل خططها للمنطقة بعد الحرب. والواقع أن ذلك التفكير قد ابتدأ قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى ولكنه لم يتمخض عن قرار محدد حتى نهاية الحرب حيث أمّلت الأهمية الاستراتيجية لحائل على وزارة الخارجية البريطانية اقتراح تقديم إعانة مالية سنوية لابن رشيد. وجاءت استعادته للجوف لتعطي دفعة لذلك الاقتراح حتى أوشك على التنفيذ حين أخذت الوزارات البريطانية المعنية تتداول فيما بينها حول أي منها سوف يدفع تلك الإعانة. ولكن حدث ما غير الموقف برمته، إذ اغتيل أمير حائل سعود بن عبد العزيز الرشيد في أبريل ١٩٢٠ على يد أحد أقاربه. وبعد أن قتل الجاني، أسند عرش الإمارة إلى عبد الله بن متعب الرشيد. وكان صيبا في الثالثة عشرة من عمره، فعين له أحد أقاربه وصيا ومديرا<sup>(١)</sup>.

كان الوكيل السياسي البريطاني في البحرين يرصد تلك التطورات داخل الجزيرة العربية وأعد عنها مذكرة طويلة تحت عنوان "مذكرة عن الوضع السياسي في نجد عند نهاية يوليو ١٩٢٠". وقد بدأ الوكيل مذكرته بالقول :- "لا أود لحظة واحدة أن افترض أن استقرائي للأحداث صحيح. إنني فقط أعطيك الاستنتاجات التي توصلت إليها من الاتصال الوثيق مع عرب من شتى الأصناف في البحرين. أستطيع نكر حقيقة واحدة وهي أن الحصول هنا على أخبار نجد وشؤون بلاد العرب الداخلية أشبه ما يكون باستنباط الماء من الصخر. إن كل شخص يبدو مهتما بمنع المرء من الحصول على الأخبار الاعتيادية، فابن سعود مثلا لا يرغب أن تصلني أية أخبار إلا عن طريقه مباشرة. واعتقد بأنه

(١) الريحاني، المرجع نفسه، ص ٢٦٨.

متيقن بصورة جازمة بأننا، نحن الأنكليز، نصوغ سياستنا بناء على أول مقدار من الأموال نحصل عليه". وتطرق الوكيل بعد ذلك لتحديد المصادر التي اعتمد عليها للحصول على معلوماته، فذكر أنه استمدّها من عبد العزيز القصيبي وكييل ابن سعود في البحرين، وفهد البسام وهو تاجر غير ميال لابن سعود يمارس التجارة في القصيم والاحساء، ومحمد الحواس وهو أيضا يزاول التجارة في الرياض والاحساء، علاوة على البدو الذين يزورون البحرين وهم من قبائل بنسي هاجر وبني خالد والدواسر وقبائل أخرى.

وانتقل الوكيل بعد ذلك للحديث عن الوضع السياسي في نجد فقال:- "أن التغيير في الجو السياسي لنجد ليس بعيدا عن الحسينان، وربما تعتبر بدايته في المقام الأول مع اغتيال سعود الرشيد منذ بعض الوقت ومحاولات ابن سعود وضع حائل وشم تحت سيادته وما نتج عن ذلك من أحداث جرت مؤخرا على وجه الخصوص. سأحاول أدناه إعادة بناء ووصف ما حدث بالضبط في القصص والروايات المتناقضة، معطيا تعليقا نهائيا حول السبل المتاحة أمام ابن سعود وإمكانية حدوث انفجار كبير مفاجئ في بلاد العرب في المستقبل القريب. حين اغتيل أمير حائل الراحل في أبريل الماضي أخبر ابن سعود حكومة جلالتة بأنه عقد اتفاقية مع شمر مفادها السماح لهم بإدارة شؤونهم الداخلية بينما يتولى ابن سعود إدارة علاقاتهم الخارجية، علاوة على أن بدو شمر سوف يكونون تحت سيطرته الشخصية. وكان ذلك صحيحا بقدر ما، ولكن حقائق معينة جرى كتمانها. فيقدر ما يستطيع المرء أن يتثبت كانت الوقائع الصحيحة للمفاوضات شيئا كالاتي :-

عندما تولى الأمير الجديد عبد الله بن متعب الرشيد السلطة وعرف ابن سعود أنه مجرد صبي فقد صمم على الاستفادة من ذلك الواقع لفرض إرادته على حائل وجبل شمر. وقد عاونه في خطته قاضي حائل والسكان الخمسة الرئيسيون لتلك المدينة، إذ كتبوا له رسالة عاجلة يدعونه فيها للسيطرة على حائل وتولى حكمها.

فارتكب ابن سعود هنا غلظتين كما يبدو حين اعتقد أن مناصريه في حائل أقوى مما هم في الواقع، وحين لم يتوقع أن يسند عقاب بن عجل من قبيلة عبده الأمير الفتى بإخلاص كامل كما ظهر فيما بعد سيما وأن الأخير كان ابنا لزوجة زنجية وليس سليلا نقيًا لعائلة آل رشيد. ولكن ما انتهت إليه الأمور هو أن الأمير الجديد أسند في الحال من قبل الشيخ عقاب والمدعو ابن زويل سنجلر<sup>(١)</sup> المواطن الرئيسي في مدينة حائل. كانت حركة عقاب الأولى هي الزحف نحو حائل واتخاذ مواقعه هناك مع ابن زويل. تيرأت جماعة عقاب في الحال من أعمال أولئك السكان الذين والوا ابن سعود وأرسلوا مندوبين للرياض ووقعوا المعاهدة التي نقل ابن سعود خبرها للحكومة...<sup>(٢)</sup>.

يحسن التوقف هنا عن مواصلة قراءة ما كتبه الوكيل للتعرف على ما أوردته المصادر الأخرى عن تلك الاتفاقية. وأول تلك المصادر هو ابن سعود نفسه الذي كتب للوكيل السياسي البريطاني في البحرين رسالة مؤرخة في السادس والعشرين من شوال ١٣٣٨هـ / السادس عشر من مايو ١٩٢٠م، وجاء فيها :- "فيما يخص ابن رشيد أخبرتك (١) وردت هكذا في الأصل، ولعل المقصود هو أنه ابن زويل من "سجارة" في شمر.

(2) IOR, R/15/5/25, " Note on the Political Situation Nejed at end of July 1920."

سابقاً عن الشروط التي فرضتها عليهم، وحتى تاريخه لم تقبل تلك الشروط بصورة إجماعية من أهل حائل وجبل شمر. انقسم أهالي حائل ثلاثة أثلاث، فالثلثان الأولان موافقان تماماً على شروطتي التي أرسلتها لك سابقاً، والثلث الباقي معارض، ولكن ليست له أهمية كبيرة.

أما شمر (البدو) فأنهم مؤيدون لي تماماً<sup>(1)</sup> ويقر ابن سعود هنا بأن الأمر بينه وبين ابن رشيد لم يتعد طور المفاوضات وحسب، فليست هناك اتفاقية موقعة بصورة نهائية، إلا إذا كانت قد وقعت بعد تاريخ هذه الرسالة، أو أن إقرار أكثرية سكان حائل لها يجعلها بحكم الاتفاقية. ويلزم التحفظ هنا عند الحديث عن تلك "الأكثرية" لأن من الطبيعي أن يميل ابن سعود إلى تضخيم عدد مناصريه من حائل أمام البريطانيين.

أما الشروط الواردة في الاتفاقية التي انصب عليها رفض الرافضين في حائل فلم يحددها ابن سعود في رسالته أعلاه. ولكن الوكيل السياسي البريطاني في البحرين ذكر في أواسط يونيو ١٩٢٠ أن ابن سعود طلب من آل رشيد التخلي عن حق "الوجه" أو "التسيار" الذي يتمتعون به بين قبائل نجد. وقد أدى هذا الطلب إلى استياء عائلة آل رشيد فقررت إلغاء الاتفاقية التي عقدت بينها وبين ابن سعود<sup>(2)</sup>. ويلاحظ هنا إصرار الوكيل على تسمية ما جرى في مفاوضات بين الجانبين "اتفاقية" ولم يكن الخلاف على إبطال حق "الوجه" هو السبب الوحيد للرفض، بل كانت هناك أسباب أخرى كشفتها رسالة بعثها أمير

(1) IOR, R/15/5/25, No. 17329/912 of 10 - 6 - 1920, Translation of a letter dated 26th Shaban 1338 (16th May 1920) from Bin Saud to the Pol. Ag., Bahrain.

(2) IOR, L/P+S/10/925, No. 163. C, Pol. Ag. Bahrain, to Civel Com., Baghdad, dated, 14 - 6 - 1920

حائل عبد الله المتعب الرشيد الى شيخ الكويت في رمضان ١٣٣٨/أبريل ١٩٢٠، وجاء فيها :- "اشتراط علينا مع جملة مواد الصلح عداوتكم تحت مادة أن العدو واحد والصديق واحد، قصده قطع العلايق مع سمو الشريف حسين ومع جنابكم وباقي الأصدقاء والأحباب، فلما فهمنا قصده ودفعناه تههد أطرافنا ورعاياتنا بالغارات...<sup>(١)</sup> وقد لا يكون طلب ابن سعود من حائل هو النص على عداوة الكويت بالذات على الرغم مما كان بينه وبين شيخها سالم بن مبارك من خلاف شديد حينئذ. ولكنه قصد أن تلتزم إمارة حائل في مواقفها تجاه الأطراف المحلية الأخرى بمواقف الرياض. وهذا يعني أن الخلاف، حسب رواية أمير حائل، قد انصب على كيفية تسيير السياسة الخارجية للإمارة.

وبالتدقيق في الرواية التي أوردها الوكيل السياسي في البحرين يمكن الوصول إلى النتيجة ذاتها. إذ أن حق "الوجه" هو مظهر من مظاهر السياسة الخارجية يكون لآل رشيد بمقتضاه حق فرض حمايتهم على أشخاص آخرين يمرون في أراضي القبائل الأخرى. ويستنتج من كل هذا أن الأمر لم يتعد طور المفاوضات التي رفض فيها آل رشيد ومن شايعهم البند المتعلق بالسياسة الخارجية من الاتفاقية المقترحة. وكان ذلك البند أساسيا، إذا لا خلاف بين الجانبين على البند الآخر للاتفاقية وهو تولى آل رشيد لشؤونهم الداخلية.

وتجدر العودة الآن لمتابعة معلومات مذكرة الوكيل السياسي في

---

(١) IOR, R/15/5/25, No. 49. C, Political, Kuwait, to Clocorn, Baghdad, dated 5 - 7 - 1920.

البحرين عما جرى في حائل بعد تولي عقاب بن عجل وابن زويمل قيادة التيار المعارض للاتفاقيه. إذ تقول المذكرة :- "عندما سمع ابن سعود بحدوث ذلك أرسل شخصا ثقة ذا أهمية إلى حائل مباشرة ليزيل ما اعتقده سوء تفاهم وليشرح الأمور بالتفصيل للشيخ عقاب وجماعة آل رشيد. ودعم ابن سعود رسوله بعرض للقوة على شكل جيش صغير من الأخوان تعداده عشرة آلاف رجل تحت قيادة ولده سعود.

تحرك ذلك الجيش الذي كان في القصيم سلفا بالترامن تقريبا مع وصول رسول ابن سعود إلى حائل، متقدما بشكل مكثف إلى بلدة الطرفية الحدودية. ويبدو أن الأوامر التي كانت لدى سعود هي أن يبادر للهجوم إذا شعر أن الوضع في حائل غدا غير ملائم. ولكن أخبار تحركات هذه القوة كانت قد نقلت بدقة للشيخ عقاب بن عجل. ونظرا لشك الأخير في أن مكيدة ما كانت تدبر فقد قرر أن الموقف الأصوب هو العداء مع ابن سعود على الفور. لذلك أمر في الحال بأن يحضر أمامه القاضي والسكان الخمسة البارزون في حائل، الذين كان تعاطفهم مع ابن سعود معروفا، ونفذ فيهم حكم الإعدام وسط السوق بحضور رسول ابن سعود، ثم سمح للرسول نفسه بالعودة سالما. وبمجرد عودة الرسول إلى الطرفية وروايته ما حدث في حائل للشباب سعود شن الأخير ثلاث هجمات في أراضي ابن رشيد.

ومضى الوكيل في مذكرته يقول :- "وصلت الهجمة الأولى بقيادة الشاب سعود إلى البقعة على بعد ثلاثين ميلا شمال شرق حائل. فغنمت عددا كبيرا من الأبل والضأن وعادت إلى الطرفية دون أية خسارة.

وأغارت الهجمة الثانية بقيادة ابن ربيعان من عتيبة وفيصل الدويش من مطير حول حائل ذاتها ثم هاجمت سدر شمال البلدة. وقد وجد القائدان أن قواتهما مرصودة ومعرضة للتطويق فتراجعا دون خسارة أيضا، ولكن دون أن ينجزا شيئا أكثر من الاستيلاء على عدد قليل من الإبل والضأن.

أما الهجمة الثالثة فتحركت تحت قيادة ابن حميد من قحطان عتيبة<sup>(١)</sup> إلى الشعبية على بعد حوالي خمسة وسبعين ميلا شمال بريدة . كان الأخوان هم الفائزين في البداية، إذ خاضوا معركة قصيرة عنيفة، واستولوا على غنائم كثيرة. وحين انقلبت القوة راجعة هوجمت من كل جوانبها من قبل الخيالة والهجانة الشمريين بجوار قصيبة. كانت قوة الشمريين متفوقة جدا، وخلال وقت قصير فقد انسحاب ابن حميد طبيعته المنظمة وانقلب إلى هزيمة منكرة. ثم التخلي عن كل الغنائم المستولى عليها وأصبح هدف كل شخص أن ينجو بنفسه. استمرت المطاردة حتى الطرفية تقريبا حيث عادت قوات ابن رشيد أدراجها. روى أن قوات ابن حميد خسرت الفين وخمسائة رجل خلال الانسحاب، ويحتمل أن ذلك مبالغ فيه، والرقم الأكثر ترجيحا هو خمسمائة. قوبلت القوة المهزومة في الطرفية من قبل سعود أولا ثم من قبل ابن ربيعان وفيصل الدويش تاليا. وانسحب الجميع بعدها نحو الجنوب تاركين بريدة على يمينهم، لأنهم خذروا من قبل ابن معمر حاكم ابن سعود هناك بأن ظهورهم في المدينة يعد تصرفا غير حكيم حيث ستهمك القوة المهزومة بالقليل والقال بالتأكيد. بقي الأمير ابن

(١) كذا في الأصل. ومن المعروف ان ابن حميد شيخ قبيلة عتيبة وهي غير قبيلة قحطان.

رشيد وعقاب بن عجل وابن زويمل كلهم في حائل خلال الهجمات الثلاث، ومن الخطأ القول بأنهم شاركوا في الهجوم على جماعة ابن حميد<sup>(١)</sup>.

ومن المفيد التوقف مرة أخرى عن متابعة سرد الوكيل السياسي في البحرين للأحداث من أجل التعرف على أصداء تلك الهزيمة كما تورد في المنطقة. فقد جاءت تلك الأصداء مشوشة بروايات مختلفة يستشف القارئ منها كيفية تناقل الأخبار في المنطقة خلال تلك الفترة التي انعدمت فيها وسائل الاتصال الحديثة. وقد كانت الكويت حينئذ مركزا نشطا لتداول أخبار بلاد العرب الداخلية. فكتب الوكيل السياسي البريطاني فيها عن تلك الحادثة قائلا :- "رواية جلبها رجال ابن طوالة، ووتقت هنا، تفيد بأن في حوالي الثامن عشر من يونيو هاجمت قوة كبيرة من رجال ابن سعود منطلقاً من قصيبة جماعة من شمر في الشعبية على بعد خمسة وسبعين ميلاً شمال غرب قصيبة. تلقى ابن رشيد الذي كان حينذاك في عدوة على بعد حوالي عشرين ميلاً من حائل معلومات مسبقة فأمر شمر في الشعبية بإبعاد خيامهم وانتظار الهجوم. حرك هو نفسه كل قوته لمساعدتهم ووصل الشعبية في الوقت المناسب لشن هجوم معاكس على قوة ابن سعود التي هزمت وطورحت تسع ساعات وأنزلت بها خسائر فادحة جدا. روى أيضا أن أهل بريدة رفضوا السماح للقوة المهزومة بدخول بلدتهم. ولكن هذه المعلومة الأخيرة لم توثق"<sup>(٢)</sup>.

(1) IOR, R/15/5/25. \*Note - - - July 1920.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 46 - C, Political, Kuwait, to Clvcom, Baghdad, dated 27 - 6 - 1920.

أما في بلدة سوق الشيوخ الوثيقة الصلة بالبادية فقد دون معاون الضابط السياسي البريطاني الأخبار التي سمعها عما حدث كما يلي :-  
 "تقّة مطلع على أمور الشامية يقول إنه منذ حوالي خمسة عشر يوماً أثار الأخوان نزاعاً حول الاستقاء من بعض الآبار مع هجانة لابن رشيد كانوا متجهين إلى الكويت. قتل ثلاثمائة من الأخوان وثمانون من اتباع ابن رشيد. يروى الآن ان ابن سعود وابن رشيد كليهما أقسما بالوصول إلى حائل والرياض على التوالي بعد أن فشلت المفاوضات التي جرت بينهما عقب الحادث ..."<sup>(١)</sup> وعاد معاون الضابط السياسي في سوق الشيوخ بعد أيام ليقول أنه زار الخميسية والتقى هناك بابن خميس وضاري بن طوالة اللذين أكدا له أخبار الصدام، وأوضحا له أن ابن سعود قد قاصى بالفعل من نكسة في عملية صغيرة في الشعبية قرب حائل. وأعرب الرجلان عن اعتقادهما بأن الصراع بين حائل والرياض قد أصبح وشيكاً"<sup>(٢)</sup>.

وكانت المعلومات المتداولة في البحرين حول الحادثة كما سجلها في حينه الوكيل السياسي البريطاني هناك تقول :- "رسالة لشيخ البحرين من مصدر نجدى وصف بأنه موثوق اعطت الرواية التالية عن الإشاعات الأخيرة حول حادثة شمر والأخوان. تبدأ الرواية بالقول بأنه في حوالي العاشر من يونيو هاجم ابن ربيعان شيخ عتيبة مع الأخوان فرعين من قبيلتي حرب وهتيتين"<sup>(٣)</sup> في بيضاء نثل Baidha Nathil على بعد ستين ميلاً غرب حائل فاستولوا على إيلهم كلها وكانت

(1) IOR, R/15/5/25, No. 1364. A.P.O., Suk, to P.o., Nasirigah, dated 23 - 6 - 1920.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 1391, C, A.P.O., Suk, to C.C., Baghdad, dated 26 - 6 - 1920.

(٣) كذا في الأصل، والأرجح أن المقصود هو 'هتيم' لا 'هتيتين'.

الخسائر من الجانبين كليهما حوالي خمسمائة قتيل. شنت قبيلة حرب كلها فيما بعد هجوما معاكسا على مخيم لشمر انضموا مؤخرا إلى الأخوان في القرعة على بعد عشرين ميلا غرب قصيبة. كانت غارة حرب ناجحة. وابتد الأخوان الشمريون عمليا. ما جاء أعلاه أكدته مصادر بدوية في الياسة، إيقصد من داخل بلاد العرب باعتبار البحرين جزيرة]. كتب لي ابن سعود من الرياض في الرابع والعشرين من يونيو حول قضية الكويت دون أن يذكر أي شيء غير عادي. الوقت الحاضر هو الفصل المؤلف للغزوات البدوية وأرى أن يعار اهتمام قليل لقصص القتال الذي هو فحسب غارات مألوفة بصورة واضحة. طبقا للقصبي فإن العلاقات بين ابن سعود وابن رشيد ودية<sup>(1)</sup>.

أن استعراض الروايات المارة أعلاه ومقارنتها بالرواية الأولى التي أوردتها مذكرة الوكيل السياسي في البحرين يظهر أن تلك الروايات حوت الكثير من المعلومات المشوهة عما حدث، فرواية الكويت تجعل ابن رشيد نفسه قائدا للهجوم المعاكس. أما الروايتان الواردتان من سوق الشيوخ والبحرين فكانتا أكثر تشويقا، إذ اعتبرت رواية سوق الشيوخ أن ما حدث نزاع عرضي بين سريتين من الأخوان وشمرو من جراء الخلاف على السقاية من بعض الآبار في حين اعتبرت رواية البحرين النزاع صداما وقع بين الأخوان وقبيلة حرب لا بينهم وبين اتباع ابن رشيد، وان رد فعل قبيلة حرب كان مهاجمة بدو من قبيلة شمرو انشقوا على ابن رشيد وانضموا للأخوان. ويجدر التنبيه هنا إلى أن الوكيل السياسي في الكويت أكد صحة هذه الرواية الأخيرة طبقا لما أخبره به

(1) IOR, R/15/5/25, No. 173 - C, Political, Bahrain, to Civil Com., Baghdad, dated 1 - 7 - 1920.

النفيس وكيل ابن سعود في الكويت ولكنه اعتبر وقوة سابقا للأحداث التي جرت في الشعبوية وأسفرت عن هزيمة قوات ابن سعود<sup>(1)</sup>. وبلغت النظر هنا أن ابن سعود في رسالته التي ذكرها أعلاه الوكيل السياسي في البحرين لم يشر لتلك الأحداث من قريب أو بعيد مع أن ارسال تلك الرسالة جاء بعد وقوعها. ويعكس هذا رغبته بعدم اطلاع الجانب البريطاني على أخباره غير الملائمة. ويلاحظ أيضا أن القصيبي، وكيل ابن سعود في البحرين، ذكر أن علاقات ابن سعود وابن رشيد كانت ودية حينئذ. ويظهر ذلك إما جهله بالأمور، وهو مستبعد، أو رغبته في نفي هزيمة قوات سيده بالرغم أن علاقات الطرفين ودية مما ينفي ضمنا أية إمكانية لوقوع صدام. ولكن ابن سعود نفسه لم يثبت أن أقر للبريطانيين بوقوع هجوم من جانب قبيلة شمر على أتباعه دون أن يتطرق لابعاد ذلك الهجوم أو نتائجه. فقد كتب إلى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين رسالة مؤرخة في الثامن والعشرين من يونيو بين فيها طيش ابن رشيد وعدم قدرته على كبح بعض أفخاذ قبيلة شمر عن مهاجمة رعاياه. وقال أنه اضطر لارسال ابنه سعود على رأس قوة كبيرة لمعاينة المهاجمين، فطاردهم واشتبك معهم على بعد ست ساعات من حائل حيث سحقهم بشدة واستعاد منهم كل الغنائم المنهوبة<sup>(2)</sup>.

ولعل من المجدي هنا الرجوع إلى مذكرة الوكيل السياسي البريطاني في البحرين لرؤية ما ترتب على تلك الأحداث الدامية من تحركات على الصعيد السياسي. فقد جاء في تلك المذكرة ما يلي :-

(1) IOR, R/15/5/25, No. 47 - C, Political, Kuwait, to Civcom, Baghdad, dated 4 - 7 - 1920.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 187 - C, Political, Bahrain, to Political, Kuwait, dated 8 - 7 - 1920.

"بعد الأحداث أعلاه مباشرة أرسل ابن رشيد ومستشاروه رسائل لشمر كلها يحذرونها من عدوان متوقع من قبل ابن سعود ويدعونها للتجمع في مراكز معينة. أحد أوائل الناس الذين أرسلوا يهنئون ابن رشيد بانتصاره على ابن حميد كان سالم شيخ الكويت لأنه لازال متألماً من هزيمته على أيدي مطير في جريه (قرية) في مايو<sup>(١)</sup>، وكان يبحث حوله بصورة مسبقة عن خلفاء يلجأ إليهم وقت الحاجة. لقد وعد بالمساعدة سلفاً من الجهات التالية ضد ابن سعود و "اخوانه" إذا ما هجموا عليه :-

١- الظفير تحت قيادة ابن سويط.

٢- الشيخ إبراهيم بن زبير<sup>(٢)</sup>.

٣- خزعل شيخ المحمرة.

٤- سد طالب باشا في البصرة.

وانضم ابن رشيد الآن لهذه المجموعة عاقدا اتفاقية دفاعية هجومية مع الشيخ سالم. ويروى أيضاً أن الشيخ سالم وابن رشيد كليهما قد كتبوا رسائل للملك حسين يخبرانه فيها بالأحداث ويطلبان منه الانضمام للجامعة المضادة للأخوان. تظهر الأنباء الأكثر حداثة أيضاً أن العيدة Al-Aide والفقير Faqir في مجموعة مدائن صالح (عزرة) زاروا حائل وعرضوا الانضمام للاتحاد ضد ابن سعود. أخبرت عرضاً، على الرغم من أنني غير ميال لتصديق الرواية، بأن ابن سعود استولى على

(١) حول تلك الحادثة انظر د. خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٢) كذا في الأصل، وهو خطأ واضح فالمقصود هو إبراهيم بن عبد الله آل إبراهيم شيخ الزبير.

رسالة أخرى مرسله من الشيخ سالم إلى الملك حسين توضح كل المؤامرة المضادة لابن سعود الذي لا يقول شيئا عن تلك الرسالة حاليا خدمة لأهدافه الخاصة كما يقال. أن الروايات اعلاه على الرغم من أنها استمدت من شاهد موثوق تماما إلا أنها ربما كانت صحيحة أو صحيحة جزئيا فقط. إذ تعلم المرء بالتجربة أن يعامل كل أخبار عربية كهذه بأكبر الحذر. أن مخبري الرئيسي هو فهد البسام، وهو قصيمي وأظن انه لحد ما ضد ابن سعود أكثر مما هو لجانبه<sup>(1)</sup>.

ولقد كان تشكك الوكيل هذا مبررا حول حقيقة الاتحاد أو الجامعة الموجهة ضد ابن سعود على الرغم من تواتر الروايات عنها في أنحاء المنطقة حينئذ. فمعاون الضابط السياسي في سوق الشيوخ نقل عن مصادره القول بأن الكويت وقبيلة الظفير وشيخ الزبير كانوا يساعدون ابن رشيد<sup>(2)</sup>. والوكيل السياسي في البحرين كتب: - "اعطاني الشيخ عبد الله، الابن الأكبر للشيخ عيسى شيخ البحرين، المعلومات التالية التي أرسلها لكم لأهميتها. وقد أكدت الرواية نفسها من قبل ثلاثة مسافرين موسرين من الكويت، ومفادها أن الشيخ سالم شيخ الكويت قدم عروضاً سرية إلى شيخ المحمرة والسيد طالب من البصرة وابن رشيد بهدف الحصول على تأييدهم ضد ابن سعود. فوعده السيد طالب وشيخ المحمرة بالتأييد، وعربا لذلك التأييد ارسل الأول عشرة من الخيل وأرسل الثاني سبعين منها هدية للشيخ سالم. ولم تعرف طبيعة التأييد الموعود. دعا الشيخ سالم أيضا ضاري بن طوالة للقدوم إلى أراضي

(1) IOR, R/15/5/25, \*Note --- July 1920.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 1364, --- 23 - 6 - 1920.

الكويت والعسكرة بصحبة علي ابن خليفة ابن اخ الشيخ سالم فى  
الجهرة كإجراء احتياطى وقد وافق ضارى بن طوالة على ذلك.  
وأضاف الشيخ عبد الله مبينا أن هناك دلائل على أن شريف مكة وابن  
رشيد وسالما شيخ الكويت يتراسلون مع بعضهم، والهدف العام هو كبح  
قوة ابن سعود المتزايدة، أما الهدف المباشر فهو منعه من الذهاب إلى  
مكة عن طريق التهديدات بالحرب والغزو...<sup>(1)</sup>.

ويبدو ما ورد اعلاه عن "العروض السرية" التي قدمها سالم  
الصباح للسيد طالب والشيخ خزعل وابن رشيد غامضاً. إذ لم يرد في  
المصادر المتاحة أي شيء محدد عن ماهية تلك العروض، وأن يكن  
الأمر بالنسبة إلى طالب وخزعل ليس بحاجة إلى عروض سرية حيث  
أن صلة هذين الرجلين بآل صباح وارتباطهم الوثيق بهم منذ أيام الشيخ  
مبارك معروفة للملأ. أما عن ابن رشيد فهناك ما يثبت أنه هو الذي  
بادر إلى الاتصال بشيخ الكويت من أجل تنسيق مواقفهما وليس العكس.  
فقد كتب إليه الرسالة التالية التي يفضل إيراد نصها على فيه من أخطاء  
لغوية وإملائية لتعريف القارئ بأسلوب التراسل بين حكام المنطقة  
حينئذ. وجاء في تلك الرسالة :- "بعد مزيد السلام ووجب الاحترام  
اولا سؤال خاطر العاطر لازال مسرورا وعنا من فضل الله تعالى  
على ما تحب ويحب كل صديق لاسيما الثبات على محبتكم وصدقتكم  
المتأكدات [كذا] بالروابط الصادقة يشهد بها الخص والعام العدو  
والصديق حتى حسدنا الناس نحن وانتم عليها وبثو [كذا] شرك أسباب  
الامناوات [كذا] وقطع العلايق ومن أشد الناس في ذلك رهين معروفكم

(1) IOR, R/15/5/25, No. 213 - C, Pol, Ag., Bahrain, to Civil Com., Baghdad, dated 25-7-1920

الذي لم يراعي [كذا] حق النعمة ولم يقيم بشكرها بسا، بدل شكرها بالكفران نعوذ بالله من الخزي والخذلان وما كفاه ذلك بقلبه حتى أخرجته على لسان قلمه بأن اشترط علينا مع جملة مواد الصلح عداوتكم تحت مادة أن العدو واحد والصديق واحد قصده قطع للعلايق مع سمو الشريف حسين ومع جنابكم وباقي الأصدقاء والأحباب فلما فهمنا قصده ودفعناه تهدد أطرافنا ورعايانا بالغارات والإيحاءات [كذا] التي في جملتها بتاريخه أغار ولده وأخوانه على الشعبية وبين فيها العداوة ليدرك بها مرامه الفاسد فينا وفيكم لا سمح الله ولهذا طرشنا [ارسلنا] لكم رجاجيلنا بها لمكتوب [بهذا المكتوب] لتعلموا ما عندنا من تأكيد المحبة وبيان العداوة لهذا الطاغى الباغي ورجا التساعد على عكس مرامه وهدم سلطانه قبل اتساع الخرق علينا وعليكم فإن رأيتم رأي [كذا] فعليا عاجلا فهذا وقت الفرصة اشعرونا سريعا حيث أننا سعيينا في تدبير عرباننا وتنظيم أحوالنا ولا تعدوننا إلا قاضيناه [اشتبتكنا معه] وهذولا [هؤلاء] عرباننا ابن طواله وعربانه قدامكم بينا لهم يتوجهون إلينا ونسئل [كذا] الله أن يعيننا وإياكم وأن يمدنا بعنايته الربانية أنه على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ... ومن طرف عرباننا إلي [الذين] بطرفكم تروا [تري] كل شيء منكم ينشطهم من قول وفعل وبالله ثم بكم الكفاية والإشارة كفاية<sup>(1)</sup>.

ويظهر التدقيق في هذه الرسالة حرص ابن رشيد الواضح على إيغار صدر الشيخ سالم ضد ابن سعود وحثه له على القيام بعمل مشترك ضده قبل فوات الأوان. ورد سالم على ابن رشيد برسالة

(1) IOR, R/15/5/25, Enclosed in No. 49. C, --- 5-7-1920.

جوابية نقلت الوثائق البريطانية نص ترجمتها الانكليزية وجاء فيها :-  
 "استلمت رسالتك بأيدي رجايلك عبد الله ورفاقه وسعدت كثيرا  
 بقراعتي ما قلته عن مودتك وصدافتك التي أنا ممنن لها جدا ومقدر  
 للغاية صدافتك الحقة والمخلصة. نقول أن بعض الناس حسدونا على  
 الصداقة القائمة بيننا وحاولوا أن يثيروا الضغينة ويدمروا العلاقات وأن  
 ابن سعود كان هو الأكثر عنفا بين هؤلاء وانه جعل شرطا من شروط  
 السلام الذي عرضه عليك أن تقطع علاقاتك مع الشريف حسين ومع.  
 وتقول انك حين فهمت قصده فرفضته بدأ بمهاجمة رعاياك، وأنك طبقا  
 لذلك ارسلت رجايلك لتجعلني اعرف صدافتك الحقة. إنني اشكرك  
 جدا وسترداد ان شاء الله روابط صداقتنا وتستمر وادعوا الله أن لا  
 تتحقق رغبة الحاسدين. أخي إذا كان تصرف ابن سعود بذلك الشكل  
 فأن الله سيحمي من هو على حق. إنني بخير والحمد الله وادعوا الله أن  
 يمنحنا التوفيق والأمان وأن تكون عاقبتنا معا جيدة. ان الله بعنايته  
 الربانية سيحبط كل خصم. إنني مرسل لك رجالي ورجالك عبد الله  
 الذي سيخبرك عن كل شيء دون ريب...<sup>(1)</sup>.

وبقدر ما كان الحماس للتعاون ظاهرا بقوة في رسالة ابن رشيد  
 السالفة الذكر كان الطابع المميز لرسالة سالم الجوابية هو التحفظ  
 الواضح. إذ لم يرد فيها رفض أو قبول صريح لفكرة الامير عبد الله  
 المتعب عن العمل المشترك ضد ابن سعود. بل ولم ترد في رسالته أية  
 عبارة حادة تجاه الأخير. والشيء الوحيد الملفت للنظر في الرسالة

(1) IOR, L/P+S/10/925, Translation of a letter date the 17th July 1920 From the Shaikh of  
 Kuwait to the Amir Abdullah al Mut'eb or Rashid.

العبارة التي جاءت في ختامها ويقول :- "انني مرسل لك رجالي ورجالك عبد الله الذي سيخبرك عن كل شيء دون ريب". فهل كان ذلك الرسول يحمل استجابة سالم لفكرة العمل المشترك، وهي الاستجابة التي لم يرد تدوينها على الورق ابتغاء السرية وخوفا من وصول الرسالة بشكل ما إلى ابن سعود؟ يبدو ذلك أمرا محتملا وإن كانت الشواهد العملية التي تلت ذلك تدل على أن الطرفين حتى لو اتفقا على فكرة العمل المشترك من حيث المبدأ فأنهما لم يضعوا خططا عملية لتنفيذ ذلك. فلقد هاجم فيصل الرويشي والأخوان الكويت في أكتوبر ١٩٢٠ وحصروا الشيخ سالم واتباعه في القصر الأحمر في الجهراء ولم ينقذه من ذلك الحصار إلا التدخل البريطاني الفعال<sup>(١)</sup>، بينما لم يحرك أحد من "حلفائه" الذين كثرت الروايات عن "حلف" أو "جامعة" بينه وبينهم ساكنا لمساعدته. وكانت المساعدة العملية الوحيدة التي تلقاها هي اشتراك ضاري بن طوالة في الدفاع عن الجهراء بعد أن كان المذكور قد وصل للكويت منذ أواخر يوليو ١٩٢٠<sup>(٢)</sup>. وقيل كذلك أن شيخ المحمرة أرسل أيضا بعض الاسلحة إلى الكويت. أما بقية "الحلفاء" مثل شيخ الزبير وقبيلة الظفير وشريف مكة والسيد طالب فلم يرد لهم ذكر أبدا. ويدعو كل ذلك للتشكك في حقيقة وجود "حلف" فعلي بالمعنى المفهوم للحلف بين تلك الأطراف ضد ابن سعود. وربما كان كل ما بينها يقتصر على حقدتها المشترك على ابن سعود وخوفها، أو خوف بعضها على الأقل، منه. فالأحقاد الموروثة والصراع الدموي

(١) عن تلك المعركة راجع : السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص ٢٤٧ وما بعدها.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 68 - C, Pol, Kuwait, to Civil Com., Baghdad, dated 28-7-1920.

بين حائل والرياض معروف، والخلاف بين شيخ الكويت وابن سعود كان على أشده حول مشاكل السيادة على القبائل والحدود بين الطرفين، والصراع بين الملك حسين وبين ابن سعود كان عنيفا على النفوذ والحدود وقضية الحج، والظفير وشيخ الزبير كانوا متخوفين من تحركات الأخوان قريبا منهم. أما الشيخ خزعل والسيد طالب فلم تكن لهما قضية مباشرة مع ابن سعود، ولكن تأييدهما القديم لآل صباح يجعلهما أقرب إلى تأييد الشيخ سالم عن تأييد ابن سعود. ولكن ذلك الحقد المشترك ضد ابن سعود والتخوف من قوته لم يدفعها تلك الأطراف نحو تشكيل "حلف" ذي صبغة عملية يحدد خطواتها عند مهاجمة ابن سعود لأي منها. إذ كل ما كان بينها هو تبادل رسائل الشكوى من تحركات ابن سعود تفيد في التفتيس عن مشاعر الحقد ولكنها لا تنفع عمليا حين تحين ساعة الجد ويفرد ابن سعود بكتائبها واحدا إثر الآخر.

ولا تنفق مذكرة الوكيل السياسي البريطاني في البحرين المذكورة سابقا مع هذه النتيجة التي يرجحها التحليل حين تتحدث عن ظهور مجموعتين على الساحة العربية، فنقول :- "ان الاتجاه العام للأخبار العربية اليوم، مع ذلك، ينمو نحو إظهار أن مجموعتين اثنتين تتشكلان بالتدرج. المجموعة الشمالية وتضم حرب وهنيم ومدائن صالح وشمر والظفير والزبير والكويت، وهي ملتفة حول لواء ابن رشيد الخصم القديم لابن سعود. والمجموعة الجنوبية تضم نجدا بالمعنى الضيق

للكلمة ويضمنها الاحساء، والادريسي، وساحل عمان<sup>(١)</sup>.

ويساند الملك حسين المجموعة الشمالية بالطبع. من بين المجموعتين توجد القوة المقاتلة الأكبر مع ابن سعود دون شك، بينما يحتمل أن تكون الموارد الأكبر (من الأموال) موجودة لدى المجموعة الشمالية. وإذا تحولت المنافسة العنيفة إلى حرب غير حاسمة فأن المجموعة الشمالية بأموال من الزبير والكويت والحجاز يحتمل أن تفوز. في حين إن فرصة ابن سعود الوحيدة للفوز هي حصوله على نصر عاجل وساحق على ابن رشيد. ولاشك أن الخوف من حركة الأخوان هو الذي قرب المجموعة الشمالية لبعضها.

واستطردت المذكرة تقول :- "هناك من جانب آخر قليل شك في أن هزيمة كبيرة لابن سعود سيكون لها تأثير مشؤوم على حظوظه. إن العرب وخاصة البدو منهم ماهرون في مغادرة السفينة التي تغرق. ولذلك فإن الفوز هو الشيء الوحيد لصالح ابن سعود، إذ أن نظامه العسكري الصارم ليس محبوبا كلية لدى بدو نجد. أن الهزيمة القريبة لقائد ابن سعود، ابن حميد، على الرغم من أنها ليست خطيرة بالدرجة التي أعلنت في الكويت، إلا أنها كانت كافية لإثارة رعب ابن سعود. أن الروايات الأكثر مبالغة عن المعركة نشرت من قبل شمر وشيخ الكويت الذين يعرفون قيمة طرح الأخبار في السوق قبل غيرهم. ولكن الرواية

---

(١) ليس واضحا مبرر إدراج الادريس وساحل عمان ضمن القوى المتصارعة. فالشريف الإدريسي في مركزه المستقل في جنوب غرب الجزيرة العربية بعيد تماما عن ساحة الصراع ولم يرد من الاخبار ما يدل على اشتراكه فيها قولا او عملا. وكذلك الحال إلى حد بعيد بالنسبة لإمارات ساحل عمان.

التي وصلت الكويت مؤخرا حول اضطراب الاحساء واستعدادها للثورة ضد ابن سعود غير صحيحة كليا... إنه يخشى شمر بدون شك ولكنه يستخف بالزبير والكويت والحجاز على الرغم من أنه يعرف كم هي خطيرة مكائدها. وعن حديثه الأخير كله عن مهاجمة الكويت فربما اعتبر من المؤكد إنه لن يفعل شيئا كهذا لأنه يعرف مبدئيا بأنه سيقف ضننا ويدرك أن حكومة جلالته لا يمكن أن تبقى ساكنة وهي ترى الكويت تصبح مقاطعة لابن سعود.

ليس لدي يقين شخصيا ولكن سوف لن يكون السماح لابن سعود باجتياحها وفتحها مثلما فعل بالاحساء واحدا واحدا من الأدوار الأكثر حكمة للسياسة التي يمكن أن نتبعها. أن ضم الكويت سيحسم للابد قضية ابن رشيد ويجعل ابن سعود العامل المسيطر في بلاد العرب. ولكون ذلك غير مرجح الحدوث فينبغي علينا أن نراقب ونرى أي سبيل يحتمل أن يسلكه ابن سعود. انه سيعمل ويعمل خلال الشهرين او الثلاثة القادمة بالتأكيد.

أن أمام ابن سعود سبيلين متاحين :-

١- حرب معلنة مع ابن رشيد وأصدقائه.

٢- الحصول على بغيته من ابن رشيد بالعمل الدبلوماسي.

ولست أظن أنه سيتبع السبيل الأول لأن الأخطار التي ستهدد سيطرته في حالة هزيمته كبيرة جدا. وهو يعلم كم هي صعبه العمليات الناجحة ضد ابن رشيد في الصيف إذ ليس هناك بئرا وتقب ماء في أي

مكان عبر أراضي ابن رشيد دون أن تكون جماعة من كشافة آل رشيد نازلة عليه. ويترتب على ذلك أن عنصر المفاجأة سيكون غير متاح لابن سعود منذ البدء. ولن تحقق الغارات الاعتيادية له الكثير على الرغم من انها ممكنة دائما، وربما كان ابن رشيد في الحقيقة سيصيب نجاحا أكثر في هذه اللعبة إذ ان شمر كلها متحدة باستثناء أولئك البدو الذين تحولوا إلى "أخوان" وهاجروا جنوبا نحو نجد.

كما ان القصيم من ناحية أخرى ميدان مناسب لمكائد شمر، إذ ليس من الضروري أن يستقبل فيها المغيرون من الشمال باعتبارهم أعداء. والدبلوماسية، أو السبيل الثاني هو ما اعتقد أن ابن سعود سيتبعه. ويجب أن يلاحظ هنا أن ابن سعود يعتبر في قضايا الدبلوماسية لا منافس له في بلاد العرب. فهو قادر في هذا المجال على وضع حلقات حول ابن رشيد. أن اسلوبه الصريح والنزيه والمخلص يستخدم غطاء لواحد من أدهي العقول التي يمكن أن توجد - His bluff, candid and open-hearted manner serve to act as cover for one of the astutest brains that can be found.

وأظن أن عنزة هي الوسيلة التي يرجح جدا أن يحاول ابن سعود تحقيق أهدافه بها. والطعم الذي سيعرضه عليها هو "جوف الأمير". فمنذ زمن سحيق في القدم كانت عنزة تطالب بهذه الواحة. وقد جعلتهم سيطرتهم الأخيرة عليها وطردتهم على يدي ابن رشيد ناقمين جدا ضد شمر. ان ابن سعود نفسه ينتسب لعنزة، ونداء منه لها لن يذهب أذراج الرياح، فمن الاسهل إذن. عرض أراضي الجوف الغنية على عنزة ومساعدتها في الحصول عليها. وسيطلب ابن سعود بالمقابل مجرد الاعتراف به من قبل عنزة باعتباره السيد الأعلى لابن رشيد مع

وجدود حاكم سعودي في حائل. وبمهاجمة شمر من الشمال والجنوب في الوقت نفسه فلن تكون الكويت أو الحجاز ذات عون كبير لحائل. في الحقيقة أنه في حرب كهذه يمكن إيقاف تجارة الكويت مع حائل على الفور بمجرد قطع الطرق التجارية بينهما حيث ستكون مطير والعجمان ذات فائدة لهذا الغرض.

تثور هنا قضية هل من مصلحة حكومة جلالتة رؤية ابن رشيد تابعا لنجد إلى الأبد؟ أظن ان الأمر سيكون كذلك. فبلاد العرب المركزية إذا كانت قوية تحت سيطرة ابن سعود، وعلى علاقات ودية بشكل جازم، فأنها، كما أتجرأ على الظن، ستكون ملائمة للسياسة البريطانية. انها ستحل الكثير من الصعاب وستجعل، بصورة عرضية، اعتماد كل دول الساحل الصغيرة علينا أكثر بكثير جدا مما هو عليه الآن، إذ أن الكويت والبحرين والساحل المتهدان وعمان واليمن والحجاز وحتى سوريا ستعيش كلها في خوف من جارها القوي وستصبح أكثر انقيادا لرغبات حكومة جلالتة مما هي اليوم. أن كل تلك الدول في الوقت الراهن لديها - إن جاز التعبير - غرور نتيجة للحرب العظمى والحديث الكثير عن حقوق الأمم الصغيرة. فهي بدون انضباط وتريد دائما أن تضل عن سواء السبيل، ولكنها ستكون الأولى في الصراخ إذا كان لها جار قوي يهددها. تترك تلك الدول جيدا في الوقت الحاضر أنه بوجود ابن رشيد القوي فأن ابن سعود سيفكر مرتين قبل إرسال قوة كبيرة لأية مسافة خارج نجد. . . . .

لذا فهي كالتعلب تشعر بأنها في أمان باقتضاء آثار الأسد، فتشعر

بأنها آمنة من الانتقام بصورة ملائمة. أن الدول الساحلية لذلك سترحب دائما أكثر من أي شيء آخر بحرب مدمرة غير حاسمة بين ابن سعود وابن رشيد، فطريقة العربي للبقاء هي وضع جيرانه الأقوياء ضد بعضهم البعض، أما إذا لم يستطع فعل ذلك فيجب أن يحصل على قوة حامية قوية يستند عليها. وإذا ما اصبح ابن سعود قويا بمعنى الكلمة في بلاد العرب فأن النفوذ البريطاني سيزداد بصورة هائلة بين الدول الساحلية. أما إذا كان على ابن سعود وابن رشيد مواصلة حرب مستمرة دون نهاية يضعف من جرائها الاثنان معا بصورة كبيرة فإن النتيجة الأولى ستمثل في نزعة للتخلص من النفوذ والتدخل البريطاني بين الدول الساحلية.

ولا يجب تناسي ان كل تلك الدول الساحلية الصغيرة تواقفة لزيادة أراضيها الداخلية، فالشيخ عبد الله ابن حاكم البحرين الشيخ عيسى أفصح مؤخرا عما يكنه فؤاده بصورة دقيقة فيما يتعلق بالبحرين، ففي مناقشة خاصة تفجع على حقيقة ان الترك لم يكونوا يملكون الاحساء كما كانوا يملكون الحجاز في بداية الحرب العظمى. لأن البحرين عندها، حسب قوله، كانت ستحصل على المساعدة الانكليزية وتجتاح الاحساء كلها وتصبح سيدة الساحل الغربي من الكويت إلى عمان المتصالحة (ابو ظبي). وعندما حدث أن لاحظت (ماذا عن ابن سعود وحاكم قطر؟) قال أنهما لن يحسب لهما حساب بوجود قواتكم خلفنا، إذ كانت قطر ستصبح لنا على الفور، بينما كنا سنضطركم لحرب معلنة مع ابن سعود. واستمر يقول أن أهل الاحساء كانوا سينادون بالشيخ عيسى ملكا وكان سيصبح أفضل كثيرا لهم من ابن سعود على أية حال.

ومضى الوكيل فى مذكرته قائلاً :- "إذا كانت حكومة جلالتة تريد حقاً مساعدة ابن سعود كي يصبح قوياً بمعنى الكلمة وترغب بشكل نهائي باسناده لوضع ابن رشيد تحت سلطته فمن الطبيعي أن تكون الوسيلة الأسرع والاسهل لتحقيق تلك الغاية هي إعلان الحصار ضد ابن رشيد من النجف في العراق نزولاً إلى الكويت شاملاً المدينتين كليهما. أن هذا الحصار مصحوباً بتهديد بالحرب من جانب ابن سعود سوف يجبر ابن رشيد خلال ثلاثة شهور على قبول أية شروط تفرض عليه.

ولكن الكويت يجب أن يسيطر عليها البريطانيون مؤقتاً لأغراض الحصار، لأن أي حصار محلي يديره الشيخ سالم سيكون مهزلة. ومن جانب آخر إذا كان وجود ابن رشيد قوى ضرورياً لسياسة حكومة جلالتة فإن الشيء الوحيد الذي يجب عمله عندها هو اسناد ابن سعود بثبات بالطريقة نفسها التي كان بها الترك يسندون ابن رشيد باستمرار<sup>(١)</sup>. ومهما يكن الحال فيجب جعل دول الساحل تعيش دائماً في حالة خوف من جارتها النجدي الكبير، لأنها بهذه الطريقة فقط ستكون رغبة في الابقاء على علاقات جيدة مع البريطانيين. يجب أن تشعر بضرورة حمايتها لها، وإلا فإنها ستخرج عن السيطرة.

ثم انتقل الوكيل للقول :- "باستعراض الوضع أعلاه ومحاولة التنبؤ بالسبيل الذي يحتمل أن يسلكه ابن سعود في التعامل مع شمر، لا يجب

---

(١) يعني إمداده بأسلحة وأموال ودعم سياسي يبقيه واقفاً بثبات أمام خصمه دون تمكينه من سحق ذلك الخصم نهائياً.

على المرء نسيان سوريا. إذ هل تتبنى قبائل عزة موقف فيصل [ابن الحسين] الساعي إلى التدخل في شؤون الجوف؟ أن ذلك واحد من الشكوك التي على ابن سعود أن يواجهها. أن ابن سعود في الوقت نفسه يجب أن يوكل له استنباط وسيلة خلاصة، ولكن شيئا واحدا سيكون مدمرا لكل خطئه كليا بصورة جازمة، واعتقد شخصيا ان ذلك الشيء سينجح حقا نجاحا كبيرا في تدميره، [قصده هنا قطع الإعانة المالية البريطانية عن ابن سعود]... أن الخمسة آلاف جنيه استرليني التي يحصل عليها ابن سعود الآن شهريا عبر البحرين تتفق على شكل إعانات مالية فرعية لشيوخه النجديين الأقوياء. فالبدو والحضر [في نجد] مثل كل العرب يمكنك أن تفعل بهم أي شيء إذا أعطيتهم إعانات مالية مناسبة مهما كانت صغيرة ويدرك ابن سعود ذلك جيدا، ويفهمه بشكل خاص على أنه حقيقة في نجد التي تقف إلى حد التلاحم فيما بينها أكثر من شمر ابن رشيد على سبيل المثال.

وما يحتاجه ابن سعود اليوم منا هو عون خارجي أكثر، وإذا كنا لا نستطيع اعطائه مالا فيجب أن نجعله، بقدر ما نستطيع، يرى عزمنا على الوقوف بجانبه وعدم نيتنا السماح لدول صغيرة مثل الكويت والبحرين بمضايقته بحماية من بريطانيا العظمى إذا جاز التعبير. أن قرار الجمارك الذي اتخذ مؤخرا لصالح ابن سعود في البحرين مثل جيد عن كيفية استطاعتنا اسناد ابن سعود. وكان للقرار تأثير ممتاز على الشيخ عيسى بشكل مؤكد، إذ تحسن سلوكه كثيرا تجاه الوكيل السياسي. ويمكن أن نقوم بعمل كبير أيضا لو أقدمنا مثلا على منح ابن سعود وسام G.C.S.I. أو وساما آخر مساويا له. وسيكون عملا ممتازا

من أعمال السياسة أيضا لو قامت خلال الصيف القادم بزيارة الرياض بعثة صغيرة، لنقل أنها مؤلفة من الوكيل السياسي في البحرين مصحوبا بموظف صحي وشخصي آخر، فابن سعود يريد تكريما مبالغيا فيه.

أنه مخلص لبريطانيا ويكن الاحترام الأكبر للسير برسي كوكس شخصيا، وهو لحد الآن لا يربطه بالعالم بريدا أو برق، ويحصل، كما هو حادث الآن، من كل صوب على قصص يومية مبالغ فيها وكاذبة فلا يمكن لومه إذا أصبح شكوكا حيال أعمالنا. فهو في اللحظة الراهنة مثلا مقتنع بقوة بأن الحكومة البريطانية تحت سالما شيخ الكويت على حريه، وهو يستمد أفكارا كهذه من بعض مستشاريه المناوئين للانكليز. وأجدرهم بالذكر كما أظن، احمد بن ثنيان الذي تربي في اسطنبول وهو دائم الاستعداد ليعزو للبريطانيين الغادرين كل حركة شريرة. أن أسم "انكلترا الغادرة" كان قد بدأ باستخدامه عموما في اسطنبول قبل الحرب كما كان يستخدم في باريس دائما. وكما قلت آنفا فأن ضابطا بريطانيا يزور الرياض في الخريف القادم، ولنقل في نوفمبر القادم، سيوفر لابن سعود فرصة تنفيس الكثير مما في صدره ، إنني مقتنع أن زيارتي إلى الهفوف في فبراير الماضي خلقت اطمئنانا كبيرا في نفس ابن سعود، فقد تعهدت أن ازرع في ذهن ابن سعود الانطباع بأن لديه في البحرين شخصا يناصره على اية حال، وكانت الزيارة ثمينة بصورة موازية من وجهة نظر حكومة جلالته. وكما بينت في حينه فأن ابن سعود يريد شخصا ما ليتحدث معه، شخصا يعرف أنه سينقل إلى السلطات العليا كل ما يقوله. أن ضابطا بريطانيا، ربما مع شخصين آخرين، يجب أن يرسل لدى كل طقس بارد إذا أمكن... وكلما كبر الرجل الموفد كلما

شعر ابن سعود بمزيد من التكريم. كما أن مجرد حضرة ر. بعثة كهذه إلى الرياض سيعمل أكثر من أي شيء آخر على الإعلان لسكان بلاد العرب أن حكومة جلالاته على أحسن العلاقات مع حاكم نجد وأنها تتوي مساعدته. أن هذا هو ما يريد ابن سعود الذي صاغ الأمر بعبارة "أريد الحكومة تكبرني جدام العرب". [أورد الوكيل العبارة حرفيا باللغة العربية].

ومضى الوكيل يقول :- "طبقا لعبد العزيز القصيبي فإن ابن سعود غير خائف اطلاقا من أي عمل مباشر من جانب اتحاد الكويت وابن رشيد والحجاز. أن ما يخشاه هو حملة الاقتراء التي يعلم أن أناسا مثل شيخي المحمرة والزبير وسيد طالب أيضا سيبدعونها الآن، فهو يعلم كم هم عرب العراق ماهرون في لعبة كهذه، كما أنه يعتقد أن نصيحة الناس المذكورين أعلاه مصغي لها من قبل سلطات بغداد، في حين يعتقد أنه لا نصير له في مراكز الحكومة. ولذلك فهو يخشى أن يفقد ثقة الحكومة، وربما يخشى أن تخفض إعانته المالية نتيجة لحملة كهذه. أنني اتذكر قول ابن سعود لي "انتم يالانكليز تأخذون حجي الناس" [أوردها الوكيل حرفيا].

وتلخص هذه الجملة مشاعر ابن سعود اليوم... وفي الختام فإن ديون ابن سعود تسبب له القلق مرة أخرى. علمت بأنه مدين لتجار القصيم بما يقارب سنة الكاك<sup>(1)</sup> من الروبيات، بينما هو في البحرين وحدها مدين لعبد العزيز القصيبي بحدود لك واحد، والأخير قلق على

---

(1) أكاك جمع كاك، وهو رقم هندي يساوي مائة ألف.

نفوذه كما أعرف. إنني أتوقع تماما أن يطلب ابن سعود قريبا من حكومة جلالاته زيادة إعانته المالية مرة ثانية ... واعتقد أن إعانتنا المالية لابن سعود ذات عائد جيد وأن النتائج التي تم الحصول عليها أكبر بكل المقاييس من المال المنفق، وأود شخصا أن أرى الإعانة تزداد إلى ستة آلاف جنيه استرليني كل شهر<sup>(1)</sup>.

وبعد استعراض أغلب ما جاء في مذكرة الوكيل السياسي في البحرين تسهل ملاحظة ميله الواضح إلى جانب ابن سعود وتحييده الصريح لمساعدته ضد حائل. ولم يكن الوكيل بالطبع يستهدف من وراء ذلك كله مصلحة ابن سعود، بل مصلحة بريطانيا. والمصلحة هي التي توجه سياسات الدول لا العواطف. ويستشف من دفاع الوكيل الحار عن فكرته تلك وجود وجهات نظر بريطانية أخرى تظن أن ابقاء ابن رشيد معادلا في ميزان القوة لابن سعود مفيد لمصلحة بريطانيا. إذ أن ذلك سيشتغل ابن سعود ويمنعه من تهديد حلفاء بريطانيا في الخليج والحجاز. ويظهر أن ابن سعود كان يحس بوجود فكرة مثل هذه لدى بعض المسؤولين البريطانيين، فكان يحرص نتيجة لذلك على تأليب السلطات البريطانية ضد خصومه وتصويرهم بصورة المعادين لها وليس له فقط. فقد كتب في الثاني من اغسطس ١٩٢٠ رسالة إلى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين كان مضمونها كما يلي :-

"١- أن كل عدم الاستقرار في بلاد العرب وسوريا والعراق اليوم ناتج عن سعي وكلاء الترك من خلال

(1) IOR, R/15/5/25, "Note.... July 1920", by Ag., Bahrain, dated 12-8-1920.

صنيعتهم الشريف وفيصل.

٢- أن كل جهودي للوصول إلى تسويه ودية مع ابن رشيد عديمة الجدوى، والعلاقات بيننا مقطوعة الآن، ولدي معلومات جديرة بالثقة كليا تفيد بأن الشريف أرسل مؤخرا أسلحة وأموالا إلى حائل، ويوشك المزيد منها أن يصل عبر المدينة [المنورة].

٣- يتفاوض شيخ الكويت معي ظاهرا، ولكنه يخطط لتدمير سرا.

٤- أن حسين وفيصل وابن رشيد وشيخ الكويت يتظاهران كلهم بالصدقة مع انكثرا ولكنهم يعملون بجد لتقويض مصالحها. ادعموني وأنا أضمن لكم إنهاء المكائد المضادة للانكليزيين العرب. ومن ناحية أخرى إذا استمرتم على وضعي بالتساوي مع أولئك الذين يخدعونكم فأعلموني حتى أكف عن إزعاجكم بالمزيد من المراسلات.

٥- لقد اعطيتم أصدقاءكم الخوانين ألقابا وأراضي غنية وبقيت أنا صديقكم الحق أفقر من المعتاد. أن أوضاعي المالية بائسة فكل ايرادتي مرهونة كما قلت لكم ذلك كله قبلا. إنني التمس من حكومة جلالته زيادة إعانتني المالية ومساعدتي أكثر من هذه الناحية فأنا لا أستطيع تدبير الأمر...<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ على رسالة ابن سعود هذه أنها لم تنظر إلى ابن رشيد

(١) IOR, R/15/5/25, No. 247 - C, Pol, Bahrain, to Civil Com., Baghdad, dated 16-8-1920.

وشيخ الكويت والملك حسين باعتبارهم متحدين على شكل "حلف" أو "جامعة" بالصورة التي راجت في المنطقة حينئذ. مما يدعم ما سبق قوله عن أن الحديث عن حلف أو جامعة بين أولئك كان مبالغة في الأخبار والروايات ليس إلا. فلو كانت العلاقات بين تلك الأطراف قد وصلت مرحلة التحالف الفعلي لكان ابن سعود بالطبع أول الشاكرين من ذلك التحالف المصرحين بوجوده. يرجح ذلك أنه كان يتابع ما تتبدله تلك الأطراف من مساعدات ويُنقل أخبارها للجانب البريطاني كما ورد في رسالته أعلاه. ولا يستبعد هنا أن تكون إشارته إلى مساعدة الشريف حسين لابن رشيد وليدة رغبته في إيراز الأعباء المالية التي يتحملها من جراء دعم الشريف حليف بريطانيا لخصمه تمهيدا للطلب الذي ورد في ختام رسالته حول زيادة إعانتته المالية الشهرية. ويبدو أن حراجه موقفه المالي حينئذ كانت تحتم عليه التقرب للبريطانيين العرب على ما فيه مبالغة كبيرة واضحة.

### □ المرحلة الأخيرة من الصواع بين حائل والرياض

لم يرد في المصادر المتاحة ما يدل على حدوث صدامات كبيرة بين حائل والرياض عقب صدامات شهر يونيو ١٩٢٠. فكان الأمر أشبه بهدنة غير معلنة حتى جاء شهر مارس ١٩٢١ حيث راجت شائعات عن تجدد الأعمال الحربية بين الحاضرتين. وكانت الكويت والبحرين كالعادة مصدر تلك الشائعات. ففي الكويت سجل الوكيل السياسي البريطاني رواية تفيد بأن سعود كان يجمع حينئذ قوة كبيرة ليتوجه على رأسها نحو الارطاوية. وذكر أن البعض يعتقد بأن هدفه

هو معاقبة فيصل الدويش شيخ قبيلة مطير لخروجه عن طاعته، ولكن الاعتقاد الأكثر شيوعا هو أن هدفه الحقيقي حائل<sup>(1)</sup> أما الوكيل السياسي البريطاني في البحرين فقد نقل إشاعة متداولة تفيد بأن أعمالا عدائية مفاجئة حصلت أو توشك أن تحصل بين ابن سعود وابن رشيد في جوار حائل<sup>(2)</sup> ثم ابرق بعد أسبوعين مسجلا وجود شائعة بعد أسبوعين مسجلا وجود شائعة أخرى غير مؤكدة تفيد بأن قوة ابن سعود قد هزمت ابن رشيد قرب حائل وحازت غنائم من بينها خمسون امرأة<sup>(3)</sup>

ولابد هنا من استبعاد حكاية الغنائم من النساء فهو أمر غير مألوف إطلاقا. وقد أكد القصيبي وكيل ابن سعود في البحرين بعد حين أخبار تحركات ابن سعود ضد حائل فذكر أن محمد بن عبد الرحمن، أخا ابن سعود، هزم قوة من شمر قرب ميانه Miyannah وتقدم بعدها إلى تيم Taim حيث هزم قوة ابن رشيد الرئيسية على بعد ثلاث ساعات من حائل، وبقي هناك يومين ثم تراجع إلى ياطب لعدم خروج قوة لمواجهة. كما قيل أيضا أن سعود، ولد ابن سعود، خرج مع قوة أخرى محاولا قطع خط الرجعة على قوات حائل. ولكن الوكيل السياسي في البحرين نقل عن مصدر نجدي رواية مختلفة تفيد بأن الدويش دمر أولا قرية شمرية صغيرة على الرغم من أن سكانها كانوا قد تحولوا إلى "أخوان" مؤخرا. ونتيجة لذلك شن الشمريون كلهم هجوما على قوة الدويش فدمروها. وكان ابن سعود في ذلك الحين محاصرا بشكل عملي في بريدة وخائفًا

(1) IOR, R/15/5/25, No. 51 - C, Pol, Kuwait, to Hicom, Baghdad, dated 11-3-1921.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 28 - C, Pol, Bahrain, to Hicom., Baghdad, dated 19-3-1921.

(3) IOR, R/15/5/25, No. 32 - C, Pol, Bahrain, to Hicom., Baghdad, dated 5-4-1921.

من الانسحاب منها لئلا تثار مقاطعة القصيم ضده وتتضم لابن رشيد. وقيل أن ذلك هو سبب عدم استلام أخبار من ابن سعود. وختم الوكيل برقيته بالقول أنه ليس لديه حتى تاريخه تأكيد لأي من الروايتين السالفتين<sup>(١)</sup>.

ولكن التأكيد وصل للكويت على شكل رسالة من ابن سعود إلى شيخ الكويت احمد الجابر مؤرخه في الخامس من شعبان ١٣٣٩هـ، وهذا نصها :- "بعد إهداء مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن شريف خاطرکم العاطر لازلتم بكمال الصحة ووافر السرور وعنا نشكر الله تعالى على نعمه بخير، وأحوالنا من كرم الله جميلة. بعده نعرف جنابکم منطرف [من طرف] الابن سعود عدا من لينه قاصد بن [ابن] طلال وشمر ألي [الذين] معه على القيصومة ووافقهم [صادفهم] قضوب [كلمة غير واضحة المعنى ولعلها تعني رجلا قبضت عليهم قوات سعود ثم اطلقتهم] وخبروهم وهجو [هربوا] وقفوهم [تبعوهم] وعيونهم [وجدوهم] واطين [مارين] الخزول ومتفرقين عنها. بن [ابن] طلال وألي [الذين] معه نحرو [اتجهوا] الجوف وبن [ابن] عجل وبن علي وألي [الذين] معهم انحرو [اتجهوا] البريت وصدر [رجع] سعود من الخزول على ساقتهم وعين [وجد] بن عايش وبن جيرين والوجعان والمطيري والعضاري والويبار وبن ضليعان ومعهم الصقور من عنزة في مند البريت وأكانو [أغاروا] عليهم وأخذهم الله ثم خذوهم وقطعوا [غنموا] حلالهم وذبح منهم ناس واجد [كثير] والمسلمين

(١) IOR, R/15/5/25, No. 35 - C, Pol, , Bahrain, to Political, Kuwait, Baghdad, dated 18-4-1921.

[كذا] من فضل الله سالمين [كذا] ما انتقصوا إلا بثلاثين رجلا فلما رأينا ما من الله به أحببنا بشارتكم بذلك.. أخي سلمك الله من طرف الأخبار مثلما عرفنا جنابكم سابقا ولاحقا كفاية وجميع الأمور على المطلوب الحمد لله رب العالمين. منطرف [من طرف] باقي شمر بعد كون [إغارة] سعود كلهم طاحو علينا [سلموا لنا] إلي غير [عدا] بن عجل حروه [الأرجح] أنه نحر [أتجه] الجزيرة وعاهدونا أنهم رعية لنا ودرهم دربنا على بن رشيد وغيره وأمرناهم ينزلون من أنصاب إلى طوال الظفير القصد نبي [نزيد] إبعادهم عن الجبل وأطرافه ومروة [الأرجح] يجيكم لهم مدايد [ممتارون] وهم اليوم محسوبين [محسوبون] طوارف [اتباع] لنا ولا بد بعد [ايضا] يروح معهم [طوارف] [اتباع] منا وأحببنا تعريفكم من طرفهم. منطرف [من طرف] عربانا إلي [الذين] عمدناهم ينزلون من لينه إلى الخاصرة بطرف الجبل القصد يحاصرونه وهذا اليوم أطيّب ما في نجد الربيع نرجو من الله التوفيق<sup>(1)</sup>.

تسيع في ثنايا هذه الرسالة لهجة القائد الواثق من امتلاكه ناصية الأمور في ميدان القتال بعد أن انقلبت موازين القوى لصالحه بصورة واضحة. ولم ترد في المصادر المتاحة أية معلومات محددة تفسر أسباب ذلك الانقلاب المفاجئ. ولعل ما ذكرته هذه الرسالة نفسها عن الربيع في نجد يقدم تعليلا جزئيا، حيث أن وفرة المراعي تمكن ابن سعود من تحريك قوات كبيرة. ويتضح من الرسالة أن خطة عمليات ابن سعود كانت تنصب على مهاجمة بادية قبيلة شمر وعزلهم عن تقديم

(1) IOR, R/15/5/25, Letter From Ibn Saud to Shaikh Ahmed Al Jabir Al Sabah.

أية مساعدة لابن رشيد في حائل. وعلى الرغم من أن بادية شمر كانوا تحت قيادة أبرز شيوخهم مثل ابن طلال وابن عجل وابن علي إلا أنهم لم يصمدوا أمام الهجمات التي يشنها عليهم قوات سعود بن عبد العزيز. ومن الغريب هنا أن بعضا من قبيلة عنزة وقفوا إلى جانب شمر ضد قوات ابن سعود على الرغم مما هو معروف من ميل عنزة إلى الأخير وعدائها الطويل مع ابن رشيد. ويتضح من الرسالة أيضا أن حملة سعود قد حققت أهدافها جزئيا حين مال قسم من بادية شمر إلى السلم مع ابن سعود الذي أمرهم بالنزول على آبار معينة واقعة على أطراف أراضي الكويت بقصد ابعادهم عن ميدان صراعه مع ابن رشيد.

ولكن أقساما أخرى من بادية شمر أفلتت من مطاردة سعود لها واتجه قسم منها تحت قيادة ابن طلال إلى الجوف واتجه قسم آخر تحت قيادة ابن عجل نحو الجزيرة في العراق.

وقد استمر ابن سعود في تطبيق خطته الرامية إلى عزل حائل عما جاورها تمهيدا لمهاجمتها هي ذاتها. وقد ورد ما يدل على ذلك في رسالة كتبها إلى عبد الله السالم الصباح بعد حوالي شهرين من رسالته الأولى، وجاء فيها :- " .. نعرف جنابكم أن حنا [نحن] بعد ما وردنا جواب تحققنا أن شمر كلهم هجو [هربوا] ورئينا [كذا] أن العيال [الأبناء] يعدون [يهجمون] عليهم وعمدنا [أمرنا] الأخ محمد مع بيرق والابن سعود مع بيرق والابن فيصل مع بيرق أما عن محمد وسعود يخلون [يتركون] الجبل على يسارهم ويقفون [يتبعون] شمر الذين اشمولوا وفيصل يخلي الجبل على يمينه وينأخر [يتجه] لقراياه الذي

[التي] من فوق وأنا براسي [يشخصين] انقلب على القصيم لأنه بدمد  
الله كل عدو ضعيف والمسلمين [كذا] بهم بركة انشاء [كذا] الله من  
طرف محمد ورد خضرا وكان [أغار] على أهل الحباينة الصليط  
والشلقان وأخذهم الله وانقلب يسار ضل الحباينة ووافق [صادف]  
طروش [رسل] لبن رشيد وحمله له معها سلاح وفشك [أخيرة] وأخذهم  
الله ثم خذوهم [هزموهم] ونبحوهم ووردوا التيم وحاولوا [كذا] منه  
وأكانوا [أغاروا] على سرية لبني رشيد مع جيشه [إيله] ومخلط [خليط]  
عربان ومخلفة [يقايا] أهل حایل يم [قرب] القاعد وأخذهم الله ثم أخذوهم  
ووخذ [هزم] جيش ابن رشيد بالصخریات ونبح منهم ثلاثمائة رجال  
والمقبرة ما روت إلا من طرف حایل والمسلمين [كذا] من فضل الله ما  
انتقصوا إلا برجال وخمس [كذا] من الخيل وحالا وهم نازلين [كذا]  
ياطب ومن طرف فيصل ورد الشعبية وعدا قاصد سرية لبني رشيد  
بطرف سما مع ولد ابن صبهان وستندرو [انذروا] ونارو [هربوا] ونزل  
فيصل على السبعان وسلمو [كذا] أهله وجميع قرايا الجبل سلمت ولعدا  
[ولم يعد] يبقى إلا نفس حایل محصورين لا يجهم أحد ولا يظهر  
[يخرج] منهم أحد وهم إنشاء [كذا] الله معنورين [خاسرين] يحول الله  
وقوته. وسعود بمعدها [لازال بغارته] وتحررا [ينتظر] الخبر المبارك  
عنه إنشاء [كذا] الله ... (١).

يتضح من الرسالة أن قوات ابن سعود المشاركة في العمليات كانت  
عبارة عن ثلاثة ارنال، وقد اوكل للمرتلين الأولين اللذين كان يقودانها

(1) IOR, R/15/5/25, Letter From Ibn Saud to Shikh Abdallah As – Salim As – Sabah.

محمد بن عبد الرحمن وسعود بن عبد العزيز تطويق حائل من الشرق، بينما كانت مهمة الرتل الثالث الذي يقوده فيصل بن عبد العزيز تطويق حائل من الغرب والشمال. أما في الجنوب من حائل فقد تحرك ابن سعود نفسه على رأس بقية قواته إلى القصيم لمحاصرة حائل من الجنوب وكما يؤسس هناك مركز القيادة العامة والإمداد للارتال الثلاثة التي تقدمت شمالا. ونستدل من الرسالة أيضا أن الأوامر التي أعطيت للارتال الثلاثة كانت تنص على مطاردة بادية شمر وابعادهم عن حائل لعزلها كليا. ولذلك اقتصرت العمليات على غارات متفرقة دون أن يرد في الرسالة ذكر لأي هجوم على مدينة حائل نفسها أو لأي صدام مع قوة ابن رشيد الرئيسية. وقد نجحت تلك الخطة في إحكام الحصار حول مدينة حائل، إذ استلم شيخ الكويت معلومات من نجد تفيد بأن الحصار كان مفروضا على حائل في بداية يونيو ١٩٢١<sup>(١)</sup>.

كما أكد هذه المعلومات رجل كويتي غادر حائل في الحادي والعشرين من مايو وأفاد أن المدينة كانت عند مغادرته محاصرة بأحكام من قبل قوات ابن سعود على الرغم من عدم وجود قتال فعلي بين الطرفين<sup>(٢)</sup>. وقد أدى ذلك الحصار إلى ندرة المواد الغذائية في المدينة فقد ذكر رجل غادر حائل في حوالي السادس من يونيو أن القوات السعودية كانت تبعد أكثر من خمسة وعشرين ميلا عن المدينة وتكتفي بحصارها عن بعد. وعلى الرغم من وصول كمية قليلة من المؤن للمدينة من الحجاز إلا أنها كانت تعاني من نقص في المواد

(1) IOR, R/15/5/25, No. 90 - C, Pol., Kuwait, to Hicom, Baghdad, dated 6-6-1921.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 105 - C, Pol., Kuwait, to Hicom, Baghdad, dated 18-6-1921.

الغذائية جعل كيس الرز يرتفع سعره إلى ثمانين ليراً<sup>(١)</sup>.

وقد أدرك ابن رشيد على ما يبدو عدم قدرته على فك ذلك الحصار، بل وأيقن حتى قبل أن يحكم الحصار عليه أن ميزان القوى يميل لصالح خصمه. ولم يجد نتيجة كذلك غير محاولة الوصول للسلام باعتباره خير وسيلة لمنع المزيد من التدهور في موقفه. وقد اتجه بنظره إلى السلطات البريطانية في بغداد للتوسط بينه وبين خصمه. ولم تبق محاولة ابن رشيد هذه طي الكتمان، بل تسربت حتى وصلت إلى صفحات الجرائد إذ نشرت جريدة "لسان العرب" الدمشقية خبراً يفيد أن ابن رشيد جنح للسلم ونزل على شروط ابن سعود. وقد نفى حمزة الغوث مندوب ابن رشيد صحة تلك الأنباء في مقابلات صحفية أجراها في القاهرة وبيروت، وذكر أن موقف ابن سعود حينئذ لا يمكنه من الصدام مع ابن رشيد من جراء سوء العلاقات بينه وبين كل من الحجاز واليمن. والغريب أن جريدة "الأوقات" العراقية الناطقة باسم سلطات الاحتلال البريطاني نشرت تلك التصريحات في عددها الصادر في الخامس عشر من مايو ١٩٢١<sup>(٢)</sup>. ولكن ذلك النفي لم يكن إلا دعابة صحفية هدفها تضخيم قوة ابن رشيد وإخفاء المأزق الذي كان فيه والذي اضطره إلى طلب الوساطة البريطانية. وكانت بداية الاستجابة البريطانية لطلب ابن رشيد برقية وجهها المندوب السامي البريطاني في بغداد إلى السلطات التابعة له في كل من الناصرية والبصرة والكويت يأمر فيها بموافاته بأخر الأخبار المستمدة من الصحراء حول ماهية

(١) IOR, R/15/5/25, No. 113 - C, Pol., Kuwait, to Hicom, Baghdad, dated 28-6-1921.

(٢) IOR, R/15/5/25, No. 82 - C, Pol., Kuwait, to Hicom, Baghdad, dated 21-5-1921.

الموقف السائد في حائل<sup>(1)</sup>. ويظهر أن هدف المندوب السامي البريطاني كان هو الحصول على معلومات كافية تمكنه من تقويم الموقف قبل الإقدام على التدخل الذي لم يتأخر كثيرا. إذ أبرق المندوب السامي في بغداد بتاريخ الخامس عشر من يوليو ١٩٢١ إلى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين يأمره أن يوفد رسولا خاصا لابن سعود كي يخبره بأن ابن رشيد طلب منه التوسط لايقاف الأعمال الحربية بين الطرفين. وطلب أن يتحقق الرسول من استعداد ابن سعود للتراضي وماهية شروطه لذلك<sup>(2)</sup>. ومن الغريب أن الوثائق البريطانية المتاحة لم تذكر بعد ذلك أي شيء عن ذلك الرسول والرد الذي عاد به من ابن سعود أن كان قد سافر فعلا.

أن عدة عوامل تصافرت فيما بينها واضطرت ابن رشيد لطلب الوساطة البريطانية، منها ما وضح أعلاه من نجاح قوات ابن سعود من عزل حائل عن بادية قبيلة شمر وهم يمثلون احتياطها الحربي الدائم. سيما وأن ذلك قد توافق مع خسارة قبيلة شمر لبعض فرسانها المشهورين الذين يقول عليهم في ساحات النزال مثل ضاري بن طواله الذي قتل أثناء المعارك الأخيرة<sup>(3)</sup>. ومنها أن أحكام قوات ابن سعود الحصار حول مدينة حائل قد أدى إلى ندرة المواد الغذائية وارتفاع اثمانها مما أثر على الروح المعنوية لسكانها دون ريب. ومما زاد في سوء موقف ابن رشيد حدوث خلاف بين الأوساط المتنفذة في حائل

---

(1) IOR, R/15/5/25, No. A1749, Hicom, Baghdad, to Political, Kuwait, dated 27-6-1921.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 856 . S, Hicom, Baghdad, to Political, Bahrain, dated 15/7/1921.

(3) IOR, R/15/5/25, No. 90 . C, Political, Kuwait, to Hicom, Baghdad, dated 6-6-1921.

حيث انقسمت إلى فئتين أولاها ما تريد القبول بكل شروط ابن سعود للخروج من ذلك المأزق، والأخرى تريد الصمود بوجهه حتى النهاية<sup>(١)</sup>. وكان يقود الفئة الأولى أمير حائل الفتى عبد الله بن متعب الرشيد، بينما كان يقود الثانية ابن عمه محمد بن طلال الرشيد. وقد انتهى الصراع بين الفئتين باستلام ابن طلال العرش الإمارة واستسلام الأمير السابق عبد الله بن متعب لابن سعود. ولكن استسلامه لم ينه المقاومة حيث استمر خلفه في قيادة المقاومين للحصار<sup>(٢)</sup>.

وليست هناك معلومات كافية تمكن من الحكم على ما حدث في حائل بدقة. فليس من الواضح ما إذا كان استسلام عبد الله بن متعب لابن سعود أعقب عزله وطرده من الإمارة، أو أنه هرب من تحمل مسؤوليات الحرب مما جعل ابن طلال يتحرك ويتولى الإمارة كي يسد الفراغ الذي أوجده هرب سلفه.

وإذا كانت الجبهة الداخلية في حائل تعرضت لذلك الشرخ الخطير الذي أوهن تماسكها خلال ذلك الوقت الحرج، فإن جبهة ابن سعود الداخلية لم تخل هي الأخرى من ظهور اختلاف في وجهات النظر وإن كان أقل خطورة. ففي أثناء الحصار المفروض على حائل والذي كان "الأخوات" يقومون بعنئه الأساسي، يبدو أن بعضهم أعترض على مواصلة الحملة ضد ابن رشيد باعتبارها ذات هدف ذئبوي وليست

(1) IOR, R/15/5/25, No. 113. C. Political, Kuwait, to Hicom, Baghdad, dated 28-6-1921.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 122. C. Political, Kuwait, to Hicom, Baghdad, dated 17-8-1921.

وقد زادت الأخبار التي وصلت الكويت ما حدث تفصيلا فنكسرت أنه في السادس من مايو ١٩٢١ قابل ابن حميد وابن ربيعان، وهما من مشايخ عتيبة وزعماء الأخوان، اثنين من علماء حائل خارج المدينة، فتحاورا معها واعترفا للعالمين بأنهما مسلمان صالحان وعقدا معهما الصلح. وترتب على ذلك انسحاب ابن حميد وابن ربيعان مع اتباعهما إلى ديارهما، اما عالما حائل فقد توجهوا إلى ابن سعود للحصول على تصديقه على الصلح المعقود. ولكن ابن سعود رفض إقرار الصلح وتصديقه قائلا أنه لم يكن يقاتل في هذه الحالة من أجل هدف ديني ولكن من أجل الثأر<sup>(٢)</sup>. ويرجح أن ابن سعود بعدها قد احتوى هذا التخلخل في صفوف اتباعه، إذ لم يرد ذكر بعد ذلك لاختلاف بينه وبين قادته حول مسارات الصراع مع حائل.

كان تسليم أمير حائل عبد الله المتعبد وما يؤثره من وهن لحق بقمة القيادة الشمرية فرصة سانحة دون شك لابن سعود لتشديد ضغطه على خصومه قبل أن يعود وضعهم للتماسك تحت قيادة الأمير الجديد. ويبدو أنه اغتم تلك الفرصة، ففي رسالة وجهها لشيخ الكويت مؤرخة في السادس من أغسطس ١٩٢١ ذكر ابن سعود أنه متوجه شخصيا إلى الشعبية الواقعة شمال شرق حائل تصحبه قوة كبيرة من الأخوان ليباشر بنفسه تشديد الحصار على مدينة حائل التي يتوقع استسلامها

---

(1) IOR, R/15/5/25, No. 114. C, Political, Kuwait, to Hicom, Baghdad, dated 4-7-1921.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 116. C, Political, Kuwait, to Hicom, Baghdad, dated 16-7-1921.

قريباً. وقد صحب ابن سعود معه في تحركه هذا أمير، حائل السابق عبد الله بن متعب الرشيد<sup>(١)</sup>. وتلقى شيخ الكويت في التاسع والعشرين من الشهر نفسه رسالة أخرى من ابن سعود تفيد بأن قوات الأخوان لازلت مستمرة في حصار حائل، وأنه شخصياً متوجه من الأوطاية إلى القصيم<sup>(٢)</sup>. وزاد ابن سعود تفاصيل ما يجري حول حائل وضوحاً في رسالته المؤرخة في الأول من محرم ١٣٤٠هـ / الرابع من سبتمبر ١٩٢١ التي وجهها إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت، وجاء فيها :- "علمت للتو أن عدة من بادية شمر قد نكثوا بتعهدهم وذهبوا إلى حائل. ولكن الدويش مع جماعتين من الأخوان استولى على كل ممتلكاتهم وقتل أغلبهم، وهو مخيم الآن قرب حائل في مكان يسمى الجثامية على بعد حوالي ثلاث ساعات من البلدة. والغارات متبادلة بينه وبين ابن طلال الذي هو في مكان يسمى النحسية على بعد حوالي ميل ونصف من الجثامية<sup>(٣)</sup>. ولا يعلم ابن طلال بأنني قد غادرت عاصمتي وأنني في طريقي إليهم، ولكن أهل حائل يعلمون<sup>(٤)</sup>. كما أخبرت سعادته سابقاً [يقصد المندوب السامي البريطاني في بغداد]، لذلك فأنتي ساع لاغتنام هذه الفرصة املا في

(١) IOR, R/15/5/25, No. 125. C, Political, Kuwait, to Hicom, Baghdad, dated 19-8-1921.

(٢) IOR, R/15/5/25, No. 143. C, Political, Kuwait, to Hicom, Baghdad, dated 5-9-1921.

(٣) ورد في وثيقة أخرى أنها تبعد "ساعة ونصف" بدلاً من "ميل ونصف" ويظهر أن العبارة الأولى أكثر منطقية. فلا يعقل أن تكون المسافة الفاصلة بين معسكري الخصمين ميلاً ونصف الميل فقط.

(٤) يبدو الأمر غير معقول، إذ لا يمكن أن يعرف أهل حائل كلهم بتحركه ويخفي الأمر على قائدهم. ولعل في الأمر سهواً ارتكبه من ترجم تلك الرسالة إلى الإنكليزية في الوكالة البريطانية في الكويت.

أخذه بينما هو خارج البلدة بأذن الله. وسأغار الآن قبّه<sup>(١)</sup> نحو حائل...<sup>(٢)</sup>.

تكشف هذه الرسالة أن العمليات الحربية كانت تقتصر حينذاك على أحكام الحصار على حائل عن بعد دون القيام بهجوم مباشر على البلدة ذاتها. كما يظهر منها أن ذلك الحصار لم يكن يحول كلفة دون تسرب بعض المدد إلى البلدة المحاصرة بدليل نجاح بعض بادية شمر بالانضمام إلى ابن رشيد بعد نقضهم لتعهداتهم لابن سعود. ولعل وصول ذلك المدد على قلته هو الذي يفسر استمرار حصار حائل كل تلك المدة الطويلة على الرغم من ضغط القوات السعودية المتواصل عليها. بيد أن ذلك لم يغير شيئاً من حقيقة الوضع اليائس الذي أصبح عليه ابن رشيد مما دفعه للتفكير بمخرج من ذلك المأزق. ولم يجد أمامه، مثل سابقه، سوى السعي لدى السلطات البريطانية لعلها تتوسط بينه وبين خصمه. يتضح ذلك من رسالة مؤرخة في السابع عشر من سبتمبر ١٩٢١ وجهها الوكيل السياسي البريطاني في الكويت لابن سعود، وهذا نصها :- 'بعد السلام وتقديم مزيد الاحترام والسؤال عن شريف خاطركم اتشرف لأخبر سموكم بأنني أخذت تلغرافاً مؤرخ [كذا] ١٣ محرم سنة ١٣٤٠ من صاحب الفخامة السربرسي كوكس المنسوب السامي في العراق وبه أمرني لابلغ سموكم ما يأتي أدناه:-

(١) علق الوكيل البريطاني في الكويت بقوله لعلها 'جبة' الواقعة على بعد خمسة وستين ميلاً شمال شرق بريدة.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 149. C. Pol. Ag., Kuwait, to the Sec. To the High Com., Baghdad, dated 10-9-1921.

أولاً : كلا الملك فيصل وفخامته أخذ كل واحد منهما مكتوباً على  
حده من محمد بن طلال الرشيد يستغيث بالتوسط لخلص  
[لإنهاء] العداوة التي بين سمك وبينه وما رد له جواباً إذ  
ينتظرون جوابكم الأعلا [الأعلى] إذا كان توافق يتوسط الملك  
فيصل أو فخامته بصفته مندوباً للحكومة البريطانية الفخيمة.

ثانياً: أن الحكومة العراقية في غاية الإزعاج عند دخول الذين  
يهربون من شمر إلى العراق. ويصعب جداً منعهم من  
الدخول والحكومة لا تريد لهم وعاملة جهدها لتجعلهم يلتحقون  
مع شمر جريه في شمال الجزيرة. وحدث مرتين أو ثلاث  
حاولوا أن يجعلون [كذا] العراق ملجاء [كذا] لغاراتهم في  
الصحراء الجنوبية وربما كانوا [أغاروا] ضد عشائر سموكم  
أو أصدقائكم. ويرجو فخامته أن تكن [كذا] مطمئن الخاطر  
بأن الحكومة العراقية عاملة كلما يمكن لمنع هذا ولكن يصعب  
منعهم تماماً حتى أنها تخرجهم لشمال الفرات...<sup>(1)</sup>.

وتظهر الرسالة أعلاه ان الغارات التي كانت قوات ابن سعود  
تشنها ضد بادية شمر قد ضيقت عليهم الخناق حتى اضطرت بعضهم  
للنزوح من أراضي إمارة حائل إلى جنوب العراق ويبدو أن هدف  
أولئك النازحين لم يكن الفرار من ميدان النزال فقط، بل كان توفير  
ملجأ آمن لعوائلهم ليعودوا بعد لشن الغارات على أراضي ابن سعود  
فيما يشبه ما يسمى الآن بـ :حرب العصابات" وقد سبب ذلك الوضع

(1)IOR,R/15/5/25, No. 574, Pol. Ag., Kuwait, to Ibu Saud, dated 17-9-1921.

قلق الحكومة العراقية الوليدة والسلطات البريطانية الواقعة وراءها. ورأت أن الحل هو نقل أولئك النازحين إلى شمال العراق ليعشوا مع أبناء عمومته من قبيلة شمر جريه من ناحية، ولكي يكونوا بعيدين عن ميدان الصراع في حائل من ناحية أخرى. ولكن ذلك الحل لم يثبت نجاحه الكامل باعتراف الرسالة نفسها أما مصير طلب الوساطة الذي حوته الرسالة فيبدو أنه كان مثل مصير سابقه، إذ لا توجد الوثائق البريطانية المتاحة وصول أي جواب له سلبا أو إيجابا. ومن المرجح أن ابن سعود تعهد تجاهل الرد على ذلك الطلب لأنه كان متوقفا على خصمه بشكل حاسم ولم يرد إضعاف قوة اندفاع قواته بالحديث عن وساطات وحلول توفيقية<sup>(\*)</sup>.

وكانت العمليات الحربية بين الجانبين، خلال ذلك، متواصلة وعلى أشدها حسبما ورد في رسالة بعثها إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت بتاريخ الرابع عشر من سبتمبر ١٩٢١. وجاء في الرسالة:-  
"السلام والتحية والاحترام بعد ذلك نعرف حضرتكم بما أجراه الله بيننا وبين ابن طلال ونرجو من حضرتكم أن ترفعون [كذا] ذلك برقيا لفخامة المندوب السامي السريسي كوكس كما ترون (قد عرفنا فخامتكم في معدانا [زحفنا] على ابن طلال ولما وصلنا إلى قرية من قرايا الجبل تسما [تسمى] بقعا وصلنا خبر من الدويش أنه تظاهر [تصادم] هو وابن رشيد وأن الله أعانه عليه وكسروه ونبحو [كذا] عليه قدر مايتين [كذا] قتيل وذلك نهار الأربعاء موافق ٤ محرم سنة ١٣٤٠

(\*) روى أن ابن سعود اعتذر عن قبول الوساطة البريطانية وأصر على حسم الصراع مع حائل

بشكل نهائي الرعاير، المرجع نفسه، ص ١٧٨

وفي ٥ منه وصلنا إلى المحل الذي فيه الدويش قرية الجثامية وبوصولنا جمعنا كبار المسلمين واستشرناهم وصار القرار المشا على العدو واستعنا بالله وليلة الجمعة ٦ منه مشينا وخفينا جموعنا عن العدو وواعدنا المسلمين إذا أثار الطوب [المدفع] يمشون كلا من قبله [جانبه] وبعد أن صلينا الفجر وثار الطوب سمع العدو الطوب وحس بالمسلمين انكسر من قلبه وغدو [كذا] قسمين قسم نحر [اتجه] حاييل وقسم تحصن في قصور النيصية أما القسم الذي نحر حاييل تبعوهم المسلمين [كذا] يقتلون فيهم إلى أن وصلوا البلد والذي اوجب أن يكون لهم شريفة [يقية] الأول أمرا [كذا] من الله وثانيا صار المحل الذي هم فيه ضلعان [جمع ضلع، وهي مرتفعات رمال] ما تاطاه [تطاه] الخيل والرجل ما تناوشوهم [نالوهم] إلا من بعد وأما القسم الذي تحصنوا بالقصور ضربناهم بالأطواب وذبحهم الله وصار الذي تحقق عننا من قتلهم بالوقعة الأولى والثالية خمس مائة قتيل وقد استولينا على جميع ما معهم من أسلحة وجنجان [كلمة تركية تعني السلاح أيضا] منها ثلاثة أطواب وثلاث مكابن [جمع مكينة وهي تقريبا Machine Gun أي الرشاس] وقد أرسل لنا ابن طلال أحمد الشويعر يطلب الأمان وأبيننا ذلك عليه إلا أن يسلم نفسه ويخلي حاييل وإلى الآن ماجا منه جواب وبعد تاريخه بيوم يجتمع علينا المتوفر من جندنا ونرحل إلى حاييل إن استطاعوا [اطاعوا] وسلموا [كذا] فيها وإلا استعنا الله ومشينا عليهم). فلما رأينا ما من الله به على محبكم اجينا بشارة حضرتكم مع بشارة فخامة المندوب السامي بذلك هذا مالزم رفعه لمعالكم ودمتم فوق ما

رمت محروسين»<sup>(1)</sup>.

وقد مال الوكيل السياسي البريطاني في الكويت إلى الظن بأن رسالة ابن سعود هذه تعهدت تضخيم أخبار انتصاراته بعض الشيء. وذكر وجود شائعة تفيد بأن القتال الذي جرى خارج حائل يومي السابع والتاسع من سبتمبر (الرابع والسادس من محرم) لم ينته بالنصر الذي ادعاه ابن سعود، بل أنه انتهى بهزيمة الأخير وانسحابه إلى القصيم. وأضاف الوكيل أن شيخ الكويت لا يصدق تلك الشائعة، ولكنها تزداد توثيقاً لدى الأوساط الأخرى كلما مر يوم دون أنباء أخرى من ابن سعود<sup>(2)</sup>.

ولم يلبث الوكيل طويلاً حتى أورد معلومات أكثر تفصيلاً عما حدث حين كتب :- "أخبرني سرا هلال المطيري بأنه رأى واحداً من فخذة من القبيلة كان حاضراً القتال خارج حائل حيث قاسى ابن سعود من هزيمة منكرة جداً. كان القتال في السابع [من سبتمبر] هزيمة وكذلك كان أيضاً في التاسع [منه]، عدا بصر محلي صغير في قلاع النيصية في التاريخ الأخير استمر القتال طوال اليوم. كانت خسائر الأخوان ضخمة وقيل أن ثلث قوتهم قتل وجرح الثلث الآخر. فخذ هلال، بين وأصل من عشيرة بريهة من مطير، خسر وحده مائة وخمسين قتيلاً، وعدد القتلى الكلي يجب أن يكون أكثر من ألف..."<sup>(3)</sup>.

أما الوكيل البريطاني في البحرين فكان متيقناً من هزيمة قوات ابن

(1) IOR/R/15/5/25, Reg. No. 135. Ibn Saud to Pol. Ag., Kuwait, Recorded 23-9-1921

(2) IOR/R/15/5/25, No 164. C, Political, Kuwait, to Highcom, Baghdad, dated 3-10-1921

(3) IOR/R/15/5/25, No 178. C, Political, Kuwait, to Hicom, Baghdad, dated 20-10-1921

سعود في تلك المعركتين حين كتب :- "لا يبدو أن هناك شكاً في أن ابن سعود قاسى من هزيمة منكرة في القتال الأخير. يقال أيضاً أنه في حاجة ماسة للمال وأنه يجمع الإيرادات مقدماً. نتيجة للقتال المتواصل وفقر المراعي فأن الأخوان يفقدون حماسهم وكثير منهم يبيعون بنادقهم"<sup>(1)</sup>.

ليس من المستبعد أن تكون قوات ابن رشيد قد حققت نصراً تكتيكياً على قوات ابن سعود. فهي مستمينة في الدفاع عن معقلها الأخير ولا تعوزها الشجاعة إطلاقاً ولكن ذلك النصر كان أشبه شيء بذيالة السراج التي تتوهج قبل أن تتطفئ. ولم يفت ذلك النصر الجزئي غير الحاسم من عضد ابن سعود الذي واصل الضغط الشديد على حائل على الرغم مما قيل عن ضائقته المالية.

وقد أوصله تصميمه إلى هدفه الذي انتظره طويلاً، إذا ما كاد شهران يمران على ورود تلك الأخبار حتى كانت حائل تستسلم لابن سعود تسليمًا نهائيًا نقلت أخباره رسالة مؤرخة في الثالث من ربيع الأول ١٣٤٠ بعثها ابن سعود للوكيل السياسي في الكويت وجاء فيها:- "... نعرض لحضرتكم أننا قد أخبرنا سعادتكم سابقاً عن محاصرة حائل فشددنا محاصرتها واستولينا على جميع القلاع والاستحكامات [كذا] المحاطة على البلد فطاحوا إلى مراحنا [طلبوا الرحمة منّا] وصبروا [واقفوا] على جميع شرائطنا ومطالبنا فالآن استولينا عليها وعلى كافة حصونها ودخلت بقبضتنا جميع قواتها من المعدة [كذا] الحربية وقبضنا

(1) IOR, R/15/5/25, No. 90. C, Political, Kuwait, to Hicom, Baghdad, dated 15-10-1921.

على محمد ابن طلال وعائلة الرشيد فالآن الحمد لله صارت من جملة ولاياتنا ورعايانا وبطل كل الحذر وعفونا عنهم عما سلف حيننا بشارة سعادتكم بذلك فارجو أن تبلغون [كذا] سمو فخامة المندوب السامي في العراق مع قبول احتراماتي...<sup>(1)</sup>.

وقد سعى ابن سعود بعد الاستيلاء على حائل لتألف قلوب سكانها، فلم يمارس ضدهم العنف أو الانتقام وكفى بتعيين أحد أبناء أسرة آل سبهان المعروفة حاكما من قبله على المدينة وهو إبراهيم بن سالم السبهان، ثم عاد هو شخصيا إلى الرياض<sup>(2)</sup>. وكان من جملة شروط تسليم حائل نقل عائلة آل رشيد وبعض من سكان المدينة الآخرين إلى الرياض، وأن يقدم ابن سعود المساعدة لفقراء حائل الذين قاسوا كثيرا خلال الحصار. ومن أجل الإبقاء بالشرط الأخير اضطر ابن سعود لاقتراض حوالي عشرة آلاف جنيه إسترليني قابلة للدفع في الكويت.

وعند عودته للرياض اصطحب ابن سعود معه محمد بن طلال الرشيد وأربعة آخرين من آل رشيد، كما نقل معه كل الذخائر الحربية والأسلحة الموجودة في حائل ويضمونها سبعة مدافع وأربعة عشر رشاشا، واشترى إضافة لذلك كل مخزون الأسلحة والذخائر من تجار المدينة<sup>(3)</sup>.

وهكذا طويت للأبد صفحة الصراع المرير والطويل بين حائل والرياض. والملك لله سبحانه يؤتبه من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو على كل شيء قدير.

(1) IOR,R/15/5/25, Reg. No. 180, Ibn Saud, to Pol. Ag., Kuwait, Recorded 19-11-1921

(2) IOR,R/15/5/25, No. 193. C, Political, Kuwait, to Highcom, Baghdad, dated 20-11-1921

(3) IOR,R/15/5/25, No. 207 C, Political, Kuwait, to Highcom, Baghdad, dated 5-12-1921

## الفصل السادس

مشكلة قبيلة العجمان بين سنتي ١٩١٠ - ١٩١٩



## مشكلة قبيلة العجمان بين سنتي ١٩١٠ - ١٩١٩

العجمان قبيلة عربية قحطانية تقع ديرتها في شرق شبه الجزيرة العربية ممتدة من صحراء الصمان في الشمال وحتى ميناء العقيد (مدينة الدمام الحالية) على ساحل الخليج العربي. وقد قدر لوريمر تعداد هذه القبيلة في السنوات الأولى من هذا القرن بحوالي خمسة وثلاثين ألف نسمة، وقوتها المقاتلة بعشرة آلاف رجل، بينهم ألف خيال<sup>(١)</sup>. ولكن سليمان البسام كتب سنة ١٩٠٩ مقرا تعداد هذه القبيلة بعشرة آلاف نسمة فقط<sup>(٢)</sup>. والأرجح أنه قصد مقاتلي تلك القبيلة بتقديره ذلك، بدليل أن الريحاني الذي زار المنطقة سنة ١٩١٥ قدر مقاتليها بخمسة آلاف رجل<sup>(٣)</sup>. ومهما يكن تعداد تلك القبيلة وعدد مقاتليها فقد اتصفت بقوة الشكيمة وشدة المراس، مما جعلها صعبة القيادة لمن قدر لهم حكم منطقة الإحساء. فقد ناصبت القبيلة العثمانيين العداء وتكررت انتفاضاتها ضدهم منذ فرضوا حكمهم على الإحساء مجددا سنة ١٨٧١ وحتى زال ذلك الحكم سنة ١٩١٣<sup>(٤)</sup>.

ويلاحظ أن علاقة هذه القبيلة مع الأمير عبد العزيز آل سعود، حاكم الرياض، بدأت منذ سنة ١٩١٠ بالتوتر، على الرغم من أنها لم

(١) لوريمر، ج.ج.، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ترجمة ونشر ديوان حاكم قطر، الدوحة، دت، ج١، ص ٧٧.

(٢) IOR/R/15/5/25, Enclosure in No. 23, H.B.M's Consul, Jeddah, to Sir G.Lowther, dated 15-5-1909.

(٣) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ط١، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٢٢.

(٤) محمد عربي نخله، تاريخ الإحساء السياسي، ١٨١٨ - ١٩١٢، الكويت، ١٩٨٠، ص ١٨٥ وما بعدها.

تكن خاضعة لحكمه المباشر، وعلى الرغم من أنها وقفت الى جانبه في كثير من المعارك التي خاضها ضد خصومه بعد استرداده الرياض سنة ١٩٠٢. كما كانت تقف الى جانبه أسلافه من قبل. ويعد علي ذلك التوتّر كثرة الحملات الحربية التي قادها الأمير ابن سعود ضد تلك القبيلة خلال السنة المذكورة. فقد وصلت الكويت في السابع والعشرون من يناير ١٩١٠. أخبار تفيد بأن ابن سعود أثار على العجمان وغنم منهم عدداً كبيراً من الإبل دون ذكر لأسباب تلك الغارة. وأدت الحادثة الى خلاف داخل الأسرة السعودية. إذ أن أحفاد سعود بن فيصل آل سعود تدخلوا لدى ابن سعود راجين إعادة الإبل المنلوية الى أصحابها لأنهم أحوالهم<sup>(١)</sup>. فانزعج ابن سعود من ذلك التدخل وأخبر ملتصقيه أنه حاكم يتصرف حسبما تمليه عليه ضرورات الحكم، ولذلك فلا سبيل ليثبية التماسهم، وأغضب زده هذا أحفاد سعود الذين كانوا يشمون بشـ "العرائف"، فيغادروا الرياض الى قرية "الرفيقة" الواقعة على مسافة نصف ساعة تقريباً من الإحصاء مزعمين الإقامة هناك. بيض ظهراى أحوالهم العجمان، وكتبوا لوالى البصرة العثماني طالبيين الإذن لهم بالإقامة هناك. وكان عدد العرائف الغاضبين تسعة أشخاص. وفي غضون ذلك الوقت كان الشيخ مبارك الصباح، حاكم الكويت، ناقيماً على العجمان من جراء بعض الغارات التي شنوها على إيل عائدة للكويت، وكان يلح على ابن سعود كي يقوم بقسر العجمان على إعادة إيله المنهوية<sup>(٢)</sup>.

(١) العجمان أحوال سعود بن فيصل آل سعود ثم تسلمت الخوولة في ذريته من بعده.

(2) IOR, R/15/5/25, Extracts from Diary No. of the Koweit Political Agency for the week ending 2nd February 1910.

وهكذا تهيأت أسباب صدام أوسع بين ابن سعود والعجمان فهو حريص على ضرب أية امكانية للتحالف ضده بينهم وبين أقربائه الغاضبين في العرائف من ناحية. وهو مضطر للاستجابة لضغوط مبارك عليه لأنه حليفه الرئيسي في هذه الفترة وواسطة اتصاله الوحيدة مع العالم الخارجي من ناحية أخرى.

ويبدو أن مباركاً أراد أن يسهل على حليفه ابن سعود سعيه للحيلولة دون تحالف العرائف مع العجمان لأن له موجهة على الأخيرين من ناحية، ولأنه محتاج في هذه الفترة لتفرغ ابن سعود لمساعدته في حملته المزمعة ضد سعدون بن منصور السعدون شيخ المنتفق من ناحية أخرى<sup>(١)</sup>. لذا أوفد مبارك رسولاً للعرائف عاد للكويت في الحادي والعشرين من فبراير ومعه ثلاثة منهم هم سعود بن عبد العزيز بن سعود بن فيصل وسعود بن عبد الله بن سعود بن فيصل وفهد بن سعد بن سعود بن فيصل، بينما ظل الستة الباقون في الرقيقة<sup>(٢)</sup>. وأولئك الستة هم فيصل بن عبد العزيز بن سعود وتركى بن عبد الله بن سعود وعبد الله بن عبد العزيز بن سعود ومحمد بن عبد العزيز بن سعود وتركى بن عبد العزيز بن سعود وسلمان بن محمد بن سعود<sup>(٣)</sup>.

ولم يطل المقام في الكويت باثنين من العرائف الثلاثة الذي

---

(١) خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت ١٩٠٢ - ١٩٢٢، الرياض ١٩٨٣، ص ص

١٢٥ - ١٢٧.

(2) IOR,R/15/5/25, Extracts from Diary No 8. of the Koweit Political Agency for the week ending 23rd February 1910.

(3) IOR,R/15/5/25, Extracts from Diary No 9. of the Koweit Political Agency for the week ending 2nd March 1910.

وصلوا بدعوة من مبارك الصباح كما مر. فقد فر سعود بن عبد العزيز وسعود بن عبد الله من الكويت عائدين الى الرقبة لأنهما أوجسا خيفة من أن يكون مبارك يدبر لهما شراً<sup>(١)</sup>. وما كاد هذان الهاريبان يصلان الى الرقبة وينضمنا الى بقية العرائف هناك حتى تحالف الجميع مع فخذ السفران من قبيلة العجمان وهاجموا قبيلتي سبيع والسهول<sup>(٢)</sup>. اللتين كانتا فى طريقهما للانضمام الى ابن سعود والذى كان حينئذ فى الكويت<sup>(٣)</sup>. وقد جرح أثناء القتال بين الفريقين أحد العرائف وقتل عشرون من اتباعهم، وغنمت قبيلتنا سبيع والسهول منهم حوالى ثلاثمائة بعير<sup>(٤)</sup>. ولكن تلك الهزيمة لم تقف من عضد العرائف، إذ أنهم استمروا فى حشد الأنصار حولهم ونجحوا فى تجنيد عدد كبير من البدو<sup>(٥)</sup>.

وقد أغاروا بجمعهم تلك على قبيلة بنى خالد وغنموا منها غنائم كثيرة، ثم أغاروا بعدها على قبيلة المرة وفخذ السليمان من العجمان، ولكنهم دحروا وغنم المرة والسليمان منهم ستين بعيراً وستين بندقيّة وكبدوهم عشرة قتلى. وأفادت الأخبار أن شيوخ العجمان البارزين مثل ابن حثلين ومانع بن جمعة وغيرهما ارتحلوا شمالاً تجاه الكويت نائين بأنفسهم عن المشاكل<sup>(٦)</sup>. ويدل هذا الخبر على أن العرائف لم يحوزوا

(1) IOR,R/15/5/25, Extracts from Diary No 11. of the Kuwait Political Agency for the week ending 16<sup>th</sup> March 1910.

(٢) وردت فى الأصل الإنكليزى Usfool، ولعل صوابها كما أثبت فى المتن.

(3) IOR,R/15/5/25, Extracts from Diary No 13. of the Kuwait Political Agency for the week ending 30<sup>th</sup> March 1910.

(4) IOR,R/15/5/25, Extracts from Diary No 14. of the Kuwait Political Agency for the week ending 6<sup>th</sup> April 1910.

(5) IOR,R/15/5/25, Extracts from Kuwait Diary No 26. For week ending 29<sup>th</sup> June 1910.

(6) IOR,R/15/5/25, Extracts from Kuwait News for the week ending 6<sup>th</sup> June 1910.

تأييد قبيلة العجمان بأكملها حيث أيدهم بعض أفخاذ منها وحاربهم أفخاذ أخرى، بينما اعتزل شيوخ القبيلة الكبار الأمر كله.

ويظهر أن فشل العرائف في الحصول على تأييد إجماعى من قبيلة العجمان جعلهم يبحثون عن سبيل آخر لصراعهم من ابن سعود. وتوفر لهم ذلك السبيل حين تمردت بلدنا الحوطة والحريق الواقعتان في جنوب نجد ضد ابن سعود، فانضموا لذلك التمرد<sup>(١)</sup>. ولكن ابن سعود استطاع إخماده مما اضطر الطوائف للهروب نحو الجنوب ملتجئين الى حمى قبيلة الدواسر<sup>(٢)</sup>.

وليس مهماً هنا التعرف على تفاصيل ذلك التمرد وكيفية إخماده، ولكن المهم هو تقصى صلته بالعرائف وصلة هؤلاء بقبيلة العجمان. إذ يبدو أن العرائف استعانوا خلال ذلك التمرد بتأييد بعض أفخاذ تلك القبيلة، يدل على ذلك أن ابن سعود أغار حوالى أوائل فبراير ١٩١١ على فخذى السفران والسليمان من قبيلة العجمان وبعضاً من قبيلة الدواسر، وذلك في موقع يسمى "الحمارة Al Hamarah" على مسيرة حوالى يومين من الإحساء. وقد كللت غارته تلك بالنجاح وغنم بنتيجتها مائتين وخمسين بعيراً وأموالاً أخرى<sup>(٣)</sup>.

ويظهر أن شيوخ العجمان أرادوا تدارك الأمر قبل اتساعه فأخذوا هدايا من الإبل لتقديمها الى ابن سعود وتسوية الخلاف معه. وقد قبل

(1) IOR,R/15/5/25, Extracts from Koweit news for the week ending 21st September 1910.

(2) IOR,R/15/5/25, Extracts from Koweit news for the week ending 16th November 1910.

(3) IOR,R/15/5/25, Extracts from Koweit news for the week ending 1st March 1911.

ابن سعود الهدايا ولكنه سجن الشيوخ مخبراً إياهم أنه لا يكتفى بهداياهم فقط، ولكنه يريد منهم أيضاً أن يعوضوه عما نهبوه منه قبل أكثر من سنة. وأعلمهم أنهم سيظلون رهائن لديه حتى تتم الاستجابة لمطالبه. ويبدو أنهم لم يجدوا بداً من الإذعان حيث تفيد الأخبار التي وردت الكويت في الأسبوع الأول من مارس ١٩١١ بأن قبيلة العجمان وأغلب شيوخها كانوا بمعية ابن سعود أثناء وجوده في الأجزاء الشمالية من أراضيه المتاخمة للكويت والعراق<sup>(١)</sup>.

ولكن ذلك الصفاء لم يدم طويلاً، فقد وصلت الكويت أخبار أخرى خلال الأسبوع المنتهى في الخامس والعشرين من مايو ١٩١١ تفيد بأن ابن مسعود هاجم فخذ الظعن من قبيلة العجمان لسبب غير معلوم وغنم أموالهم، على الرغم من أن علاقة مانع بن جمعة شيخ ذلك الفخذ كانت طيبة دوماً مع بن سعود في السابق. ووردت أخبار أخرى في الأسبوع الأخير من الشهر نفسه تفيد بأن ابن سعود هاجم أيضاً أفخاذ الدبـلان والظامر والمحفوظ من العجمان في منطقة الجوف قرب الإحساء وغنم حلالهم. وزحف ابن سعود بعدها على قرية الرقيقة الملاصقة لبلدة الهفوف وحاصر أهلها في قلعة القرية التي تحتلها مفرزة عسكرية عثمانية. وقد طلب أهالي القرية المحاصرون تدخل متصرف الإحساء وتعهدوا بدفع كل ما يترتب عليهم من أموال من جراء أى اتفاق يتم بينه وبين ابن سعود. وكانت مطالب الأخير من المتصرف هي أن تعاد إليه كل ممتلكات أتباعه التي نهبها سابقاً وأن يغادر الإحساء وما جاورها كل من هو ليس عجمياً وأن يسمح له ببناء قلعة في الرقيقة.

(1) IOR,R/15/5/25, Extracts from Kuwait news for the week ending 8th March 1911.

وقيل أن المتصرف خلال لقائه بابن سعود عامله باحترام كبير ووعده بتلبية كافة مطالبه<sup>(1)</sup>. ويمكن استنتاج سر تحرك ابن سعود هذا ضد العجمان عموماً ومن كان مقيماً منهم في الرقبة خصوصاً إذا تم التذکر بأن الرقبة كانت مستقر العرائف بعد انشقاقهم عنه ومركزاً لعملياتهم ضده قبل سنة. ويرجح هذا الاستنتاج شرطه القاضى بوجوب مغادرة كل من هو غير عجمى للإحساء وما جاورها. إذ من المعتقد أن المقصودين بهذا الشرط هم بعض أتباع العرائف الذين تشتتوا بعد اخفاق تمرد الحوطة والحريق فذهب أحدهم إلى البحرين حيث توفى هناك، وذهب ثان إلى الشيخ جاسم آل ثاني حاكم قطر فأقام عنده، ولجأ خمسة آخرون إلى كنف شريف مكة، بينما فضل اثنان منهم العودة إلى ابن سعود والترضى معه<sup>(2)</sup>.

وقد شعر العجمان في الرقبة أن من العسير عليهم تلبية مطالب ابن سعود لا سيما أنها تضمنت أيضاً أن يدفعوا له ثلاثة آلاف جمل وأن يستسلم له ثلاثون رجلاً منهم حتى يوقع بهم العقاب أو أن يدفع كل واحد من أولئك الرجال ثمانمائة روبية فداء لنفسه من العقاب. ولذلك قرروا رفض الانصياع لتلك المطالب منكرين أنهم نهوا سابقاً أية أموال عائدة لأتباع ابن سعود. واستطاعوا اقناع المفرزة العثمانية المتمركزة في قلعة الرقبة بالوقوف إلى جانبهم، ثم أطلقوا وإياها النار على قوات ابن سعود التي كانت تحاصرهم. ولم يرد ابن سعود على إطلاق النار بالمثل، بل فضل الانسحاب بعد أن شكى للمتصرف عمل

(1) IOR/R/15/5/25, Nes. C-30+C-31 of 1911, Political Agent, Kuwait to the Political Resident, Baghdad, dated 6-6-1911.

(2) IOR/R/15/5/25, Extracts from Koweit news for the week ending 5th April 1911.

مفرزة الرقيقة. وأعرب المتصرف له عن أسفه لذلك وأبدى استعداده لطرد أو سجن أفراد المفرزة الذين ارتكبوا ذلك العمل إذا ما رغب ابن سعود بذلك. ولكن ابن سعود فضل العفو عنهم ولكنه اشترط على المتصرف احتجاز فهد بن حثلين شيخ قبيلة العجمان العام وخميس بن منيحز شيخ فخذ السفران وإيقائهم رهن الاحتجاز الى أن تتم الاستجابة لمطالبه، فلبى المتصرف طلبه. وبعدها أمر ابن سعود رجاله باحراق كل خيام العجمان ومنازلهم المحيطة بقلعة الرقيقة<sup>(1)</sup>.

ولفت النظر هنا تهافت متصرف الإحساء على إرضاء ابن سعود، وهو تهافت لا يمكن تفسيره إلا بضعف قوة السلطات العثمانية حينئذ وقلة ما لدى المتصرف من قوات مما جعله يخشى قوة ابن سعود الذى كان يقوم بكل تلك العمليات فى أراضى يفترض أنها خاضعة للإدارة المباشرة للحكومة العثمانية ولا يحق له القيام بأى إجراء فيها دون موافقة تلك الإدارة.

ولم يمر وقت طويل حتى تجدد الصدام بين ابن سعود وقبيلة العجمان. فقد وردت للمقيم السياسى البريطانى فى بغداد أخبار تفيد بنشوب قتال عنيف بين الجانبين قرب نهاية شهر أغسطس ١٩١١، ألحقت خلاله قوات ابن سعود الهزيمة بالعجمان<sup>(2)</sup>.

وهكذا ظل التوتر مخيماً على علاقة ابن سعود بالعجمان نتخلله صدامات دموية أحياناً الى أن قرر ابن سعود لدوافع كثيرة انتزاع

(1) IOR, R/15/5/25, Nes. C-44+C-45 of 1911, Political Agent, Kuwait, to the Political Resident, Baghdad, dated 4-7-1911.

(2) IOR, L/P+S/10/212, Summary of events in Turkish Iraq during September 1911.

مقاطعة الإحساء من السلطات العثمانية. ومن أجل تنفيذ قراره تحرك ابن سعود على رأس قوة صغيرة من أتباعه نحو الهفوف عاصمة الإحساء. ولكنه خشى أن يصدر من العجمان ما يعرقل تنفيذ خطته فلجأ الى تدبير أبعدهم من خلاله عن الساحة مؤقتا حين أغراهم بغزو قبيلة مطير في الشمال<sup>(١)</sup>. حيث كانت مطير حينئذ قد انشقت عليه سنة ١٩١٢ وانضمت الى خصومه بإيحاء من السلطات العثمانية وبكبير من عجمى السعودون شيخ المنتفق<sup>(٢)</sup>. وهكذا تفرغ ابن سعود للمهمة التي قصد الإحساء من أجلها وتمكن من مباغطة الحامية العثمانية الصغيرة، فاستولى على الهفوف في الخامس من مايو ١٩١٣ وعلى القطيف في الخامس عشر منه<sup>(٣)</sup>.

وقد فتح استيلاء ابن سعود على الإحساء وضمها الى ملكه باب الصدام على مصراعيه بينه وبين قبيلة العجمان. إذ أنه حاكم قوى يريد إحكام قبضته على مقادير الأمور في مقاطعته الجديدة، بينما تريد قبيلة العجمان الاستمرار بالتمتع بالامتيازات التي حازتها نتيجة لضعف الحكم العثماني السابق وعدم قدرته على فرض ارادته على قبائل الصحراء. فبعد أن كان شيوخ العجمان يأخذون من السلطات العثمانية إعطيات ومرتببات أكثر مما يدفعه أفراد قبيلتهم لها<sup>(٤)</sup>. فرض عليهم حاكمهم الجديد ضريبة الرأس Poll tax ومنعهم من استيفاء الاتاوات

(١) الريحاني، المرجع نفسه، ص ٢٠٦.

(٢) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية، بيروت، د.ت.، ج٢، ص ١٣٧.

(3) FO 424/238, No. 33, Consul Crow to Sir G. Lowther, dated 32-5-1913.

(٤) لوريمر، المرجع نفسه، ج١، ص ٧٨.

التي كانوا معتادين على فرضها على من كان يمر بديرهم من الغرباء<sup>(١)</sup>.

وهكذا تقبلت قبيلة العجمان امتداد حكم ابن سعود الى الإحساء على مضض ولم تجابهه على الفور بالعداء، بل أظهرت استعدادها للتعاون معه من خلال اشتراكها في حملاته الحربية وكان من ذلك اشتراك مقاتلتها معه في المعركة التي نشبت بينه وبين خصمه ابن رشيد حاكم حائل في يناير ١٩١٥. ولم تنته تلك المعركة بنصر ظاهر لأى من الخصمين، ولكن قبائل كل منهما قامت مدفوعة بغريزة النهب المتأصلة في نفوس البدو بحمل ما وقع فى يدها من معسكرى الطرفين. وقد أسهمت قبيلة العجمان فى عملية النهب تلك فاحتازت مخيم حاكمها ابن سعود بعد أن كانت قد خذله ساعة اشتداد المعركة<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن هذا الموقف قد أثار سخط ابن سعود على القبيلة وهيج حفيظة ضغائنه القديمة ضدها، ولكنه لم يحاول معاقبتها على الفور من جراء الضعف الذى لحق به بعد تلك المعركة الى درجة جعلت الوكيل السياسى البريطانى فى البحرين يقول ان ابن سعود فقد هيئته الى حد كبير جدا<sup>(٣)</sup>. ولعل ابن سعود أراد التريث فى ايقاع العقاب بالعجمان الى أن يتوفر له المبرر الكافى لذلك.

وسرعان ما توفر ذلك المبرر، ولكن الروايات اختلفت فى تحديد

(1) IOR,R/15/5/25, No. 6553, "Relations between Ibn Saud and The Ajman and the recent history of the latter," by Deputy Political officer, Basrah, dated 26-7-1961.

(٢) سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، الرياض، ١٩٦١، ص ١٠٥.

(3) IOR,R/15/5/25, keys, Bahrain, to Sir P.Cox, Basrah., dated 13-3-1915.

طبيعته. ويستحسن البدء برواية ابن سعود نفسه عن ذلك المبرر. فقد كتب رسالة استلمها منه الوكيل السياسي البريطاني فى الثامن من يوليو ١٩١٥ وجاء فيها أن العجمان حلفاء للترك وأنهم استلموا منهم رشوة مبلغاً كبيراً من المال عن طريق ابن رشيد ولذلك كانوا هم أنفسهم سبب قتاله مع ابن رشيد. ومضى ابن سعود فى رسالته قائلاً أن العجمان قاموا بعد ذلك بأنشطة واسعة على حدود الكويت ونهبوا أموالاً عائدة لها، لذا فإنه ما أن فرغ من ابن رشيد حتى طلب من العجمان إعادة أموال الكويت والرضوخ للعقوبة التى سيفرضها عليهم جزاءً لهم على ما ارتكبه بحقه سابقاً، ولكنهم أبوا ذلك مما اضطره للصدام معهم<sup>(١)</sup>. ولا بد من القول هنا أن اتهام ابن سعود للعجمان بموالاته الترك وابن رشيد وقبض الأموال منهم مما دفعه للتحرك ضد ابن رشيد لا يبدو منسقاً مع حقيقة اصطحابه للعجمان للاشتراك فى معركته ضد الأخير، إلا إذا كان هدفه هو تحطيم ذلك الولاء السرى من خلال دفع طرفيه للقتال فيما بينهما. أو لعل مرد ذلك الاتهام هو رغبته فى إيغار صدور البريطانيين ضد العجمان، خاصة وأنه كان بأمس الحاجة الى الدعم البريطانى أثناء قتاله مع العجمان، كما سيمر.

أما سبب الخلاف مع ابن سعود من وجهة نظر عجمية فقد رواه حمد بن مقراد شيخ فخذ المحفوظ من قبيلة العجمان للوكيل السياسى البريطانى فى البحرين حيث قال له أن رجالاً تابعين لضيدان بن حثلين الشيخ العام لقبيلة العجمان غنموا بعض الإبل والأغنام من قبائل كويتية فى أوائل سنة ١٩١٥. وقد طلب ابن سعود من ضيدان إعادتها

(1) IOR,R/15/5/25, keys, Bahrain, to Sir P.Cox, Basrah., dated 8-7-1915.

لأصحابها، فأبدى الأخير استعداده لإعادة إيل عائدة لشخص اسمه ابن  
غنوان من أهالي الزبير، كانت ضمن الغنائم. أما ما يعود من تلك  
الغنائم لأهل الكويت فلا يسوغ إرجاعها لأنها معاملة بالمثل لهم على  
نهبهم لإيل عائدة للعجمان، علاوة على أن شيخ الكويت سجن أحد أفراد  
قبيلة العجمان. ومع كلة ذلك فإن ضيدان قال لابن سعود أنه مستعد  
لإعادة الإيل للكويت إذا أصر عليه لفعل ذلك.

ولكن ابن سعود رد عليه بعدم الإصرار على إعادة إيل الكويت  
والاكتفاء بإعادة ما يخص أهل الزبير منها. وأضاف حمد أنه عند هذا  
الحد أوفد أخاه لابن سعود لإزالة أية آثار قد تكون عالقة في نفس ابن  
سعود من جراء هذا الأمر، فرحب ابن سعود بالوفد وطلب منه قدوم  
ضيدان نفسه إليه. وقد استجاب ضيدان للأمر وأخذ يهيئ عدداً من  
الخيال لأخذها معه هدية لابن سعود. وكان عبد الله بن جلوي يشجعه  
على ذلك حتى أنه أعطاه جواداً كي يضمه الى الخيال التي سيقدّمها  
هدية لابن سعود. وفي هذه اللحظة التي كانت الأمور فيها تتجه نحو  
نهاية سعيدة للقضية ظهر العرائف من جديد على الساحة في الإحساء،  
فدمر ظهورهم أية فرصة للتفاهم<sup>(1)</sup>.

ومن الغريب أن الوكيل السياسي البريطاني في البحرين كتب في  
الثالث من مارس ١٩١٥، أى قبل وقوع الصدام بين ابن سعود  
والعجمان بعدة أشهر، يقول أنه علم أن ابن سعود قد كتب رسائل الى  
ضيدان بن حثلين لمح له فيها بضرورة الهجوم على بعض أتباع مبارك

(1) IOR,R/15/5/25, No. 6-C, Keys, Bahrain, to the Political Resident in the Persian Gulf,

Bassah.

الصباح شيخ الكويت. وذكر أن الانطباع السائد هو أن ابن سعود محتد جداً على مبارك، وأضاف أنه يحاول الحصول على تلك الرسائل<sup>(١)</sup>.

ومهما يكن السبب فقد وصل ابن سعود من الرياض الى الإحساء في أواخر شهر يونيو ١٩١٥ وأخذ يجمع الرجال استعداداً للقتال ضد العجمان. وكان ابن سعود حينها يعاني من ضائقة مالية اضطرته لأن يطلب من الشيخ عيسى آل خليفة، حاكم البحرين، أن يقرضه مبلغ عشرين ألف دولار. فاستجاب الشيخ لطلبه وأرسل له ثلاثة آلاف دولار نقداً وحوالة على الإحساء بمبلغ مماثل. ورتب أيضاً أن يدفع له مبلغ أحد عشر ألف روبية في القطيف مقابل عشرة آلاف من<sup>(٢)</sup> من التمور تسلم في القطيف<sup>(٣)</sup>. وطلب ابن سعود في الوقت نفسه من شيخ الكويت موافقته بتعزيزات من الجند تعينه في عملياته الحربية المزمعة ضد العجمان<sup>(٤)</sup>.

وهكذا تهيأ المسرح للصدام بين الجانبين، وكانت بدايته اشتباكاً وقع بين قوات الجانبين في آخر شهر يونيو ١٩١٥ حين وقعت طليعة قوات ابن سعود في كمين نصبه لها العجمان قرب إحدى واحات القطيف وقتلوا خمسة رجال منها وحصلوا على الغنائم. ويبدو أن تلك المعركة نلتها أعمال انتقام عنيفة لأن شاهد عيان وجد في اليوم التالي لوقوعها

(1) IOR/R/15/5/25, Keyes, Bahrain, to Sir P.Cox, Basrah, dated 13-3-1915.

(٢) 'من' وحدة وزن كانت تساوي في البحرين ستة وعشرين كيلو غراماً. راجع حسين محمد القهواني، دور البصرة التجاري في الخليج العربي، البصرة، ١٩٨٠، ص ٤٩١.

(3) IOR/R/15/5/25, No. 29-c, Keyes, Bahrain, to Grey, Kuwait, dated 27-6-1915.

(4) IOR/R/15/5/25, No. 6553, Keyes, Bahrain, to Grey, Kuwait, dated 26-7-1916.

جثت بعض النساء والأطفال وبعض الإبل والخيول النافقة. يظهر أن هدف تلك المعركة هو السيطرة على الطرق الممتدة من الساحل إلى الداخل. فعلى أثرها كان ألفان من رجال ابن سعود يسيطرون على بلدة القطيف الساحلية في حين كان العجمان يسيطرون على ما حول تلك البلدة حتى أنهم نهبوا بعض الأغنام بجوارها مباشرة. وقد أدت سيطرتهم تلك إلى انقطاع الطريق بين الساحل ومدينة الهفوف في الداخل حيث كان ابن سعود بأمس الحاجة إلى المؤن. وكان ابن سعود حريصاً في الوقت نفسه على الحيولة دون حصول أعدائه على التموين فكتب إلى شيخي قطر والبحرين يلتمس منهما عدم السماح بتمون العرائف والعجمان في بلديهما. وتلقى ذلك الشيخان في الوقت نفسه طلباً مماثلاً من العرائف. وقد رد الشيخ عبد الله آل ثان على العرائف بقوله أنه لا يستطيع عمل شيء لهم نظراً لصداقته لابن سعود، في حين رد الشيخ عيسى آل خليفة عليهم ناصحاً إياهم بالتوصل إلى السلام مع ابن سعود<sup>(1)</sup>. ومن الجدير بالذكر أن الشيخ عيسى كان قد حاول سنة ١٩١٤ إصلاح ذات البين بين العرائف وابن سعود، ولكن سعيه باء بالفشل لاثهام العرائف له بالميل إلى خصمهم<sup>(2)</sup>.

ولم يكن الصدام الذي وقع قرب القطيف هو الصدام الرئيسي، ولكن هذا وقع في موضع يسمى "كنزان" على بعد عشرين ميلاً غرب الهفوف. إذا حشد ابن سعود قوته المؤلفة من حوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل من أهالي الإحساء وخمسمائة رجل من نجد، ثم شن

(1) IOR,R/15/5/25, No. 31-c, Keyes, Bahrain, to Sir P.Cox, Basrah, dated 4-7-1915.

(2) IOR,R/15/5/25, No. 6553, Keyes, Bahrain, to Sir P.Cox, Basrah, dated 26-7-1916.

هجوماً ليلياً على العجمان في الموضع المشار إليه، وكان عددهم قرابة ثلاثة آلاف مقاتل. وكان ابن سعود يظن أنه باغتهم بذلك الهجوم، فـ حين كانت عيونهم ترصد تحركه وتخبرهم بما تراه، ولذلك ما أن اقترب منهم حتى أصلوه بنار جامية وكبدوا قواته عدداً من القتلى بينهم أخوه سعد بن عبد الرحمن<sup>(1)</sup>.

ومن الأفضل ترك ابن سعود نفسه يصف ما حدث. فقد كتب رسالة إلى الشيخ عيسى آل خليفة حاكم البحرين جاء فيها: "أخبرك بأنني قصت في هذه الأيام بهجوم ليلي ضد العجمان. حيث أن معى قوة كبيرة وليست هناك استعدادات لنقل الماء ففكرت بأن الزحف ليلاً سوف يكون أبرد لقواتي بقدر تعلق الأمر بالماء لأن هذه الأيام حارة في هذه المنطقة كما تعلم، وحين وصلنا قريبهم وجدناهم يقظين ومستعدين. فقد وضعوا مفرزة مراقبة متقدمة أطلقت النار حين كان العرب [يقصد العجمان] مازالوا يعيدون عنها. وربما أن بعضاً من قواتي كانوا جاهلين بطرق القتال فقد ظلوا حيث هم وبدأوا بإطلاق النار من بعيد حيث لا أحد كان قريباً منهم. وحين رأيت أن النهار أخذ بالطلوع وثبتت أن الهجوم عديم الجدوى انسحبت إلى بلدتي العزيزة [يقصد الهفوف] سالماً بمحمد الله. لقد منوا بخسارة كبيرة حيث قتلنا عدداً كثيراً منهم، بينما لم يقتلوا بحمد الله إلا عشرين رجلاً من رجالى ليس بينهم أحد من البارزين سوى أخى سعد بن عبد الرحمن الذي سقط بعيداً. وستكون عاقبتهم الخسارة إن شاء الله حيث أنني أنتظر الآن وصول العرب

(1) IOR/R/15/5/25, No. c-26, Grey, Kuwait, to the Pol-Res- in the P.G., Bushire, dated 23-7-1915.

ورجال القبائل من نجد. لم تكن لدى قبل انحدارى للإحساء معلومات جيدة عنهم [يقصد العجمان]. وسألناهم إن شاء الله عاجلاً أو آجلاً وستسمع حينها أخباراً طيبة بإذن الله". وقد أضاف الوكيل السياسى البريطانى فى البحرين وهو ينقل نص تلك الرسالة قوله أن معلومات وردته تفيد بأن ابن سعود خسر أثناء تلك المعركة سبعين قتيلاً من الحاضرة وستين قتيلاً من البادية علاوة على مائة أسير. وقد أطلق العجمان سراح الأسرى من البدو، كما أطلقوا سراح قلة من الحضر مقابل فدية<sup>(١)</sup>.

وكتب ابن سعود رسالة أيضاً الى الوكيل السياسى البريطانى فى البحرين استلمها فى السابع من يوليو ١٩١٥، وجاء فيها: "... أود اخبارك عن العرائف الذين لمحت لك سابقاً أنهم كانوا فى عمان وأن أهل عمان خاصة ابن زايد<sup>(٢)</sup> وأتباعه يساعدونهم. وسبب عملهم هذا صداقتى مع الحكومة البريطانية. وهم يهدفون الى التحاق العرائف بالعجمان فى القتال ضدى لأن الأخيرين أصدقاء للترك ومنضمون للحزب الذى يناصرهم... أن معاونة العرائف وأهل عمان والأموال التى أرسلها لهم ابن رشيد قد عززت من اتجاههم لارتكاب أعمال الشر ولهذا السبب حصل قتال بينى وبينهم. لم أكن قد أمرت قواتى بالقوم للإحساء فى حينها، ولكنى الآن أمرت بتباعى وأهل نجد بالقوم خلال عشرة أيام إن شاء الله وسيتحقق هدى بمعايبتهم ونبحهم بعون الله...".

(1) IOR/R/15/5/25, No. 36-c, keyes, Babrain, to Sir P.Cox, Basrah, dated 12-7-1915.

(٢) قصد بـ 'عمان' ساحل الإمارات العربية. أما ابن زايد فهو الشيخ حمدان بن زايد حاكم ابو ظبى.

وقد علق الوكيل السياسى على هذه الرسالة بقوله أن ما جاء فيها ربما كان محاولة لتبديد آثار الإشاعات التى راجت فى البحرين منذ يومين عن اندحار ابن سعود<sup>(١)</sup>.

وحين اطلع الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت الشيخ مبارك الصباح على مضامين رسالة ابن سعود هذه نفى مبارك أن تكون صداقة ابن سعود مع البريطانيين هى سبب مساعدة أبو ظبى للعرائف، أو أن تكون هناك صداقة بين العجمان وابن رشيد، أو أن يكون الأخير قد أرسل لهم أية أموال تركية. وأضاف مبارك أن تلقى رسائل تطلب عونهُ فى كل من العرائف وابن سعود. وقد رد على طلب العرائف بنصحه إياهم بالصلح مع ابن سعود، بينما لام فى رده على ابن سعود هجومه على عدوه ليلاً وتعجله فى ذلك الهجوم بدلا من انتظار وصول قواته من نجد أو وصول القوة الكويتية التى سيرها مبارك لنجدته بقيادة ابنه سالم. واشترط مبارك على ابن سعود مقابل تلك النجدة قبوله للخطة الحربية التى اقترحها عليه وهى إخلاء بلدة الهفوف من أغلب قوات ابن سعود التى يجب أن تتمركز فى بساتين النخيل المجاورة للبلدة. ثم يشن بعدها هجوم على العجمان فى ثلاث جهات فى وقت واحد<sup>(٢)</sup>.

ويتضح من معلومات أدلى بها أمير ميناء العقير أن النجدة الكويتية كان ينتظر وصولها للإحساء فى الثامن من يوليو، أما التعزيزات القادمة من نجد تحت قيادة محمد بن عبد الرحمن، أخى ابن سعود،

(1) IOR, R/15/5/25, keyes, Bahrain, to Sir P. Cox, Basrah, dated 8-7-1915.

(2) IOR, R/15/5/25, No. c-26, Grey, Kuwait, to the Pol-Res- in the P.G., Burrah, dated 23-7-1915.

ز البالغ عددها ألفى رجل فكان يتوقع وصولها قبل ذلك التاريخ<sup>(١)</sup>.

ولكن ثبت فيما بعد أن تلك التوقعات كانت متفائلة بعض الشيء، إذ لم تصل النجدة الكويتية في ذلك الموعد. كما خاب أمل ابن سعود في التعزيزات التي وصلته من نجد نظراً لقلة عددها وأخذ يشكو في الوقت نفسه من قلة مقاتليه الإحسانيين الذين عزا بعض من حضر القتال في كثران سبب اندحار بن سعود إلى جبن الحضر منهم. ولعل هذه العوامل جميعها علاوة على نقص الذخيرة لدى ابن سعود هي التي جعلته يلتزم خطة النفس الطويل في قتاله مع العجمان. فقد بعث رسالة إلى شيخ البحرين يقول فيها أنه يقضم بتأن العجمان الذين يضعف مركزهم بينما يقوى مركزه هو باستمرار. وطلب من الشيخ امداده بذخيرة بنادق. وكان شيخ قطر أيضاً قد أمده ببعض الذخيرة ولكنها رقت بأيدي العجمان. وقد سلم الوكيل السياسي البريطاني في البحرين الشيخ عيسى آل خليفة خمسة آلاف وخمسمائة طلقة ليرسلها إلى ابن سعود<sup>(٢)</sup>. وفي غضون ذلك كانت الاشتباكات الحربية مستمرة، ففي أوائل شهر أغسطس ١٩١٥ استلم الشيخ عبد الله بن عيسى، ابن حاكم البحرين، رسالة من أحد العرائف تفيد بأنهم خاضوا وقعات عديدة مع ابن سعود بعد معركة كثران، قتلوا خلالها كثيراً من رجاله ومن بينهم شيخ قبيلة بنى هاجر، وغنموا بعض خيول ابن سعود الأصيلة. وأضافت الرسالة أن أتباع العرائف والعجمان أحرار في الذهاب إلى القصيم والكويت والقطيف، بينما ابن سعود محاصر عملياً في الهفوف

(1) IOR, R/15/5/25, No. 36-c, Grey, Kuwait, to the Pol-Res- in the P.G. Burrah, dated 12-7-1915

(2) IOR, R/15/5/25, No. 37-c, Keyes, Bahrain, to Sir P-cox, Basrah, dated 22-7-1915

التي لا يمنعهم من اقتحامها سوى ما يمتلكه ابن سعود من مدفعية. وقد عقب الوكيل السياسي البريطاني في البحرين على ما جاء أعلاه بقوله أن ابن سعود ليس محاصراً في الهفوف لأن رسله يأتون إلى ميناء العقير كثيراً. ولكنه قانط جداً حسبما يعتد شيوخ البحرين بنساء على معلومات الرسائل التي يستلمونها من البر<sup>(١)</sup>.

وحدث في أواخر شهر أغسطس ١٩١٥ اشتباكان صغيران آخران في موقع أقرب بشكل جلى إلى قلعة الهفوف من الاشتباكات السابقة. وكانت الروايات بشأن الاشتباكين متضاربة، ولكن يظهر أن عجمان حققوا فيهما فوزاً طفيفاً حسب قول الوكيل البريطاني في البحرين الذي ذكر أيضاً أن ابن سعود أصيب أثناء القتال بجرح في رجله، ولكنه لم يكن بليغاً إلى درجة تسقطه عن ظهر جواده<sup>(٢)</sup>.

بيد أن طبيب ابن سعود الخاص أفاد فيما بعد أن ابن سعود جرح في معركة كنزان جرحاً خطيراً، ثم أصيب في معركة تالية بجرح أخف من سابقه<sup>(٣)</sup>. ومهما يكن حال ذلك الجرح فإن ابن سعود ذكر في رسالة وصلت منه للوكيل السياسي البريطاني في البحرين في منتصف سبتمبر ١٩١٥ أن اعداءه اصبحوا مطوقين تماماً وأنه سيوافيه بأخبار طيبة قريباً. وأشار الوكيل إلى عدم تطرق ابن سعود في رسالته إلى حدوث أى اشتباك مع خصومه. وأضاف أنه سمع من مصادر أخرى

---

(1) IOR, R/15/5/25, No. 49-c, keys, Bahrain, to Sir P-cox, Basrah, dated 5-8-1915.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 66-c, keys, Bahrain, to Sir P-cox, Basrah, dated 9-9-1915.

(3) IOR, R/15/5/25, No. 66-c, keys, Bahrain, to Sir P-cox, Basrah, dated 4-12-1915.

عن حدوث اشتباك صغير آخر كان الفوز فيه حليف ابن سعود<sup>(1)</sup> وكتب  
لعامله في القطيف رسالة تفيد بأنه دحر العجمان في حوالى الثالث  
والعشرين من سبتمبر ١٩١٥ بعد أن خسروا خمسين قتيلاً وثلاثين من  
الخيـل. وقال أنه لاحقهم فى اليوم التالى الى قرية الصويدرة حيث  
قصف ظاهرها بمائتين وخمسين قذيفة مدفع وعندها هرب العجمان  
بعيداً بحيث لم يتمكن من الاطباق عليهم بسبب نقص تعاون خيـالته.  
وأضاف أن مجموع قتلى العجمان من جراء هذه المعركة بلغ ثلاثمائة  
قتيل من الرجال والنساء والأطفال. ولكن الوكيل السياسى البريطانى  
فى البحرين نقل عن مصادر عجمية اعترافها بأنهم انسحبوا فعلاً من  
جاء النيران الكثيفة التى انصبت عليهم، وكانت أغلبية خسائرهم من  
النساء والأطفال<sup>(2)</sup>.

وقد كتب ابن سعود رسالة للوكيل السياسى البريطانى فى البحرين  
واصفاً ما جرى فى تلك المعركة بقوله: "... أن تصميمنا وغاراتنا  
المتكررة قد أرفقتهم فهربوا خلال الليل من المكان الذى تم فيه عقابهم  
تاركين الكثير من القتلى والجرحى والدبش. وأرسلنا على أثرهم مفرزة  
من خيـالتنا لنذبحهم فألحقت بهم خسارة فادحة، ولكنهم تمكنوا من  
التمركز فى موقعهم الدفاعى المخندق الذى أعده فى مكان يدعى  
الصويدرة شرق الإحساء. وبعدها أرسلنا جزءاً من قواتنا تسنده  
المدفعية الخفيفة تمركز فى موضع مقابل الموقع المذكور، وشننا ضدهم  
عند شروق الشمس هجمة مخططة باسناد من المدفعية. ولقد تراجعوا

(1) IOR, R/15/5/25, No. 58-c, keyes, Bahrain, to Sir P-cox, Basrah, dated 4-10-1915.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 58-c, keyes, Bahrain, to Sir P-cox, Basrah, dated 4-10-1915.

لعدم قدرتهم على الصمود لهجماتنا بعد أن تكبدوا خسارة فادحة فى الأرواح وفى المواشى التى تركوها. وسنجلب الآن جيشنا<sup>(١)</sup> الذى كنا قد أرسلناه الى نجد نتيجة لندرة المراعى بجوار الإحساء وسنطارد عند وصوله بقية أولئك الناس الهاربين، وسنرسل لك الأخبار الطيبة عن محققهم ومعاقبتهم إن شاء الله<sup>(٢)</sup>.

وكتب ابن سعود فى العاشر من أكتوبر ١٩١٥ رسالة الى السير برسى كوكس جاء فيها أن العجمان بعد هزيمتهم فى الصويدرة انقسموا قسمين اتجه أحدهما إلى الشمال طلباً لملجأ لدى ابن رشيد حاكم حائل واتجه الثانى جنوباً نحو قبيلة المرة. وأضاف أنه حين سمع بذلك أعد قوتين من الفرسان والمشاة لمطاردتهما. وقد استطاعت القوة التى اتجهت جنوباً للحاق بالمتمردين فاشتبكت معهم وكبدتهم خسائر جسيمة تفرقوا على أثرها فى الصحراء، بينما ذهب كبيرهم سليمان بن محمد آل سعود مع ستة من أتباعه الى أبو ظبى للحصول على ملجأ لدى الشيخ حمدان بن زايد. أما القوة التى اتجهت شمالاً فلا زالت تطارد المتمردين ويؤمل أن تفلح فى إيقاع العقاب بهم<sup>(٣)</sup>.

ويظهر أن كوكس أراد أن يتيقن من دقة المعلومات التى وردته من رسالة ابن سعود هذه فأبرق لكل من الوكيلين السياسيين البريطانيين فى الكويت والبحرين طالباً إفادته عما إذا كان ابن سعود قد دمر العجمان

(١) المقصود بـ "الجيش" هنا هو أبل الركوب، ولكن مترجم الوكالة البريطانية توهم أن

المقصود هو المعنى الحرفى لكلمة "جيش" باللغة العربية ولذلك ترجمها بكلمة Army.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 60-c, keyes, Bahrain, to Sir P-cox, Basrah, dated 11-10-1915.

(3) IOR, R/15/5/25, Letter date 30th, Dil Qadah 1333/10th October 1915 from Shalkh Abdul Aziz bin Abdw Rahman Al Faisal to the Hon'ble Sir Percy Cox.

حقاً<sup>(١)</sup>. وقد رد الوكيل السياسي في البحرين على الاستفسار بقوله أن الروايات الواردة من العقير والإحساء نقلت دائماً من منجزات ابن سعود، ولكن يعتقد أنها أقرب الى واقع الحال من رواية ابن سعود نفسه. وأضاف أن آخر معلوماته تفيد بأن العجمان تراجعوا وهم بحالة حسنة على الرغم من أنهم عوملوا بعنف من قبل مدافع ابن سعود، وهم الآن على مسيرة أيام من العقير. وعلى العموم فإن الهزيمة التي لحقت بهم هزتهم بعنف لدرجة أنهم لم ينجحوا في اعتراض قافلة كبيرة غادرت العقير الى الإحساء حوالى العاشر من أكتوبر ١٩١٥.

وذكر الوكيل أن سلمان بن محمد آل سعود انفصل عن العجمان وهو موجود في مكان ما داخل قطر. ولكن فهد بن سعد آل سعود لازال موجوداً مع العجمان<sup>(٢)</sup>.

أما الوكيل السياسي البريطاني في الكويت فقد رد على استفسار كوكس بالقول أن قوة العجمان موجودة آنئذ قرب شاطئ الخليج على مسافة قصيرة شمال القطيف وهي مطوقة من جهاتها البرية الثلاث بقوات نجد وقوة الكويت وقبيلة بنى خالد وقبائل أخرى.

وقد حاول العجمان اختراق ذلك الحصار ولكن قبيلة بنى خالد ردتهم على أعقابهم بعد أن كبدهم ستة وثلاثين قتيلاً وثلاثمائة أسير. وتوقع الوكيل أن يتم استسلام العجمان المحاصرين جماعة قريباً. ولكن ذلك الاستسلام لم يحدث سريعاً كما توقع الوكيل فقد أبرق هو نفسه بعد

(1) IOR, R/15/5/25, No. 2619B, Holland, Basrah to Grey, Kuwait, and Keyes, Bahrain, dated 28-10-1915

(2) IOR, R/15/5/25, keyes, Bahrain, to Holland, Basrah, dated 28-10-1915.

سنة عشر يوما مبينا أن وضع العجمان لازال على حاله وأضاف أن العرائف خسروا فهد بن سعد الذى قتل أثناء الصدام السابق بين العجمان وبنى خالد.

ولكن العجمان وان لم يستسلموا على الوفر لمحاصريهم جعلهم الوضع اليائس الذى أصبحوا فيه يتلمسون وسيلة تنجيهم من دمار رهيب. لذلك توجه ضيدان بن حثلين شيخ القبيلة العام وخميس بن منيحز فخذ السفران، وهما قائدا العمليات الحربية ضد ابن سعود السى سالم بن مبارك قائد القوة الكويتية المشاركة فى حصار العجمان وعرضا عليه التوصل الى سلم بين الجانبين. وقد رد سالم عليهما بأنه لا يملك صلاحية البت بالأمر، وأن عليهما تقديم عرضهما إما لوالده الشيخ مبارك أو لابن سعود نفسه ولكنه ضمن لهما الحماية الكاملة عند ذهابهما لأى واحد من الاثنتين يفضلونه. وتقرر بعد المداولة أن يتجه ضيدان مع قلة من أتباعه الى الكويت حيث يقوم بإعلان تسليمه غير المشروط لمبارك، بينما يبقى خميس بن منيحز بمعية سالم بن مبارك. وقد وصل ضيدان بالفعل للكويت فى العشرين من شهر نوفمبر ١٩١٥ واستقبله مبارك الصباح استقبالا حسنا وقبل منه خضوع العجمان بشرط التزام القبيلة بسلوك حسن فى المستقبل.

وتصادف أن وصل فى الثانى والعشرين من الشهر نفسه الى الكويت رسول من ابن سعود لمبارك يحمل رجاءه بعدم التعامل مع شيوخ العجمان. ولكن الوقت كان قد فات على تلبية ذلك الرجاء، هذا إن كانت هناك امكانية لتلبيةه من حيث المبدأ. وقد علق الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت بعد أن نقل كل الذى حدث أعلاه، فقال: "ربما ظهر من النظرة

الأولى أن نهاية الحملة، مهما كانت مرضية من وجهة نظر انسانية، قاسية قليلاً لابن سعود لأنه، بصرف النظر عن خسارته لأخيه سعد، قد قاسى على أيدي العجمان أكثر كثيراً مما قاسوه هم على يديه. ولكن ربما جودل رداً على ذلك بالقول أن ابن سعود، بدون عون الكويت له، كان سيغدو عديم القوة على مواصلة عملياته بعد هزيمته فى الهجوم الليلي الذى يخسر فيه سعد حياته. وأن وعود العجمان لمبارك تتضمن تعهداً بالخضوع لسلطة أمير نجد والإحساء الذى يقيم فى أراضيه عدد كبير جداً منهم. ويعتقد بأن ابن سعود، بعد أن يتبدد شعوره الأولى بالضيق، يمكنه أن يدرك أن إمكانية التعاون المستقبلى مع العجمان ترجح على الرضا مهما كان الذى ربما سيشعر به لو استأصل شأفة الفخذين اللذين وقفنا ضده فى الميدان<sup>(١)</sup>. ولذلك ليس من الواجب علينا [يقصد البريطانيين] أن نفعل شيئاً غير المصادقة على السلم الذى عقد، ولكنى اعتقد أننا يمكن أن نظهر بجلاء عطفنا على متاعب ابن سعود ورغبتنا بمساعدته فى حفظ النظام فى المستقبل من خلال إيلاء بعض الاهتمام بالدور الذى لعبه حمدان بن زايد الخليفة شيخ أبو ظبى فيما يتصل بهذا الأمر...»<sup>(٢)</sup>.

وقد حالت وسائل الاتصال البدائية المتاحة حينئذ لابن سعود بينه وبين العلم السريع بما تم فى الكويت، وعلية فقد كتب للوكيل السياسى البريطانى فى البحرين يخبره بأن العجمان تراجعوا فى بداية شهر نوفمبر ١٩١٥ من قرب العقير الى الجبيل حيث دحرم رجال قبيلة

(١) لعله يقصد فخذى الحثلين والسفران اللذان صعدا دون بقية الأخذ للنهية.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 64-c, Keyes, Bahrain, to Sir P-cox, Basrah, dated 27-11-1915.

بنى خالد هناك. ولذلك فإنه يطلب من الشيخ عيسى آل خليفة أن يقرضه زورقه البخارى كى يستقله الى ميدان المعركة فى الجبيل<sup>(١)</sup>. ولكنه علم بعد حين بما جرى فى الكويت فكتب فى السابع والعشرين من نوفمبر ١٩١٥ للوكيل السياسى فى البحرين قائلاً: "... فيما يتعلق بسؤالكم عن توجهى للجبيل وزيارتى للبحرين لقد أخبرتكم فى رسائلى الماضية التى أرسلتها بعد هرب القبيلة المذكورة من جوار الإحساء بأننى قد صممت على مطاردة بقية الهاربين. وحيث أنكم تعرفون من رواياتى السابقة لسعادتكم أننى أرسلت جيشاً لعالية نجد نتيجة لنقص المراعى، لذا فقد قررت متابعة العدو عن طريق البحر، ولكنى حين استلمت الأخبار السارة المنبأة بهربهم اعتقدت أنه يكفى إرسال أخى محمد بن عبد الرحمن مع قوة كافية لحراسة الطريق براً... انهم [يقصد العجمان] قد اتجهوا نحو الشمال وسمعت أنهم طلبوا من ابن صباح أن يتوسط لهم عندى من أجل الصفح عما فعلوه، ولا يخفى عليكم أننى ما قاتلتهم إلا لاعتدائهم على رعايا كويتيين مارين عبر أراضيهم والآن يرجونى ابن صباح أن أعقد الصلح معهم، وهذا مخالف للحكمة ومناقض للقوانين المرعية بين الدول<sup>(٢)</sup>. ولم يقر ابن سعود الاتفاق الذى تم بين مبارك الصباح والعجمان. فقد كتب للوكيل السياسى البريطانى فى البحرين مفيداً بأن مباركاً يضغط عليه من أجل قبول عروض سلام قدمها العجمان الموجودون على حدود الكويت، ولكنه يرفض ذلك<sup>(٣)</sup>.

(1) IOR, R/15/5/25, No. 64-c, keyes, Bahrain, to Sir P-cox, Basrah, dated 27-11-1915.

(2) IOR, R/15/5/25, Letter dated 19th, of Muharram 1334 (27th November 1915) from Abdul Aziz bin Abdur Rahman to Major T.H. keyes.

(3) IOR, R/15/5/25, No. 65-c, keyes, Bahrain, to Sir P-cox, Basrah, dated 4-12-1915.

أما وقد وصلت متابعة الأحداث التي جرت في ميدان القتال إلى هذه المرحلة فيحسن التعرف على دور الأطراف الخارجية التي أسهمت في تلك الأحداث بشكل أو آخر، ومحاولة تعليل اسهامها ذلك. وأهم تلك الأطراف بالتأكيد كان هو الطرف البريطاني الذي كان ذا نفوذ مهيمٍ على منطقة الخليج العربي حينئذ. ويلاحظ أن موقف السلطات البريطانية كان داعماً لابن سعود منذ بداية المشكلة. فقد مر آنفاً إرسال الوكيل السياسي البريطاني في البحرين أكثر من خمسة آلاف طلقة لابن سعود عند بدء المعارك. وما لبثت السلطات البريطانية طويلاً حتى أمدته مرة أخرى بعدد لم تحده الوثائق البريطانية من البنادق والذخيرة التي سبق للقوات البريطانية أن غنمتها من حروبها في العراق مع القوات العثمانية<sup>(1)</sup>.

وبعد فترة وجيزة من ذلك طلب ابن سعود من السلطات البريطانية قرضاً مالياً، فأحال السير برسي كوكس الطلب إلى مراجعه العليا للبت فيه. ولكنه لم ينتظر حتى يصله قرار تلك المراجع بل أمر في الخامس عشر من سبتمبر ١٩١٥ بمنح ابن سعود عشرة آلاف روبية فوراً ومثلها بعض مضي شهر من ذلك التاريخ<sup>(2)</sup>. وقد درست حكومة الهند طلب ابن سعود وأوصت بالقرار اعطائه قرضاً بمبلغ عشرين ألف جنيه يسترد منه على أقساط ملائمة. وأوصت علاوة على ذلك بمنحة ألف بندقية ومائتي ألف طلقة<sup>(3)</sup>. وقد أقرت الحكومة البريطانية توصية

(1) IOR, R/15/5/25, No. 51-c, keys, Bahrain, to Sir P-cox, Basrah, dated 15-9-1915.

(2) IOR, R/15/5/25Cixm Gasrah, To C.C., Henjam, dated 15-9-1915.

(3) IOR, R/15/5/25, No. 1030-s, The Viceroy to the sec-of St- for India, dated 7-10-1915

حكومة الهند بشأن القرض، ووافقت على تزويد ابن سعود بالأسلحة المطلوبة عند توفر أنواع ملائمة غير مطلوبة لأغراض عاجلة<sup>(١)</sup>. ولم تكثف السلطات البريطانية بالدعم المالي والعسكري لابن سعود ولكنها حرصت أيضاً على مساعدته من خلال حرمان أعدائه من أية مساعدة تصلهم من الخارج مثلما سيتضح ذلك من الفقرات التالية. ومن الحري بالقول هنا أن بريطانيا لم تفعل كل ذلك حرصاً على صداقة مجردة تربطها مع ابن سعود، ولكن خدمة لمصالحها بالمقام الأول، فقد رغبت بمساعدته على تجاوز محنته هذه كي يتفرغ لمساعدتها في جهودها الحربية الجارية ضد أعدائها العثمانيين ولو عن طريق تحييد حليفهم في المنطقة ابن رشيد حاكم حائل على الأكل.

والطرف الخارجى الثانى الذى وقف الى جانب ابن سعود فى ذلك الوقت الحرج هو مبارك الصباح شيخ الكويت. فقد أرسل نجدة حربية لابن سعود بقيادة ابنه سالم اشتركت اشتراكاً فعلياً فى مقاتلة العجمان ومحاصرتهم حتى لقد قيل أن سالماً أصيب بجرح فى ذراعه أثناء العمليات<sup>(٢)</sup>. كما أمد مبارك ابن سعود بأسلحة وذخيرة وصلت محملة فى "يوم" رسا فى ميناء العقير حسب المعلومات التى وردت للبحرين<sup>(٣)</sup>. ويلاحظ على الرغم من ذلك كله أن دعم مبارك لابن سعود كان دعماً محسوباً بشكل دقيق. فحين أنفذ مبارك ابنه سالماً على رأس قوة النجدة أمره بأن يقف فى آبار الصبيحية الواقعة على بعد عشرين

(1) IOR, R/15/5/25, No. 1093-s, Foreign, Simlay to Cox, Basrah, dated 29-10-1915.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 49-c, Foreign, Simlay to Cox, Basrah, dated 7-9-1915.

(3) IOR, R/15/5/25, No. 61-c, Keyes, Bahrain, to Sir P. Cox, Basrah, dated 18-10-1915.

ميلاً فقط عن الكويت انتظاراً لإشعار آخر منه. وحين جاءه ذلك الإشعار فيما بعد تضمن أمراً له بمواصلة السير للانضمام لابن سعود ولكن دون أن يقدم له مساعدة فعالة حتى يستجيب لخطّة مبارك المقترحة للقتال مع العجمان التي مر شرحها. وجاءت بعد ذلك ثالثة الأثافي حين قبل مبارك عروض السلام التي قدمها العجمان دون أن يشاور حليفه أولاً كما يفترض، خاصة وأن ذلك الحليف هو المعنى الأول بالمشكلة، علاوة على أن سبباً رئيسياً من أسباب صدام ذلك الحليف مع العجمان هو تعديهم على ممتلكات عائدة لرعايا كويتيين. ولكن كل تلك الأفعال التي تبدو متناقضة في الظاهر هي متناغمة في حقيقتها وتعكس سياسة كان مبارك يتمسك بها منذ زمن ونقضى بإبقاء كفتى ابن سعود وخصومه متعادلتين بشكل يمكنه من أن يصبح الوزن المرجح الذي يسعى الجانبان كلاهما لإرضائه كي لا يرمى بنقله إلى إحدى الكفتين فتزجج على الأخرى.

وقد ساعد شيخا قطر والبحرين ابن سعود أيضاً — إذ أمده الشيخ عبد الله آل ثاني ببعض الذخيرة، كما سمح لركائبه بالرعى في الأراضي القطرية نتيجة لقلّة المراعى في الإحساء<sup>(1)</sup>. ثم إنه اعتذر عن تقديم العون لخصومه حين طلبوه منه.

ولا شك أن دافع الشيخ عبد الله لذلك هو حرصه على حسن العلاقة مع جاره القوى ابن سعود، لا سيما وأنه كان على خلاف مع جاريه في البحرين وأبو ظبي الذي أظهر شيخها ميلاً واضحاً للمتمردين ضد ابن

(1) IOR, R/15/5/25, No. 37-c, Keyes, Bahrain, to Sir P. Cox, Basrah, dated 22-7-1915.

سعود كما سيمر، فمن الطبيعي أن يميل خصمه الشيخ عبد الله للناحية  
المقابلة. أما شيخ البحرين فقد كان موقفه متعاطفا مع ابن سعود من  
خلال اقرضه بعض المال وامداده بكمية من الذخيرة. وكان ذلك  
الموقف نابعا من حرصه على عدم اساءة علاقته مع جاره القوى من  
ناحية، ومماشاة منه للدعم البريطاني لابن سعود، وهو الحريص على  
إرضاء الجانب البريطاني، من ناحية أخرى. وشذ عن هذا التعاطف من  
ابن سعود شيخ أبو ظبي حمدان ابن زايد الذى اتهمه ابن سعود بأنه  
العامل الرئيسى فى خلق المشكلة وطالب البريطانيين بمعاقبته لأنه لا  
يستطيع هو شخصيا القيام بذلك لكون ذلك الشيخ تحت الحماية  
البريطانية<sup>(1)</sup>.

وكان سبب حقن ابن سعود الشديد هذا على الشيخ حمدان عائدا  
لاستقباله بعض العرائف ثم امدادهم ببعض الذخيرة أثناء احتدام  
المعارك. فقد أخبر عبد الله القصيبي وكيل ابن سعود فى البحرين  
والوكيل السياسى البريطانى فى البحرين فى السابع والعشرين من يوليو  
١٩١٥ أن أربعة صناديق ذخيرة مرسله من أبو ظبي الى المتمردين قد  
أنزلت على شاطئ البحرين فى موقع يسمى "أم حسن". وعلى إثر  
ذلك طلب الوكيل البريطانى من شيخ البحرين القبض على تلك  
الصناديق. ولكن الشيخ رد بأنه لا يريد أن تسوء علاقته مع العرائف  
أكثر مما هى سيئة الآن، ولذلك فهو يفضل أن يقبض عليها الوكيل  
البريطانى نفسه. فذهب ذلك الوكيل بالفعل الى أم حسن ووجد أن تلك  
الصناديق كانت قد أنزلت على الساحل من قارب قطرى لأن شيخ قطر

(1) IOR, R/15/5/25, Letter dated 30th Dii Qada 1333 from Ibn Saud....

منع انزالها على شواطئ بلاده مما اضطر الزورق لجلبها الى أم حسن بانتظار الحصول على قارب آخر ينقلها الى شاطئ الإحساء . ولكنها أعيد تحميلها على القارب نفسه الذي جلبها في صباح اليوم التالي نتيجة لعدم تعاون السكان المحليين في أم حسن<sup>(1)</sup>. ولا يبدو أن ذلك القارب كان هو الوحيد الذي حاول نقل الذخيرة للمتمردين، ففي نهاية شهر سبتمبر أخبر أمير القطيف الوكيل السياسي البريطاني في البحرين أنه جرت مطاردة لقارب محمل بالذخيرة للعراف في ساحل الظهران حتى البديعة في البحرين. ومع أن جهود الوكيل السياسي أخفقت في العثور على ذلك القارب إلا أنه طلب من شيخ البحرين أُلزام كل القوارب المتجهة من البحرين الى البر المقابل بالخضوع للتفتيش الكمركي وحمل أوراق رسمية. وعلاوة على ذلك كله تصادف في أثناء القتال أن استولت قوات ابن سعود على حقيبة سلمان بن محمد آل سعود، وعثر فيها على عدة رسائل موجهة له ولابن رشيد حاكم حائل من حمدان بن زايد شيخ أبو ظبي واخوته<sup>(2)</sup>.

ولم يثر ذلك التأييد المادى والمعنوى من جانب شيخ أبو ظبي للمتمردين استياء ابن سعود فقط، بل واستياء بعض المسؤولين البريطانيين كذلك.. فقد كتب الوكيل السياسي البريطاني في الكويت في الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩١٥ معلقاً على موقف الشيخ حمدان بن زايد قائلاً: "إن هذا الرئيس الذى هو مثل غيره من شيوخ الساحل الآخرين على علاقات تعاهدية معنا قد اشترك في المؤامرة ضد ابن

(1) iOR, R/15/5/25, No. 46-c, Keyes, Bahrain, to Sir P. Cox, Basrah, dated 22-7-1915.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 61-c Keyes, Bahrain, to Sir P. Cox, Basrah, dated 22-7-1915.

سعود من خلال تزويد أو محاولة تزويد أعدائنه بالذخيرة الحربية وتأمين ملجأ لسلمان العرائف علاوة على تحريض قبيلة المرة على مساندة العجمان. فإذا خولت مستقبلا بالقيام بزيارة الى قطر بخصوص المعاهدة المقترحة مع الشيخ عبد الله بن جاسم فربما سيكون من الملائم أيضا السماح لى بالتوجه الى أبو ظبي وعرض وجهة نظرنا على الشيخ حمدان بن زايد حول تصرفه في هذا الأمر...<sup>(١)</sup>.

ولابد من التساؤل هنا عن السبب الذي حدا بشيخ أبو ظبي لانتهاج هذا الموقف الصريح في انحيازه ضد ابن سعود. ولعل ذلك السبب كامن في الصراع الطويل الأمد بين الرياض وابو ظبي حول ملكية البريمي، بل وتطلع الدولة السعودية بأدوارها الثلاثة الى فرض سيطرتها على ساحل عمان كله وليس على البريمي فقط. ولذلك رأى حمدان بن زايد أن خير وسيلة لمواجهة أية أخطار محتملة من جانب ابن سعود هي اشغاله بالمشاكل داخل بيته، سيما وان موقفه تجاه مشيخات الخليج قد تقوى كثيرا من خلال علاقته الجديدة مع البريطانيين ابتداء من أواخر سنة ١٩١٤. فلربما خشى حمدان بن زايد أن تدفع تلك العلاقة البريطانيين الى غض بصرهم عن توجهات ابن سعود نحو الساحل بعد أن أصبح حليفا لهم أو كاد.

ولعل ما يتم الفائدة التعرف على مصير العرائف بعد اخفاق حركتهم والعجمان. ويظهر أن اثنين فقط من العرائف هما اللذان اسهما في تلك الحركة أو أنهما لعبا دورا بارزا فيها غطى على نشاط بقية

(1) IOR, R/15/5/25, No. c- 37 of 1915, Keyes, Bahrain, to Sir P. Cox, Basrah, dated 25-11-1915.

العرائف. وهذان الرجلان هما سلمان بن محمد آل سعود وفهد بن سعد آل سعود. وقد قتل الأخير أثناء الصدام بين العجمان وبنى خالد كما مر. أما سليمان فقد انسحب من ميناء العقير الى الوكرة في قطر في أكتوبر ١٩١٥، واتجه منها الى أبو ظبي ثم الى قبيلة المرة. ولم يهدأ له بال هناك بل حاول الحصول على ركائب تمكنه من العودة للانضمام الى العجمان المحاصرين قرب جبيل في الشمال<sup>(١)</sup>. وحين أخفق في محاولته هذه اتجه الى جزيرة السرو بمعينه أربعة عشر رجلاً مسلحاً وذلك في أواخر سنة ١٩١٥. وحين وصلت هذه المعلومة لمسامع الوكيل البريطاني في البحرين اقترح على رؤسائه السماح له بالتوجه على ظهر سفينة حربية لاعتقال سلمان لأن ذلك الإجراء سوف يكون له تأثير ممتاز على امتداد الساحل بأكمله، كما أنه سيقنع ابن سعود بأن البريطانيين حريصون على مسانده<sup>(٢)</sup>. ولكن تلك الفكرة لم تتحقق لأن سلمان غادر جزيرة السر الى أبو ظبي ولكن شيخها رجاء مغادرة أراضيها، فكتب عندها الى شيخ قطر طالباً السماح له بالقدوم الى قطر. بيد أن الشيخ عبد الله اشترط عليه أن يعد بالتوصل الى سلام مع ابن سعود قبل السماح له بالقدوم الى قطر. وحين وافق سلمان على ذلك الشرط وقدم التعهد المذكور ذهب الى قطر<sup>(٣)</sup>. وقد توسط عبد الله آل ثاني بعد ذلك بين القرابين اللدودين<sup>(٤)</sup>. وأسفر توسطه عن موافقة ابن

---

(1) IOR, R/15/5/25, No. 64-c, Keyes, Bahrain, to Sir P. Cox, Basrah, dated 27-11-1915.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 6-c, keyes, Bahrain, to the Deputy Political Resident, Bushire, dated 4-1-1916.

(3) IOR, R/15/5/25, No. 64-c, Keyes, Bahrain, to Sir P. Cox, Basrah, dated 27-11-1915.

(4) IOR, R/15/5/25, No. 19-c, keyes, Bahrain, to the Pol-Res-in the P-G-, Bushire, dated 12-2-1916.

سعود على العفو عن سلمان واستقباله في الرياض (١).

وإذا كان ذلك هو مصير آخر العرائف فإن مصير حلفائهم العجمان كان أكثر تعقيداً. إذ بعد أن اتفق مبارك الصباح وإياهم كما مر سمح لهم بالإقامة في أراضيه - ولكنه ما لبث طويلاً حتى توفي في التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩١٥ (٢).

وكان على خليفة جابر بن مبارك معالجة هذه المشكلة التي أصبحت تعكر علاقات الكويت بآبن سعود. وقد بادر الأخير حال سماعه بوفاة مبارك الى كتابة رسالة ودية الى جابر أعاد فيها تأكيد موقفه الراض للصفا عن العجمان وطالب جابراً بترحيلهم عن الكويت أو الأراضي المجاورة لها، فاضطر جابر للاستجابة لطلبه وأمر العجمان بالرحيل عن أراضيه. وقد أخبر جابر المقيم السياسي البريطاني في الخليج أن عدد مقاتلي العجمان المرشحين عن أراضيه يبلغ حوالي ألفي مسلح بينهم حوالي مائتي خيال، وعبر عن اعتقاده في أنهم سيحاولون الحصول على حماية من ابن رشيد (٣).

ولكن جابراً على الرغم من أنه رحل العجمان عن أراضيه إرضاءً لابن سعود إلا أنه حسب المعلومات السرية التي نمت لعلم الوكيل السياسي البريطاني في الكويت عقد معهم اتفاقاً سمح لهم بموجبه بدخول الكويت بين آونة وأخرى لأغراض التميمين، وتعهدهوا فيه من

(1) IOR, R/15/5/25, No. 28-c, Keyes, Bahrain, to the Pol-Res-in the P-G-, Bushire, dated 29-2-1916.

(٢) حسين خلف الشيخ فزعل، تاريخ الكويت السياسي، بيروت، ١٩٦٢، ج ٢، ص ٢٩٩.

(3) IOR, R/15/5/25, "Note regarding interview with shalkh of Kuwait on 31st December 1915  
"by Sir Percy Cox.

جانبيهم بأن لا يضايقوا أى أحد فى أراضى الكويت وأن يعتبروا قبيلتى العوازم والواسر وبعض قبيلة بنى خالد أصدقاء لهم حتى لو قابلوهم خارج حدود الكويت. وأفاد الوكيل السياسى أيضاً أن ضيدان بن حثلين شيخ العجمان أرسل عن طريق عجمى السعدون شيخ المنتفق رسالة الى قائد القوات العثمانية فى العراق بتاريخ الثانى عشر من يناير ١٩١٦. وجاء فى الرسالة: "أنك تعرف وتترك بأننا كنا رعاياكم منذ أخذتم الإحساء، وكنتم تعيلوننا منذئذ وحتى أخذ ابن سعود الإحساء منكم. وقد صممنا هذه السنة على استعادتها وذلك ما كدنا أن نفعله لولا مساعدة ابن صباح لابن سعود. ونحن الآن رهن أوامرك وأوامر عجمى وإذا استطعنا الحصول على مائتى رجل [يقصد جندى نظامى] ومدفعين منكم فسوف نستعيد الإحساء بعون الله. نحن تحت تصرفك مهما كان أمرك<sup>(١)</sup>.

وظلت السلطات البريطانية تتابع تحركات العجمان المرشحين عن الكويت. فكتب الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت فى الثالث من مارس ١٩١٦ يقول أن ضيدان وخميس شيخي فخذى الحثلين والسفران مع أربعة آلاف وثلاثمائة من تابعيهم موجودون فى جلاوه<sup>(٢)</sup>. وهم بشكل جلى على علاقة صداقة مع عجمى السعدون. أما فخذ المتناقم Matalaggam<sup>(٣)</sup> الذى يبلغ عدد مقاتليه أربعمئة رجل فهو موجود مع

(1) IOR, R/15/5/25, No. c-3 of 1916, Grey, Kuealt, to the Pol. Res. In the P.G., Basrah, dated 2-2-1916.

(٢) جلاوة بالجيم الفارسية موقع صحراوى به ابار شمال غرب الزبير.

(٣) لم يورد لوريمير وهو يعدد أخذ قبيلة العجمان فخذاً بهذا الاسم. راجع: لوريمير، المرجع

نفسه، ج١، ص ٧٨ وما بعدها.

حمود السويط شيخ قبيلة الظفير والذي يوجد معه أيضا ابن طواله شيخ الأسلم من شمر. وهذه المجموعات الثلاث على علاقة صداقة وثيقة فيما بينهما<sup>(1)</sup>.

وحيث أن ابن سويط وابن طواله كانا على علاقة جيدة مع السلطات البريطانية، فهذا يدل على أن فخذ المتقم من العجمان فضل الارتباط بالبريطانيين بينما فضل فخذ الحثيين والسفران الارتباط بالعثمانيين. وهكذا حطمت الظروف وحدة هذه القبيلة مستقرا واتجاهها سياسيا. وكان الوكيل السياسي البريطاني في البحرين يتابع أيضا تحركات العجمان فقد كتب في الرابع من يناير 1916 قائلا أن حمد بن مقراد رئيس فخذ المحفوظ من العجمان وصل من الكويت وانضم الى حاشية الشيخ حمد بن عيسى، ابن حاكم البحرين، ولكن ابن سعود حين علم بوصوله طلب من شيخ البحرين عدم التوسط له لديه لأنه لن يصغى لشفاعته فيه. وأضاف الوكيل أنه سمح لابن مقراد بالبقاء ضمن حاشية الشيخ حمد شريطة أن لا يغادر البحرين لأي مكان دون إذن مسبق منه. وقال أيضا أن الكثيرين من العجمان يصلون بالسفن من الكويت الى البحرين بحثا عن عمل. ولكن ليس لأكثرهم، إن لم يكن لهم كلهم، أي اتجاه لمواصلة الصراع مع ابن سعود<sup>(2)</sup>.

ولم تكن لابن سعود قناعة مثل قناعة الوكيل هذه، فظل يراقب تحركات العجمان في البحرين بحذر كبير ويشعر الوكيل السياسي البريطاني في البحرين بما يصله من معلومات عنها. فقد كتب له في

(1) IOR, R/ 15/5/25, Grey, Kuwait, to the Chief Political Officer, asrah, dated 3-3-1916.

(2) IOR, R/ 15/5/25, No. 6-c, dated 4-1-1916.

فبراير ١٩١٦ يعلمه بوصول كل من مانع بن مزيدان وراسم بن خليفة وسعد بن صغير وآخرين من قبيلة العجمان الى البحرين، ويخبره بأنهم لا يميلون الى الهدوء ويحتمل أن يسببوا مشاكل انطلاقاً من قطر أو من ساحل عمان إذا ما تركوا أحراراً.

ولذلك فمن الضروري للوكيل مراقبتهم بدقة واتخاذ الاجراء اللازم لمنعهم من ارتكاب عمل مؤذ ثم طردهم من البحرين بشكل كلى. ورجا ابن سعود الوكيل عدم اخبار شيخ البحرين بالأمر لأنه رجل فيه غفلة ولا يريد تعكير صفو العلاقات الودية معه لأنه يعتبره مثل والده<sup>(١)</sup>. وكان وكيل ابن سعود فى البحرين أيضاً يخطر الوكيل السياسى البريطانى بأية تحركات مريبة للعجمان. فقد أخبره بوصول ثمانية عشر رجلاً مسلحاً من العجمان بحراً من الكويت، وأعرب له عن خشيته من أنهم ينوون التسلل الى تلال الظهران حيث يهيمنون منها على طريق العقير - القطيف - وحصل من الوكيل السياسى على تعهد بمنعهم من مغادرة البحرين الى البر المقابل. ثم انتهى أمرهم بإرجاعهم الى الكويت فى الثانى من فبراير ١٩١٦ بموجب قرار من حاكم البحرين<sup>(٢)</sup>.

وقد أبرق رئيس الضباط السياسيين البريطانيين السير برسى كوكس فى الثالث عشر من شهر فبراير ١٩١٦ الى الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت قائلاً أن المعلومات التى وصلتته تشير الى أن

---

(1) IOR, R/ 15/5/25, Letter dated Rabi-ul- Thani 1334 (February 1916) from Shaikh Abdul Aziz bin Abdur Rahman to Major T.H. Keyes.

(2) IOR, R/ 15/5/25 No. 19-c, dated 12-2-1916.

العجمان المتمردين حصلوا على ملجأ لدى عجمى الـ عدون وابن رشيد كما كان متوقعاً، ولكنهم لا يبدوون حالياً عنصراً ذا أهمية خطيرة. وأضاف يقول بما أن الوضع على هذه الشاكلة فليس من صالح بريطانيا ولا صالح ابن سعود أن يعيش العجمان مع أعداء بريطانيا ويحصلوا فى الوقت نفسه على تموينهم من الكويت بموجب ترتيب بينهم وبين الشيخ جابر. وطلب من الوكيل تذكير الشيخ بمخاوف ابن سعود من اتخاذ الكويت مركزاً لتموين العجمان، والتأكيد عليه بضرورة منعهم من التمون من الكويت<sup>(١)</sup>.

وقد رد الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت على كوكس فى الثانى عشر من مارس ١٩١٦ بقوله أن كل ارتباط بين الكويت وأقسام من قبيلة العجمان التى انضمت لعجمى وفخذ العبدية من شمر انتهى منذ عدة أسابيع مضت، وليس مسموحاً لها الآن بالمجئ الى الكويت أو الحصول على تموين منها. وتاريخ بدء ذلك الحظر هو اليوم الذى علم فيه أنها اختارت السبيل المذكور، ولأنها بعد ذلك نهبت بعض أبل الكويت داخل الأراضى الكويتية مما أوجد سبباً إضافياً للعداء. ولذلك فليست هناك اتفاقية بينهما وبين الشيخ جابر الذى يعتبرها الآن عدوة له ولنا<sup>(٢)</sup>.

ولم يكن العجمان خلال ذلك كله قابعين فى مئاويهم الجديدة راكنين للذعة، ولكنهم كانوا يتحينون الفرص لمضايقة خصومهم. فقد شنوا

---

(1) IOR, R/ 15/5/25, No. 691, Cox, Basrah, to the Pol. Agent, Kuwait, dated 13-2-1916.

(2) IOR, R/ 15/5/25, No. c-16, Grey, Kuwait, to the Chief Political Officer, Basrah, dated 12-3-1916.

غارة خلال شهر مايو ١٩١٦ على قبيلة مطير حدث خلالها قتال بين  
الجانين<sup>(١)</sup>. ولم يلبث العجمان إلا قليلاً حتى أغاروا قرب الصمان على  
أبل يبلغ عددها مائة بعير عائدة لأحد آل بسام كانت قادمة من نجد إلى  
الكويت فاحتازوها<sup>(٢)</sup>.

وأعد نائب رئيس الضباط البريطانيين في البصرة في يوليو ١٩١٦  
مذكرة تفصيلية عن تحركات العجمان بعد ترحيلهم عن الكويت كما  
مر. فنذكر أن العجمان الذين وصلوا للكويت بعد قتالهم الفاشل مع ابن  
سعود يعدون أكثر من ألف مقاتل بقليل، وحين رحلوا من الكويت غادر  
حوالي ألف وأربعمائة مقاتل منهم فقط الأراضي الكويتية بينما تقسم  
البقية في مجموعات صغيرة بقيت في الكويت. وقد توقف مائتان من  
الألف والأربعمائة قرب جبل سفام حيث طلبوا في مايو ١٩١٦ مواقفة  
شيخ الزبير على السماح لهم بالإقامة حول آبار سفوان الواقعة عند  
حافة أراضي الكويت الشمالية، فأجيبوا إلى طلبهم<sup>(٣)</sup>.

أما البقية فإنهم انضموا جميعاً إلى عجمي السعدون. وازداد عدد  
المقيمين منهم تدريجياً حول آبار سفوان. ولكن وصول ابن رشيد إلى  
المنطقة غير الموقف فقد دعا العجمان المقيمين في سفوان للانضمام  
إليه في صدامه مع حمود بن سويط شيخ قبيلة الظفير وضاري بن  
طواله شيخ الأسلم، فاستجاب لدعوته زهاء ثلاثمائة مقاتل غادروا

(1) IOR, R/ 15/5/25, Grey, Kuwait, to Sir P-Cox, Basrah, dated 22-5-1916.

(2) IOR, R/ 15/5/25, No. C-43 of 1916, Grey, Kuwait, to the chief Political Officer, Basrah, dated 15-5-1916.

(٣) لا ريب أن تلك الاستجابة جاءت بعد موافقة السلطات البريطانية لأن شيخ الزبير كان من  
اتباع البريطانيين وأمر بأوامرهم ولا يجرؤ على اتخاذ قرار وقتل هذا دون موافقتهم.

سفوان دون استئذان شيخ الزبير، بيد أنهم أرسلوا له رسالة شفوية بعد مغادرتهم بيوم واحد تفيد بأن مغادرتهم لا تعنى أن نواياهم غدت عدائية تجاه البريطانيين. كما انضم الى ابن رشيد كل العجمان المقيمين مع عجمى السعدون الذى لم يبق معه منهم إلا خميس بن منيحز شيخ السفران وحوالى خمسين رجلاً من أتباعه. ولكن نقص التمويل الذى أخذ العجمان المنضمون لابن رشيد يعانون منه جعلهم يتفرقون من حوله فعاد كثير منهم الى عجمى السعدون حتى بلغ عددهم ما بين مائتين الى ثلاثمائة مقلد، كما عاد كثيرون للإقامة حول آبار سفوان، ولم يبق مع ابن رشيد فى العجمان سوى ضيدان بن حثلين الشيخ العام للقبيلة وعدد من أتباعه. وختم نائب رئيس الضباط السياسيين مذكرته بالقول أن توزيع العجمان أصبح فى أواخر يوليو ١٩١٦ هو ما بين ستمائة الى سبعمائة مقاتل يقيمون فى سفوان وحوالى مائتين الى ثلاثمائة مع عجمى السعدون وحوالى مائة مقاتل مع ابن رشيد، بينما انضمت مجموعة صغيرة الى ضارى بن طوالة شيخ الأسلم فى  
شمر<sup>(١)</sup>.

وقد حصل فى غضون شهر يوليو ١٩١٦ اميل للتصافى بين ابن رشيد حاكم حائل وجابر المبارك شيخ الكويت. وكان لذلك تأثير على وضع العجمان بحكم تحالف شيخهم مع ابن رشيد كما مر. ولم تكن تلك التطورات خافية على ابن سعود فكتب الى رئيس الضباط السياسيين البريطانيين فى البصرة فى الخامس عشر من أغسطس ١٩١٦ رسالة

---

(1) IOR, R/ 15/5/25, No. 6553, Grey, Kuwait, to the chief Political Officer, Basrah, dated 26-7-1916.

جاء فيها: "... على أن أخبرك أيضاً بأننى علمت مؤخراً بأن العجمان الذين كانوا مؤخراً مع ابن رشيد قرب الزبير توصلوا نتيجة للسلام بين ابن رشيد وابن صباح الى تفاهم مع ذنك الرئيسين، وذلك بعد مغادرة ابن رشيد مباشرة من تلك الأثناء أثار احتكاكه مع ابن طواله وابن سويط. ومفاد ذلك التفاهم هو ان العجمان سيسبقون فى أراضى ابن صباح. وهذا أمر لا يجب أن يكون. فقد بينت لمعاليك حول العجمان وموقفى منهم. إنهم رعاياى الخارجون على القانون وسبب تمردهم هو المساندة التى تلقوها من ابن صباح. واقامتهم فى الكويت ستسبب بالتأكيد احتكاكاً بينى وبين ابن صباح لأن رعاياى مصممون على استمرار العداء مع العجمان وأنا كذلك..."<sup>(1)</sup>. ولكن ذلك الاحتكاك الذى توقعه ابن سعود لم يقع. إذ زار ابن سعود الكويت فى نوفمبر ١٩١٦ بدعوة بريطانية وتم خلال تلك الزيارة الاتفاق بينه وبين السير برسي كوكس والشيخ جابر المبارك على أن يقدم العجمان بضمانة بريطانية كويتية مشتركة تعهداً بعدم قيامهم بأية أعمال عدائية ضد ابن سعود. ولكن وفاة جابر المبارك بعد حين وانتهاج خلفه سالم المبارك لسياسة متشددة تجاه ابن سعود أثار مشكلة العجمان مجدداً. حيث أخذت عناصر من تلك القبيلة تغير من ملاحظها فى العراق على أطراف أراضى ابن سعود. وكانت فى غاراتها تلك تمر فى الأراضى الكويتية سواء بالتواطؤ مع الشيخ سالم أو برضاه الضمنى<sup>(2)</sup>. وحين تأزمت العلاقات بعد حين بين ابن سعود وسالم دعا الأخير بعض العجمان

(1) IOR, R/ 15/5/25, Letter from Abdul Aziz bin Abdu Rahman to the Chief Political Officer, Basrah, dated 15-8-1916.

(2) Philby, H. , Arabian, Judilee, London, 1952, pp. 62-4.

للإقامة في أراضيه<sup>(١)</sup>.

غدت عودة العجمان للإقامة في الكويت واستمرار غاراتهم على أراضى ابن سعود أحد الحوائل بين الأخير وبين التفرغ للعمل ضد ابن رشيد حاكم حائل مثلما كان البريطانيون يريدون. لذا أخذ الأخيرون يسعون لحل هذه المشكلة، وارتأوا أن يوفدوا بعثة بريطانية لابن سعود من مهامها إزالة ما بينه وبين سالم المبارك من خلافات، ومن بينها مشكلة قبيلة العجمان.

وكانت البعثة مؤلفة من هاملتون الوكيل السياسي البريطاني في الكويت وهارى سنت جون فلبى أحد موظفى الإدارة البريطانية فى العراق. وقد وصلت البعثة الى الرياض فى نوفمبر ١٩١٧ وتطرقت مباحثاتها الى مشكلة العجمان حيث لام ابن سعود سالماً لايوائه العجمان مجدداً فى الكويت على الرغم من علمه بعدائهم له، وطالب بترحيلهم من الكويت ثانية<sup>(٢)</sup>.

وقد استجابت السلطات البريطانية لرغبة ابن سعود هذه، حين جمع الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت مشايخ العجمان فى الرابع من مارس ١٩١٨ ووقعهم على اتفاقية نصت على عفو السلطات البريطانية عن خرقهم للتعهد الذى قدموه فى نوفمبر ١٩١٦ وقبولها وضعهم تحت حمايتها لفترة تمتد سنة بعد نهاية الحرب العالمية الدائرة حينئذ.

---

(١) فتوح عبد المحسن الخترشى، تاريخ العلاقات السياسية البريطانية - الكويتية ١٨٩٠ -

١٩٢١، الكويت، ١٩٧٤، ص ٩٢.

(٢) عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، بيروت، ١٩٧١، ص ٢٣٧.

واشترطت الاتفاقية عليهم مغادرة أراضي الكويت وعدم دخولها مستقبلاً وعدم تمونهم منها وقررت أن يقيموا مؤقتاً في أطراف الزبير لحين تحديد مكان آخر لاقامتهم. وتعهدت الحكومة البريطانية بمنح أولئك المشايخ مرتبات مالية إذا ما نفذوا التزاماتهم بموجب تلك الاتفاقية<sup>(١)</sup>.

وقد أثبتت الوقائع اللاحقة أن تلك التسوية لم تكن مكيفة الأساس، فما كاد قلبي يعود للرياض ليستقر فيها ممثلاً مقيماً للحكومة البريطانية لدى ابن سعود حتى أخذ يرفع لمراجعته تقارير عن أنشطة جديدة للعجمان وعن شكايات من ابن سعود ضدها. فقد كتب في السابع عشر من يوليو ١٩١٨ أنه استلم معلومات تفيد بأن جماعة مؤلفة من مائة رجل من العجمان والأسلم انحدرت مع الساحل عبر أراضي الكويت وشنت غارة محققة على أحد أفخاذ قبيلة المرة ثم هاجمت قبيلة سبيع بين القطيف والإحساء وغنمت منها ثلاثة أنواد من الأبل، ولكن سبيع طاردت المغيرين واستردت ابلها بعد أن قتلت خمسة رجال منهم وأسرت ثلاثة.

ونذكر أن قادة العجمان المغيرين هم خميس بن مفيحز وعيد بن منلقم وكومان بن مسيعة. بينما كان قائد الأسلم هو سظام بن طوالة أخو ضاري. وقد وفرت قبيلة العوازم وشيخها راعي الفهما الحماية للمغيرين. وجاء في إفادات الأسرى أنهم أغاروا قبل ذلك على قافلة نجدية خارجة من الكويت تحت قيادة وكيل ابن سعود وغنموا منها

---

(١) فرغل، المرجع نفسه، ج٤، ص ٢٠٧.

خمسين جملاً. وذكر فلبى أن ابن سعود كان يحذر الشيخ سالم طيلة الأشهر الماضية من مكيدة يدبرها العجمان مع راعى الفهما شيخ العوازم، ولكن سالمًا كان يرد عليه بنفى علمه بالأمر وأنه سوف يقوم بالتحقيق ومعالجة القضية. وأشار فلبى الى أن لديه رسالتين من سالم بهذا الشأن. وأضاف أن قبيلة سبيع استفسرت من ابن سعود عما ينوى فعله رداً على تلك الغارة وأن ابن سعود بدوره يسأل عما ينوى البريطانيون فعله. وعبر فلبى عن اعتقاده بوجود شك قليل فقط باطلاع سالم التام على تحركات تلك الجماعة المغيرة واغفاله اتخاذ اجراءات لمنعها. ولم يستبعد امكانية اطلاعه المسبق على خطتها، ولذلك فهو يتحمل مسئولية الأمر بشكل جازم خارجاً تعهداته لابن سعود فى رسالتيه المشار إليهما كما أن العجمان بأعمالهم هذه يخرقون اتفاقيتهم مع الجانب البريطانى. وختم فلبى تقريره بالقول: "إن هذه وقائع أخوى جديدة تسبب امتعاضاً واسعاً فى نجد وتجعل الأمور صعبة للغاية لابن مسعود ولى. وستتجم عواقب وخيمة إذا سمح لهذا النوع من الأمور بالاستمرار إلى ما لا نهاية. إن ابن مسعود يشكو من أننا لا نمنحه دعمنا. ألتمس أن ينال هذا الأمر اهتماماً جدياً عاجلاً، وأقترح التفكير بما يلى لمعالجة الحالة:

١- منع كل المسائلة<sup>(١)</sup> عن العجمان والأسلم ويضمنهم ضارى الى أن يتم تسليم قادة الجماعة المغيرة والإبل المنهوبة، وفى هذه

---

(١) "المسائلة" هى التمون من سوق معينة بالحاجات الأساسية التى تتطلبها حياة قبيلة ما بإرسال قوافلها لتلك السوق، ولعل التسمية من "السبيل" حيث تسلك القوافل سبيلاً معيناً للوصول الى تلك السوق.

الحالة يجب أن يرمى أولئك القادة فى السجن.

٢- أن يحذر سالم من أن حدوث غارة أخرى من قبل العجمان أو شمر عبر أراضي الكويت أو قبائلها سيترتب عليه عزلة أو عمل خطير آخر. ويجب أن يدعى سالم أيضا لمعاقبة راعى الفهما بشكل يرضى البريطانيين.

لقد نال سالم قدرا كبيرا من حرية العمل، ولا يتوقع منا أن نتوانى معه إلى مالا نهاية بينما نفقد ثقة ابن مسعود بشكل واسع...<sup>(١)</sup>.

وما كاد تقرير قلبى هذا يصل الى الوكيل السياسى فى الكويت حتى بادر بالكتابة مؤكدا بأن اتخاذ السلطات البريطانية لإجراء قوى هو الوسيلة الوحيدة لإيقاف أمثال تلك الغارة واستعادة الهيئة البريطانية. واقترح، إذا وافقت مراجعه العليا على مبدأ استخدام القوة الحربية، أن يتمركز رتل متحرك صغير فى الجهراء قرب الكويت بالتعاون الأسمى مع شيخ الكويت لكبح تلك الغارات<sup>(٢)</sup>.

وما لبث هذا الوكيل إلا أياما حتى طور فكرته فاقترح أن تقيم السلطات البريطانية على الفور مركزا عسكريا فى سفوان لحراسة آبار المياه ودفن بقية الآبار المجاورة التى لا تخضع لسيطرة ذلك المركز. وأن يخول ابن سعود احتلال آبار حفر الباطن وأن يرتب مع شيخ الكويت لاحتلال آبار الصفا علاوة على ما ليداه حاليا من قوة فعلية فى الجهراء قوامها ثلاثمائة رجل. وبذلك كله يتم التحكم بالطرق التى قد

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. M109, Philby, Rigadh, to Political, Baghdad dated 18-7-1918.

(2) IOR, R/15/5/103, No. 110-c, Political Kuwait, to Political, Baghdad, dated 4-8-1981.

يسلكها المغيرون. ومضى الوكيل في اقتراحه قائلاً أن من المستحسن تخويله إخبار الشيخ سالم أن البريطانيين سيتخذون بأنفسهم إجراء إذا حدثت غارة أخرى عبر الأراضي الكويتية. وختم الوكيل اقتراحه بالقول أن العجمان وضاري بن طوالة مصدر دائم للمشاكل وأثبتوا أنهم غير جديرين بالثقة فمن الأفضل اعتبارهم أعداء صريحين لبريطانيا وسوفهم بالقوة حالما تكون الإجراءات المقترحة أعلاه قد استكملت، وبهذا تمكن مواجهة مشكلة الغارات<sup>(1)</sup>.

وعلق وكيل المنسوب السامي البريطاني في بغداد على ما جاء في تقرير قلبي وعلى مقترحات الوكيل السياسي في الكويت بقوله أن الشكوى في الغارات، حسبما يدعى شيخ الكويت، انعكاس لسوء العلاقات بينه وبين ابن سعود. وسوء العلاقات مؤخرًا عائد بصورة أولية بقرار السلطات البريطانية عدم إرسال قوات إلى الكويت من أجل تفعيل إجراءات الحصار الاقتصادي والاكتماء بوضع مسؤولية تفعيلية بين يدى الشيخ. إذ لو أرسلت القوات كما كان ذلك معتزماً من البداية لكانت فصيلتان من الجند كافيتين ولأمكن تجنب المشكلة التالية على الأرجح. وختم الوكيل تعليقه بالقول أنه يوصى في الظروف الراهنة بإرسال نصف كتيبة من المشاة وسرية خيالة إلى الكويت على الفور، وسيخدم هذا في تثبيت الوضع هناك بشكل مباشر وبثبتيته في بلاد العرب المركزية بشكل غير مباشر<sup>(2)</sup>.

وسارع الوكيل السياسي البريطاني في الكويت حال اطلاعه على

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. 8574, Political Baghdad, to Political, Kuwait, dated 10-8-1981.

(2) IOR, R/ 15/5/103, No. 6743, Political Baghdad, to Political, Kuwait, dated 18-8-1981.

توصية وكيل المندوب السامي الى تسليم السير برسى كوكس الذى تصادف مروره فى الكويت حينئذ فى طريق عودته للعراق مذكرة باليد جاء فيها أنه لم يقترح إرسال قوات الى بلدة الكويت ذاتها، ولكنه اقترح تمركز رتل متحرك فى الجهراء بالتعاون شكليا مع الشيخ علاوة على احتلال آبار سفوان والحفر والصفاء وأضاف أن نتائج تنفيذ ذلك ستكون أكثر فائدة مما لو تم احتلال الكويت ذاتها التى مرت اللحظة الملائمة له بعد أن قبلت السلطات البريطانية صداقة الشيخ فى الخامس من يوليو ١٩١٨. وذكر الوكيل أنه منذ ذلك التاريخ لم تحدث، حسب معلوماته، أية غارة ولم تهرب سلع للعدو من الكويت. وأضاف أن احتلال الكويت ممكن أن يتم لاحقا على الفور إذا لم يستجب الشيخ للطلبات البريطانية<sup>(١)</sup>.

أما الضابط السياسى البريطانى فى البصرة فقد علق على تقرير فلبى بقوله أن الغزو فى الصحراء ليس لعبة جديدة. فإذا كان العجمان قد مروا عبر أراضى الكويت للإغارة على أعدائهم فإن قبائل مطير وسبيع وبنى هاجر التى هى قبائل تابعة لابن سعود فعلت الشيء نفسه ووصلت مؤخرا لحد كابده والرميلة<sup>(٢)</sup> فى الشمال، حيث هاجمت قبائل شمر والظفير والعجمان. وهذا النوع من النشاط يتواصل فى كل طقس حار ويستحيل القول من الذى بدأه. وقد أنتهى الموسم تقريبا فمع عودة الطقس البارد سنتوقف المشكلة. ومضى ذلك الضابط يقول معلقا على الإجراءات التى اقترحها فلبى أن قطع العلاقات الودية بين البريطانيين

(1) IOR< R/ 15/5/103, Political, Kuwait, to Sir P. Cox dated 19-8-1918.

(٢) موضعان فى الصحراء العراقية لا يبعدان كثيرا عن بلدة الزبير.

والعجمان سيدفعهم بالطبع للانضمام الى ابن رشيد حالما يشعرون أن خطر ابن سعود عليهم حقيقى. وربما سيعجل ذلك بالصدام الذى يريده قلبى ولكنه لن يقلل من الغزو بالتأكيد.

واقترح الضابط قيام عمل منسق بين السلطات البريطانية المعنية بأمور الصحراء يوقف بموجبه لينشمان Leachman نشاطات قبائل عنزة وقلبى نشاطات قبائل ابن سعود ولسوك Loch نشاطات قبائل الكويت، وعندها تستطيع السلطات فى البصرة السيطرة على العجمان. كما اقترح أن تكون الإعانات المالية البريطانية وأذونات السمايلة مشروطه بعدم شن غزوات على قبائل صديقة وأن تؤخذ سندات بهذا المضمون مثبت فيها أسماء الأشخاص نوى العلاقة ويضمنهم العجمان على قدم المساواة مع غيرهم وليس أكثر<sup>(1)</sup>.

وقد أيد قلبى على الفور اقتراح وكيل المندوب السامى القاضى باحتلال الكويت ذاتها باعتباره سيؤدى لاستعادة ثقة ابن سعود بالبريطانيين. وانتقل بعدها للتعليق على آراء الضابط السياسى فى البصرة التى مرت أعلاه فقال إن كانت البصرة مقتنعة بأن العجمان سوف ينضمون إلى ابن رشيد فإنها بذلك تعطى لشكوى ابن سعود من نقص دعم البريطانيين له أساسا عادلا لأن البريطانيين يطعمون أعداءه حتى تحين ساعة انقضاضهم عليه، وهذا أمر مخالف لأبسط قواعد الحرب. ومضى يقول أن الغزو فى الصحراء ليس لعبة جديدة بالتأكيد ولكن ابن سعود يود أن يسهم بها أيضا. فقد منعه البريطانيون لحد الآن

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. 4619, Political, Basrah, to Political, Kuwait, dated 18-8-1981.

من ذلك، وكل ما يطلبه هو أن يمنعوا أصدقائهم من الإغارة عليه أو أن يتركوه حراً في الانضمام إلى اللعبة، وأشار فلبى إلى ما ذكرته البصرة عن غزوات قبائل نجدية للأراضي العراقية وطالبها بتقديم معلومات مفصلة حتى يتمكن من اتخاذ إجراء. واتهم فلبى سلطات البصرة بأنها تتجاهل كون قضية العجمان قضية حادة حيث تتبادل هذه القبيلة المرعية ألد العداء مع ابن سعود، وقد منحها البريطانيون ملجأً آمناً أبعداً عن انتقامه وضمّنوا مع شيخ الكويت حسن سلوكها ضماناً جازماً مقابل تعهد ابن سعود بعدم مضايقتها حيث تقيم في الأراضي "البريطانية" وقد التزم ابن سعود بتعهده في حين لم يفعل الجانب البريطاني ذلك. وعلى الرغم من كل ذلك فإن ما يطلبه ابن سعود هو إحلاله من تعهده أو التزام البريطانيين بتعهدهم في المستقبل. ومضى فلبى يقول: "إن السلوك الحالي للعجمان معادل لتحالفهم مع ابن رشيد مع فرق واحد هو إننا نطمعهم ونؤمنهم من هجوم ابن سعود المضاد. وكل ما أطلبه هو وجوب أن نوقف نشاطاتهم أو أن نتركهم يجوعون حتى يلاقوا ابن سعود، وسنرى بعدها إن كانت الغزوات ستقل أو لا... أوافق بحرارة على عمل منسق، ولكن الخطوة الأولى يجب أن تكون بالتأكيد السيطرة على العجمان التي هي القبيلة الأكثر أهمية المعنية بكاملها بالأمر حيث قبلنا أمام ابن سعود مسؤولية الزامها باحترام النظام. إن قيمة السندات موضحة جيداً بقلة احترام العجمان لاتفاقاتهم المكتوبة. لذلك فإنني استنكر الانغماس في موضوع السندات في حين أن كل المطلوب هو السيطرة الفعالة. إن الشؤون العربية تبدو الآن ضخمة بشكل يبرر تشكيل إدارة منفصلة للسيطرة عليها حيث أن

مشغوليات البصرة تجعل من المستحيل عليها بشكل جلي إيلاء أحداث الصحراء الاهتمام المستحق...<sup>(١)</sup>.

وجاءت عودة السير برسي كوكس الى المنطقة لتضع حداً للجدل الدائر بين المسؤولين البريطانيين المعنيين. فقد أبرق من الكويت فى العشرين من أغسطس ١٩١٨ قائلاً أن الوضع الذى تسببه الغارات صعب بشكل جلي وتعتمد معالجته على البريطانيين قدر اعتمادها على شيخ الكويت. وأضاف أنه ناقش الأمر مع الأخير وأسفرت المناقشة عن اتجاه لاتخاذ بعض الإجراءات وهى وضع مركز بريطانى فى سفوان واحتلال الجهراء وآبار المياه الكويتية الأخرى المجاورة من قبل أتباع الشيخ شرط قيام الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت بزيارات دورية لها، واحتلال ابن سعود لآبار الحفر الواقعة على حدود أراضي الكويت. أما الإجراءات الأخرى التى يمكن للسلطات البريطانية فى العراق اتخاذها لقمع غريزة الغزو لدى العجمان والأسلم فسيقررها بعد وصوله للبصرة<sup>(٢)</sup>.

وبالفعل ما كاد يصل للبصرة حتى تشاور مع معاونيه هناك وقرر اتخاذ الإجراءات التالية وهى استدعاء رؤساء أفخاذ قبيلة العجمان الستة كى يطلب منهم تقديم تعهد مكتوب بالكف كلياً عن التحرك عبر حدود الكويت وتقديم رهائن مقبولة ضماناً للتقيد اللازم بالتعهد. وسيحصل أولئك الشيوخ مقابل ذلك على التمويل على أساس الحد الأدنى من حاجاتهم. وإذا رفض قبول هذا الشرط من قبل أى فخذ تربطه علاقة

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. M167, Philby, Buraida, to Politcal, aghdad, dated 28-8-1918.

(2) IOR, R/ 15/5/103, No. B95, Cox, Kuwait, to Foreign, Simla, dated 20-8-1918.

حسنة بالبريطانيين سواء بعلاقة مباشرة معهم أو بعلاقة مع أحد الرؤساء المعانين من قبل بريطانيا ماليا فسيوقف عنه التموين ويعامل باعتباره عدوا من قبل البريطانيين وابن سعود على حد سواء. وتوقع كوكس أن يطلب الشيوخ المذكورون أن يفرض ابن سعود شروطا مماثلة بالمقابل على شيوخ قبائله المعادين لهم. ووصف كوكس ذلك الطلب بأنه أمر معقول<sup>(1)</sup>.

وقد أقرت الحكومة البريطانية اقتراح إقامة مركز بريطاني في سفوان<sup>(2)</sup>. وقد أنيطت مسؤوليته بعشرين من شبانة<sup>(3)</sup> الزبير على أن يقدم لهم ضاري بن طواله المساعدة حين يطلبون ذلك منه<sup>(4)</sup>. وقد اعترض الوكيل السياسي البريطاني في الكويت على ذلك قائلا أن الإجراء المزمع أصلا هو أن تكون قوة مركز سفوان من القوات البريطانية، أما وضع الشبانة في المركز فسيكون بديلا فقيرا جدا. وذكر الوكيل أنه ليست لديه معلومات عن شبانة الزبير ولكنه لا يثنق بغير الجند النظاميين لتنفيذ الغرض الذي سيقام المركز من أجله. وسيزيد الطين بلة الاعتماد على شخص مثل ضاري لتقديم المساعدة لأنه وعد Rogue. وبذا فإن الإجراء يفقد كل فعاليته ما لم يكن مركز سفوان فوق الشبهات وما لم ينفذ بطريقة تظهر لابن سعود والآخرين

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. B98, Cox, Basrah to Foreign, Simla dated 25-8-1918.

(2) IOR, R/ 15/5/103, No. 4788, Political, Basrah, to Political, Kuwait, dated 26-8-1918.

(3) الشبانة اسم كان يطلق في بداية الاحتلال البريطاني للعراق على قوات حلية تجند لحفظ الأمن والنظام داخل المدن والقصبات تحت إشراف ضابط بريطاني.

(4) IOR, R/ 15/5/103, No. 4916, Political, Basrah, to Political, Kuwait, dated 1-9-1918.

أن البريطانيين جادون في معالجة المشكلة<sup>(1)</sup>.

وأثناء ما كانت السلطات البريطانية معنية باتخاذ الإجراءات التي تضع حداً لأعمال العجمان العدائية ضد ابن سعود كان العجمان من جانبهم يبحثون عن حليف يشد أزرهم ضده وربما يغنيهم عن الحاجة للبريطانيين. فقد أخبر الشريف حسين ملك الحجاز الممثل البريطاني لديه بأنه استلم رسالة من العجمان يعرضون فيها ولاءهم له ويعلنون عداهم لابن سعود. وحين طلب الملك نصيحة ذلك الممثل في كيفية الرد عليهم نصحه بأن يشعرهم باستلام الرسالة ويحثهم على مراجعة أقرب سلطة بريطانية إذا واجهتهم مشكلة<sup>(2)</sup>.

وكان من بين موقعي رسالة العجمان ضيدان ابن حثلين وسلطان بن فلاح بن حثلين. وقد رد الملك على رسالتهم شفويًا عبر المندوبين الذين حملوها له بالقول أن عليهم مراجعة الممثل البريطاني في الكويت واطاعته. وأوضح الملك للمندوبين أن سياسته وسياسة الحكومة البريطانية متطابقتان وأنهم سوف ينالون ثقة بريطانيا إذا تقيدوا بأنظمة الحصار الاقتصادي الذي تفرضه السلطات البريطانية<sup>(3)</sup>.

وفي غضون ذلك كان قلبي، الذي لا تصله المعلومات من مراجعه إلا بعد قرابة أسبوعين نتيجة لبعده مركزه وعدم ربطه بوسائل اتصال حديثة، يواصل الكتابة عن تطورات مشكلة غزوات العجمان ناقلاً

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. 1329, Political, Kuwait, to Political Basrah, dated 2-9-1918.

(2) IOR, R/ 15/5/103, No. A-B-079, Arbur, Cairo, to Arbur, Baghdad dated 9-8-1918.

(3) IOR, R/ 15/5/103, No. A-B-111, Arbur, Cairo, to Arbur, Baghdad dated 14-8-1918.

وجهاً نظر ابن مسعود ومتأثراً بالمحيط الذي يعيش، فيه فقد كتب في التاسع عشر من يوليو ١٩١٨ شاكياً من بعض الأمور القديمة والمعقدة التي تعكر صفو العلاقة بين ابن مسعود وبريطانيا مثل توفير ملجأ آمن للعجمان دون أخذ ضمانات كافية منهم بحسن السلوك والفشل في ترجيلهم بشكل تام من الأراضي الكويتية ونفسي أنشطتهم المعادية التي بلغت أوجها في إغارتهم على إيل قبيلة مطير قرب الأريطوية ونهبهم خمسين جملاً من قافلة ابن مسعود بجوار الكويت وأخيراً غارتهم تحت حماية قبيلة العوازم على قبيلة سبيع بين الإحساء والقطيف. وأضاف أنها أحداث يتلو بعضها بعضاً في تعاقب سريع يجعل موقفي هنا صعباً بصورة متزايدة وغير محسود عليه. بدأ ابن مسعود يظهر علامات عدم ارتياح وغضب وشك إما بصدق سياستنا أو قوة تأييدي له ومفاتيحي نيابة عنه. بدأ الشعور العام، وهو معادي لنا دائماً وشاك بنوايانا، يتحدى للأسف صواب سياسة ابن مسعود وتحالفه معنا، ويطالب بصراحة برد قوى على أعمال الشريف والعجمان... لقد أعطيت [ابن مسعود] تأكيدات بأن الأمور أعلاه سوف تتال اهتماماً كبيراً من لندن الحكومة، ولا شيء سوى نتيجة مادية لتلك التأكيدات سيعيد مكانتنا في بلاد العرب المركزية التي عانت من انحدار خطير...<sup>(١)</sup>.

وعاد قلبي بعد خمسة أيام للكتابة عن الموضوع قائلاً أن ابن مسعود سلمه وثيقة مكتوبة طويلة استعرض فيها اتجاه الحوادث الأخير، وبين أن تعهداته للعمل لصالح بريطانيا ضد ابن رشيد بنيت على أساس الفهم لها ستحمي مصالحه من أي خطر يتهدها سواء من الشريف حسين

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. M111, Philby, Rigadh, to Political, Baghdad, dated 19-7-1918.

أو العجمان أو الكويت. ولكن الأحداث الأخيرة غيرت الوضع عملياً، وأظهرت له أن بريطانيا لا تحميه بشكل كاف من أعداء محدقين به من كل صوب، ولذلك فلا يمكنه، حفاظاً على مصالحه الخاصة، الهجوم على ابن رشيد أو تحمل مسؤوليته عن تسرب المؤن إلى العدو ما لم تعط بريطانيا ضمانات محددة. ومن تلك الضمانات عدم السماح مطلقاً لأفخاذ العجمان وشمر الموضوعات تحت الحماية البريطانية بدخول أراضيها لأي سبب كان دون موافقته.

أما تلك الأفخاذ غير الموضوعات تحت الحماية البريطانية لا يجب السماح لها نهائياً بدخول الأراضي الكويتية أو الأراضي الخاضعة للإدارة البريطانية. كما لا يسمح بالمسابقة إلا للأفخاذ الصديقة فقط بموجب نظام جارية شهرية على أساس عددها الفعلي الحالي. وأضاف فلبى أنه بعد أن درس تلك الوثيقة ملياً توصل لاستنتاج مفاده أن حدوث اعتداءات جديدة من قبل الشريف أو العجمان سيؤدي بالتأكيد إلى اضطراب واسع النطاق لذا يجب الحيولة دونها بأي ثمن. ومضى فلبى يقول أنه تصرف دون الحصول على إذن مسبق من مراجعه وأعطى ابن سعود ضمانات مكتوبة كان من جملتها أن بريطانيا تمنح ابن سعود ضمانات تؤمنه ضد كل هجوم آخر من قبل الشريف أو العجمان وأفخاذ شمر الموضوعات تحت الحماية البريطانية وأن بريطانيا لن تمنح حمايتها للعناصر المعادية أو تسمح لها بالمسابقة. وحث فلبى مراجعه على اقرار ضماناته تلك<sup>(1)</sup>.

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. M123, Philby, Riyadh, to Political, Baghdad, dated 24 -7-1918.

وكرر فلبى الكتابة بعد أيام ذاكرا وصول أخبار للرياض عن حدوث غارة جديدة شنها العجمان ولكن تفاصيلها لم تستلم فى حينه. وبين أن التوتير مستمر بشكل حاد<sup>(1)</sup>. وأفاد فلبى بعدها أن تقارير استلمت تنبئ بأن ابن طفلان وابن سرحان من فخذى الصالح والسفران من العجمان أغارا على قبيلة سبيع فى "حفر العتس"، وغنما منها سنة أذواد من الإبل يقرب عددها من ثلاثمائة بعير. وتعتبر هذه الغارة المغامرة الأجرأ التى شنها العجمان لحينه لأن حفر العتس تقع عبر صحراء الدهناء وعلى مسافة ثلاثة أيام فقط من الرياض. كما أن سلطان بن حثلين وأحد فخذ المتلثم أغارا مؤخرا منحدرين الى الجودى الواقعة على حد الإحساء. وعلى الرغم من أن هذا الخبر لم يؤكد تماما ولم تستلم تفاصيله إلا أنه لا يوجد سبب للشك فى صحته. وذكر فلبى أن زعماء قبيلة مطير ومن ضمنهم فيصل الدويش تقدموا مؤخرا الى ابن سعود ضاغطين عليه من أجل الاقدام على عمل ضد العجمان. ولكن ابن سعود بناء على تأكيد فلبى له بأن حكومته تدرس الأمر قور الاكتفاء بإرسال عبد الرحمن بن معمر، أحد مرؤوسيه الموثوقين، للتجوال فى المناطق المعنية وجمع تفاصيل كاملة عن الغارات الأخيرة. وسيؤكد ابن معمر لقبيلتى سبيع ومطير أن ابن سعود يتابع القضية مع البريطانيين، ثم سيزور بعد ذلك الكويت والبصرة لتقديم ملف عن الغارات للسلطات البريطانية ومحاولة الوصول معها الى حل.

ومضى فلبى يقول أن هذا الإجراء سيمنع حدوث غارات مضادة بمبادرات مستقلة من لدن القبائل المعنية. وأضاف أن انفجار مشكلة

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. M134, Philby, Riyadh, to Political, Baghdad, dated 30-7-1918.

العجمان هذه بالتزامى مع الاستفزات الشريفة أمر مشؤوم للغاية. وعبر عن ثقته بأن كل جهد لازم سوف يبذل من أجل وضع الأمور فى نصابها، واقتراح أن تقوم السلطات البريطانية على الأقل برفض منح أذونات المسابرة لحين إيجاد حل مرضى واحتجاز رهائن مهمين ضمانا لحسن السلوك فى المستقبل. وختم قلبى رسالته بالقول: "لازال ابن سعود، بناء على ما جاء برسالة حكومة جلالتة له، يتشبث بأمل تدخل بريطانيا يدرس الأمر من كل جوانبه. وهو يرى بشكل تام أن مصلحته الفضلى هى بالتندر بالصبر ولكن مزاج الناس مختلف جدا. أخشى حدوث مشكلة ما لم تبرر الحكومة صبر ابن سعود قبل أن يندفع رعاياه للعمل بطريقة لا يمكن اعتبارها خاطئة"<sup>(1)</sup>.

وكتب قلبى بعد عشرة أيام قائلا أن خبر غارة سلطان بن حثلين على الجوى قد تأكده، وأضاف أن معاملة البريطانيين للعجمان بتير فى نجد قدرا كبيرا من الاستياء والنقد غير المرغوب فيه. وحث مراجعه حثا قويا على وجوب إيقاف صرف الإعانات المالية للعجمان وشمر، وكذلك حجب أذونات المسابرة عنهم لحين الوصول الى حل جيد حقا واتفاقية تضمن السلوك الحسن لأفراد هاتين القبيلتين فى المستقبل. وأضاف أن عمليات العجمان باتجاه الإحساء تمثل خطرا حربيا جليا على ابن سعود، وهى تمنع قبليتى سبيع ومطير من الانضمام الى مجهود ابن سعود الحربى ضد ابن رشيد. ووجه قلبى حديثه الى السير برسى كوكس شخصيا بالقول أن ابن سعود كان ينتظر عودتك الى العراق وهو يلتمسك على وجه الخصوص أن تحاول إيجاد حل لهذه

(1) IOR, R/ 15/5/103, No M164, Philby, Riyadh, to Political, Baghdad, dated 18-8-1918.

المشكلة دون تأخير كي تصبح يداه مطلقتين ويغدو حرا فى العمل ضد ابن رشيد<sup>(١)</sup>.

وحين وصلت تفاصيل الإجراءات التى أزمع السير برسى كوكس فى الخامس والعشرين من أغسطس ١٩١٨ اتخاذها لمعالجة المشكلة كتب قلبى قائلا أن ابن سعود يوافق على تلك الإجراءات ويعتقد أنها تقدم فرصة لتسوية معقولة، ولكنها تستدعى ضمنا الغاء التسوية السابقة التى تمت فى مارس ١٩١٨. ونقل قلبى رجاء ابن سعود ثانية لكوكس باتخاذ اجراء فعال الآن، وبخلاف ذلك فإنه يجب عليه اتخاذ الإجراءات الضرورية لحماية مصالحه فى حالة تعرض أراضيه لغارة أخرى. وتعهد ابن سعود بامتناع قبائله عن الغزو حالما تصبح الاجراءات التى قررها كوكس فعالة. ومضى قلبى يقول: "اننى، لذلك كله، أوصى بالاجراءات التالية وهى اعادة كاملة لكافة المنهوبات وأخذ رهائن مهمين من العجمان وشمير المعادين، وارسال رسالة فورية لابن سعود تتضمن قائمة بأسماء الأفخاذ التى قدمت الضمانات المطلوبة مع التفاصيل الممكنة. وسيكون مفهوما بالطبع أن ابن سعود سيغدو حرا فى غزو أى فخذ لم يقدم هذا الضمان، كما أن أى فخذ قدم الضمان ولكنه يؤوى غير المضمونين أو يؤوى دبشهم سيتم ايقاع العقاب برهائنه وسيكون عرضه للإغارة عليه من قبل ابن سعود. ومن المستحسن لو ذكر ذلك فى الاتفاقية بشكل صريح. والنقطة الرئيسية هى أن التسوية يجب أن تكون فعالة حقا فى التصور وفى التنفيذ. وألتمس أن يوضع ضابط كفؤ مثل دكسن Dickson على رأس إدارة

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. M167, Philby, Riyadh, to Political, Baghdad, dated 28-7-1918

مسؤولة مؤقتا عن كل الإفخاذ المعنية، وهو أمر مهم تماما الآن على الخصوص لأننا ما لم نراقب تحركات العجمان فربما تركنا ابن سعود محبطين بشكل سيء...<sup>(١)</sup>.

نفذت الإجراءات التي وضعها السير برسي كوكس لعلاج مشكلة قبيلة العجمان. ويبدو أنها نجحت في تطبيقها العملي بدليل خلو الوثائق البريطانية والمراجع الأخرى المتاحة من ذكر أى نشاط حربي للعجمان خلال الأشهر التالية التي سبقت نهاية الحرب العالمية الأولى في الحادى عشر من نوفمبر ١٩١٨. وقد جاءت تلك النهاية بمتغيرات كثيرة للمنطقة، إذ انتهى بنهايتها خوف السلطات البريطانية من انضمام العجمان أو غيرهم إلى أعدائها - ولذلك لم يعد لديها مبرر يوجب إعاشة تلك القبيلة واعانة شيوخها ماليا وتوفير ملجأ آمن لهم ولأتباعهم في الأراضي العراقية التي كانت تحتلها.

وخرج ابن سعود من معمة الحرب العالمية الأولى وهو أكثر قوة مما كان قبلها نتيجة لما أعقد عليه البريطانيون من أسلحة وذخائر وأموال حين كانوا يحتاجونه للوقوف بوجه ابن رشيد تابع العثمانيين المخلص لهم حتى النهاية. لذا رجحت كفة ابن سعود على كافة خصومه. وقد تأكدت هذه الحقيقة عمليا حين دحرت قواته قوات الملك حسين في معركة تربة في مايو ١٩١٩. ولعل مدارك شيوخ قبيلة العجمان قد وعت كل تلك المتغيرات. كما ربما أمضهم طول فراقهم لديرة الآباء والأجداد وهوان التطواف في ديار الآخرين. ورأوا أن خير

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. M181, Philby, Riyadh, to Political, Baghdad, dated 4-9-1918.

علاج لمشكلتهم بشكل نهائي هو الصلح مع ابن سعود. ولعل الأخير من جانبه بعد مضي كل تلك السنين خمد إدار غضبه عليهم وأدرك أن ضم هذه القوة المحاربة الباسلة الى جانبه مجددا خير له من تركها غنيمّة باردة لخصومه الذين قد يستغلونها ضده. ولذلك كله تهيأت الظروف الموضوعية للصلح بين الجانبين، فبادر شيوخ العجمان بالذهاب الى عبد الله بن جلوى حاكم ابن سعود على الاحساء طالبين منه التوسط لهم عند ابن سعود. وكتبوا للإمام عبد الرحمن الفيصل راجين شفاعته لهم عند ابنه. وقد أثمرت جهود الوسيطين فنقبل ابن سعود خضوع العجمان وعفا عنهم، وعادوا الى ديارهم بعد مايو سنة ١٩١٩<sup>(١)</sup>.

ويظهر أن أغلب شيوخ العجمان قد وعوا جيدا، ولو بشكل مؤقت، مغبة الصدام مع ابن سعود فالتزموا جانب الحذر وأخذوا للسكينة. فقد حاول الشيخ سالم المبارك حاكم الكويت حين تصاعدت حدة الأزمة بينه وبين ابن سعود ابتداء من سبتمبر ١٩١٩ أن يضم العجمان الى جانبه. فأرسل الى ضيدان بن حنّين شيخ العجمان العام يعرض عليه مبلغا كبيرا من المال لقاء انشقاقه عن ابن سعود وانتقاله للإقامة في أراضي الكويت. ولكن ضيدان رفض ذلك العرض وأبلغ ابن سعود به مملزاد من غضبه على سالم<sup>(٢)</sup>.

ولكن اغراءات الشيخ سالم نجحت على ما يبدو في إغواء أحد المشايخ الثانويين بالتحالف معه وشق عصا الطاعة مجددا على ابن

(١) الريحاني، المرجع نفسه، ص ٢٧٠.

(2) IOR R/ 15/5/25. "Note on the Political situation in Nejd at end of July 1920. "By the Political Agent at Bahrain.

سعود. فقد انتقل ذلك الشيخ مع أتباعه للإقامة في الأراضي الكويتية،  
وقام من هناك بغارة على قبيلة المناصير قرب القطيف في العاشر من  
أغسطس ١٩٢٠، ثم عاد بعدها الى الأراضي الكويتية<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من أن أغلبية القبيلة لم تشترك في هذا العمل إلا أنه  
يدل على أن جذوة الحقد في نفوس العجمان على ابن سعود ظلت كامنة  
تحت الرماد حتى جاء ما أججها فاندلعت نارها متوقدة من جديد بشكل  
واسع بعد سنين، وليس هنا مجال الحديث عن ذلك كله.

ولم يكن التوتر الذي سببته تلك المعركة قاصرا على المنطقة  
المحيطة بالخرمة، بل امتد الى نجد نفسها، إذ انتشر هياج واسع لا سيما  
بين الإخوان الذين أخذوا يضغطون على ابن سعود للقيام بهجوم  
مضاد على الشريف. وقد جعل ذلك الضغط ابن سعود في موقف حرج  
لاحظه المبعوث البريطاني قلمي وسجله حين كتب: "بدأ ابن سعود  
بإظهار علامات القلق وعدم الرضا والشك في صدق سياستنا وقوة  
تأييدى والشعور العام المنتشر هنا معاد دائما والشك في نوايانا بدأ  
يتحدى بصورة جدية حكمة تحالف ابن سعود معنا وسياسته نحونا،  
ويطالب بصراحة برد قوى على أعمال الشريف والعجمان. إن ابن  
سعود يدرك بشكل كامل أن الخصام معنا سيكون كارثة لمستقبله ولكنه  
في موقف غاية في الصعوبة. إذ لا يمكن السماح لى الى مالا نهاية  
بإبقاء يديه مكتوفتين بينما يقوم أعداؤه المتمتعون بحمايتنا بمهاجمته  
فعليا من جانبية كليهما. وما أخشاه للغاية هو أن

---

(1) IOR. R/ 15/5/925, No. 243-c, Political, Bahrain, to the civil comm., Baghdad, dated  
15-8-1920.

الرأى العام سبيرهن أنه أقوى فى مقاومته. لقد تعهد بالتوجه لمساعدة أهل الخرمة إذا ما هوجموا مرة أخرى لأنه واثق من نيتنا وقدرتنا على كف الشريف عن ذلك... لقد أعطيت تأكيدات بأن الأمور أعلاه ستعال اهتماما مواتيا من قبل الحكومة، ولا شئ سوى نتيجة ملموسة سيعيد مكانتنا فى بلاد العرب.

## الفصل السابع

العلاقات بين الرياض ومكة المكرمة

أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨



## العلاقات بين الرياض ومكة المكرمة أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨

وسمى العلاقات بين آل سعود وجيرانهم أشرف الحجاز بسمه المنافسة والصراع منذ اتساع الدولة السعودية الأولى وحتى دخول قواتها الحجاز واستيلائها على الحرمين الشريفين ما بين سنتي ١٨٠٣ و ١٨٠٥م<sup>(١)</sup> ولم يرد في المصادر المتاحة ما يشير الى حدوث توتر بين الجانبين طيلة أيام الدولة السعودية الثانية (١٨٢٤ - ١٨٩١) بل على العكس هناك ما يدل على أن العلاقة بينهما كانت حسنة، حتى ان أمير الرياض كان يدفع ما يترتب عليه من خراج للسلطان العثماني عن طريق شريف مكة أحيانا<sup>(٢)</sup>.

ولما ابتداء الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠٢م يعيد بناء الدولة السعودية الثالثة لبنة أثر لبنة لم تثر بينه وبين أشرف مكة مشكلة تذكر طيلة السنوات الثمان التي تلت استعادته الرياض. ولكن تسلم الاتحاديين مقاليد السلطة في الدولة العثمانية ثم تعيينهم للشريف حسين بن علي شريفا لمكة كان إيذانا ببداية مرحلة جديدة في العلاقة بين الحاكمين الجارين. إذ كان الشريف حسين ذا مطامع واسعة فأخذ يتطلع نحو الشرق لعله يمد نفوذه ويحقق بعض مطامحه - وكان نظره مركزا على منطقة القصيم التي كان يدعى

(١) تفاصيل ذلك كله في عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ٢، القاهرة، ص ص ١٢٦ - ١٥٣.

(٢) لوريمر، ج. ج.، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة ونشر ديوان حاكم قطر، الدوحة د.ت.، ج ٣، ص ١٦٥٤.

لنفسه فيها حقا موروثا - وبناء على ذلك قاد حملة عسكرية نحو تلك المنطقة سنة ١٩١٠، ولكنه لم يجن من ورائها شيئا عمليا ذا بال<sup>(١)</sup> وعلى الرغم من أن العلاقات بين الجانبين تحسنت أثار انتهاء تلك الحملة<sup>(٢)</sup>، إلا أنها يمكن اعتبارها الشرارة التي أجمت نيران الصراع القديم بين البيتين الحاكمين.

ويبدو ان الشريف كف بعد تلك الحملة عن القيام بنشاط حربي نحو الشرق - إذ لا يرد في أحداث السنوات الاربع التي تلت ما يشير الى حدوث احتكاك بين الجانبين على الرغم من ان العلاقة بينهما ظلت مشوبة بالرغبة والتوجس - يستشف ذلك من خطاب ارسله الشريف حسين الى أخيه ناصر بن علي في اسطنبول سنة ١٩١٣ وعدد فيه ما اخذه على الحكومة العثمانية، ومنها انها تسلط ابن سعود عليه<sup>(٣)</sup>. ونشبت بعدها الحرب العالمية الاولى في أوروبا في اغسطس ١٩١٤ فانفتح الباب لتتسيط العلاقات بين الجانبين - إذ غدا الزعيان، وخاصة بعد انضمام الدولة العثمانية للحرب في آخر أكتوبر ١٩١٤، عرضه لضغوط واغراءات من الجانبين المتحاربين للانضمام اليها. فقد قيل ان الحكومة العثمانية عرضت على ابن سعود تولى إمارة مكة المكرمة في حالة وقوف الشريف حسين ضد تلك الحكومة، ولكن ابن سعود رفض

---

(١) خالد السعدون، حملة شريف مكة على القصيم سنة ١٩١٠، الدارة، السنة العاشرة، العدد الأول، شوال ١٤٠٤.

(٢) سليمان الموسى، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، لجنة تاريخ الأردن، عمان، ط٢، ١٩٩٢، ص ٢٢٢.

(٣) سليمان الموسى، المراسلات التاريخية ١٩١٤ - ١٩١٨، المجلد الأول، عمان، ١٩٧٣، ص ١٠.

العرض<sup>(١)</sup> وبادر الشريف حسير مر حاسه نلكنانه في يناير ١٩١٥ لابر مسعود يستشير فيم بحسر عمله حبال تلك الحرب. وجاءه رد ابن مسعود معبرا عن قناعه بعدم جدوى الوقوف الى جانب الحكومة العثمانية، وبأن خير سياسة تتبع هي الاكتفاء بمصانعتها<sup>(٢)</sup>. والغريب أن أيا من الزعيمين لم يخبر صاحبه ولو تلميحا بأنه كان يجري حينئذ مباحثات مع الجانب البريطاني. فأبر سعود كان لديه في غضون ذلك الشهر مبعوث بريطاني هو الكابتن شكسبير Shakspear الذي اتفق وإيله على شن حملة ضد ابن رشيد لمنعه من الانضمام الى المجهود الحربي العثماني - بينما كان الشريف حسين، مع تظاهره بالولاء للعثمانيين، يقوم بمراسلات سرية مع السلطات البريطانية في القاهرة<sup>(٣)</sup>.

ويدل حرص كل من الرعيمين على كتمان أخبار اتصالاته تلك عن صاحبه على وجود شعور متبادل بعدم الثقة - وقد زادت بعض الاحداث التالية في حدة هذا الشعور - إذ انشغل ابن سعود طيلة أشهر صيف وخريف سنة ١٩١٥ بقمع التمرد الذي قامت به قبيلة العجمان ضده في مقاطعة الاحساء<sup>(٤)</sup>. وحدث في أثناء ذلك ان تحرك عبد الله بن الشريف حسين على راس قوة نحو منطقة القصيم في نوفمبر ١٩١٥ - ولم يكن هدف هذا التحرك واضحا، ولكن ابن سعود اعتبره عملا

(١) الموسى، الحسير بن على، ص ٢٢٢

(1) Beller, G. the Birth of Saudi Arabia: Britain and the Rise of the House of Saud, London, 1976, pp. 93-4.

(٢) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، برحمه ناصر الدين الأسد واحسان عباس، بيروت د.ت.، ص ص ٢١٠ - ٢٧٥

(٣) خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، الرياض، ١٩٨٣، ص ص ١٧٠ - ١٧٨.

عدائيا فاحتج عليه لدى الحكومة البريطانية قائلا انها إذا لم تكن قادرة على كبح جماح الشريف فإنه سوف يفعل ذلك بنفسه<sup>(1)</sup>. ويشير احتجاج ابن سعود هذا على انه كان مطلعاً بشكل ما على علاقتها السرية مع الشريف حسين ولكن يبدو أن غضب ابن سعود من عمل الشريف كلن زوبعة سرعان ما هدأت لحد ما ففى لقائه مع السير برس كوكس Cox فى العقيد فى اواخر ديسمبر ١٩١٥ وصف ابن سعود علافته بالشريف بأنها اعتيادية تماما وودية، ولكنه اضاف ان الشريف شخصية تافهة ومزعزعة ولا يمكن الاعتماد عليها - ونفى صحة التقارير المتداوله سابقا فى توجه ابن الشريف على راس قوة كبيرة نحو حائل للتعاون مع ابن رشيد وأوضح حقيقة ما حدث وهو ان ابن الشريف عندما سمع بالمتاعب التى كان يعانيتها من العجمان اراد الصيد فى الماء العكر فاتجه على راس قواته نحو القصيم - لكنه حين سمع، بعد وصوله هناك، بانتصار ابن سعود على العجمان تخلى عن أية نوايا ربما كانت لديه، وكل ما فعله هو معاينة فخذ من قبيلة عتيبة كان قد امتنع عن أداء الزكاة لسلطات مكة، ثم عاد بعد ذلك إلى الحجاز<sup>(2)</sup>.

ولكن ابن سعود ما لبث بعدها إلا حوالى شهر واحد ليغير رأيه السابق، ويتهم الشريف بالتعاون مع خصمه ابن رشيد - فقد كتب فى اواخر يناير ١٩١٦ رسالة الى الوكيل السياسى البريطانى فى البحرين شاكياً من أن الشريف قد اشترك مع ابن رشيد بمؤامرة ضده - وأنه قد أوفد رسولا يحمل رسالة منه الى الشريف نصحه فيها بالكف عن ذلك

(1) Troeller, op. cit. P. 94

(2) IOR,R/15/5/25, No. 9/2, Note regarding interview with Bin Saud on 26th December 1915

ويأمل ان تكون النتيجة جيدة<sup>(١)</sup>. ويتناقض رأى ابن سمرّد هذا مع الانباء التى راجت حينئذ عن امكان التوصل الى تسوية سلمية بين ابن سعود وابن رشيد بمسعى كان يقوم به شريف مكة<sup>(٢)</sup>. ولعل رغبة ابن سعود فى الشريف وحساسيته تجاهه هما اللتان جعلتا يسئ تفسير تحركاته وتعتبرها موجهة ضده - ولا شك أن ريبته تلك تعززت بما كان يصله من اخبار عن مسعى الشريف الحديث حينئذ لتجنيد أفراد من قبيلة شمر وقبائل نجد الاخرى وضمهم الى صفوف قواته<sup>(٣)</sup>. فلم يكن ابن سعود يعلم بان هدف الشريف من وراء تلك الاعمال ليس تهديده أو التآمر ضده، وانما الاستعداد لثورته ضد الترك التى كان يعد لها بالتسيق مع البريطانيين - ولم يكن الشريف بقادر على التصريح له بهدفه الحقيقى ولكنه كان حريصا على تبديد اى سوء فهم من جانب ابن سعود لتحركاته تلك - ولعله كان يؤمل أن يكتسبه الى صفه فى ثورته المزمعة - يدل على هذا الحرص قيامه بإرسال هدية إلى ابن سعود مكونة من سيفين وتسعة خناجر ذات أعمار ذهبية وعدة بنادق علاوة على مبلغ ألف وخمسمائة جنيه - ويرر هديته تلك بكونها تقديرا منه للمساعدة التى قدمها ابن سعود سابقا حين منع شيوخ بعض القبائل من الإغارة على سكة حديد الحجاز. ولم يقنع ذلك التبرير أحدا فى نجد، إذ كان الاعتقاد السائد لدى الأوساط المطلعة هناك أن تلك الهدية أتت فى

(1) IOR,R/15/5/25, No. 14-c, Pol. Ag-, Bahrain, to the Pol-Res- in the P.G., Basrah, dated 31-1-1916.

(2) IOR,R/15/5/25, No. 11-c, Pol. Ag-, Bahrain, to the Pol-Res- in the P.G., Basrah, dated 23-1-1916.

(3) IOR, R/15/5/25, Pol. Ag. Kuwait, to the C.P.O., Basrah, dated 3-3-1916.

الحقيقة من الحكومة التركية<sup>(١)</sup> ويدل هذا على مدى نجاح الشريف فى إخفاء حقيقة نواياه تجاه الترك.

أعلن الشريف حسين ثورته على الترك فى مكة المكرمة فى العاشر من يونيو ١٩١٦. فابتدأت بذلك حقبة جديدة فى تاريخ المنطقة وفى العلاقات القائمة بين حاكمى نجد والحجاز - إذ تبدد معها الغموض الذى احاط بتحركات الشريف فى الفترة السابقة والذى كان له انعكاس سيئ على علاقة الحاكمين كما مر - كما دخل على هذه العلاقة عمل جديد هو صلة بريطانيا بالأحداث وتدخلها فى علاقة الحاكمين ببعضهما - إذ أصبح هدف بريطانيا هو اقناع ابن سعود بتأييد ثورة الشريف واقناعه بفكرة الاتحاد العربى التى يدعو إليها<sup>(٢)</sup>. ومن هنا جاء حوص الجانب البريطانى متمثلاً بالسر برسى كوكس رئيس الضباط السياسيين المرافقين لحملة الغزو فى العراق، وهو المقيم السياسى فى الخليج فى الوقت ذاته، على اطلاع الامير عبد العزيز آل سعود على نيا إعلان الشريف ثورته فى الحجاز - وقد رد ابن سعود على كوكس برسالة مؤرخة فى العشرين من يوليو ١٩١٦ وجاء فيها: "سررت باستلام الاخبار المتعلقة بشريف مكة وبأنها وردت منكم رسمياً تعتقدون بأننى ربما علمت فعلاً بالاخبار قبل ذلك، ولكن ما أعتد عليه، على أية حال، هو مراسلتكم - إننى فى الحقيقة سعيد جداً بما حدث لأنه ضربة قاضية للترك من ناحية، ولأننى لا أرغب بأن يظل أو يوجد أى تركى فى بلاد العرب من ناحية أخرى - وسيكون هذا الحادث أيضاً بشير

(1) IOR, R/15/5/25, No. 28-c, Pol. Ag. Pahrain, to the Pol-Res. In the P.G., Basrah, dated 29-2-1916.

(2) Troeller, op. cit., p. 94.

خير إن شاء الله لصديقتي بريطانیا العظمى - وحالما تأكّدت من صحة أخبار الشريف، وحتى قبل أن تصلنى رسالتكم، نوّيت أن أكتب لسعادتكم حول ظروفى وموقفى تجاه الشريف وأيضاً حول القضايا التى تهكم بهذا الصدد - أشعر بأن من الواجب على أن أبين لكم، على الرغم من أنكم أكثر منى اطلاعاً على الأمر، أن خوفى هو فى أن يكون الشريف قد حصل من الحكومة البريطانية على تعهد لسيطرته المنفردة على الحجاز والعرب، فعلى الرغم من أنكم شخصياً ربما تقدرون مخاوفى إلا أن من المحتمل أن يكون ممثلو الحكومة البريطانية الذين أداروا المفاوضات مع الشريف غير مطلعين على الوضع. "

واستطرد ابن مسعود فى رسالته قائلاً: "لقد كانت هناك كما تعرفون حرب بينى وبين الشريف منذ سنوات- وكانت خططه ترمى دوماً للحصول على موطنى قدم فى نجد وما جاورها من البادية والحاضرة معاً، وفى الحقيقة فإنه لم يكف عن التدخل فى تلك الانحاء، وكان الترك يؤازرونه فى أعماله ويمدون بالاموال اللازمة لذلك فإن من الضرورى أن توجهوا سعادتكم انتباه الحكومة الى حقيقة ان الحدود بين الحجاز ونجد معروفة جيداً وأن قبائل نجد لا يمكن ان تصبح تحت سيطرة أى أحد .. ، علاوة على أن مكة لم يكن لها قط منذ أقدم الأزمان وحتى الآن رئيس مستقل بل كانت إمارة خاضعة للحكومة التركية، أن ما حتى على تأكيد ذلك لكم هو أننى لاحظت فى البلاغ الرسمى أن الإشارة الى "العرب" قد تمت كما لو كانوا كلا واحداً *acompendious whole* ويجب على أن أشرح لكم ارأى حول هذه النقطة، أن الشريف بضخم الأمور دون شك علاوة على أنه لم يكن فى تعامله معكم خالياً من

المكر السياسى والبراعة بكيفية صوغ العبارات - ان ما يريدده هو الحصول على مساندتكم فى الحصول على استقلاله، أو بطريقة أخرى أن تجهدوا انفسكم معه من اجل تحقيق هذه الغاية، ولذلك فإننى أخبركم بذلك كى تقوموا - إن اتفقتم معى حوله - بنقله الى حكومة بريطانيا العظمى .. ومع ذلك ليس مهما أن تشاركوننى الاعتقاد بصحة ما قلت، إذ أئننى لست مهتما كثيرا بما إذا استطاع الحصول على استقلاله عن هذا الطريق، ولكن الامر الحقيقى هو أن الحكومة التركية زودته بالسلاح والذخيرة والاموال وكان يؤملها بأنه سيحقق لها اشياء عظيمة فى سوريا، غير أنه حين حصل على كل ما يريدده منها ثار عليها واعلان استقلاله- أن هدفه هو ان يضع الترك بتلك الوسيلة فى مواجهة مع الحكومة البريطانية، وبهذا يحصل منهم على استقلاله بضممان من الحكومة الالمانية.

وانتقل ابن سعود للقول: "ما يستنتجه صديقكم (يعنى نفسه) من الوقائع هو ان الشريف الآن ليس فى اى خطر يتهدده من جانب الترك، ان موقف الشريف يعتمد على أهل الحجاز وعلى البدو فإذا ساندوه فسوف لن يكون فى أى خطر من الترك، ولكنهم ان تخلوا عنه ووقفوا الى جانب الترك فسيصبح عندها موقفه فى الحجاز لا يساوى شيئا، أن ما أخشاه هو ان الترك حين يرون البريطانيين يساعدون الشريف فسيعطونه استقلاله فى الحال ويبقون مرتاحين من ناحيته، ولكنهم سيحولون انتباههم نحوه فيما بعد، أن نصيحتى هى أن تساعدوا الشريف الى حد جزئى فقط، وهكذا يمكن أن يظل الترك يتعللون بالأمال فى سحقه ويمكن ان يظل هو فى خوف من الترك أيضا -

وهكذا سيقى الترك مرتبكين بصورة كبيرة فى الحجاز وسيكون هذا مساعدا لاعمالكم فى العراق وأى مكان آخر ، باختصر وبقدر ما استطيع إدراكه فإن اطالة أمد الاعمال العدائية بين الشريف والترك هو السبيل الاكثر ملائمة لكم، وآمل أن تأخذوا هذه الملاحظات بنظر الاعتبار المتأنى ، فما ترونه من أفكارى جديرا بالموافقة افعلوا به ما ترونه الأصوب، وما لا ترونه منها فاعتبروه مجرد نصيحة أبدية لكم لأن مصالحكم هى مصالحى حسب اعتقادى<sup>(1)</sup>.

يظهر التدقيق فى مضمون هذه الرسالة الطويلة أن ابن سعود قابل ثورة الشريف حسين بتحفظ وحذر كبيرين، وكان موقفه هذا نابعا من تجربته السابقة مع الشريف وخوفه من طموحاته ، لا سيما وأن ثورته جاءت باسم العرب عامة، ولذلك حرص ابن سعود على اشعار السلطات البريطانية فى الحال بأن أهل نجد مستقلون ولا يدخلون ضمن العرب الذين يتحدث الشريف باسمهم، ولم يكتف ابن سعود بتأكيد استقلاله ورعاياه عن الشريف، بل حاول أن يكيد له عند البريطانيين بتصويره لهم رجلا مصلحيا لا يقيم وزنا لتعهداته بدليل تراجع عن الوعود التى قطعها للترك من قبل وحاول أيضا تخويف البريطانيين من امكانية تراجع الشريف عن تعاونه معهم حالما ينال من الترك استقلاله بضممان المانى، وجاءت اشارته للالمان هنا مقصودة باعتبارهم أعداء بريطانيا الألداء، ولم ينس ابن سعود ان ينصح البريطانيين بأن لا يقدموا للشريف المساعدة الكافية التى تمكنه من طرد الترك ونيل

(1) IOR, R/ 15/5/25, No. 7997, Translation of a letter from Abdul Aziz Ibn Abdur Rahman Al-Faisal dated 20th July 1916 to H.H. Sir Percy Cox, H. M's. Con-Fen- in the P.G.

استقلاله، وان يكتفوا بدلا عن ذلك بتقديم الحد الأدنى من المساعدات حتى لا يتمكن اى من الجانبين من حسم الصراع لصالحه وقد صور ابن سعود مصلحة بريطانيا وكأنها كامنة فى انتهاج ذلك السبيل، ومن الطبيعى القول أن هدفه من وراء ذلك النصح لم يكن تحقيق مصلحة بريطانيا وانما مصلحته الذاتية ، إذ كانت تلك المصلحة تقتضى ابقاء الشريف فى صراع متواصل مع الترك بما لا يمكنه من الالتفات نحو فرض نفوذه على جيرانه فى بلاد العرب.

أما الشريف حسين فقد بادر من جانبه الى الكتابة لأبن سعود مخبرا إياه بثورته وطالبا مشورته ومساندته<sup>(\*)</sup>. وقد كتب ابن سعود فى الخامس عشر من اغسطس ١٩١٦ رسالة الى بيرس كوكس رئيس الضباط السياسيين البريطانيين فى البصرة ناقلا له ما وصله من الشريف والرد الذى أرسله اليه. وجاء فى الرسالة: "بعد ان كتب لكم رسالته السابقة استلمت رسائل من شريف مكة تتقل الاخبار الطيبة عن سيطرته على مكة بمساعدة مدافعكم. لقد طلب منى تقديم المساعدة له والاتحاد معه فكتبت له مجيبا بأننى، فيما يتعلق بالمساعدة، لن اتوانى عن تقديمها بكل ما فى طاقتى أما بخصوص الاتحاد معه فقد بينت أننى ليس لى نوايا تجاه بلده الحجاز وما جاوره فى حين انه بالمقابل كان معتادا فى السابق على التدخل فى شئون قبائلى وأراضى، زاعما أن ذلك يتم بناء على طلب الترك الذين يحثونه على فعل ذلك. فقد اكدت له بأنه إذا كان

---

(\*) ابراهيم العطار، الموسوعة الهاشمية فى القرن العشرين، المجلد الاول، عمان، ١٩٩٥، ص٢٤٨. ويقول البعض أن الشريف أرفق رسالة بهدايا وتحف بمبلغ عشرين ألف جنيه، راجع: الموسى، الحسينى بن على ، ص ٢٢٢.

يزمغ ان يكون مخلصا فى رغبته بالاتحاد معى والعمل سويا يدا بيد  
فيجب عليه ان يعطينى تعهدا ووعدا مقدسا بسلامة أراضى ورعاىاى  
وان يكف عن التعدى على حدودى او التدخل فى شئون رعاىاى. فإذا  
كان الرد ايجابيا وتصرف هو بإخلاص فلن أذخر وسعا لمساعدته  
بأقصى طاقتى إن شاء الله.

واستطرد ابن سعود فى رسالته قائلا: "ان دافعى لإجابته حسىما  
جاء اعلاه لىس ناشئا عن رغبتى بالتحالف معه، فانتم تعرفون علاقتى  
السابقة معه، ولكنه ناشئ فى المقام الاول عن حقيقة تحالفى معكم، ثم  
كراهيتى للترك فى المقام الثانى، أننى حريص على تعضيد أى شئ  
يمكن ان يساعد على طرد الترك. ولهذا فإنه إذا رد بشكل إيجابى وأكد  
لى أنه لىس له هدف آخر غير الصداقة الحقه فسىكون هذا أمرا حسنا.  
أما إذا كان ىرمى لخداعى بحيث يمكنه تحقيق استقلاله ومن ثم يصبح  
متفرغا لاستئناف تدخله القديم فى شئونى، فسىكون الامر حينئذ  
محصورا بينى وبينه فحسب، وسأدير أمورى بأقصى ما استطيع ،  
ولكن إذا كان الامر بعكس ذلك يهم حكومتكم الفخيمة، فإننى فى هذه  
الحالة ارغب فى عمل كل ما هو ملائم لكم. لذا فأننى أحيل الامر لكم،  
أن حدود الشريف وأراضيه معروفة جيدا على أية حال، وسىتم اخباركم  
مرة أخرى ان شاء الله حين استلم رده"<sup>(1)</sup>.

ويلاحظ على هذه الرسالة ما لوحظ على سابقتها وهو أن مشاعر  
الريبة هى التى تتحكم فى تحديد موقف ابن سعود تجاه الشريف. إذ كان

---

(1) IOR, R/ 15/5/25, No. 885-8/912-111, Abdul Aziz Ibn Abdur Rahman AL-Faisal to the chief Political Officer, dated the 15th August 1916.

الاول يخشى ان يستغل الشريف ما تحقق له من قوة من جراء اسناد بريطانيا له لمد نفوذه وسطوته الى نجد.

ويتضح من الرسالتين أيضا أن ابن سعود كان يحس ببعض الحرج من بريطانيا من جراء موقفه المتحفظ تجاه الشريف لان الاخير كان يعمل بالتنسيق معها في حركته فأى معارضة له قد تثير حنق السلطات البريطانية وكذلك حرص ابن سعود في رسالتيه السابقتين على تأكيد اخلاصه وعلى اقناع تلك السلطات بسلامة موقفه. ولقد ادركت تلك السلطات عمق مخاوف ابن سعود وتحفظاته وانشغلت بمعالجة الامر، إذ نقل كوكس رسالة ابن سعود الاخيرة لمراجعه العليا موصيا بلطالع الشريف على معاهدة بريطانيا مع ابن سعود الموقعة في ديسمبر ١٩١٥ كي يدرك جدية التزامات بريطانيا تجاه الأخير من جانب، ويحث ابن سعود من جانب آخر على القيام بعمل مشترك مع الشريف باعتبار ذلك هدفا رئيسيا من أهداف السياسة البريطانية.

وبعد أن تدارست الجهات المختصة ذلك الاقتراح تقرر أن ترسل رسالتان للزعيمين. وقد أشار البريطانيون في الرسالة الموجهة للشريف في الثاني من أكتوبر ١٩١٦ الى وجود معاهدة بينهم وبين ابن سعود، ولكنها لا تتعارض مع اتفاقيتهما مع الشريف. وذكروا أنهم سيبدلون غاية جهدهم من أجل دفع ابن سعود لمساعدته، وحث الشريف في الوقت نفسه على الوصول الى اتفاق سريع معه<sup>(١)</sup>. أما الرسالة التي وجهت الى ابن سعود في الثاني عشر من أكتوبر فقد نصت على وجوب

(١) مكى شبيكه، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، بيروت، ١٩٧٨، ج ٢،

مساعدته للشريف بصورة صريحة. وتركت له حرية تحديد شكل تلك المساعدة سواء بالمال أو الرجال أو بمهاجمة ابن رشيد أو بكسب الأخير الى صفه لفصله عن الترك<sup>(١)</sup>. ولكن تلك المحاولة البريطانية للتقريب بين الرجلين ذهبت أدراج الرياح حين رد الشريف برسالة مؤرخة في الخامس من سبتمبر ١٩١٦ على رسالة ابن سعود السابقة التي طلب منه فيها تعهدا باحترام سلامة أراضيهِ وعدم التدخل في شؤون رعاياه شرطا لتعاونهِ معه. وكان رد الشريف ذا لهجة عنيفة، إذ وصف كاتب تلك الرسالة بأنه فاقد لرشده ولذلك فهو يعيدها له. وكان ذلك الرد إهانة لا يمحوها إلا الدم على حد قول السير برسي كوكس<sup>(٢)</sup>. ومما زاد من حرجة الموقف اعلان الشريف نفسه ملكا على "العرب" في الثاني من نوفمبر ١٩١٦<sup>(٣)</sup> على الرغم من تحفظ بريطانيا ونصحها له بالتريث<sup>(٤)</sup>. فقد زاد ذلك من تخوف ابن سعود من نوايا الشريف وقد حاول البريطانيون تخفيف آثار هذا التطور الجديد حين اجتمع كوكس بابن سعود في مقيمة القصير في الحادي عشر من نوفمبر ١٩١٦ وأكد له أن بريطانيا أصرت على الشريف أن لا يدعى، وهو يتخذ هذا اللقب، سيادة على الحكام العرب الآخرين. أما ابن سعود فقد أبلغ كوكس بعدم وجود مجال عمليا لأي تعاون فعال مع الشريف، ولكنه مستعد لإرسال أحد أولاده مع قوة صغيرة من الخدم تعبيرا عن

(1) Troeler, op. cit., p. 98.

(٢) شيكته، المرجع نفسه، ج٢، ص ٢٧٢.

(٣) قيل أن البيعة للشريف تمت في أول محرم ١٣٣٥هـ / ٢٩ أكتوبر ١٩١٦. راجع: العطار،

الموسوعة الهاشمية، المجلد الأول، ص ١٥٥.

(٤) طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز ١٩١٦ - ١٩٢٥، البصرة، ١٩٨٢، ص ٦٨.

مساندته لثورة الشريف، بشرط أن يصله طلب ودى من الأخير قبل ذلك<sup>(١)</sup>.

لقد كان ابن سعود رجلا حذرا يحسب حسابا لكافة الاحتمالات - لذا فإن تخوفه من تحالف الشريف مع البريطانيين دفعه للبحث عن بديل يسنده ضد الشريف وربما البريطانيين عند الحاجة. ولعله أراد لاتصاله بذلك البديل أن يكون وسيلة ضغط على البريطانيين كي يخففوا من غلواء حماسهم للشريف، وكى يقللوا من ضغوطهم على ابن سعود للتحالف معه. ولم يكن أمامه من بديل سوى الترك. وقد نمتى لعلم الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت فى غضون شهر أغسطس ١٩١٦ أن ابن سعود اتصل بالحكومة التركية<sup>(٢)</sup>. وليس من المستبعد أن يكون ابن سعود نفسه هو الذى سرب خبر ذلك الاتصال حتى يعرفه البريطانيون خدمة للهدف المنوه عنه أعلاه. أما كيفية ذلك الاتصال فهى أنه كتب رسالة الى الشريف على حيدر الذى اختارته الحكومة العثمانية شريفا لمكة بدلا من الشريف حسين. وقد وجه له ابن سعود تلك الرسالة بعد وصوله الى المدينة المنورة. وجاء فيها: "إن عائلة الحسين لم تقدم بثورتها هذه سوى الفساد والضرر... إنه يطمع فى الاستقلال بأى طريقة كانت ولهذا انغمس بكل أنواع الخداع والحيل ضاربا سكان الجزيرة بعضهم ببعض خدمة لمأربه الخاصة فقط... واليوم أنا مستعد للقيام بما ترغب به، على أننا بحاجة لكميات كافية من الامدادات الحربية... أن وضع الحسين ضعيف ويمكن دحره بسهولة

(1) Troeller, op. cit., p. 99.

(2) IOR, R/15/5/25, No. 399, Hamilton, Kuwait, to C.P.O., Basra.

إذا ما وصلت الامدادات والمعلومات الكافية انها اللحظة المناسبة لمباغتته" واتصل ابن سعود أيضا بفخرى باشا قائد القوة العثمانية فى المدينة المنورة عارضا عليه المساعدة ضد الشريف<sup>(١)</sup>.

وقد اغرى عرض ابن سعود هذا الحكومة التركية فاوقدت مبعوثا له هو موسى فرعون تحت شعار شراء أبل من نجد<sup>(٢)</sup>. ولكن السلطات البريطانية تحركت لإجهاض المحاولة حين ألزمت ابن سعود بالقبض على ابن فرعون ومصادرته الأبل التى اشتراها لحساب الحكومة التركية<sup>(٣)</sup>.

ومن جانب آخر تأمرت السلطات البريطانية على سعيها من أجل تليين موقف ابن سعود تجاه الشريف ودفعه نحو مزيد من التعاون معه على الصعيد المعنوى على الأقل لذا فقد دعتة للاشتراك فى مؤتمر يعقد فى الكويت فى نوفمبر ١٩١٦ يحضره الى جانب جابر المبارك الصباح شيخ الكويت وخزعل شيخ المحمرة وبعض شيوخ القبائل الأخرى بهدف اعلان التأييد لثورة الشريف. فاستجاب ابن سعود للدعوة وحضر المؤتمر والقى من خلاله خطبة عدد فيها مطامع الترك وأتسى على حركة الشريف وناشد جميع العرب مساندته ولم يمر ذلك المؤتمر دون أن يبدر من الشريف ما يثير امتعاض ابن سعود ومشاركه من الحضور، إذ تصادف ان وصل رد من الشريف على رسالتين سابقتين ارسلهما له الشيخان خزعل وجابر، وقد اتسم رده بالتعالى والكبرياء

(١) وهيم، المرجع نفسه، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

(2) IOR, R/ 15/5/25, No. 367, Hamilton, Kuwait, to C.P.O., Basra, dated 1-9-1916.

(3) IOR, 15/5/25, No. 736 of 1916, Pol. Ag., Kuwait, to the Chief Political Officer, Basrah, dated 22-12-1916.

مما أثار حفيظة بعض المؤتمرين، وسارعت السلطات البريطانية لتدارك الامر فبعثت للشريف على وجه السرعة رسالة جاء فيها: "علمت حكومة جلالة الملك بكل أسف ان ثلاثة من زعماء العرب وهم شيخ المحمرة وشيخ الكويت وابن سعود لهم أسبابهم بان يشعروا بالاستياء من الطريقة التي قابل بها الشريف عروضهم ... ان مصلحة الشريف ومعاملة بريطانيا تلزمه لمقابلة ما عرضه عليه حلفاء جلالة الملك بود وأدب ... " ولم يجد الشريف بدلا من الانصياع لرغبة بريطانيا فأبرق في التاسع والعشرين من نوفمبر برقية للزعماء الثلاثة<sup>(1)</sup>. وكان نص البرقية هو: "بمزيد من السرور والفخر أرغب للتعبير عن تقديري العميق للحماسة التي أظهرتموها في اجتماعكم بالكويت، إنني أتمنى لو كنت قد استلمت اشعارا مبكرا عن هذا الاجتماع لأتمكن من إرسال مندوب يمثله فيه أيضا من أجل أن يصير هذا الاجتماع أوسع تمثيلا. ان المشاعر التي عبرتم عنها خدمة سامية للامة العربية كما لم يفعل عربي لحد الان وأنا أقدم لكم أصدق تبريكاتي على هذا الاجتماع الناجح"<sup>(2)</sup>.

وحال استلام برقية الشريف هذه بادر الشيخان جابر وخزعل لكتابة الرسالة المشتركة التالية: " بعد تقديم الاحترامات الفائقة لمقامكم الرفيع بكل فرح وسرور تلونا عباراتكم الودية الابوية التي [كذا] تلطفتم بها على مخلصكم بواسطة [كذا] سعادت [كذا] مندوب دولتنا البريطانية العظمى بالقاهرة المشتملة على اظهار مسروريتكم وتهنئتكم القلبية

(1) شبكية، المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٧٢ - ٢٧٤.

(2) IOR, R/ 15/5/25, No. 13997, C.P.O., Basrah, to the Pol. Ag., Kuwait dated 2-12-1916.

بخصوص اجتماعنا المنعقد في الكويت وحضره الامير عبد العزيز بن سعود ، أننا بكمال الاحترام نقدم لسيادتكم الطاهرة فائق التشكرات [كذا] وجزيل الامتنان وندعو الله ان يؤيد شوكتكم ويدعم عزكم ويمدكم بامدادته الصمدانية فأعلم يا سيدنا أن جل قصدنا من هذا الاجتماع تقوية [كذا] مسائل الامة العربية والملة الاسلامية والارتباط مع سيادتكم الطاهرة والدولة الفخيمة البريطانية ونرجو أن يكون هذا الاتحاد الخيري مقرون [كذا] بالعرز والنجاح والسعادة فالواجب علينا الاخلاص في هذا العمل القيم وجميع من فيه حمية للامة العربية فلا شك أن يكون مسرورا وممنون [كذا] في ذلك ويكون تابع [كذا] مسلكنا في سبيل الارشاد وفي ظل [كذا] فلا هادي له. وأمر سيادتكم أن لو كان علمتم عن ذلك الاجتماع قبل وقوعه لكان شرفتموه بمنسوب لكي ينوب عن سيادتكم فأعلم يا سيدنا أن لو قسم الله ذلك لكان عندنا من اعظم النعم والمحظوظية ونحن أيضا منسويين ومحسوبيين [كذا] سيادتكم في كل حال- ونسأل [كذا] الله ان يقرن جميع مساعيكم الحميدة بالعرز والنجاح ويوفق لجلب رضاكم ومسرة خاطركم، هذا والمأمول دوام توجهاتكم القلبية ولازلتهم رافلين بالعرز والسعادة"<sup>(1)</sup>.

ويلفت النظر هنا ان ابن سعود لم يرد مثل صاحبيه على برقية الشريف الذي لم يكتف بها بل اتبعها برسالة لكل من خزعل وجابر- وجاء في رسالته: "بعد إرسال برقية التهئة الخاصة بقراركم في الاجتماع الاخير في الكويت علمت بان الرسالة التي ارسلتها لك سابقا

---

(1) IOR, R/15/5/25, No. 675 of 1916, Pol. Ag., Kuwait, to the Chief Political Officer, Basrah, dated 11-12-1916.

فد اعصنتك بسبب انا محنار فى معرفته، ولكنى اتو فى حكمك  
ومعرفتك باحو لنا وعلى نبلك الشخصى وشهامتك لازالة أى اعتقاد  
خاطى - لا لوم ولا قطع للعلاقات يمكن ان يوجه لشخص فى مثل  
نبلك واهميتك ولا يمكن أن يكون هدف فعل اى شى كهذا محالف  
لعادات كل العرب وتقاليدهم- إذ كانت هناك اعتقادات خاطئة نتيجة  
لبعد المسافة أو لضعف الطبيعة البشرية فى وقت يجب أن يوجه طاقتنا  
من أجل تأكيد استقلالنا فإبنى انا الذى يعانى منها - أننا انا وانت  
صديقان للحكومة البريطانية وحليفان لها وهى الصديق القوى للعرب  
ويجب أن نتحد ونتعاون مع بعضنا لطردهم المحدثين اعدائنا  
الشخصيين واعداء الحق وتطهير بلاد العرب من قسوتهم وجورهم  
أن هذه هى الضرورة الاولى ويلبها كل ما عداها - ليس لى مطمع  
شخصى فى الامر اطلاقاً، وإنما هى تأمين أمننا انا وانت وسلامة البلاد  
العربية وتطهيرها من شرور الترك اعداء الله - أما الماضى والمستقبل  
فهما بيد الله<sup>(1)</sup>

ولم تأت سنة ١٩١٧ بتحسرس فى العلاقات بين ابرس سعود  
والشريف - بل استمرت ريبة أحدهما بالآخر على حالها - فحين تسربت  
بعض المؤن والتجهيزات المهربة عبر الكويت وجد الى القوات العثمانية  
المحاصرة فى المدينة المورة كرس الشريف اتهامه لابرس سعود بأنه مرتبط  
بالترك<sup>(2)</sup> ومما زاد من حدة الشكوك والريبة بين الرجلين اخفاق

(1) IOR R/ 15/5/25, No. 14669 D.C P.O. Basrah, to the Shaikhs of Mohammerah and Kuwait,  
dated 1-12-1916

(2) Troller op cit op 102-3

السلطات البريطانية فى تطويقها ومعالجتها من جراء تباین وجهات نظرها، فقد كان بريطانيو بغداد أكثر ميلاً لابن سعود بينما كان المسئولون البريطانيون فى المكتب العربى فى القاهرة يلتزمون جانب الشريف، ولقد أدركت السلطات البريطانية مغبة ذلك التباین والسعى لإزالته أو تضيق شقته، فقرر المكتب العربى إيفاد رونالد ستورز الى بغداد لهذه الغاية، وقد أجرى ستورز فى بغداد مباحثات مع كوكس وتقرر فى مارس ١٩١٧ ان يسافر ستورز من بغداد لزيارة ابن سعود لعله يهدأ من مخاوفه تجاه الشريف ولكن مرض ستورز حال دون مواصلة السفر<sup>(١)</sup> وقررت السلطات البريطانية فى خريف تلك السنة ان تتوجه بعثتان من بغداد والقاهرة الى الرياض لتفهم موقف ابن سعود ودفعه نحو التعاون مع الشريف، وتقرر أيضا ان يتبادل ابن سعود والشريف مبعوثين لجعل كل منهما أكثر اطلاعا على وجهات نظر الآخر، وبالفعل وصل قلبى الى الرياض فى أكتوبر ١٩١٧ على راس البعثة الاولى أما بعثة القاهرة فلم تأت نظرا لمعارضة الشريف العنيفة لها، وعندها قرر قلبى السفر بنفسه الى الحجاز فوصل غاية فى ديسمبر ١٩١٧ وأجرى محادثات مع الشريف بحضور مبعوث المكتب العربى فى القاهرة وقد أظهر الشريف موقفا متصلبا أثناء تلك المحادثات ورفض فكرة ارسال مبعوث من قبله الى الرياض وبدا بعد ذلك يقوم بمحاولات لشراء تأييد قبائل ابن سعود بالذهب، مما جعل التأزم فى علاقة الرجلين يصل حافة الانفجار<sup>(٢)</sup>.

(١) وهيم، المرجع نفسه، ص ٢٩٠.

(2) Troeller, op. cit., pp. 107-12.

وكانت الشرارة التي ألهبت فتيل الانفجار هي الخلافات الحدودية التي انصبت على ملكية قرية "الخرمة" الواقعة على بعد ثمانين ميلاً شمال شرق بلدة الطائف فقد نشط "الاخوان" في نشر مبادئ الدعوة السلفية "الوهابية" بين سكان المنطقة وشن زعيم أخوان هجرة "الغطعط" سلطان بن بجاد هجوماً في أوائل سنة ١٩١٨ على إحدى عشائر عتيبة التي يعتبرها الشريف تابعة له. فكتب الشريف الى ابن سعود في الثاني من فبراير ١٩١٨ رسالة عتاب وتحذير طالبا منه كف أخوان الغطعط عن مهاجمة عتيبة<sup>(٥)</sup>. وأخذ الشريف من جانب آخر يكرر الشكوى لدى المندوب السامي البريطاني في القاهرة من قيام ابن سعود بنشر مبادئ الدعوة "الوهابية" بين رعاياه<sup>(١)</sup>.

وجاءت بعدها مشكلة خالد بن لؤى ليصيب الزيت على نار الخلاف. فقد شك الشريف بميول خالد بن لؤى الوهابية فاستقدمه من الخرمة حيث كان أميراً عليها. وأبقاه في مكة المكرمة رهن الاعتقال الى أن التمس الأمير عبد الله والده الشريف حسين بإطلاق سراح خالد والسماح له بمصاحبته في العمليات الحربية التي يقوم بها ضد القوات العثمانية ولكن خالدًا تغاضب مع عبد الله وعاد أدرجه الى الخرمة حيث حصنها وجمع فيها أنصاره وطلب العون من ابن سعود ضد الشريف. وقد كتب الشريف الى خالد يأمره بالحضور الى مكة فلم يذعن للأمر. ثم أقدم على أمر آخر صعد فيه الخلاف مع الشريف حين

---

(٥) سليمان الموسى، الثورة العربية الكبرى: الحرب في الحجاز ١٩١٦ - ١٩١٨، عمان،

١٩٨٩، ص ٢٦٨.

(١) وهيم، المرجع نفسه، ص ٢٩١.

عزل قاضى الخرمة ثم أرسل قاضيا بدله ولكن خالدا أعاده من حيث أتى. وحين فشل الشريف من إغراء خالد بالتفاهم أصدر أمرا بعزله عن إمارة الخرمة وعين أحد أبناء عمه مكانه ولكن الأخير تعذر عليه استلام مهام منصبه بسبب قوة مركز خالد فى الخرمة<sup>(\*)</sup>.

وقد أخذت السلطات البريطانية تدارس تلك المشكلة حيث تبينت أرواها مرة أخرى بين القاهرة التى تؤيد الحسين وبغداد التى تؤيد ابن سعود وأخذ كل من الجانبين بإيراد حججه، ففلبى الذى يمثل وجهة نظر بغداد يؤكد أن الأغلبية العظمى من أهالى الخرمة تتمذهب - مثل ابن سعود - بالمذهب الحنبلى، وهم ينتسبون الى قبيلة سبيع النجدية. كما أن خالدا تولى الإمارة فى الخرمة عن طريق الوراثة لا عن طريق التعيين من قبل الشريف حسين. ولم تزد علاقته بمكة فى السابق على أدرجه فى سجلات الحكومة العثمانية من أجل أن يتقاضى شيئا من أموال "صرة الحج" مثل بقية الزعماء. أما قاضى الخرمة فقد كان مثلى أبيه من قبله لا علاقة له بالشريف، بل تولى منصبه وراثة عن أبيه الذى كان الإمام فيصل بن تركى آل سعود قد عينه قبل زمن طويل.

وكانت وجهة نظر القاهرة تؤكد على أن الخرمة لا تبعد إلا ثمانين ميلا عن الطائف، وأن ابن سعود لو كان هو الذى عين خالدا أميرا

---

(\*) موسى، الحسين بن على، ص ص ٥١-٥٣ و ص ٢٥٥. ويشوب تواريخ موسى وهو يورد روايته بعض الاضطراب. إذ يجعل اعتقال الشريف لخالد فى سنة ١٣٣٦هـ - إتفق بين نوفمبر ١٩١٧ وتوفى سنة ١٩١٨] ويقول أن توسط عبد الله للرضا عنه ثم قبل حصار الطائف [يونيو ١٩١٦ حتى سبتمبر ١٩١٦]. والأرجح أن اعتقال خالد ثم قبل قيام ثورة الشريف فى يونيو ١٩١٦ وأن خلفه مع الأمير عبد الله وانسحابه للخرمة تم فى أواخر سنة ١٩١٧.

على الخرمة لما سكت على اعتقال الشريف له، ولما سكت أيضا على عزل القاضي لو كان معينا من قبله.

وأثناء ذلك حاول الشريف حسين حل المشكلة مع ابن سعود مباشرة حين كتب له في السابع من مايو ١٩١٨ رسالة عتاب وملامة وتحذير لم تأت بنتيجة، فاضطر الشريف الى استخدام القوة ضد خالد وأنصاره من "الإخوان"<sup>(١)</sup>. في مايو ١٩١٨ إذ أنفذ حملة مؤلفة من خمسمائة رجل بقيادة حمود بن زيد وهي مزودة بمدفع ورشاشين<sup>(\*)</sup> ولكن خالدا وأنصاره تمكنوا من الفتك بها. وجهر الشريف حسين حملة ثانية مؤلفة من ألفي بدوي ومعها أربعة مدافع فلقبت مصير سابقتها<sup>(\*\*)</sup>.

حثت الحكومة البريطانية الشريف إثر هذين الصدامين على تجنب أى احتكاك مع ابن سعود. وطلبت من الأخير الكف عن اتباع سياسة متطرفة في الخرمة وسحب أى وكلاء ربما يكون قد أرسلهم إليها. ولكن ذلك الحث البريطانى لم يمنع الشريف حسين من محاولة التآمر. فأنفذ حوالى منتصف يوليو ١٩١٨ حملة بقيادة شاعر بن زيد الذى منحه لقب "أمير قبيلة عتيبة" المتنازع على تبعيتها مع ابن سعود<sup>(٢)</sup>.

---

(١) هم أبناء القبائل النجدية الذين أقتعهم ابن سعود بهجر حياة البداوة والاستيطان فى 'هجر' أو قرى بنيت لهم حيث كان معلمون مختصون يعلمونهم أمور الدين ومبادئ الدعوة السلفية 'الوهابية'. وقد أطلقت عليهم تسمية 'الإخوان' وغدوا جيش ابن سعود الذي يندفع نحو الموت ببسالة نادرة.

(\*) (الموسى، الثورة العربية الكبرى، ص ٢٦٨

(\*\*) (الموسى، الحسين بن على، ص ٢٢٦

(2) Troeller, op. cit., pp. 131-3

وكانت الحملة مؤلفة من مقاتلين بدو معظمهم من قبيلة عتيبة<sup>(١)</sup>، ويبلغ عددهم ألف وستمائة وتسعة وثمانين رجلا بينهم أربعة وعشرين خيالا<sup>(٢)</sup>. وقد تصدت لهم قوة من أخوان قبيلة سبيع مؤلفة من أربعمائة وخمسين رجلا. ودارت بين الطرفين معركة حامية أسفرت عن انتصار الاخوان وفرار المهاجمين بعد أن خسروا قرابة مائة وخمسة عشر قتيلًا وكثيرا من الغنائم. بينما خسر الأخوان عشرة قتلى فقط. ولم يحل بين الاخوان وبين الحاق خسائر أفدح بالقوة المهاجمة إلا كونهم مشاة، في حين كان أفراد القوة المهزومة من الهجانة<sup>(٣)</sup>.

وكان من جملة الغنائم التي استولى عليها الأخوان ثلاثة مدافع وثلاثة رشاشات علاوة على عدد وفير من البنادق والذخيرة. وقد أدى ذلك الهجوم الى نشوء توتر كبير في المنطقة المحيطة بالخرمصة في حالة تعرضها لهجوم آخر يشن عليها من قبل قوات الشريف<sup>(٤)</sup>. وكان الأخير قد أعد حملة رابعة بقياده صهره عبد الله باشا وكانت مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل. ولكنه أمرها بالوقوف عند جبل حرض انتظارا لوصول ابنه الأمير عبد الله لقيادتها فبقيت هناك شهرين تفتك بها الحرارة<sup>(٥)</sup>. ولعل ذلك الأمر كان نتيجة للتحذير الذي تلقاه من السلطات البريطانية. إذ أنها وجهت رسالة مزدوجة للشريف حسين وابن سعود تطالبهما بالكف عن

---

(\*) الموسى، المرجع نفسه، ص ٢٢٦.

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. M133, Philby, Riyad, to Political Baghdad, dated 30-7-1918.

(2) IOR, R/15/5/103, No. M115, Philby, Riyad, to Political, Baghdad, dated 20-7-1918.

(3) IOR, R/15/5/103, No. M133, Philby, Riyad, to Political, Baghdad, dated 30-7-1918.

(\*) الموسى، الحسين بن على، ص ٢٢٦.

أى نزاع دموى آخر حول الخرمة<sup>(١)</sup>.

ولم يكن التوتر الذى سببته تلك المعركة قاصرا على المنطقة المحيطة بالخرمة بل امتد الى نجد نفسها. إذ انتشر هياج واسع لا سيما بين الإخوان الذين أخذوا يضغطون على ابن سعود للقيام بهجوم مضاد على الشريف. وقد جعل ذلك الضغط ابن سعود فى موقف حرج لاحظته المبعوث البريطانى قلبى وسجله حين كتب: 'بدأ ابن سعود بإظهار علامات القلق وعدم الرضا والشك فى صدق سياستنا وقوة تأييدى ومفاتيحى على السواء. الشعور العام المنتشر هنا معاد دائما والشك فى نوايانا بدأ يتحدى بصورة جدية حكمة تحالف ابن سعود معنا وسياسته نحونا، ويطالب صراحة برد قوى على أعمال الشريف والعجمان. إن ابن سعود يدرك بشكل كامل أن الخصام معنا سيكون كارثة لمستقبله ولكنه فى موقف غاية فى الصعوبة. إذ لا يمكنه السماح لى إلى ما لا نهاية بإبقاء يديه مكتوفتين بينما يقوم أعداؤه المتمتعون بحمايتنا بمهاجمته فعليا فى جانبيه كليهما، وما أخشاه للغاية هو أن الرأى العام سيرهن أنه أقوى من مقاومته. لقد تعهد بالتوجه لمساعدة أهل الخرمة إذا ما هوجموا مرة أخرى لأنه واثق من نيتنا وقدرتنا على كف الشريف عن ذلك... لقد أعطيت تأكيدات بأن الأمور أعلاه ستعال اهتماما مواتيا من قبل الحكومة، ولا شئ سوى نتيجة ملموسة سيعيد مكانتنا فى بلاد العرب المركزية التى قاست من انخفاض جدى بسبب الأحداث الأخيرة...'<sup>(٢)</sup>.

(1) Troeller, op. cit., op. 134.

(2) IOR, R/ 15/5/103, No M111, Philby, Riyad, to Political, Baghdad, dated 19-7-1918

وبعد ذلك بـعدة أيام قدم ابن مسعود مذكرة مكتوبة لقلبي اعتر فيها عن القيام بأى عمل لصالح بريطانيا ضد ابن رشيد حليف الترك، وعن تحمل أية مسئولية تجاه تسرب المؤن الى العدو. وأشار أنه لا يستطيع القيام بهذين العملين مجازفاً بترك جناحيه مكشوفين أمام تحركات الشريف فى الغرب والعجمان والكويت فى الشرق. وطالب بإعطائه ضمانات بريطانية كان أبرزها أن تضمن له الحكومة البريطانية بصورة جازمة سلامة أراضيه ورعاياه ضد أى نوع من التدخل أو الهجوم من جانب الشريف. ويشمل هذا الضمان بالطبع الأراضى الحدودية المتنازع عليها فى الخرمة وقبيلة عتيبة انتظاراً للتسوية. ونتيجة لما لاحظته قلبي من حرجة الوضع فى نجد اضطر لأن يقدم لابن سعود الضمانات المطلوبة قبل الرجوع لمراجعته العليا وأخذ موافقتها، ولكنه اشترط عليه بالمقابل الشروع بالتحرك ضد ابن رشيد خلال عشرة أيام - وقد برر قلبي لرؤسائه إقدامه على تلك الضمانات دون إذن منهم بتخوفه من حدوث اضطراب واسع فى نجد، وبرغبته فى توريث ابن سعود فى أعمال عدائية ضد ابن رشيد فى أسرع وقت كى تحول انتباهه عن الشريف من ناحية، وليمنع من ناحية أخرى إمكانية تعاونه مع ابن رشيد فى جهد مشترك ضد الشريف، وهى إمكانية لم تكن مستحيلة إطلاقاً وحث قلبي رؤسائه على إقرار الضمانات التى قدمها لابن سعود<sup>(1)</sup>.

ويبدو حديث قلبي عن إمكانية تعاون ابن سعود وابن رشيد ضد الشريف مبالغته واضحة سيما وقد راجت أخبار عن مراسلات بين

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. M123, Philby, Riyad, to Political, Baghdad, dated 24-7-1918.

الشريف وابن رشيد خلال هذه الفترة نفسها. فقد حدث أن وقعت بيد الأمير عبد الله بن الشريف حسين رسائل صادرة عن ابن رشيد يشكو فيها من معاملة الترك له. واستغل عبد الله الفرصة فأوفد رسلاً لابن رشيد يدعونه للسلم مع الشريف وبالتالي مع بريطانيا. وقد هون فلبى من شأن ذلك التطور حين بلغته أخباره حيث كتب قائلاً: "لا يعتقد ابن سعود أن ابن رشيد سوف يستجيب لأية عروض ولكنه يعتبر عمل عبد الله عملاً عدائياً "موجهاً" ضده، وهو استنتاج صحيح على الأرجح. أميل للظن بناء على عدة مؤشرات أخيرة بأن الروايات حول احتمال قوى لعروض تأتي من جانب ابن رشيد غير ذات أساس...<sup>(١)</sup>. ولكنه عاد بعد أيام قلائل للقول بأنه أطلع على رسائل بعثها عبد الله الى شيوخ بعض القبائل في نجد تنفيذ بالتوصل الى السلام مع ابن رشيد وأن المفاوضات متواصلة معه حول قضايا الشمال والجنوب. وطلب فلبى من مراجعه اعلامه عن مفاوضات ابن رشيد والشريف والمدى الذى ستؤيدها فيه الحكومة البريطانية. وأضاف إذا كان الشريف كما يبدو مرجحاً يمد ابن رشيد بأموال ووعود بالمساعدة ضد ابن مسعود فسيغدو موقف بعثته فى الرياض غير ملائم<sup>(٢)</sup>.

وتفيد رواية أخرى عن تلك الاتصالات أن ابن رشيد هو الذى بادر بالكتابة للأمير عبد الله الذى أحال الأمر لوالده. وقد اشترط الشريف على ابن رشيد خضوعه لسيادته وقطع علاقاته مع الترك.

وطالب ابن رشيد بالمقابل أن تكون سيادة الحسين عليه اسميه وأن

(1) IOR, R/ 15/5/103 No M137 Philby, Riyad. to Political. Baghdad, dated 1-8-1918

(2) IOR, R/ 15/5/103 No. M143, Philby, Riyad, to Political, Baghdad, dated 6-8-1918.

يستعيد بعض المناطق التي كان الجيش الحجازي قد احتلها. وحين رفض الحسين تلك المطالب وأصر على أن يكون خضوع ابن رشيد غير مشروط لم يجد ابن رشيد سوى الإذعان وأرسل وفداً رسمياً لمقابلة الحسين بناء على طلب الأخير ولكن تلك الاتصالات لم تسفر عن شيء عملي محدد. وربما كان للسلطات البريطانية دور في اجهاضها لأنها لا تريد للشريف وابن رشيد أن يتحالفا ضد ابن سعود في الوقت الذي كانت تشجع فيه الأخير على حرب حائل لصرف انتباهه عن الشريف كما مر آنفاً.

واستمر قلبي في غضون ذلكم يهول لرؤسائه حراجة موقف ابن سعود نتيجة لأحداث الخرمة السابقة والمسغوط التي يتعرض لها من مراكز القوى النافذة في نجد. ورد قلبي على ذلك بإيراد فحوى مقابلة تمت بين ابن سعود وبين من أسماه "رجل الدين الأكبر في الرياض" الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب<sup>(١)</sup>. إذ انتقد الشيخ سياسة ابن سعود وكان رأيه هو أن الإنكليز إذا لم يكونوا قادرين على كف الشريف والعجمان فمن غير المجدي الاعتماد عليهم ويجب على ابن سعود أن يتخذ الخطوات اللازمة لانقاذ الموقف قبل فوات الأوان - أما إذا كان الإنكليز قادرين ولكنهم غير راغبين بكف أولئك الأعداء فهذا يثبت سوء نيتهم. وقد رد عليه ابن سعود بالقول أن كل تلك الأحداث وقعت أثناء غياب السير برسي كوكس عن بغداد وأنه سوف يعالجها بطريقة حسنة عند عودته. وأطلع ابن سعود بعدها الشيخ عبد الله على الضمانات المكتوبة التي تلقها من قلبي. فاقتنع الشيخ عندها بصواب فكرة الانتظار.

(١) لعله يقصد الشيخ عبد الله حسن آل الشيخ.

رزاد فلبى على ذلك بالقول أن قضية الخرمة التى أنت الى صراع مسلح بين الشريف وابن سعود قد أنعشت آمال الترك بفصل ابن سعود عن الانكليز. ودلل على ذلك بالرسالة التى تلقاها ابن سعود من ثلاثة شيوخ فى عسير بعثوها بإيحاء من السلطة التركية وهى تدعوه للانضمام الى الترك لحماية دين الاسلام الذى يسعى الحلف الى هدمه<sup>(1)</sup>.

وفى الوقت الذى كان التوتر فى نجد بالغاً أقصاه من جراء الخرمة على ما روى فلبى، أقدم عبد الله بن الشريف على عمل زاد من حدة ذلك التوتر. إذ وصلت الأخبار للرياض بأنه أرسل رجالاً من قبيلة حرب بستة عشر ألف جنيه ليشتروا له بها إبلاً من نجد. وقد أمر تركى بن عبد العزيز آل سعود باحتجاز أحد مشايخ القبيلة المذكورة لحين تسليمه نقود عبد الله، ولكن والده الأمير عبد العزيز حين علم بالأمر ألغى قرار تركى وأطلق الشيخ المحتجز وأمر بإعادة النقود من قبيلة حرب الى عبد الله، وقرر فى الوقت نفسه منع بيع الإبل الى الشريف نظراً لمواقفه المعادية مثل غلق سوق مكة بوجه قوافل القصيم والمعاملة القاسية التى يتعرض لها النجديون فى الحجاز وغير ذلك.

وقد علق فلبى على ما جرى بقوله: "لقد فكرت فى الأمر واعتبرت أن من قلة الذوق من جانبى الاعتراض عليه. فإذا كان عبد الله يريد الحصول على الإبل فإن أحسن وسيلة يتبعها هى كتابة رسالة مهذبة الى ابن سعود يرجوه فيها بذل مساعيه الحميدة بهذا الشأن. إن التعامل المباشر من قبل الشريف مع أهل نجد فى ظل حالة التوتر الراهنة أمر غير مرغوب فيه. قيل أن القوة الشريفة لازالت متمركزة فى

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. M 134, Philby, Riyad, to Political, Baghdad, dated 30-7-1918.

عشيرة<sup>(١)</sup>. ويحتمل أنها فقط بقايا القوة المهزومة فى الخرمة، ولكن  
إيعادها سيكون أمرا حكيما لأنها تشكل تهديدا فى الظروف الراهنة<sup>(٢)</sup>.

وحالما تلقى المندوب السامى البريطانى فى القاهرة أخبار ما حدث  
أبرق الى باسيت Bassett ممثل بريطانيا لدى الملك حسين يخبره بالأمر  
ويعلمه أن ابن سعود محق فى الإجراء الذى اتخذه، كما أمره أن يطلب  
من الملك الإيعاز لابنه عبد الله بالكتابة مباشرة الى ابن سعود حين  
يرغب بشراء الإبل باعتبار ذلك أمرا تتطلبه المجاملة<sup>(٣)</sup>.

وعاد قلبى بعد أيام للحديث عن مشكلة الخرمة حين كتب: "إن  
الخرمة واحدة من القضايا المتنازع عليها بين الشريف وابن سعود الذى  
أبدى استعداداه لاحالة الأمر للحكومة البريطانية لإصدار حكم قضائى  
Adjudication بشأنه - ان إعادة احتلال الخرمة أو محاولة أخرى  
لإعادة احتلالها سيعتبرها ابن سعود بالتأكيد سببا للحرب. اننى واثق  
من أن تأكيدات نهائية ستعطى له بدون تأخير وأن قوة عبد الله سوف  
تتسحب من عشيرة والمران<sup>(٤)</sup> لأنها تشكل بصورة ثابتة إثارة غير  
ضرورية وتهديدا لابن سعود - أستطيع أن أضمن سلامة أراضى  
الشريف من هجوم يشنه ابن سعود إذا ما عبر الأول عن أية مخاوف  
من هذه الناحية. وخلال ذلك تبلور لدى بعض المراجع البريطانية العليا  
رأى حول مشكلة الخرمة عبر عنه وزير الدولة لشؤون الهند حين

---

(١) موضع على بعد خمسة وسبعين ميلا شرق مكة المكرمة.

(2) IOR, R/15/5/103, NO. M139, Philby, Riyad, to Political, Baghdad, dated 1-8-1918.

(3) IOR, R/15/5/103, NO. 6949, Political, Baghdad to Philby, dated 23-8-1918.

(٤) موقع قريب من عشيرة.

أبرق لحكومة الهند فى الخامس من أغسطس ١٩١٨ قائلا: "... إن  
الخرمة لا تبعد إلا ثمانين ميلا عن الطائف فيبدو واضحا أنها تقع  
ضمن مجال نشاط حسين وخارج المجال الذى يسمح لابن سعود  
بالتدخل فيه. يجب أن يترك قلبى هذا الانطباع عن الحالة فى ذهن ابن  
سعود بينما يؤكد له أن مصالحه المستقبلية تتال اهتماما فعلا من لدن  
حكومة جلالته فى الوقت الراهن. ليست لدينا نية للتغاضى عن حقوق  
ابن سعود العادلة ولكن ما يجب أن يدرك هو أنه لا خدماته الماضية  
ولا فوائده المستقبلية المتوقعة قابلة للمقارنة مع مثيلاتها لدى الملك  
حسين. وأتانا لا يمكن أن نسمح بتضرر مصالح الأخير أو بصرف  
انتباهه عن المهمة الرئيسية المتمثلة فى دحر العدو من جراء نشاط ذى  
توقيت سيئ من جانب ابن سعود"<sup>(١)</sup>.

ولم يسلم قلبى برأى وزير الدولة لشئون الهند حين نقل إليه، بل رد  
عليه قائلا: "أتجراً على الاعتقاد بأن حكومة جلالته سوف تعدل الرأى  
المستند على بعد الخرمة عن الطائف. فالخرمة تقع على بعد عشرة  
أميال فقط شرق الحدود غير القابلة للنقاش بين قبيلة البقوم وقبيلة سبيع  
وهى شعيب شابا Shaba. ونقطة الخلاف لذلك هى السيادة على القسم  
الغربى من قبيلة سبيع الذى حاضرته هى الخرمة ويقع حدها الشرقى  
فى وادى نعيم Naim على بعد مائة وعشرين ميلا شرق الخرمة. ولذلك  
فإن الحكم بأن الخرمة للشريف يتضمن بالضرورة مد حدود الحجاز  
الى خط يبعد حوالى مائتى ميل أو أكثر شرق الطائف.

---

(١) IOR, R/ 15/5/103 No. M404, Political Baghdad, to Political, Kuwait, dated 6-8-1918

إن هذا يطرح للمناقشة قضية نجود عتيبة الممتدة مائة ميل أخرى شرق وادي نعيم. وحيث أن الشريف يدعى السيادة على عتيبة فإن حدود نجد تتراجع إلى ما يقرب جدا من خط طويق<sup>(١)</sup> أرجو أن أوضح بصورة جادة أولا أن الأمر معقد لا يعد كثيرا مما يفترض وله وجهان وثانيا أن ابن سعود لا يمكنه أن يترك الخرمة لمصيرها دون المخاطرة بحدوث اضطراب واسع النطاق بين قبائل نجد التي سيكون عملها الأول على أية حال هو مهاجمة الشريف بمساعدة القبائل الجنوبية، وثالثا أن الخرمة لن تستسلم في أية حال للهجمات الشريفة. بينما ستجعل كل محاولة غير ناجحة من قبل الشريف لاستعادتها شعور بلاد العرب المركزية غير ملائم لنا بصورة متزايدة. طبقا لمعلوماتي فإن عددا كبيرا من جنود نجد الذين كانوا يخدمون سابقا في قوات الشريف قد هجروه نتيجة لموقفه المعادي لنجد... إنني لم أتوقف قط عن التوضيح لابن سعود أن حكومة جلالته لن تسمح بأى ضرر يلحق بمصالح الشريف تقديرا لمشاركته الفعالة في الحرب وأهميته السياسية العامة. ووضحت له بصورة مساوية أن حكومة جلالته ستصون حتما مصالحه الشرعية. إن ابن سعود لا يطلب منا أكثر من ذلك.

وكما أفدت مرارا في السابق فإنه مستعد لأن يخضع كل الأمور المتنازع عليها للحكومة البريطانية على الأساس أعلاه، وهو مصمم في الوقت نفسه على عدم التنازل عن شيء من حقوقه الشرعية وتركه عرضة للعدوان من قبل الشريف...<sup>(٢)</sup>.

(١) جبل طويق هو سلسلة المرتفعات المشرفة على مدينة الرياض.

(2) IOR, R/ 15/5/103, No. M169, Philby, Wushaiqir, to Political, Baghdad dated 18-8-1918

وكانت السلطات البريطانية العليا تتابع تطورات الخلاف على الخرمة وتبحث عن وسيلة لنزع فتيل الصدام. يظهر ذلك واضحا من برقية أرسلها وزير الدولة لشؤون الهند الى حكومة الهند فى الخامس من أغسطس ١٩١٨، وجاء فيها: "درسنا ببعض القلق الوضع فى بلاد العرب المركزية، وخرجنا بانطباع مفاده إذا كان يجب تجنب الحريق الهائل الذى يخشاه ونغيت Wingate فإن وسيلة ما يجب أن توضع قيد التنفيذ لتحويل اهتمامات ابن سعود ومطامحه الى اتجاه لا يجره الى الصراع مع الملك حسين فهل يمكنك أو السير برسى كوكس اقتراح أى شكل من التحويل يرجع أن يكون فعالا، هل تؤيد اعطائه أو السماح له بحيازة بساتين نخيل أو أراضى زراعية أخرى فى جنوب ما بين النهرين باعتبارها ملكا خاصا له؟ أرجو أن تعطينى وجهات نظرك بأسرع ما يمكن أننا نولى أهمية كبيرة لترتيب وضع بلاد العرب المركزية دون تأخير، ونحن مستعدون للنظر فى أية مقترحات معقولة وعملية تخدم تعزيز هذا الهدف"<sup>(١)</sup>. وقد رد وكيل المنسوب السامى البريطانى فى بغداد على اقتراح الوزير أعلاه بالقول: "إننى لا أرى هدفا نافعا يمكن أن يخدم بإعطاء ابن سعود أو السماح له بحيازة بساتين نخيل أو أراضى زراعية فيما بين النهرين"<sup>(٢)</sup>.

أما فلبى فعلق على ذلك الاقتراح حين اطلع عليه بقوله: "... إننى مقتنع بأن مجرد هدية من المال أو أرض مريحة سوف لن تخدم الهدف لأن هدية مثل هذه سوف تترك ابن سعود عاطلا عن العمل. وأشك

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. 6405, Political, Baghdad, to Political Kuwait, dated 5-8-1918.

(2) IOR, R/ 15/5/103, No. 6500, Political, Baghdad, to Foreign, Simla, dated 7-8-1918.

على أية حال فى أنه سيقبل هدية من الأرض فى ما بين النهرين،  
وأشك بصورة مماثلة فى حكمة إدخال عنصر وهابى فى ذلك القطر".  
واقترح قلبى بدلا من ذلك تزويد ابن سعود ببعض الأموال والأسلحة  
وتوجيهه لحرب ابن رشيد باعتبار ذلك الوسيلة الوحيدة لتحويل انتباهه  
عن الخلاف مع الشريف<sup>(١)</sup>.

ولم يكف الشريف حسين خلال ذلك كله عن السعى لاسترجاع  
الخرمة - فقد أرسل ابنه عبد الله رسالتين لشيوخين من مشايخ قبيلة  
عتيبة مؤرختين فى الثالث عشر من يوليو ١٩١٨، فأرسلهما الشيخان  
المذكوران لابن سعود. ويظهر من تلك الرسالتين أن عبد الله نفسه  
تولى قيادة قوة تأديب الخرمة وهو متمركز على رأسها قرب المران.  
وأنة يعتزم الزحف من هناك الى آبار الشضوب Shudhub فى وادى  
سبيع على مسيرة حوالى يوم واحد الى الشرق من الخرمة حيث وجه  
قبيلة عتيبة وأخرى للانضمام اليه هناك. وقد علق قلبى على ذلك بقوله  
أن مضمون هاتين الرسالتين يجعل نوايا عبد الله تجاه الخرمة غير قابلة  
للك. وذكر بأنه قدم سابقا تأكيدا لابن سعود بأن حكومته سوف تمنع  
أى هجوم آخر على الخرمة مقابل موافقته على التذرع بالصبر  
والانتظار. وختم قلبى تعليقه بالقول أن هجوما آخر على الخرمة سوف  
يجعل باندلاع الحرب بالتأكيد<sup>(٢)</sup>.

وبناء على ذلك سعت السلطات البريطانية لتدارك الأمر، ووجه  
المندوب السامى البريطانى فى مصر الرسالة التالية الى الشريف:

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. 169, Political, Baghdad, to Foreign, Simla, dated 18-8-1918.

(2) IOR, R/ 15/5/103, No. 143, Political, Baghdad, to Foreign, Simla, dated 6-8-1918.

تدركون سموكم أن ابن سعود لا يستطيع إلا أن يعتبر رسائل كهذه معادية له بشكل مباشر. أن حكومة جلالته كانت مقتنعة تماماً بتأكيدات سموكم حول أن حملة الشريف شاعر على الخرمة كانت فقط من أجل استعادة النظام الداخلي، وعند استلامها تلك التأكيدات أخبرت ابن سعود بمشاعر سموكم الودية نحوه، وحثته في الوقت نفسه على اتخاذ موقف توفيقى مشابه. إننى واثق فى أنكم لم تكونوا مطلعين على تصرف الشريف عبد الله فى كتابة تلك الرسائل، ولكنكم ترون الآن كم أصبحت الأمور حرجة منذ وقعت تلك الرسائل بيدي ابن سعود إننى أحث سموكم بقوة على عدم إضاعة الوقت والكتابة لكل من الشريف عبد الله والشريف شاعر لعلامهما كيف أنكم أعطيتكم كلمتكم للحكومة البريطانية بعدم ارتكاب عمل عدائى ضد ابن سعود وأتباعه، وتأمروا الأول بالعمل وفق سيادتكم وتكريس طاقاته لقتال الترك، وتأمروا الثانى بعدم التقدم أبعد من الخرمة أو الدعوة الى تجميع القبائل والتسى يمكن أن تؤدى فقط الى إراقة الدماء - إننى أعلم بأننى استطيع الاعتماد على سموكم فى اتخاذ الخطوات اللازمة حيال ذلك فوراً<sup>(1)</sup>.

ويلاحظ هنا أن المندوب السامى لم يكن يمانع فى وصول قوات الشريف الى الخرمة ذاتها لاستعادة النظام فيها، ولكنه يعارض أى زحف لتلك القوات وراءها. بينما كان قلبى فى رسائله السالفة الذكر يحذر من أن أى هجوم على الخرمة ذاتها سيؤدى الى تفجير الموقف بين ابن سعود والشريف.

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. 6925, Political, Baghdad, to Political, Kuwait, dated 22-8-1918.

وكانت السلطات البريطانية، من جانب آخر، تدرس الضمانات المكتوبة التي قدمها فلبى فى الرابع والعشرين من يوليو ١٩١٨ لابن سعود كما مر .

فقد اقترح وكيل المندوب السامى البريطانى فى بغداد على حكومة الهند أن يكون موقف بريطانيا الرسمى من نزاع الشريف وابن سعود حول الخرمة هو اخبار الأخير كتابة أن المادة الثانية من معاهدة السادس والعشرين من ديسمبر ١٩١٥<sup>(١)</sup> معه تنطبق بصورة مماثلة على عدوان من قبل الملك حسين وأن لجنة خاصة سوف ترسل من قبل حكومة جلالته حالما تسمح الظروف لتضع حدود الأراضى المشار إليها فى المادة الأولى من المعاهدة<sup>(٢)</sup>، ولعقد الاتفاقية الأخرى المشار إليها فى المادة السابعة<sup>(٣)</sup>. ويجب على ابن سعود فى الوقت نفسه الكف عن مواصلة مطالبه فى الخرمة وأن يعمل كل ما بطاقته لكبح النشاطات الفوضوية لوكلاء الاخوان. وزكى وكيل المندوب اقتراح

---

(١) نص هذه المادة هو: "إذا اعتدت أية دولة أجنبية على أراضى بلدان ابن سعود المذكور واعقابه دون الرجوع الى الحكومة البريطانية ودون اعطائها فرصة تبادل الرأى منع ابن سعود وتسوية الأمر، فإن الحكومة البريطانية ستعاون ابن سعود الى الحد وبالطريقة التى تعتقد الحكومة البريطانية بعد التشاور مع ابن سعود أنه أكثر فعالية لحماية مصالحه وأراضيه".

(٢) نصت تلك المادة على "أن الحكومة البريطانية تعلن وتعرف بأن نجد والإحساء والقطيف والجبيل وملحقاتها وأراضيتها التى ستناقش وتعين فيما بعد وموانئها على ساحل الخليج هى بلدان ابن سعود وأبائه من قبله... وإشارة وكيل المندوب السامى تنصب على عبارة ستناقش وتعين فيما بعد".

(٣) ونصت تلك المادة على "أن الحكومة البريطانية وابن سعود يوافقان على عقد معاهدة مفصلة إضافية تتعلق بالأمر التى تهم الجانبين".

قلبي بتوجيه أنظار ابن سعود ضد ابن رشيد، وربما تكون حصيلة النجاح فيها مربةكة للملك حسين، ولكن الضرورة تحتمها مع ذلك<sup>(1)</sup>.

أما المندوب السامى البريطانى فى مصر فقد علق على ضمانات قلبى ورأى بغداد فيها تعليقاً طويلاً جاء فيها: "قيما يخص الملك حسين وابن سعود فإن قضية الخرمة مظهر للكرهية القديمة بين حزب مكة والحزب الوهابى. ان الزعيمين كليهما مرتهان لنا، ولكن الأول يقائل الترك بصورة فعالة. ويرغب كلاهما فى انتزاع نتيجة ملائمة تمكنه من ترسيخ موقفه تجاه الآخر. أن نفوذ ابن سعود يستند بصورة كبيرة الى الوهابية، وهى الطائفة التى يمكن أن تضم العناصر الرجعية والمعادية وان تصبح صعبة القيادة وخطرة خصوصاً فى الأوقات المضطربة كالوقت الراهن - والملك حسين يحس بهذا التهديد بصورة قوية، ويحتمل أنه شعر بأن ابن سعود وطائفته سوف يسيطرون بمساعدتنا على السياسة العربية. اننى واثق أنه سيكون من المسلم به أن قيام حركة عربية مثل هذا سيغدو غير مرضى للمسلمين عموماً ومضاداً للمصالح والدعاية البريطانية. ومن جانب آخر فإن السياسة التى تؤيدها القاهرة مكرسة لتأمين أولوية الملك حسين دون الإضرار بالحقوق الإقليمية للزعماء العرب الآخرين. لقد برر الملك حسين تصرفه فى الخرمة بأنه ضرورى لحماية سلطته فى الشرق التى أضعفت، وأنكر اية خطط عدائية ضد ابن سعود. ويجب أن تقبل تلك التأكيدات على ما اعتقد، ويجب أن يؤيد حقه فى معاقبة الشيخ المتمرد خالد المعين من قبله أصلاً. إن إذعان المستر قلبى لتأكيد ابن سعود على أن عمل الملك

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. 491, Political, Baghdad, to Foreign, Simla, dated 7-8-1918.

عدائى بشكل برأىى أمرأ طائشأ ويدعو للأسف الشديد.

لقد كانت مكة لحد الآن تعتمد فى الحماية على المساعدة الحربية العثمانية (مصرية أو تركية) وقد حللنا على أية حال محل العثمانيين مؤقتاً فيجب أن نحاول حماية محمينا الأول وتقوية نفوذه وتعزيز الاتحاد المضاد للترك فى بلاد العرب. وإننى فى الوقت نفسه مقدر بشكل كامل بضرورة الاحتفاظ بصدافة ابن سعود الذى أدرك أنه يمثل العنصر الأقوى - إن لم يكن الأوحد فقط - المحب لانكثرا فى سياسة نجد. ولو كانت الوهابية بين يدى من هو أقل منه أمانة أو قدرة لتحولت بسهولة من تهديد كامن الى تهديد فعال. إننى أوافق على أن يعامل ابن سعود بسخاء فيما يخص الاعتمادات المالية التى يمكن أن تمارس أيضاً تأثيراً مهدناً على الرأى العام المعادى الذى أشار إليه المستر فلبى، ولكنى أؤكد على أننا يجب ألا نزوده بمصادر القوة الحربية الأخرى ما لم تكن ضرورية بشكل ملح وأن يكون تزويدها بالكميات الدنيا اللازمة للإبقاء على شعوره الودى نحونا وسلطته.

وانتقل المندوب السامى للقول: "إذا قبلت حكومة جلالته تلك الأفكار فإننى اقترح أن تكون الرسالة المكتوبة الى ابن سعود، والمشار إليها فى الفقرة الأولى من برقية بغداد المرقمة ٦٤٩١، بالمعانى التالية: (إن الملك حسين أعطانا تأكيدات مشددة بأن عمله ضد شيخ الخرمة الأمير خالد شأن داخلى وليس موجهاً ضد ابن سعود وأنه لا يكن أية نوايا عدائية ضد الأخير. وعلى ابن سعود أن يكتب رسالة ودية الى الملك تعبر عن حرص كبير على الصلح الذى تشعر حكومة جلالته أنه

سيكون ذا فائدة كبيرة للجانبين كليهما وللعرب عموماً - وإن حكومة جلالته مستعدة لبذل مساعيها الحميدة للجانبين من أجل عقد صلح وتسوية سلمية لمشاكلهما القائمة ولكن لا يمكنها إلا أن تشعر بأن الوقت الراهن للحرب والعناء غير ملائم لتسوية نهائية ومرضية لقضايا معقدة مثل التحديد الدقيق للحدود. ويجب على كل الزعماء العرب في الوقت نفسه أن يتحدوا ضد العدو المشترك وأن يمارسوا الصبر والتمتراض وأن يبذلوا كل جهد لحصر النزاعات عند تعاملهم مع بعضهم البعض...). إنني أوافق على أن العمل من قبل ابن سعود ضد ابن رشيد ربما يمثل إنهاء ومنفذا أكثر أمناً لطاقت الأول...<sup>(1)</sup>.

ولم تمر آراء المندوب السامي هذه دون أن تلقى معارضة من قلبي الذي كتب: "أتجرأ على التعبير عن رأيي في أن العداء بين ابن سعود والملك مع أنه بلا ريب يمكن عزوه تاريخياً إلى الكراهية القديمة بين مكة والوهابية إلا أنه عائد مباشرة إلى الطموحات السافرة للملك في الزعامة العربية أولاً، ولشعور ابن سعود ثانياً بأن الملك بمنأوته له قد أضر بمصالحه المادية كما في قضية تسليح وتمويل حائل مثلاً. ويتصل بما مر أعلاه أن ابن سعود يقصر طموحاته على وجه الخصوص على السلامة التامة لأراضيه تحت قيادته باعتباره حاكماً مستقلاً بشكل جازم. وستقرر حدود تلك الأراضي من قبل حكومة جلالته طبقاً لاتفاقية توضع في وقت يلائمها بشرط أن لا تنتضرر أراضيه من جراء تصرف مبكر يقوم به الملك ويتعلق بمناطق الحدود والقبائل. إنني متفق مع ما جاء في الفقرة الثانية وأود أن أضيف أن الخطر يصبح مؤكداً إذا

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. 1209, Wingate Bacos, Ramleh, to Foreign Office, dated 12-8-1918.

أثير تعصب طائفة كهذه بعمل أجنبي معاد يمكن تفسيره على أنه هجوم ضد الدين.

إن ذلك مستبعد طالما ظل ابن سعود في هذا الموقف ولكن الخطو من وجهة نظرنا كاف في أنه إذا أذعن لعمل معاد للدين فإنه سيفقد نفوذه وقيادته وستنتج الفوضى من ذلك. لم أفهم الإشارة الى "الإذعان الجاهز من قبلي. إن امرءاً يقرأ برقياتى لا يمكن أن يجد أى شئ يبرر هذه الجملة، لأن ابن سعود يلتزم بالمقابل دائماً بموقف يتلخص فى: أولاً أن حكومة جلالته لن تسمح بأى انتهاك لاراضيه من قبل الشريف أو أى أحد آخر، وثانياً أن السيادة على الخرمة قضية متروكة لقرار حكومة جلالته. يبدو لى أن هذا واضح تماماً فى تقاريرى... ولكن بينما أحجم متعمداً عن تأييد قناعة ابن سعود بالطبيعة العدوانية لمسلك الملك انتظاراً لقرار من الحكومة فإننى أرى شخصياً أن هذه القناعة تبررها الوقائع. إن رجلاً أرسله الشريف فى الصيف الماضى الى الخرمة لكى يعمل قاضياً تقليدياً محل عالم وهابى أشغل منصبه بورثة غير منقطعة من والده الذى عينه فيصل قبل خمسين سنة. إن ذلك التصرف شكل تحدياً مباشراً للوهابية ترتبت عليه نتائج روناها سابقاً. ومن جانب آخر فإن المندوب السامى يقبل بسرعة رواية الشريف عن تعيين خالداً لمنصب الأمير ويشير له بصراحة باعتباره متردداً. وحيث أن واجبى هنا هو منع غليان التعصب الوهابى ضد الشريف فيجب أن أعرض باحترام أن قبول هذه الفكرة دون تحقيق كامل وعدت به المعاهدة مع ابن سعود يشكل تهديداً خطيراً للسلام<sup>(1)</sup>.

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. 185, Philby, Buraida, to Political, Baghdad, dated 4-9-1918.

وقد درست الحكومة البريطانية مقترحات بغداد والقاهرة حول صيغة الرسالة المزمع توجيهها الى ابن سعود، وأدخلت تعديلات عليها، وطلبت ابلأغ الصيغة النهائية الى قلبى كى يقدمها لابن سعود<sup>(1)</sup>. وكانت تلك الصيغة كما يلي:

١- أننا نلتزم بتعهداتنا بممارسة كل تأثير فى طاقاتنا لمنع الانتهاكات لأراضى ابن سعود، ولكننا نشعر بأن من غير الممكن القطع بوقائع الحالات المنفصلة دون تحيز الى أن تتأقش الحدود الدقيقة لأراضيه وتخطط حسبما اشترط فى معاهدة ديسمبر ١٩١٥.

٢- أن الملك حسين أعطانا تأكيدات مشددة بأن اجراءه ضد شيخ الخرمة العاصى الأمير خالد شأن داخلى وليس موجهاً ضد ابن سعود وأنه لا يضر نوايا عدوانية ضد الأخير.

٣- أن الملك حسين يعد رسالة ودية لابن سعود ويبدو متلهفاً للوصول الى تسوية تشجر حكومة جلالته أنها ذات فائدة عظيمة للجانبين كليهما وللعرب عموماً. لقد عرض الملك حسين أن يزور بنفسه ابن سعود من أجل مناقشة صلح كهذا.

٤- أن حكومة جلالته مستعدة لبذل مساعيها الحميدة للجانبين كليهما من أجل الوصول الى صلح كهذا ومن أجل تسوية سلمية لمشاكلهما الباقية، ولكنها تشعر أن زمن الحرب والعناء الراهن غير ملائم لتسوية نهائية ومرضية لمشاكل معقدة مثل

---

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. 207, Sec. of St. for India to the Viceroy, dated 15-8-1918.

التحديد الدقيق للحدود، وتشعر في الوقت نفسه، وجوب اتحاد القادة العرب كلهم ضد العدو المشترك ووجوب ممارستهم الصبر والتراضى وبذل كل جهد من أجل حصر النزاعات في تعاملهم مع بعضهم البعض.

٥- [فقرة عن تعديل إجراءات الحصار الاقتصادي في الكويت].

٦- أننا سنتأكد من أن مصادر ابن سعود المادية لن تتضرر من جراء أية أعمال حرب يتولاها لصالحنا..."

ووجهت الحكومة تابعيها الى ضرورة أن يكون تزويد ابن سعود بالأموال سخياً. ولكن الأسلحة والذخائر يجب أن تزود بالكميات الدنيا اللازمة للإبقاء على شعوره الودي وسلطته<sup>(١)</sup>.

وحين وصلت هذه الرسالة الى قلبي عرض ترجمتها الشفهية على ابن سعود قبل تقديمها مدونة له. وكان رد فعل ابن سعود الأولي كما سجله قلبي هو: "لقد عبر عن سروره للفقرتين الخامسة والسادسة، وعن إدراكه للصعوبات المذكورة في الفقرتين الأولى والرابعة ولحرص الحكومة البريطانية على إبداء اهتمام أكبر بصيانة مصالح حلفائها العرب. وفيما يتعلق بالفقرة الثالثة عبر عن الأمل في أن تفتح رسالة الشريف سبيلاً لإعادة بناء علاقات ودية وأبدى استعداداً لملاقاته في منتصف الطريق، لم يجب الفقرة الثانية وعبر عن الأمل في أن الحكومة البريطانية سوف لن تسمح بأى هجوم آخر على الخرمة لأن ذلك سيعيد إثارة المشكلة بين قبائل نجد التي هداها بتأكيداته مؤقتاً.

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. 802, Political, Baghdad, to political, Kuwait, dated 19-8-1918.

وبالمناسبة فإنه استلم للتو رسالة الحاح أخرى من الخرمة... منذ رسالة حكومة جلالته الأولى أجد الموقف هنا سهلاً. لقد كانت العاصفة مفاجئة وحادة جداً ولم يتم تخطيطها لحد الآن إذ أن عمليات شاكرا تشكل غيمة مدلهجة في الأفق لن يسمح لها بالتطور كما أتق باخلاص أن هجومياً آخر على الخرمة سيرمى نجداً ثانية في الهياج. وما يجب إدراكه هو أن أغلبية الناس يقضون أكثر من نصف يومهم في صلاة وممارسات دينية أخرى ولا يجب التعامل معهم باعتبارهم أشخاصاً عقلاء تماماً. إن بصائرهم محدودة بشكل يائس ونفوسهم فاسدة بالتعصب. إذا أمكن الوصول لترتيبات مرضية لمشكلة الخرمة فإن الأمل بإعادة تأسيس علاقات جيدة يبدو متألماً بشكل كاف. وإذا كان الملك جاداً في أمر الزيارة فلم لا يرتب اجتماع في المران. إذا كان الحاكمان يستطيعان الوصول معاً إلى تسوية مرضية للحدود فذلك أمر مفضل للغاية...<sup>(1)</sup>.

وبعد أن استلم ابن سعود نص رسالة الحكومة البريطانية مدوناً قدم لقلبي رده الخطي عليها. وكان أبرز ما فيه حسب تلخيص قلبي له هو:

١- إشارة إلى الفقرة الثانية أنه يعترض بشدة على السماح للشريف بمهاجمة الخرمة ويبين أنه حتى لو تخطى عن الاعتراض فإن أهل نجد لن يقبلوا بالوضع. ويتنصل بصورة خاصة من أية مسؤولية عن العواقب إذا ترك الأمر يمضي قدماً.

٢- فيما يتعلق بعرض الشريف زيارته يعبر عن تقديره وامتنانه واستعداده للاجتماع بالشريف ولكنه يخشى أن تستغل حملة مثل

---

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. 173, Philby, Buraida, to Political, Baghdad, dated 27-8-1918.

هذه ستارا لجمع القوات التي ستوجه نحو الخرمة فيما بعد.  
ويرغب أن يشترط أولاً قدوم الشريف مع الحد الأدنى من  
الأتباع اللازمين لظهور هيئته، وثانياً مصاحبة ممثل بريطاني  
مسؤول له".

وعلق قلبي على ذلك بالقول: "بعد إمعان التفكير وبالنظر لخطر  
الصدام المحتمل إذا لم يتم التوصل لاتفاقية مرضية فإنني أوصى  
عموما بعدم تشجيع الزيارة. إن مزاج أهل نجد غير ثابت تماماً وأى  
نقاش ديني بين أتباع الحاكمين يمكن أن ينتهي باضطراب. أوصى في  
هذه الظروف بدراسة المقترحات الواردة في تقريرى المرقم  
(م١٤٧)... ووصلت أخبار اليوم بأن شاكراً المتمركز في المران أصدر  
أمراً بإرسال حملة لجباية الزكاة من ابن حميد وهو شيخ من قبيلة عتيبة  
يدفع الزكاة عادة لابن سعود. قرر ابن حميد بالذهاب مع كل أتباعه  
للانضمام الى أهل الخرمة. وروى أيضاً أن أهالي رانية وبيسه وتثليث  
قد تجمعوا بأعداد كبيرة جدا في الخرمة. أتجراً على الحث بقوة على  
عدم السماح باستمرار هذا الوضع الخطر الى ما لا نهاية. إن لشاكراً أملاً  
ضعيفاً جداً بالفوز وهناك مجازفة خطيرة للغاية بأن تعقب فشل القام  
ثورة دينية واسعة النطاق. ولا أستطيع التأكيد على الأمر بعبارات أقوى  
مما فعلت. إننا نتصرف بطريقة تفضي الى كارثة بتركنا هذا التعصب  
يتطور. إن الوضع سهل حالياً وأمل بجد أن يستفاد من هذه الحقيقة  
بفرض سياسة "رفع الأيدي" مؤقتاً على الجانبين بصورة متماتة"<sup>(١)</sup>.

(1) IOR, R/15/5/25103, NO. M178, Philby, Buraida, to Political, Baghdad, dated 29-8-1918.

ولقد كان للسلطات البريطانية في بغداد رأى مماثل لرأى فلبى حول فكرة الزيارة التي يقوم بها الشريف لابن سعود. فقد كتب المنسوب السامى البريطانى في بغداد حال اطلاعه على الفكرة الواردة في رسالة الحكومة البريطانية مبدياً تشككه في جدية الشريف حسين في تنفيذ تلك الفكرة. وأضاف أنه يعتبر فكرة اجتماع الحاكمين في الظروف الراهنة ليست أمراً غير مرغوب فيه فقط، ولكنه خطر أيضاً<sup>(١)</sup>.

وقد سارعت السلطات البريطانية في القاهرة بالرد على تشكك المنسوب السامى في بغداد بالقول أن فكرة الزيارة جاءت من الملك حسين نفسه في ثنايا رسالة بعثها الى الحكومة البريطانية<sup>(٢)</sup>.

وكانت المقترحات التي ذكر فلبى أعلاه أنه أوردتها في رسالته المرقمة (م ١٤٧) قد أرسلها لمراجعته في الثامن من أغسطس ١٩١٨. ومهد لها بالقول أن ابن سعود موافق بحماس على ترك تسوية كل القضايا المتنازع عليها بينه وبين الشريف لقرار تتخذه الحكومة البريطانية سواء الآن أو في المستقبل شريطة أن لا يثير أحد الطرفين الطرف الآخر بالتحرك خلال ذلك. وذكر أن ابن سعود، من أجل أن يظهر رغبته المخلصة في تنفيذ سياسة الحكومة، ألغى باقتراح من فلبى أوامره السابقة القاضية بمنع بيع الإبل الى الأمير عبد الله بن الحسين، ومضى فلبى يقول: "افترض أن كل جهد سينذل لإيقاف تنفيذ عبد الله لخطه في الخرمة سيوفر فرصة ثمينة لالتقاط الأنفاس، وسينتج عن ذلك فائدة هي تحديد كل جانب لموقفه وتعيين حدود مؤقتة يتحرك كل

(1) IOR, R/15/5/25103, NO. M6766, Political Baghdad, to Pordrome, Cairo, dated 17-8-1918.

(2) IOR, r/15/5/103, No. 787M, Wingate Bacos, Ramleh, to Political Baghdad, dated 18-8-1818.

منهما داخلها. وبافتراض أن محاولة الوصول الى تسوية دائمة غير واردة خلال الحرب فإننى أقترح دراسة الترتيبات التالية: إن نقاط الاحتكاك هي:

١- الخرمة                      ٢- قبيلة عتيبة

٣- تراسل الشريف المباشر رسمياً مع قبائل نجد ولهجة رسائله ورسائل عبد الله لابن سعود

٤- الظلم المزعوم للنجديين المقيمين فى الحجاز.

فيما يتعلق بالفقرتين الأولى والثانية اقترح، دون الحاق أى ضرر مهما يكن بالتسوية النهائية أن ترسم حدود مؤقتة من المران نحو الجنوب الى تربه على طول شعيب شايه بصورة تقريبية وهو الحد الفاصل بين قبيلتى البقوم وسبيع. فما يقع الى الغرب فى هذا الخط، ويضمنه الموقعان المذكوران كلاهما، يعتبر نطاق سلطة الشريف، ويجب على أى من الجانبين ألا يعبر هذا الخط ولا يتدخل لأى سبب كان مع قبائل أو أشخاص فى الجانب الآخر منه. وتقع الخرمة بالطبع شرق هذا الخط. إننى مقتنع أن هذا هو الحد المؤقت الوحيد، وعلى الرغم من أنه يترك القاطنين من قبيلة عتيبة فى سهل الركبة Rakba للشريف فإننى أضمن قبول ابن سعود به إذا قدم له على شكل اقتراح جدى. وفيما يتعلق بالفقرة الثالثة فإن أياً من الفريقين أو أى شخص ينوب عنهما يجب أن لا يتراسل فى أى أمر رسمى مع أية قبيلة أو شخص فى الجانب الآخر من الخط أو مع بعضهما البعض إلا عن طريق الوكيل البريطانى المعين لديه. وفيما يتعلق بالفقرة الرابعة فيمكن

مفاتيحة الشريف على أن تقدم الشكاوى المحددة في المستقبل عن طريق الوكيل البريطاني في جدة من أجل حسمها. وأثق أن ضرورة التحرك بموجب تلك الخطوط سيعترف بها باعتبارها الإمكانية الوحيدة للحفاظ على السلم خلال الحرب لأن الجانبين كليهما سيعرفان بعدها أين يقفان. وبالنظر للتأثير المرضى الذي يحدثه هنا تدخل حكومة جلالتهم المباشر في أمور كهذه، على الرغم من أنني أتوقع تدمرات من جانب ابن سعود ضد التفاصيل، فإنني أوصي، إذا أقر أساس الاقتراح، بوجود إرسال التسوية إلى الجانبين كليهما باعتبارها أوامر نهائية من حكومة جلالتهم يتم التقيد بها بإحكام باعتبارها تسوية مؤقتة خلال فترة الحرب. إنني استنكر أية محاولة أخرى للتفاوض لأنها فقط ستعزز الاحتكاك بينما سيقوى إصدار أوامر بالشكل الذي أقترحه قبضتي على ابن سعود بشكل هائل. إذا لم يتم تحرك للنهوض بأعباء المستقبل فإن الأمور ستتحرف عائدة بصورة محتمة إلى الوضع الخطر الحالي...<sup>(1)</sup>.

وقد علق المندوب السامي البريطاني في القاهرة على مقترحات قلبي هذه بقوله: "إن نقاط الاحتكاك التي حددها قلبي لا تعتبر أسبابا ولكنها نتائج للاختلافات التقليدية والطائفية بين الحاكمين. إن كل واحد منهما سيرحب دون شك بتدخلنا المباشر في نزاعهما شريطة أن يكون لصالحه وأن يكون نافذ المفعول. ولكن في محاولتنا لإقواء التوازن متعادلا يرجح أن نزاع الجانبين كليهما. إن إكراه أحدهما سيكون مشكلة في المرحلة الراهنة. وكان على قلبي عند تقديم مقترحاته أن

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. M147, Philby, Barra, to Political, Baghdad dated 8-8-1918.

يعلم أن حكومة جلالته لم تكف يد الملك حسين عن العمل ضد الأمير المتمرّد في الخرمة، ولكنها استلمت تأكيدات جازمة بأن الحملة الشريفة لن تمتد الى الشرق في الخرمة. تابعت مع الملك قضية مراسلة عبد الله ورجوته أن يمنع اتخاذ إجراء عدائي من قبل عبد الله ومروّسبه انتهاكاً لتأكيداته لنا. في الظروف الراهنة ومع معرفتنا الطفيفة بالأمر القبليّة والجغرافية المحليّة لا أعتقد أن تدخلنا المباشر في قضية الحدود سيؤدي الى أية نتيجة مرضيه. فلن يقبل الملك بالتأكيد خط الحدود المؤقت المقترح. لقد بينت للملك سابقاً أن لهجة بعض رسائله ورسائل عبد الله الى الشيوخ الشرقيين [يقصد شرق الحجاز] كانت غير ملائمة وسيئة الصياغة بشكل لا يؤدي الى تعزيز علاقات جيدة - وسوف أؤكد أيضاً على الضرورة السياسية لإظهاره الرضى للفضل وأفراد عائلته في مكة. إن الوضع معقد وخطر ولكني لا أرى وسيلة ممكنة لتلطيفه سوى الاستمرار على التوضيح للجانبين معاً أن الصالح العام وصالحهما الشخصي يتمثل بمنع اندلاع الصدامات، وسوف نحاول اقناعهما بالتراسل فيما بينهما مباشرة أو عن طريقنا من أجل العثور على حل وسط<sup>(1)</sup>. ويجدر التنويه بأن آل فضل الذين ذكرهم المندوب السامي أنفاً هم عائلة نجدية من بلدة عنيزة كانت مقيمة في مكة وسجن الملك حسين اثنين من أفرادها هما عبد الله بن صالح آل فضل وعبد الله بن محمد آل فضل<sup>(2)</sup>.

وكان الأمير عبد الله خلال ذلك يقوم بحملة اقناع لشيوخ القبائل

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. 1265, Wingate Bacos, Ramleh, to Foreign Office, dated 26-8-1918.

(2) IOR, R/ 15/5/103, No. M112, Philby, Barra, to Political, Baghdad dated 19-7-1918.

وخاصة قبيلة عيزة لتجنيدهم ضمن القوة التي يزعم بها استعادة الخرمة. ولكن الاستجابة لحمته كان طفيفاً مما أوجد شيئاً من الانفراج في جو التوتر المخيم على نجد. إذ أن ذلك ولد قناعة لدى ابن سعود بأن هجوماً آخر على الخرمة من جانب قوات الشريف لم يكن محتملاً. وإن كان قلبى قد ظل على اعتقاده بأن استمرار الشريف شاكر معسكراً على رأس قواته قريباً من الخرمة يؤدي الى بقاء حالة عدم الاستقرار<sup>(1)</sup>.

وقد مر أن المندوب السامى البريطانى فى القاهرة قد اقترح تشجيع الحاكمين المتخاصمين على التراسل فيما بينهما لإيجاد جو من الثقة بينهما، فأقرت الحكومة البريطانية الاقتراح ووجهت قلبى لحث ابن سعود على فعل ذلك. وسجل قلبى ما فعله فى هذا الصدد بقوله: "إن طلباً رسمياً منه لكتابة رسالة الى الشريف كان سيخلق انطباعاً سيئاً. مع ذلك فإننى فى مناقشة للأمر مع ابن سعود رجوته أن يحث نفسه بأية وسيلة ممكنة للمحافظة على علاقات ودية معه. واقترحت، وكأن الاقتراح صادر منى شخصياً، أن رسالة فى هذه المرحلة ربما تعود بخير كثير ولا تضر - ناقش الفكرة فى البداية على أنها مستحيلة نظراً لردود الشريف على رسائله السابقة، ولكنى طلبت منه أن ينعم النظر فى الأمر - وبعد يومين من التفكير قرر دون ضغط إضافى منى أن يقوم بالتجربة - أرسلت الرسالة للشريف اليوم [الرابع عشر من أغسطس 1918]. واعتقد أن ابن سعود الآن قد عمل كل ما هو ممكن للحفاظ على السلم والأمن، وأثق أن الشريف سيمنع فى

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. M147, Philby, Barra, to Political, Baghdad dated 14-8-1918.

تطوير العمل ضد الخرمة الذي سيعجل بالأعمال العدائية بالتأكيد...<sup>(١)</sup>. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن من عوامل ازدياد حدة التوتر بين الزعيمين؛ الموقف الانتهازي الذي كانت القبائل تتخذه كما هو دأبها في أغلب الأحوال. إذ كانت تغير ولاءها من أحدهم للآخر، وتحاول اللعب على حبل التناقض بينهما بما يحقق مصالحها الذاتية. فحين اختلف بعض شيوخ قبيلة عتيبة مع الإخوان في ديسمبر ١٩١٧ ذهبوا للملك حسين وأعلنوا ولائهم له وشكوا له تصرفات الإخوان. ولكنهم ما لبثوا طويلاً حتى اختلفوا مع الحسين فعادوا لابن سعود ومنحوه ولائهم ودفعوا له زكاته وذلك في أغسطس ١٩١٨<sup>(٢)</sup>. ومن جانب آخر فإن قبيلة العجمان التي كانت على عدااء مع ابن سعود سعت لاستغلال الخلاف بين الزعيمين. فقد كتب بعض شيوخها رسالة الى الملك حسين يعلنون ولائهم له وعداءهم لابن سعود. وقد طلب الملك نصح الممثل البريطاني لديه في كيفية الرد على تلك الرسالة. فنصحته ياسيت أن يكون رده اعلماً لهم باستلام رسالتهم ونصيحاً بأن يتصلوا بأقرب سلطة بريطانية إن كانوا يعانون من صعوبات ما<sup>(٣)</sup>. وبالفعل أبلغ الملك مندوبى شيوخ العجمان شفوياً بضرورة مراجعة الممثل البريطانى فى الكويت ووجوب اطاعته لتوجيهاته. وأضاف الملك قوله أن سياسته والسياسة البريطانية متطابقتان<sup>(٤)</sup>.

(1) IOR, R/ 15/5/103, No. M159, Philby, Barra, to Political, Baghdad dated 14-8-1918.

(2) IOR, R/ 15/5/103, No. M147, Philby, Wushaiqir, to Political, Baghdad, dated 18-8-1918.

(3) IOR, R/ 15/5/103, No. A.B. 79, Arbur, Cairo, to Arbur, Baghdad, dated 9-8-1918.

(4) IOR, R/ 15/5/103, No. A.B. 111, Arbur, Cairo, to Arbur, Baghdad, dated 14-8-1918.

لقد نجحت الجهود البريطانية فى نزع فتيل الصدام حول الخرمة مؤقتاً، إذ ظلت القوة الشريفة المعدة لاستردادها بقيادة الشريف شاكراً قتلوا في خطيئتهم فى المران دون أن تقدم على تنفيذ المهمة الموكلة إليها. وبقي الأمر هكذا حتى انتهت الحرب العالمية الأولى بإعلان الهدنة فى الحادى عشر من نوفمبر ١٩١٨. وعندها انتفت حاجة بريطانيا العسكرية الى الملك حسين، فانقلبت سياستها حيال قضية الخرمة رأساً على عقب، وقررت انتهاج سياسة "عدم التدخل" فى مشاكل الحدود بين نجد والحجاز. وبذلك أنارت بريطانيا الضوء الأخضر أمام الزعيمين المتنازعين للجوء الى القوة وامتساق الحسام كى يكون الفيصل فى تقرير مصير الخرمة بل والحجاز كله. وهو تطور حدث بعد المدى الزمنى المحدد لهذا الكتاب فلا مجال للخوض فيه:

## الفصل الثامن

النفوذ البريطاني في العراق بين ١٩٠٨ و ١٩١٤



## □ التمثيل القنصلى والامتيازات القنصلية:

بدأ الوجود الانكليزى فى العراق سنة ١٦٣٥ مع وصول التجار الإنكليز الى ميناء البصرة لأول مرة، وأعقب ذلك حصول شركة الهند الشرقية الإنكليزية على امتيازات تجارية من والى البصرة سنة ١٦٣٩. وكان ذلك الخطوة الأولى فى مسيرة طويلة تعزز خلالها الوجود الإنكليزى تدريجياً حتى غدت ربوع العراق بطول سنة ١٨٦٠ منطقة نفوذ بريطانية يصدق عليها المفهوم المعروف لمنطقة النفوذ: فهناك مصالح وامتيازات وأرجحية تتمتع بها دولة أجنبية فى قعر متأخر فى مضمار المدنية<sup>(١)</sup>.

وحظى البريطانيون نتيجة لذلك بتمثيل قنصلى كبير - فقد كانت لهم فى بغداد قنصلية عامة وهى فى الوقت نفسه مقيمة سياسية، وتعكس هاتان الصفتان طبيعة تطورها التاريخى التى حتمت تبعيتها الإدارية لكل من حكومة الهند ووزارة الخارجية البريطانية فى لندن فى الوقت نفسه. وكانت لهم فى البصرة قنصلية مرت بتطورات عديدة قبل أن تستقر نهائياً بصفتها تلك<sup>(٢)</sup>. وكان للبريطانيين تمثيل فى كربلاء منذ سنة ١٩٠٣ يتولاها نائب قنصل بعد أن كان قبلها يتولاها ممثل قنصلى. وكان يدير تلك النيابة خلال فترة البحث فارس مسلم من رعايا بريطانيا اسمه محمد حسن<sup>(٣)</sup>. وكانت لبريطانيا فى الموصل أيضاً نيابة قنصلية

(١) زكى صالح، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤، بغداد، ١٩٦٨، ص ص ٥٤، ٨٠، ١٧١.

(2) Tuson, Penelope, The Records of the British Residency and Agencies in the Persian Gulf, appendix, "British representation in Turkish Arabia and Iraq, 1635 - 1932", London 1979, pp. 175-7.

(3) IOR, L/p + s/10/212, summary of events in Turkish Iraq during July 1912.

منذ ما قبل منتصف القرن التاسع عشر. وقد تولاهما خلال الفترة المعنية  
المستر غريغ Greig إلى أن خلفه المستر هني Hony فى تشرين الثانى  
١٩١١<sup>(١)</sup>، ولكن تلك النيابة كثيراً ما كانت تدار من قبل الترجمان وهو  
من النصارى المحليين.

ولقد حظيت القنصلية العامة البريطانية فى بغداد بعدة امتيازات ما  
كانت تتمتع بها قنصليات الدول الأخرى، وذلك بحكم قوة الإمبراطورية  
البريطانية حينئذ على الساحة العالمية، وما تحقق لها من مركز متميز  
فى الدولة العثمانية التى كانت تعيش فى هذه الفترة سنواتها الأخيرة  
وهى فى أدنى درجات الضعف قياساً بالدول الأوربية القوية. كانت تلك  
الامتيازات تسبب أحياناً احتكاكات بين السلطات العثمانية فى بغداد  
والقنصلية العامة البريطانية. ومن تلك الامتيازات وجود حرس فى  
الجيش الهندى البريطانى يتولى حراسة القنصلية العامة. ويعود ذلك  
الترتيب الى أيلول سنة ١٨٠٠<sup>(٢)</sup>. وعلى الرغم من تقادم العهد إلا أن  
قدوم حرس جديد لتبديل الحرس السابق كان يثير فى الغالب إشكالات  
متجددة بين السلطات المحلية والقنصل العام المقيم، فقد وصلت إلى  
بغداد فى التاسع والعشرين من كانون الأول - ديسمبر ١٩١١ البلخرة  
النهرية القادمة من ميناء البصرة مفرزة مؤلفة من ضابط (جامدار  
Jamadar) واحد، وستة وثلاثين من ضباط الصف والجنود علاوة على  
ثلاثة من الأتباع. وذلك كى تحل محل المفزة السابقة التى كانت قد

(1) IOR, L7P + S/10/212, Summary of events in Turkish Iraq During November 1911.

(٢) عبد العزيز سليمان نوار، المصالح البريطانية فى انهيار العراق ١٦٠٠ - ١٩١٤، القاهرة،

تونس حراسة المقيمة منذ الأول من نيسان - أبريل من السنة نفسها. ولم تعترض السلطات على نزول أفراد المفرزة من الباخرة مع قادتهم، ولكن موظفي الكمر ك اعترضوا! على انزال واحد وعشرين صندوق رصاص يحتوى كل واحد منها على ألف ومائتى طلقة. كما اعترضوا على ادخال بندقية مارتنى واحدة ذات طلاقات كبيرة مخصصة لاستخدام احارس المناوب فى المقيمة، وعلى بندقية ذات ماسورتين ومعها عشرون طلقة وهى مملوكة للضابط. وإزاء ذلك اضطر الضابط وستة من رجاله للبقاء على ظهر السفينة لحراسة الذخيرة والبندقيتين، حين أبرق المقيم للسفير البريطانى فى اسطنبول يبلغه بالواقعة ويطلب مساعدته فى حل الإشكال بسرعة لأن الباخرة على وشك المغادرة فى رحلة العودة الى البصرة.

تلقى المقيم فى الوقت ذاته استفساراً مكتوباً من والى بغداد عن سبب زيادة عدد المفرزة الى أربعين رجلاً فى حين كان العدد المألوف فى المرات السابقة يتراوح بين خمسة وعشرين إلى ثلاثين رجلاً<sup>(١)</sup>. وحيث أن القضية لم تحسم حتى مغادرة الباخرة فقد رتب المقيم مع مؤسسة لبنج البريطانية المالكة للباخرة أن يتولى القبطان مسئولية الذخيرة والبندقيتين التى ستظل على ظهر الباخرة أثناء انحدارها للبصرة، وعودتها منها الى بغداد ثانية.

وأمر المقيم مفرزة الحرس المستبدلة بالألا تأخذ معها عند مغادرتها صندوقى ذخيرتها الحاويين على ألف وثلاثمائة وستين طلقة. وقد

(١) ذكر أن عدد نولك الحراس يبلغ ستين رجلاً، راجع: عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة،

بغداد، ١٩٦٠، ص ١٧٩.

غادرت المفزة القديمة بغداد بالفعل دون حدوث أى إشكال<sup>(1)</sup>.

واستمر اصرار السلطات العثمانية على موقفها فظلت الذخيرة على ظهر الباخرة تروح وتجيء بها بين بغداد والبصرة، ولم يتسنى إنزالها إلا عند عودتها الى بغداد فى المرة الثالثة، ولقد تسربت القضية للصحافة البغدادية فكتبت صحيفتان تقولان أن مفارز الحرس الجديدة تجلب معها دائماً بنادق وذخيرة الى بغداد، بينما لا تأخذ المفارز المغادرة معها أسلحتها وذخائرها. فأوحى بذلك أن مستودعاً كبيراً للأسلحة والذخائر يؤسس فى المقيمة البريطانية فى بغداد لأغراض سريرة، وأسهب احدى هاتين الصحيفتين فى الحديث عن زيادة عدوانية فى عدد الحرس الذى ذكرت أنه كان مؤلفاً فى الأصل من إثني عشر رجلاً فقط، وقد فند المقيم البريطانى لمراجعة أقوال تلك الصحيفة فذكر أن الحرس حين أنشأت فى أيلول سبتمبر ١٨٠٠ كان يتألف من ضابط واحد وثمانية وعشرون رجلاً وطبال واحد وعازف ناى واحد. ولكن انتقال المقيمة سنة ١٩٠٤ الى مبناها الجديد الذى يتطلب حراسة أكثر استدعى إضافة عدة رجال آخرين للحرس بحيث أصبح عددهم خمسة وثلاثين رجلاً علاوة على الضابط وزيد الحرس بعد ذلك بواقاً آخر، فأصبح العدد ضابطاً وستة وثلاثين ضابطاً صف وجندى. ولمفزة الحرس أيضاً عدة أتباع غير عسكريين يتذبذب عددهم طبقاً للظروف. واعترف المقيم أن الذخيرة التى جلبتها المفزة فى الحالة الأخيرة لم تكن مطلوبة وشحنت من الهند دون علمه. واقترح على حكومة الهند تغيير الاجراء المتبع فى إرسال الذخيرة من أجل تجنب

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during December 1911

كرار الصعوبات<sup>(١)</sup>. ولكنه لم يكشف ماهية التغيير الذى يقترحه.

وقد تجاوزت القضية نطاقها المحلى فى بغداد حين اشتكى الباب  
عالى لدى الحكومة البريطانية مما اكتنف التبديل الأخير لحرس  
المقيمة فى بغداد من ظروف، وفى إقامة مستودع للأسلحة والذخيرة فى  
المقيمة. وقد رد المقيم البريطانى فى بغداد - بناء على أمر من السفير  
البريطانى فى اسطنبول - على تلك الاتهامات، فنفى صحة الإدعاء بأن  
'حرس المستبدل قد ترك بندقه وراءه فى بغداد، واتهم والى بغداد  
لامبالاة جديرة باللوم لعدم إفادته حكومته المركزية عن حقيقة الحال.

وفى لقاء خاص بين الوالى والمقيم جرى فى منزل الأول فى  
سادس من آذار - مارس ١٩١٢ شرح له تاريخ حرس المقيمة  
الأعراف المتصلة به، وهو ما لم يكن الوالى مطلعاً عليه من قبل  
سبب قول المقيم - واعترف الوالى للمقيم أثناء الحديث أن كل ما  
بيده هو اتباع اجراء عند تبديل الحرس لا يعرضه لانتقادات  
صحافة، وحاول المقيم استرضاء الوالى بالقول أن المقيمة تحرم على  
ترسها الظهور فى الشارع العام وهم يحملون السلاح، كما تمنع  
يارتهم للبلدة وهم بملابسهم الرسمية حتى حين يكون فى غير أوقات  
عمل على الرغم من عدم وجود قانون عثمانى يمنع ذلك. فرد الوالى  
على هذه اللفتة بمتابعتها حين لاحظ بسرور أن أفراد الحرس لم يقصروا  
على أداء التحية للضباط العثمانيين حين يصادفونهم فى الشوارع على  
رغم من أنهم يرتدون اللباس المدنى. واقترح المقيم على السفارة  
بريطانية فى اسطنبول وهو ينقل لها ذلك كله إجراء تغيير اختياري

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during January 1912.

فى ترتيبات استبدال الحرس فى المستقبل<sup>(١)</sup>. ولكنه لم يحدد ثانية طبيعة ذلك التغيير المقترح.

ولكن ذلك التغيير المقترح لم يتم فى حينه على ما يبدو — فعندما اقترب موعد تبديل الحرس جرت مراسلات برقية مجددا بين المقيمة فى بغداد والسفارة البريطانية فى اسطنبول وحكومة الهند حول كمية الذخيرة التى يجب على حرس المقيمة الجديد جلبها معه، وقد أسفرت المراسلات عن اتخاذ قرار بأن لا يجلب الحرس معه سوى اثنتين وثلاثين جعبة ذخيرة اسطوانية فقط. وتم بذلك تفضى أى احتكاك مع سلطات الجمرك حين نزلت مفرزة الحرس الجديدة من الباخرة فى الخامس عشر من تشرين الثانى — نوفمبر ١٩١٢، وغادرت مفرزة الحرس المستبدلة فى التاسع عشر منه دون حادث. ولكن والى بغداد كتب للمقيم رسالة "مهذبة" تسأل عن عدد الحرس الجديد وتشكليه. فرد عليه المقيم فوراً معطياً التفاصيل المطلوبة<sup>(٢)</sup>. ولعل ذلك الموقف من قبل ولاية بغداد تجاه عملية استبدال الحرس هذه المرة كان وليدا لسقوط حكومة الاتحاد والترقى فى اسطنبول فى تموز — يوليو ١٩١٢ ولاعتدال شخصية والى بغداد زكى باشا الذى خلف أحمد جمال بك الاتحادى المتشدد الذى ثارت الأزمة السابقة فى عهده وقد عاد نهج التشدد من جديد مع عودة الاتحاديين للسلطة، فحين علمت سلطات الجمرك أن حرس المقيمة البديل سيصل بغداد خلال يومين أو ثلاثة وذلك فى كانون الأول — ديسمبر ١٩١٣ أبلغت المترجم الأول للمقيمة أنها لن تسمح بنزول الجنود مع بنادقهم دون أوامر تتلقاها من الولاية،

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during March and April 1912.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during November 1912.

ولم تتطرق لذكر الذخيرة هذه المرة. وقد أجرت المقيمية محاولات لإنهاء الأمر دون الرجوع الى وكيل الوالى. ولكن مدير الجمرك ظل متمسكاً بموقفه بعناد مبيناً أن البنادق لا يمكن "استيرادها" دون إذن خاص. وعند ذلك رفعت المقيمية الأمر إلى وكيل الوالى الذى كتب حالاً لمدير الجمرك يأمره بالسماح بمرور البنادق والمستلزمات الخاصة بالحرس البديل والمستبدل. فتم أمر الاستبدال بعد ذلك بسلسلة<sup>(١)</sup>.

ويتصل بامتياز وجود حرس هندی للمقيمية فى بغداد امتياز آخر هو مرابطة قارب المدفعية كوميت Comet فى نهر دجلة أمام مبنى المقيمية. وقد ابتدأ العمل بهذا الامتياز منذ سنة ١٨٠٠ أيضاً على الأغلب<sup>(٢)</sup>. وكان ذلك الامتياز يثير ضيق السلطات العثمانية أحياناً مثله مثل الامتياز السابق. وقد علق المقيم البريطانى فى بغداد على ذلك الواقع بقوله أن قضية قارب المدفعية والحرس ستظل قائمة إلى أن تربط بغداد بالخليج العربى سكة حديد تؤمن إرسال نجدة عاجلة فى حالة تعرض المقيمية البريطانية المنعزلة فى الداخل لأى خطر. وأضاف ربما يكون ممكناً عندما يحين الوقت الملائم ترتيب الحصول على تسهيلات إقامة مطار للمقيمية لتعويض خسارة كوميت. ولكنه أوصى بأن تبقى كافة امتيازات المقيمية فى بغداد، مثل الحرس وقارب المدفعية، مصانة دون مس نظراً لتزايد الوجود الألماني فى العراق

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during November and December 1913 and January 1914. .

(٢) نوار، المرجع نفسه، ص ٣٠ - والطريف أن أهل بغداد كانوا يسمون ذلك القارب 'مركب كبد'، راجع: العلاف، المرجع نفسه، ص ١٨٠.

وخطط ألمانيا لبناء قنصلية ضخمة فخمة في بغداد<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ في هذا الصدد أن المقيمة البريطانية في بغداد لم تكن تكثف بالتمسك بامتيازاتها الموروثة بل تحاول استغلال الفرص السانحة لتوسيعها، فقد حاول المقيم - بموافقة السفير البريطاني في اسطنبول في آذار - مارس ١٩٠٩ الحصول على موافقة والي بغداد على قيام كوميت برحلة الى سدة الهندية صعوداً في نهر الفرات في القرنة بحجة نقل السير ولیم ويكلوكس من أجل تفتيش مشاريع الري هناك. وقد انطلق الأمر على الوالى في البداية حين صرح بأنه لا يجد اعتراضاً على ذلك بشرط عدم تحمله أى مسئولية عن تصرف العشائر في ولاية البصرة تجاه القارب. فرد عليه المقيم الكولونيل رامس مبيناً عدم وجود ما يخشاه من العشائر إذا تلتقت السلطات في البصرة أمراً بأن لا تكون معيقة للرحلة. وعند هذا انتبه الوالى الى ضرورة الحصول على موافقة الصدر الأعظم على الفكرة. وقد رد الصدر الأعظم بالاعتراض على ذهاب ويلكوكس بالقارب كوميت وفضل أن يستأجر مركب غيره. وعلى الرغم من أن المقيم هجر فكرة القيام بتلك الرحلة إلا أنه رأى أنها حققت للبريطانيين كسباً جديداً وهو عدم اعتراض السلطات العثمانية في بغداد واسطنبول على "حق" كوميت في الإبحار في نهر الفرات، حيث انصب اعتراضها فقط على فكرة السماح لموظف عمل لديها باستعارة القارب من المقيم البريطاني.

وأعلن المقيم عزمه حين يذهب للبصرة على أخذ كوميت لمسافة صغيرة صعوداً في نهر الفرات بحجة ظاهرية هي القيام برحلة صيد،

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during March and April 1912.

ويهدف مضمراً وهو جعل موظفي ولاية البصرة معتادين على رؤية كوميته تتعدى القرنة مبحرة شمالاً في نهر الفرات<sup>(١)</sup>.

وكان للمقيمة البريطانية في بغداد - أسوة ببقية القنصليات - قواسون تعينهم من السكان المحليين - وهم فراشون ومراسلون ينقلون المراسلات بين المقيمة ودوائر الدولة وغيرها. وكان عددهم أثنى عشر قواساً<sup>(٢)</sup>. وقد خصصت المقيمة لقواسيها زياً خاصاً يرتدون، ولكن والى بغداد الجديد حسين ناظم باشا اعترض على ذلك الزى بعد وصوله الى بغداد في مايو ١٩١٠. إذ وجه للمقيم رسالة رسمية طلب فيها إلغاء زى القواسين الحالي واستبداله بأخر من الطراز المستخدم لدى القنصليات البريطانية في غرب الدولة العثمانية. وبرر الوالى طلبه بتشابه الزى الحالي مع زى الجنود العثمانيين مما يخشى معه أن تنشأ عرضاً حادثة مؤسفة. فرد المقيم على ذلك الطلاب بالقول أن ذلك الزى قد استخدم لسنوات سابقة ولم تحدث خلالها أية حادثة غير مقبولة. وأعرب عن ثقته في أن الوالى لن يصر على الأمر لكون تغيير الزى سيكون مكلفاً<sup>(٣)</sup>. وكان المقيم في جوابه هذا مراوفاً إذ لم يذكر فيه أن أمر استبدال زى القواسين كان بالفعل مدار بحث في السفارة البريطانية في اسطنبول قبل أن يرسل الوالى رسالته. ولعله أراد عدم تقديم تنازل للوالى منذ أول وهلة، وفضل استبقاء الأمر معلقاً حتى تأتي فرصة تالية يساوم بها على هذا الأمر بدلاً من الاستجابة المجانية لطلب الوالى.

(1) IOR, R/15/5/7 Turkish Arabia, Memo. For March 1909.

(٢) العلاف، المرجع نفسه، ص ١٧٩.

(3) IOR, L/P + S/10/188 Summary of events in Turkish Iraq during April and May 1910.

لذا فإنه استغل زيارة سكرتير الوالى له فى الثلاثين من حزيران - يونيو ١٩١٠ للتباحث فى قضية أخرى، فعبر له عن سعادته لأنه يستطيع تلبية رغبة الحكومة العثمانية بتغيير زى القواسين، دون أن يذكر له أنه يفعل ذلك بناء على توجيهات تلقاها من سفارته. وقد رد السكرتير على هذه المبادرة بالقول أن عدة تعديلات مظهرية يمكن أن تكون كافية لجعل القواسين مميزين بسهولة عن الجنود الحكوميين، واقترح أن يتم تقرير تلك التعديلات بالتشاور فيما بينهما<sup>(١)</sup>.

وتمتعت القنصلية العامة البريطانية فى بغداد بامتياز آخر هو وجود مكتب بريد تابع لها يتقبل الرسائل والطرود من الجمهور، وكانت احدى بواخر شركة لنج البريطانية مخصصة لنقل البريد فى أوقات محددة، حيث كانت ترسو أمام مبنى القنصلية العامة وتنقل البريد منها مباشرة<sup>(٢)</sup>، ومقابل ذلك كانت الحكومة البريطانية تدفع للشركة مبلغ ستمائة جنيه استرليني سنوياً.

وعلى الرغم من فرض غرامة تأخير مقدارها جنيه واحد عن كل ساعة تأخير فى وصول البريد، إلا أن ذلك لم يحل دون حدوث تأخير معتاد يتراوح بين يومين وأربعة أيام. وقد جعل ذلك البريد العثمانى عبر حلب أسرع من البريد البريطانى، إذ كانت رسالة من لندن تصل عبر البريد الأول خلال تسعة عشر أو عشرين يوماً، فى حين يستغرق وصولها عبر البريد الثانى ما بين سبعة وعشرين وتسعة وعشرين يوماً وأحياناً أكثر. ومع ذلك كان التجار يفضلون الثانى لأنهم لا يأتمنون

(1) IOR, L/P + S/10/188 Summary of events in Turkish Iraq during June 1910.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during December 1911.

البريد العثماني على أوراقهم ووثائقهم المهمة كما كانت بعض  
القنصليات الأجنبية العاملة في بغداد تحبذ استخدام البريد البريطاني  
لإرسال مراسلاتها إلى أوروبا<sup>(١)</sup>.

ولقد كانت السلطات العثمانية غير مرتاحة لوجود ذلك البريد  
الأجنبي الى جانب بريدها الرسمي، فحاولت اقناع الحكومة البريطانية  
بالغاء مكاتب البريد التابعة لها في الدولة العثمانية. وحين علم القنصل  
العام البريطاني في بغداد بأمر تلك المفاتحات أبرق في حزيران -  
يونيو ١٩١٣ مطالباً حكومته بعدم الموافقة على إغلاق مكاتب البريد في  
بغداد والبصرة حتى لو وافقت على مبدأ الإلغاء في أماكن أخرى في  
الدولة العثمانية، باعتبار أن هذين المكتبين امتياز مكتسب لا يجوز  
التنازل عنه<sup>(٢)</sup>.

وقد حرص المقيم على تطوير عمل البريد البريطاني في بغداد  
فخصص له في تشرين الأول - أكتوبر ١٩١٣ غرفتين كبيرتين بدلا  
من غرفة واحدة في مبنى القنصلية العامة، كما زيدت شبابيك استلام  
المراسلات من الجمهور. وذكر أن إحدى فوائدها التطوير هي  
تخصيص غرفة منفصلة للرسائل وأخرى للطرود، وبذلك فإن ممثلي  
الجمارك العثمانية لا يسمح لهم بالدخول إلا للغرفة الأخيرة<sup>(٣)</sup>. ويدل  
هذا على أن حق الإشراف الحكومي العثماني كان مقصورا على  
الطرود فقط.

أما الرسائل فكانت حرة من أى تدخل - وظل البريطانيون خلال

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during February 1912.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during June 1913.

(3) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during October 1913.

ذلك يسعون الى تمكين بريدهم من منافسة البريد الرسمى العثمانى. فقد ذكر المقيم البريطانى أن المستر سميت Smith مساعد مدير عام بريد بومباى قضى عشرة أيام فى بغداد فى كانون الثانى يناير ١٩١٤ للتحقيق من حالة مكتب البريد البريطانى غير المرضية، وأضاف أن البريد العثمانى بين حلب وبغداد وبالعكس تطور كثيرا فى الأونة الأخيرة، وحظى بإقبال أكثر من أولئك الذين يتراسلون مع أوروبا. بينما كانت هناك شكاوى من بطء تسليم الرسائل فى مكتب البريد البريطانى<sup>(١)</sup>.

وقد ظل مكتب البريد البريطانى فى بغداد ومثيله فى البصرة الذى كان أيضا يشغل غرفة فى مبنى القنصلية البريطانية هناك يمارسان أعمالهما الى ما بعد قيام الحرب العالمية الأولى فى ميدانها الأوروبى. وفى الحادى والعشرين من أيلول سبتمبر ١٩١٤ أخبر مدير البريد العثمانى مسئول البريد البريطانى فى البصرة بلزوم إغلاق مكتبه فى موعد أقصاه الأول من تشرين الأول - أكتوبر ١٩١٤<sup>(٢)</sup>. وقد أكد السفير البريطانى فى اسطنبول على ضرورة الاستجابة لذلك الأمر بإغلاق المكتب وإزالة لوحاته الخارجية بحلول مساء الثلاثين من ذلك الشهر. وذكر مع ذلك أنه يحاول الحصول من السلطات العثمانية على مهلة انتقالية لتصفية الأعمال الجارية - ولكن السفير طلب إخبار والى البصرة بأن الاستجابة لأمر إغلاق المكتب لا يجب اعتبارها تخليا عن حق مستند إلى معاهدة تعترف الحكومة البريطانية التمسك بحقوقها

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during Dec-1913 and Jan 1914.

(2) IOR, L/P + S/10/463 Summary of events in Turkish Iraq during November and Dec- 1913 and Jan. 1914.

الناشئة عنها، لكنها استجابة مؤقتة لحين حل المشكلة بالطرق الدبلوماسية المعهودة<sup>(١)</sup>. ولم يحل ذلك الموقف البريطاني المرن دون إقدام السلطات العثمانية في العراق على اتخاذ إجراءات قوية ضد البريد البريطاني. فقد أبلغ القنصل الأمريكي في بغداد سفارته في العاشر من تشرين الأول - أكتوبر ١٩١٤ إن أفراداً من القوات الحكومية صعّدوا على ظهر باخرة شركة لنج المسماة "خليفة" واستولوا على البريد البريطاني عنوة<sup>(٢)</sup>.

وكان للقنصلية العامة البريطانية امتياز آخر هو وجود محكمة خاصة بها تدعى The Baghdad Political court وتتنظر في قضايا المتهمين البريطانيين، وكانت تعقد جلساتها أحياناً برئاسة مساعد المقيم السياسي البريطاني في بغداد وبحضور مستشارين من الأوربيين المقيمين في بغداد، وتقرن أحكامها بمصادقة المحكمة العليا البريطانية في ممتلكات الباب العالي العثماني The supreme court ومقرها في اسطنبول، ويسجن من تقضى المحكمة بسجنهم في سجن موجود داخل القنصلية العامة بشكل مؤقت إلى أن يتم ترحيلهم إلى أحد السجون الهندية تحت حراسة أفراد من القنصلية العامة<sup>(٣)</sup>. وكان يحدث في بعض الأحيان أن يأتي أحد قضاة المحكمة العليا في اسطنبول كي يتولى رئاسة جلسات المحكمة الإقليمية في بغداد<sup>(٤)</sup>. وكانت تلك المحكمة تتمتع بحق استدعاء رعايا عثمانيين للمثول أمامها للإدلاء

(1) IOR, L/P+S/10/364, tel. From H.B.M's. Amb., Const., to the Viceroy dated 26-9-1914.

(2) N°A - R-S., RG 84, B.C.P., file No. 885, No. E-36, The Am-Com. Bag., to the Am-Amb., Coust., dated 16-10-1914.

(3) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during September 1913.

(4) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during May 1913.

بشهاداتهم. وقد خولت ولاية بغداد في حزيران يونيو ١٩١٠ القنصل العام البريطاني في بغداد حق استدعاء أولئك الشهود مباشرة دون حاجة للرجوع الى الولاية أولاً، وتعهدت الولاية أيضاً بأنها ستتخذ خطوات لإجبار أولئك الشهود على المثول أمام المحكمة إذا رفضوا الاستجابة لاستدعائها لهم حين يخبرها القنصل العام بذلك الرفض. ولكن القنصل العام مقابل ذلك التنازل الذي قدمته له سلطات الولاية لم يتنازل لها تنازلاً بسيطاً بالمقابل، فقد طلب والى بغداد من القنصل العام برسالة مؤرخة في الرابع عشر من الشهر نفسه قبول مراسلات الدائرة العديلية العثمانية التي ترده مباشرة دون حاجة لمرور تلك المراسلات على مكتب والى كما هو متبع سابقاً. ورد القنصل العام عليه أنه يقبل ذلك مؤقتاً فقط لحين استلام تعليمات السفير البريطاني فى اسطنبول الذى رفع الأمر له للنظر فيه<sup>(١)</sup>.

ولقد كانت القنصلية العامة البريطانية فى بغداد حريضة غاية الحرص على عدم التفريط بأى من امتيازاتها تلك. إذ كتب القنصل العام البريطانى فى بغداد بهذا الصدد قائلاً: "... إن المقيمة البريطانية هنا يجب أن تظل كل امتيازاتها مصانة غير ممسوسة مثل الحرس الحربى وقارب المدفعية الى أن نرى المقياس الذى ستكون به الترتيبات النهائية للحكومة الألمانية فى هذا القطر..."<sup>(٢)</sup>. وكانت فى الوقت نفسه حريضة على تحصين المؤسسات القنصلية البريطانية والعاملين بها من غير البريطانيين، ضد أى تصرف حكومى تعده متجاوزاً على حرمتها أو مقللاً لهيبة بريطانيا ومكانتها. فقد قام — على سبيل المثال — بعض

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during June 1910.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during March and April 1912.

الدرك في مدينة الموصل باقتحام منزل ترجمان: نائب القنصل البريطاني هناك، وهو نصراني محلي اسمه رسام. وترتب على ذلك أن اجتمع القنصل العام البريطاني في بغداد ونائب القنصل في الموصل في العاشر من ايس - مايو ١٩١٠ مع والي الموصل محمد فاضل باشا الداغستاني في مكتبه. وتجاوب والي مع الشكوى لحد أدهش القنصل العام نفسه حيث سمح له باستجواب ضابط الدرك المعنى أمامه. واتضح من الاستجواب أن الدرك دخلوا منزل رسام وهم مدركون أن عملهم غير نظامي. واقترح القنصل بعدها على والي أن يأمر مرتكبي الحادث بالاعتذار رسمياً لنيابة القنصلية بحضور شهود محترمين يختارهم القنصل العام، ولكن والي رفض ذلك الاقتراح.

وقد علق القنصل العام وهو ينقل ذلك كله بالقول: "إن هدف السلطات التركية من وراء عملها كان دون شك إلقاء القبض على مار إيليا، وليس إظهار الاستخفاف بالحكومة البريطانية. ولكن بالنظر للنزعة المتنامية نحو تجاهل الامتيازات القنصلية والتي كان لها في بغداد مؤخراً مثل أو مثلان يبدو من المرغوب فيه طلب ترضية حقيقية في الحالة الحاضرة". وذكر بأوامر وصلت من اسطنبول للسلطات المحلية في مطلع ذلك العام تقضى بتسهيل أعمال القنصليات الأجنبية ومعاملتها باحترام.

كما وصلت تأكيدات برقية الى بغداد يومي الحادي عشر والسدس عشر من ايس - مايو ١٩١٠ شدد فيها وزير الداخلية على ضرورة مساندة الدول الأجنبية لأن التباحث جار معها في اسطنبول

حول أمور مهمة. وأعرب القنصل العام في اعتقاده بأن الأمور المهمة التي عناها الوزير هي المتصلة بمشكلة جزيرة كريت<sup>(١)</sup>.

وترتب على ذلك أن زار الوالي في الثاني عشر من حزيران - يونيو ١٩١٠ بموجب أوامر تلقاها من وزارة الخارجية العثمانية نائب القنصل البريطاني في الموصل وعبر له عن الأسف على انتهاك حرمة منزل السيد رسام. فاستدعى نائب القنصل رساما وأخبره بحضور الوالي عن الأسف الذي عبر عنه الأخير. وبذا اعتبرت القضية منتهية<sup>(٢)</sup>.

ويلاحظ أن مندوبي السلك القنصلي البريطاني لم يكونوا بالمقابل يتورعون في بعض الأحيان عن انتهاك القوانين والأنظمة العثمانية دون وجل أو تردد. فقد حدث أن قام المستر هني Hony نائب القنصل البريطاني في الموصل في أيلول - سبتمبر ١٩١٢ بجولة في بعض أنحاء الولاية - وبينما كان مخيما في إحدى الليالي بجوار إحدى القرى في جبال الناطرة سطا عليه بعض السراق ونهبوا منه خرجا يحتوى أشياء قيمتها حوالي خمسة جنيهات استرلينية، ولم يتبع نائب القنصل القناة القانونية المعتادة لمعالجة المشكلة وهي أخبار اقرب سلطة حكومية، بل أناط بنفسه سلطة تنفيذ القانون كفيما فاستدعى في الصباح كافة سكان القرية وطلب إعادة مفقوداته فورا، وحيث لم يلب طلبه صادر بنقدية وثلاثة خناجر من القرويين مبينا لهم أنه سوف يعيدها لهم إذا أعادوا له حاجياته المسروقة، ومضى بعدها مواصلا رحلته.

(1) IOR, L/P + S/10/188 Summary of events in Turkish Iraq during April and May 1910.

(2) IOR, L/P + S/10/188 Summary of events in Turkish Iraq during June 1910.

أما القرويين فقد شكوه لزعيمهم المحلى وهو أغا كردى اسمه مرزا على. وقد استنفر الأغا أتباعه ولاحقوا نائب القنصل والقواس الذى كان معه حتى أدركوهما واستطاعوا انتزاع بندقية القواس. وأعقب ذلك إطلاق النار بين الجانبين أصيب خلاله الأغا بجرح بليغ. وتمكن نائب القنصل وقواسه من الانسحاب سالمين. وبعد أن وصل فى اليوم التالى الى بلدة جولامرك Julamerk شكا نائب القنصل أولئك القرويين لدى قائمقامهما. واتهم نائب القنصل فى تقريره عن الحادث ذلك القائمقام بأنه كان متحيزا ضده فى التحقيق الذى أجراه لكونه كرديا وضابطا حميديا اتحادى النزعة. وعلى الرغم من تلك الاتهامات قام القائمقام بتخصيص ثلاثة من الضبطية رافقوا نائب القنصل حتى أوصلوه الى مدينة الموصل<sup>(1)</sup>. ولم يرد بعدها ما يدل على أن السلطات العثمانية أبدت امتعاضها من سوء تصرف نائب القنصل وخرقه للقوانين السارية فى الدولة.

وكانت السلطات العثمانية مغلولة اليدين حتى حين تدخل على نظامها القضائى تعديلا تتطلبه الظروف. إذ سرعان ما كان البريطانيون يعارضونه بحجة أن ذلك التعديل يتناقض مع نظام الامتيازات الأجنبية. فحين ألغيت السلطات العثمانية فى ربيع ١٩١٤ المحاكم التجارية التى كان يحضرها بموجب نظام الامتيازات مستشارون أجانب وأحالت صلاحياتها الى محكمتى الصلح والبراءة أعلن القنصل العام البريطانى فى بغداد بمقتضى تعليمات تلقاها من السفير البريطانى فى اسطنبول رفضه الاعتراف بذلك الإجراء.

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during September 1912.

فرضت السلطات العثمانية للضغط البريطاني واختارت حلاً وسطاً للمشكلة تنتظر بمقتضاه القضايا التي قيمتها عشر ليرات تركية أو أقل أمام محكمة الصلح بحضور مترجم القنصلية البريطانية باعتباره مراقباً. بينما تنتظر القضايا التي تزيد قيمتها عن ذلك المبلغ أمام محكمة البراءة التي تعقد بحضور مستشارين أجانب حين يكون أحد طرفي القضية بريطانيا<sup>(1)</sup>.

ولم تكن القنصلية العامة البريطانية، تشاركها في ذلك بقية القنصليات الأوروبية، تقدر حتى الظروف الاستثنائية التي تملى على السلطات العثمانية أحياناً اتخاذ قرارات فيها شيء من المس بالامتيازات القنصلية. فقد أملت ضرورات الحرب بين الدولة العثمانية والتحالف البلقاني على السلطات في بغداد اتخاذ قرارات السابع من شباط - فبراير ١٩١٣ يقضى بعدم إيراد برقيات مشفرة أو رمزية بالبرق العثماني حتى ولو كانت مرسلّة من القناصل الأجانب العاملين في بغداد إلى سفاراتهم في اسطنبول.

وحين علم القنصل العام البريطاني بذلك بعث على الفور رسالة إلى والي بغداد يطلب فيها تفسيراً. فرد والي بأن إدارة البرق تلقت أوامر بهذا الصدد من اسطنبول، ووصف والي نفسه منع ممثلي دول صديقة ومحايدة من التراسل بشكل مكتوم مع سفرائهم بأنه خطوة خطيرة للغاية، ووعده بأن يرفع الأمر على الفور إلى وزير الخارجية. أما القناصل الأجانب فقد اجتمعوا من جانبهم في التاسع من الشهر نفسه في منزل القنصل العام الروسي، وكان وقتها عميد السلك القنصلي في

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during February and March 1914.

بغداد. وصاغوا احتجاجا جماعيا للوالى بينوا فيه أن قرارا مهما للخباية مثل ذلك القرار كان يجب على الولاية أن ترسله لكل واحد منهم بدلا من أن يعلموا به من دائرة البرق بعد المراجعة، وقد تراجعت السلطات العثمانية فى قرارها ذلك فى الرابع عشر من الشهر نفسه<sup>(١)</sup>.

### □ رعاية المصالح التجارية البريطانية:

لم يكن وجود شبكة التمثيل القنصلى البريطانى فى العراق يستهدف ابراز مكانة بريطانيا وهبتها فى القطر فقط، ولا حماية وتعزيز الامتيازات التى يتمتع بها ذلك التمثيل فحسب، ولكنه وجد فى الأساس لخدمة المصالح البريطانية فى العراق والسعى من أجل تطويرها وتنميتها. ولعل من أهم أوجه تلك الخدمة رعاية مصالح المؤسسات البريطانية العاملة فى العراق وتذليل الصعوبات التى تنشأ بينها وبين الدوائر الحكومية العثمانية المختلفة.

ولقد كان عدد الشركات التجارية الانكليزية العاملة فى بغداد فى مطلع القرن العشرين سبع شركات علاوة على شركة لنج الملاحية. كما كانت هناك أربع شركات هندسية ثلاث منها فى بغداد<sup>(٢)</sup>. وتظهر الوثائق المتاحة أن القنصلية العامة البريطانية فى بغداد ومن ورائها من السفارة البريطانية فى اسطنبول والخارجية البريطانية فى لندن كانت تقدم لتلك الشركات دعما محدود حتى فى القضايا التى تدخل فى صميم عمل الأجهزة الإدارية العثمانية. فحين أقدمت السلطات البلدية فى بغداد

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during February 1913.

(٢) لوريمر، ج. ج. ن دليل الخليج، القسم الجغرافى، ترجمة ونشر ديوان أمير دولة قطر،

الدوحة، دت، ج٣، ص ص ١٠٨٣ - ١٠٨٤.

سنة ١٩١٠ - ١٩١١ على هدم بعض العقارات من أجل شق شوارع جديدة، طالت تلك الهدميات بعض العقارات المملوكة لشركات ورعايا بريطانيين، وقد أثارت السلطات البريطانية زوبعة كبيرة بسبب ذلك لم تنته إلا بإذعان السلطات العثمانية لدفع التعويض الذي حدده البريطانيون<sup>(١)</sup>.

وكان أحد الرعايا الهنود البريطانيون واسمه عبد العلى آدامجى يملك مؤسسة فى بغداد اسمها عبد العلى إخوان، وقد أنشأت تلك المؤسسة معملى تلج أحدهما فى الرصافة والآخر فى الكوفة، علاوة على معمل مماثل فى مدينة كربلاء. ولم يكن ينافس هذان المعملين فى بغداد إلا معمل التلج العائد للبلدية؛ وهو معمل ذو طاقة إنتاجية صغيرة، وبعد وصول والى بغداد الجديد حسن ناظم باشا أصدر قرارا فى تموز - يوليو ١٩١٠ بعدم بيع التلج بأكثر من عشر بارات<sup>(٢)</sup> للكيلو جرام الواحد. ورأى القنصل العام البريطانى فى بغداد فى رسالة وجهها السفير البريطانى فى اسطنبول أن السعر المحدد استبدادى منخفض جدا لأن مؤسسة عبد العلى إخوان كانت تصل بأسعارها فى المواسم السابقة لحد خمسين أو ستين بارة للكيلو غرام، على الرغم من أن دخولها منافسة لمعمل البلدية أسهم فى انخفاض أسعار التلج لأن ذلك المعمل كان يبيع انتاجه قبلها بما يصل الى ثمانين بارة أحيانا. وقال القنصل العام أنه تحرى عن السند القانونى الذى بنى عليه الوالى قراره فوجد

(١) أعدت بحثا منفردا لهذا الموضوع بعنوان "قصة شارع الرشيد".

(٢) "البارة" كلمة فارسية تعنى القطعة وهى تساوى ٤٠/١ فى القرش الصحيح. عباس العزاوى،

تاريخ النقود العراقية لما بعد العهد العباسية، بغداد، ١٩٥٨، ص ص ١٤٦-١٤٧.

أنه نص المادة الثالثة في قانون البلديات المحلية الذي خول البلديات حق تنظيم أسعار بعض المواد الضرورية مثل الخبز. ولكن ذلك النص برأيه لا ينطبق على الثلج الذي هو سلعة كمالية لا ضرورية. وعلل القنصل العام خطوة الوالى بأنها سعى وراء كسب شعبية رخيصة، خاصة بين الضباط الترك الذين وصلوا بغداد فى الآونة الأخيرة بأعداد كبيرة. وطالب فى الختام بتدخل السفير لدى الحكومة المركزية لأن الأمر يؤثر على أعمال كل البريطانيين من مالكي الآليات مثل مؤسسات ستيفن لنج Stephen Lynch وبلوكى وكرى Blokey and Cree وبلينى وسولمون Blaney and Solomon<sup>(1)</sup>.

وقد فاتح السفير الجهات العليا المسؤولة فى اسطنبول بالأمر وشفع مفاتحاته بمذكرة قدمها الى الباب العالى استعرض مسار المشكلة بين سلطات ولاية بغداد ومؤسسة عبد العلى إخوان بالشكل الذى أطلعته عليه القنصل العام وأضاف أن سلطات ولايته حين فشلت فى إجبار المؤسسة على بيع ثلجها بالسعر المحدد سلكت طريقا أخرى لمعاقبته. إذ طلبت من القنصل العام البريطانى فى بغداد معاونتها فى إجبار المؤسسة على إغلاق معملها فى بغداد باعتبارها مشيدين داخل المدينة انتهاكا لبنود قانون سنة ١٨٦٤ فأصبح القنصل العام ضد اتخاذ أية خطوة كهذه لأنها تستند إلى إساءة تفسير كاملة لذلك القانون الذى ينظم عمل المكائن البخارية والمراجل فقط، بينما يدار معملا ثلج المؤسسة بمكائن نفطية غير ذات دخان وليست خطيرة. وطلب من الولاية إحالة القضية الى اسطنبول حينما علم أن مفاتحات السفير البريطانى هناك أثمرت فى

(1) IOR, L/P + S/10/188, No. 768/38, Con-Geu-Lorimer to Sir G.Lowther, Dated 3-9-1910.

استحصال قرار من الحكومة المركزية يقضى بإيقاف كافة الإجراءات ضد المؤسسة لحين إعادة النظر في القضية. وخلصت مذكرة السفير الى مطالبة الباب العالي بتوجيه ولاية بغداد للكف عن أى تدخل فى أعمال مؤسسة عبد العلى إخوان وتعويضها عن الخسارة التى لحقت بها من جراء إجبارها على بيع الثلج بعشر بارات للكيلو غرام خلال المدة الواقعة بين الثانى والعشرين من تموز - يوليو والرابع والعشرين من أيار - أغسطس. وقدرت المذكرة تلك الخسارة بمبلغ مائتى وثمانية وعشرين ليرة تركية<sup>(1)</sup>. وظلت قضية التعويض تلك معلقة بين الجانبين، وظل البريطانيون يصرون على دفع التعويض لأنهم كانوا يرون ذلك ضمانا لعدم معاناة التجارة البريطانية والأملاك البريطانية غير المنقولة من أى تدخل حكومى عثمانى على حد ما كتب القنصل العام البريطانى فى بغداد فى كانون الثانى - يناير ١٩١٢<sup>(2)</sup>.

ولم تكن محاولة سلطات ولاية بغداد تطبيق بنود قانون ١٨٦٤ قاصرة على معملى عبد العلى اخوان، ولكنها طالت مؤسستين بريطانيتين أخريين عاملتين فى بغداد، هما مؤسسة بلوكى وكبرى وشركاهما ومؤسسة بلىنى وسولمون. إذ أخطرت السلطات تلك المؤسستين بوجوب نقل معلميها إلى أطراف المدينة على الرغم من أن المعلمين يدارن بمحركين نفطيين لا يبعثان دخانا كثيرا ولم يكونا خطرين على السلامة العامة. وقد رفع القنصل العام البريطانى القضية الى مراجعه العليا حتى وصلت لوزير الخارجية السير إدوارد وجرى، فكتب رسالة فى السابع عشر من تشرين الأول - أكتوبر

(1) IOR, L/P + S/10/188 No. 756, Sir G.Lowther to Sir Edward Grey, dated 21-10-1910.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during February 1912.

١٩١٠ الى السفير البريطاني فى اسطنبول موجها إياه الى إخبار الحكومة العثمانية "بعدم وجود أى أساس مهما كان لتطبيق قانون ١٨٦٤ على هذين المعلمين، كما أن تطبيقه سيكون أمرا غير معقول كليا ومرهقا جدا للمؤسستين، وأضاف أنه يجب أن تصر سعادتك على ترضية تمنح لكل الرعايا البريطانيين وأن تقدم لهم الحماية الكاملة والفعالة فى حكومة جلالته التى لا يمكن أن تعترف باستمرار الذى وقع عليها. ويجب ان نضيف القول أن حكومة جلالته لا يمكن التوقع منها قبول العجز الذى عبر عنه وزير الخارجية العثمانية حيال الإجراءات اللاتشرعية لسلطات بغداد، وأن عجزا مثل هذا من جانب السلطات المركزية يعد تنازلا من الحكومة عن حقها..."

ويعد أن أشار السير غرى لقضايا أخرى مثل أعمال هدم بعض ممتلكات الرعايا البريطانيين فى بغداد من أجل شق شارع جديد وقضية عبد العلى اخوان والوضع فى الخليج العربى والنزاع بين الشيخ خزعل وسلطات ولاية البصرة، قال: "إن هذه الوقائع التى كانت كل واحدة منها بمفردها سبب لدهشة مؤلمة لحكومة جلالته قد خلقت بتأثيراتها المتركمة انطباعا غير ملائم حول الموقف الحالى للسلطات المحلية العثمانية، وهو موقف يظهر إنه موقف عدااء واستفزاز. إن حكومة جلالته لا يمكنها التصديق بأن هذا الموقف قد حاز موافقة الحكومة المركزية أو إنه بنى على أوامرها المحددة. لذا فقد قررت توجيهك لإرسال ترجمة هذه الرسالة الى وزير الخارجية من أجل أن يعلم سعادته بشكل تام بأراء حكومة جلالته وأسباب شكواها. وباتخاذك هذه الخطوة يجب على سعادتك بيان أن حكومة جلالته قد قررت إجراء

مفاتيح ودية معتقدة بأن الحكومة العثمانية ستصف المظالم المشار إليها لأن وضعها بالغ الخطورة للغاية سينشأ بالطبع إذا ثبت أنها كانت نتيجة لسياسة عدائية متعمدة<sup>(1)</sup>.

وقد نفذ السفير تلك التوجيهات، ثم اجتمع مرة أخرى في الحادي والثلاثين من الشهر ذاته مع رفعت باشا وزير الخارجية العثماني، وأعاد طرح موضوع الإجراءات التي طالت الرعايا البريطانيين في بغداد، وأخبره أن تلك القضايا وقضايا أخرى انتجت بتراكمها انطبعا سينا للغاية ليس لدى الرأي العام البريطاني فقط، بل لدى الحكومة البريطانية أيضا، خاصة وأن وعود الوزير السابقة بمعالجة تلك القضايا كانت بطيئة جدا في تحقيقها، ورد رفعت باشا بالقول أن كل القضايا التي لفت السفير انتباهه إليها كانت قيد المعالجة، وقامت الحكومة العثمانية بحسم أغلبها، وقال أن فكرة نشأت في أذهان البريطانيين - على ما يبدو - مفادها أن بريطانيا ورعاياها قد خصت بأشياء شاذة من النوع المشكو عنه، وهذا بعيد عن أن يكون واقع الحال، وعبر عن أمله في اقتناع السفير بأن رغبة الحكومة العثمانية الملحة هي الإبقاء على أفضل علاقة مع الحكومة البريطانية، وأضاف إنه إذا كان هناك أجنب قد قاسوا فإنهم قاسوا جميعا بصورة متساوية، ويجب تفسير هذا بحقيقة أن الأمور الداخلية قد استحوذت على اهتمام الحكومة العثمانية بشكل كامل، وأن البلد كان يمر في وجوه كثيرة بمرحلة تجريبية منذ مجيء النظام الجديد، وأن الموظفين الذين عينوا حديثا في الولايات لم يثبتوا من حيث التجربة والنظام نجاحا في كل الأحوال. وشكى رفعت

(1) IOR, L/P + S/10/188 No. 312, Sir Edward Grey to Sir G-Lowther, dated 17-10-1910.

باشا من جانبه فى آراء الصحف البريطانية المتحاملة على الدولة العثمانية. وحين كرر السفير الحديث عن مشاكل الرعايا البريطانيين الذى كانوا - حسب رأيه - ذوى حق جلى، وذكر أن السفارة كانت حريصة دوما على إيجاد حل توفيقى لتلك المشاكل لأنها لا تصر على نيل حقوقها كاملة، رد الوزير بالقول أن واقع الحال كان كذلك فعلا، وذكر انه أرسل مؤخرا تعليمات الى والى بغداد بأن يكون حذرا عند التعامل مع الرعايا والمصالح البريطانية، وأن يحاول تسوية الأمر بشكل منصف<sup>(1)</sup>. ويتبدى من هذه الوثيقة وسابقتها مدى ما فى الموقف البريطانى من تصلب يقابله استرضاء عثمانى بلغ حد الاستمراء. وما ذلك إلا انعكاس لاختلال ميزان القوى بين الدولتين.

وكانت القنصلية العثمانية فى بغداد من جانب آخر حريصة قدر امكانها على منع السلطات العثمانية من فرض ضرائب على المصالح البريطانية العاملة فى العراق. فقد شكى أحد الرعايا البريطانيين وكان يملك مطحنة دقيق فى بغداد الى القنصل العام فى كانون الثانى يناير ١٩١٢ من أن موظفين عثمانيين دخلوا مطحنته دون الرجوع الى القنصلية أولا وطالبوه بدفع ضريبة غير معروفة على المطحنة تحت التهديد باغلاقها، كما أنهم خوفوا الرعايا العثمانيين من التعامل معه. فاهتم القنصل العام بالأمر واعتبره تدخلا غير شرعى. وتزامن مع ذلك قرار السلطات الحكومية فى كربلاء تقسيم كلفة كرى قناة الحسينية على مالكي الأراضى الزراعية المقتردين المنتفعين منها. وحيث أن بعض أولئك الملاك كانوا رعايا بريطانيين فقد فاتحت السلطات نائب القنصل

(1) IOR, L/P + S/10/188 No. 795, Sir G-Lowther to Sir Edward Grey to Sir dated 31-10-1910.

البريطاني في كربلاء بشأن إسهاماتهم، وحين طلب نائب القنصل توجيهات القنصل بذلك الشأن رد عليه بوجود إسهام الرعايا البريطانيين باعتبار أن العمل ذو منفعة عامة على أن يفهم بوضوح أنهم أسهموا على سبيل التبرع وليس بمقتضى أى التزام قانوني، وعلى أن لا تعتبر تلك المساهمة سابقة لغيرها . وعندما اتضح لاحقاً أن السلطات الحكومية تريد من المالكين علاوة على الاسهامات المالية تأمين العمال اللازمين للقيام بالعمل رفض القنصل العام ذلك قائلاً بأن تلك القضية واحدة من القضايا التي يجب التزام الحذر حيالها من أجل تجنب اعتراف بريطاني رسمي بما هو بالتأكيد ضريبة غير نظامية<sup>(١)</sup>. واعترض القنصل العام البريطاني على قرار سلطات ولاية بغداد فى آذار - مارس ١٩١٤ زيادة رسوم التقاضى فى المحاكم بنسبة مائة بالمائة بصورة مؤقتة لمدة سنة. وكانت حجته أن تلك الرسوم مقررة بموجب اتفاقية متبادلة بين الدولتين مبرمة سنة ١٨٧٩<sup>(٢)</sup>.

وحيثما فرض والى بغداد فى مايس - مايو ١٩١٤ ضريبة طابع بعشرين بارة على كل تذكرة دخول إلى صالة سينما بلوكى وكري فى بغداد يخصص ريعها لصالح سكة حديد الحجاز تدخل القنصل العام فى الأمر وسأل الوالى عن القانون الذى يتم بموجبه فرض تلك الضريبة. وأوصى للمستز كرى Cree مدير المؤسسة فى بغداد برفض دفع تلك الضريبة على أساس أن تذاكر السينما فى اسطنبول لا تحمل طابعا مشابها<sup>(٣)</sup>.

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during January 1912.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during February and March 1914.

(3) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during May 1914.

وحرصت القنصلية العامة البريطانية على تذليل الصعاب الحكومية التي تواجه إنشاء مؤسسات بريطانية جديدة في العراق، فقد تأسست في مانشستر في انكلترا شركة مشعل اخوان المحدودة. وكان من ضمن حاملي أسهمها رعايا أترك أحدهم مديرها المحلي في بغداد J.H. Mashal . وبدأت الشركة نشاطها في بغداد صيف سنة ١٩١١ بهدف تسيير سيارات بين بغداد وخانقين وبغداد وكربلاء واقامة ورشة ميكانيكية في بغداد. واستوردت الشركة بالفعل سياراتين إلا أنها لم تقدر على تشغيلهما ولم تتجح في الحصول على إذن حكومي بفتح الورشة.

ولم يستطيع القنصل العام البريطاني في بغداد في البداية تقديم دعمه الكامل للشركة لأن التعليمات التي تلقاها من مراجعه تخوله فقط العمل وسيط اتصال بين الشركة والسلطات المحلية. وقد حاول السيد مشعل لذلك حل مشاكل شركته مع السلطات الحكومية مباشرة باعتبارها مواطنا عثمانيا. ولكن حين أخفق في ذلك بسبب شكوك السلطات الحكومية من أن جنسية الشركة بريطانية أخذ هو نفسه يؤكد على جنسية الشركة البريطانية. وطلب مقر الشركة الرئيسي في بريطانيا دعم وزارة الخارجية البريطانية. وأسفر ذلك عن تلقي القنصل العام توجيهات من السفير البريطاني في اسطنبول تقضى بتقديم كل الدعم للشركة في بغداد. فقام القنصل العام بنقل طلب الشركة حول الترخيص لها بفتح ورشتها الى والى بغداد. وظل يتابع ذلك الطلب حتى أعلمه الوالى أن الأوراق قد أحيلت الى اسطنبول للبت فيها. وأخذ القنصل العام يشكى - بعد أن تقرر رعية الشركة البريطانية - من الخسائر التي تكبدتها الشركة من جراء عدم موافقة السلطات على

إجازتها قانونا وعدم السماح لها ببناء ورشّتها<sup>(١)</sup>.

وكرر القنصل العام مفاتحة الوالى بشأن قضية شركة مشعل إخوان، فأعلمه الوالى فى مايس - مايو ١٩١٢ بأن وزارة التجارة العثمانية تعتبر تلك الشركة مجهولة الجنسية، ولا يمكن السماح لها بفتح ورشّتها فى بغداد إلا إذا امتثلت للأنظمة المرعية وحصلت على "بيان نامه" من الوزارة أو إذا قبلت الجنسية العثمانية. فرد عليه القنصل العام متسائلا عن ماهية "الأنظمة" المذكورة وامكانية تزويده بنسخة منها<sup>(٢)</sup>. واستجاب الوالى لطلبه وزوده بنسخة من "قانون الشركات الأجنبية" المشرع فى سنة ١٩٠٦.

وينص ذلك القانون على السماح لتلك الشركات بممارسة أنشطتها فى الدولة العثمانية بموجب شروط منها "الخضوع للقانون العثماني"، وهو شرط لاحظ القنصل العام أن القصد منه تجريدها من الدعم القنصلى. ويشترط على تلك الشركات أيضا الكشف عن رأسمالها وخصوصياتها الأخرى للسلطات العثمانية. وبعد التداول بين القنصل العام والسفير البريطانى فى اسطنبول تم إخبار السيد مشعل بعدم امكانية السماح لشركته بإقامة ورشة فى بغداد ما لم تخضع لمتطلبات ذلك القانون، وتركت له حرية اتخاذ قرار بذلك الشأن على مسؤوليته. وأعلم بأن إحدى العقوبات المنصوص عليها فى ذلك القانون ضد الشركة التى تزاول انشطتها دون التقيد بشروطه هى حرمانها من اللجوء للمحاكم العثمانية، فى حين يكون من حق الطرف الآخر اللجوء

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during March and April 1912.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during May 1912.

الى المحاكم للشكوى ضدها<sup>(1)</sup>. ولعل هذه إحدى المرات القليلة التي تقبل فيها القنصلية العامة البريطانية في بغداد وجهة النظر العثمانية دون جدل ومماحكات طويلة.

ولم تكن القنصلية العامة البريطانية في بغداد معنية برعاية مصالح الشركات البريطانية العاملة في بغداد فقط، بل كانت تمد تلك الرعاية الى شركات عاملة عبر الحدود أحيانا. فقد كانت شركة النفط الأنكلو-فارسية تستغل حقل نفط في كيا صرخ Chia Surkh في فارس على الحدود العثمانية مقابل بلدة خانقين. وغدا التمسون من هذه البلدة ضروريا للشركة فشقت طريقا خاصا بها في ذلك الحقل في البلدة. وأخذت عرباتها تسلك ذلك الطريق غدوا ورواحا بحرية كاملة حيث تجرى المعاملات الكمركية اللازمة عند الخروج والدخول في الأراضي العثمانية في بلدة خانقين ذاتها. ولكن قائمقام خانقين - بناء على تعليمات من مراجعه العليا حسب قوله - اعترض على ذلك الاستخدام الحر للطريق المذكور، وأخبر في الرابع والعشرين من حزيران - يونيو ١٩١٢ المستر سوان Soan مدير الشركة في كيا صرخ، وهو في الوقت ذاته نائب القنصل البريطاني في قصر شيرين، بأن عربة محددة واحدة فقط يسمح لها مستقبلا بعبور الحدود عبر ذلك الطريق على أن لا تقوم بأكثر من رحلة واحدة يوميا. وحين استلم القنصل أخبار ذلك الطلب قام بالاتصال بولاية بغداد<sup>(2)</sup>.

وقد أثمر ذلك الاتصال الحصول على تأكيدات مكتوبة من الوالى

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during June 1912.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during June 1912.

بعدم اتخاذ أية خطوات لإغلاق طريق الشركة ذلك - كما أوضح  
الوالى إنه وجه لوماً قاسياً لقائمقام خانقين على سوء تصرفه، لأن القيود  
التي تحاول فرضها على عربات الشركة كانت بمبادرة شخصية منه  
ودون أية تعليمات من مراجعه العليا<sup>(١)</sup>.

وما كان دعم القنصلية البريطانية العامة فى بغداد للشركات  
البريطانية العاملة فى العراق قاصراً على حمايتها من السلطات  
الحكومية وتذليل صعوبات التعامل معها فقط، بل كانت تسعى أيضاً  
لمساعدتها فى تذليل العقبات العملية التي تعترض سير أعمالها. فحين  
علم القنصل العام أن مؤسسة السير جون جاكسون المحدودة البانية لـ  
"سدة الهندية" جنوب بغداد ستكون بحاجة إلى حفارة نهرية تستخدم  
لكرى القناة الرئيسية الجديدة شمال السدة بعد إجراء الماء فيها، أخبرها  
عن وجود حفارة صغيرة فى البصرة كانت مؤسسة ألمانية قد جلبتها  
ولكنها فشلت فى تسويقها للسلطات العثمانية هناك<sup>(٢)</sup>.

كما امتد ذلك الدعم الى متابعة ما كانت تلك الشركات تحققه من  
نجاح والإفادة عنه المراجع البريطانية العليا. فقد كتب القنصل العام فى  
كانون الثانى - يناير ١٩١٢ عن ازدهار تجارة شركة بلوكى وكبرى  
وشركائهما، وهى شركة بريطانية للهندسة الميكانيكية. وذكر أن  
مبيعاتها من المضخات النفطية أو مضخات الرى يزداد باستمرار، وأن  
من المؤمل أن يصل عدد المضخات التي توردها مائتى مضخة تبلغ  
قوتها الحصانية الاجمالية ألف وخمسمائة حصان<sup>(٣)</sup>. ولاحظ القنصل

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during July 1912.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during March and April 1912.

(3) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during January 1912.

العام فى نيسان - أبريل ١٩١٣ أن البنك الشرقى المحدود يحقق تقدما جيدا فى بغداد حيث حاز على سمعة ممتازة فيها. وامتدح حسن اختيار البنك لممثليه المحليين فى بغداد وهم السادة ويسر ومانيورنغ Messrs Ware and Manwarg. وذكر أن البنك تولى عملية بيع سندات القرض العثمانى الداخلى، وهو يحظى من أجل ذلك بتعاطف دفتردار الولاية الذى وعد البنك بمزيد من الأعمال. الحكومية فى المستقبل على الرغم من أن الدفتردار عضو فى جمعية الاتحاد والترقى.

وعلى القنصل العام ذلك التعاطف بمجرد الرغبة فى استخدام البنك الشرقى ضد البنك العثمانى الامبراطورى. وانتقل القنصل العام بعد ذلك للقول بأن شركة مشعل اخوان قد تجاوزت الصعوبات التى أحاطت بتأسيسها، وأنها غدت تحقق تقدما جيدا. إذ أنها تسير يوميا حافلتين نقل الواحدة منهما ستة وثلاثين راكبا فى الاتجاهين بين بغداد ويعقوبة، حيث تكون كراسى الحافلات مشغولة بكاملها عادة. وذكر أن للشركة مبان كبيرة فى ظاهر المدينة، من ضمنها ورشة ميكانيكية جيدة تتولى تصليح المكائن النفطية والمضخات والعربات الاعتيادية، وكان يعمل فى تلك الورشة مستخدمان أوربيان<sup>(١)</sup>.

ولم يكن القنصل العام البريطانى يكتفى بدور الحامى والداعم للمصالح البريطانية والمنتبع لأنشطتها فقط، بل كان يتبرع أحيانا للقيام بدور الناصح الموجه لها. ففى أثناء رحلة قام بها الى كربلاء فى ربيع سنة ١٩١٢ حل ضيفا على أفضل خان مدير مزرعة أسرة قزل باشى، وهى أسرة هندية من لاهور. وكانت مزرعة الأسرة الواقعة قرب

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during April 1913.

كربلاء تشتمل على آلاف كثيرة من الأفدنة. ولاحظ خلال إقامته فى المزرعة أن إنجاز سدة الهندية سيؤدى الى رفع مستوى المياه فى قناة الحسينية حوالى مترين مما يجعل أراضي المزرعة كلها قابلة للإبروء بدلا من مئات الأفدنة منها فقط كما كان عليه الحال وقتها، وبذا ستعدو المزرعة منجم ذهب حقيقيا على حد تعبيره. وتطرق القنصل العام بعد ذلك الى المشاكل التى تعانيها إدارة المزرعة مع السلطات الحكومية ومع مالكي الأراضي المجاورة، وأضاف أنه كتب بشكل شخصى الى نواب قزلباشى، وهو راس الأسرة فى لاهور، الذى يعرفه شخصيا، مبينا له أن من الحصافة زيارة العراق فى وقت قريب من أجل تقويم الوضع الجديد الناشئ هناك بما يؤدى الى تطوير المزرعة<sup>(1)</sup>.

#### □ القنصلية العامة وشركة لنج Lynch:

ينطبق على موقف القنصلية العامة تجاه شركة لنج نفس ما قيل عن موقفها تجاه الشركات البريطانية الأخرى فى توفير الحماية والدعم والمتابعة والتشجيع. ولكن شركة لنج امتازت عن غيرها من تلك الشركات بأنها الأقدم والأقوى والأكثر نشاطا فى العراق بما يؤهلها لحديث منفرد عنها. وكانت تلك الشركة ذات أنشطة متعددة، إذ تهيمن على جزء مهم من الملاحة النهرية فى دجلة، وتقوم بنقل البريد البريطانى فى بغداد وإليها على ظهر بواخرها، وتزاول التجارة على نطاق واسع فى مجالى الاستيراد والتصدير. ولذلك لا عجب أن لقيت تلك الشركة اهتماما كبيرا من السلطات البريطانية منذ إنشائها سنة

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during March and April 1912.

١٨٦١<sup>(١)</sup>، فاعتبرت أن حمايتها أمر بالغ الأهمية للنفوذ البريطاني فى العراق سواء أكانت تلك الحماية تجاه السلطات العثمانية أو تجاه سكان القطر. وتمثلت تلك الحماية خلال المدة المعنية بدعم موقف الشركة بشكل قوى تجاه السلطات المحلية فى قضية هدم بعض مبانيها فى بغداد سنة ١٩١٠ من أجل توسيع بعض طرق المدينة، وتمثلت حماية السلطات البريطانية لها تجاه السكان بموقف تلك السلطات تجاه الهجمات التى تعرضت لها بواخر الشركة فى نهر دجلة على أيدى رجال العشائر سنتى ١٩٠٨ و ١٩٠٩<sup>(٢)</sup>. وستمر هنا ملامح أخرى لتلك الحماية تزيد الصورة وضوحاً أمام القارئ الكريم الذى ربما ألم بشيء من ذلك فى الكتابات الكثيرة التى تناولت أوجهها أخرى للموضوع<sup>(٣)</sup>.

كانت شركة لنج تسيير ثلاث بواخر فى نهر دجلة تحت اسم شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية "The Euphrates and Tigris Steam Nav.Co". ولم تكن الشركة ذات شعبية لدى الرأى العام العراقى. يدل على ذلك أن أخباراً انتشرت فى بغداد خلال النصف الثانى من كانون الأول - ديسمبر ١٩٠٩ تفيد أن الحكومة العثمانية قررت بيع بواخر الإدارة النهرية الحكومية السبع الى شركة لنج. وسببت تلك الأخبار هياجاً شديداً بين سكان مدينة بغداد حسبما روى القنصل الأمريكى هناك. فبعد

(١) زكى صالح، المرجع نفسه، ص ١٨٦.

(٢) خالد السعدون، الأوضاع القبلية فى ولاية البصرة ١٩٠٨ - ١٩١٤، الكويت، ١٩٨٨،

ص ص ٥٤ - ٨٨.

(٣) زكى صالح، المرجع نفسه، ص ص ١٥١ - ١٦٣ وعبد العزيز نوار، المصالح البريطانية

فى أنهار العراق ١٦٠٠ - ١٩١٤، القاهرة ١٩٦٨.

أن أورد القنصل لمحة عن تاريخ شركة لنج ذكر أن وصول تلك الأخبار تصادف عرضا مع ارتفاع أجور الشحن في نهر دجلة مما سبب سخطا واسعا بين الشاحنين المحليين. وأضاف أن الرسميين العثمانيين أعلنوا قبل عدة شهور في اسطنبول العزم على بيع السفن الحكومية العاملة في نهر دجلة ووعدوا المزايدين الراغبين بالشراء الى تقديم عروضهم. وبناء على ذلك قدمت مجموعة من ذوى الأموال المحليين عرض شراء بمبلغ مائة وعشرين ألف ليرة تركية (حوالى خمسمائة وثلاثين ألف دولار أمريكى) للبواخر والجنائب ومباني المكاتب في بغداد والكوت والعمارة والبصرة، ولكن الحديث عن ذلك البيع خبا بعدها حتى عاد مرة أخرى فى أواسط كانون الأول - ديسمبر بوصول برقيات من اسطنبول تفيد بأن البرلمان العثمانى (المبعوثان) قرر السماح للأجانب بالملاحة فى نهر دجلة والفرات كليهما بعد أن كان السماح لهم بالملاحة مقصورا على نهر دجلة فقط. وأوردت الصحف المحلية خبرا عن عرض شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية شراء البواخر الحكومية بمبلغ مائتى وخمسين ألف ليرة تركية. وقد أدى ذلك الى قيام سكان بغداد بسلسلة من الاحتجاجات أخذت شكل اجتماعات تعقد فى نادى جمعية الاتحاد والترقى والمكاتب الحكومية، بلغت أوجها باجتماع جماهيرى حاشد ضم حوالى عشرين ألف شخص وعقد عند الباب الشمالى للمدينة. وقد جعل ذلك والى بغداد يأمر بمضاعفة دوريات الشرطة الليلية. وكان رد فعل الحكومة المركزية على تلك الاحتجاجات هو اتهام المصدر الأعظم لجماعات ذات أهداف أنانية بإثارتها. وأوضحت السلطات المركزية أن المشروع

المقترح يقضى بدمج الإدارة النهرية الحكومية مع شركة لنج لتأسيس شركة جديدة ذات امتياز للملاحة فى النهرين معا لمدة خمسة وسبعين سنة، ويحق للحكومة إنهاء الامتياز بعد مضى نصف مدته. وسيدير الشركة الجديدة مجلس إدارة مؤلف من أربعة عثمانيين وخمسة أجناب. وسيتم اختيار أولئك العثمانيين من بين أهالى بغداد، كما أن بعض أسهم الشركة الجديدة ستطرح فى بغداد للاكتتاب بها. وعلى الرغم مما فى هاتين المعلومتين الأخيرتين من محاولة واضحة لشراء سكوت أهالى بغداد أو بعضهم على الأقل، إلا أنهم تمسكوا بمعارضتهم للمشروع. وذكر بعضهم بأن قسما من أسهم شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية كانت مملوكة أصلا من قبل لمواطنين عثمانيين إلا أن البريطانيين أزاحوهم بشكل تدريجى<sup>(1)</sup>.

ولم يكن سخط الرأى العام على شركة لنج غائبا عن إدراك مسئوليتها. وفى السابع من نيسان - أبريل ١٩١٠ زار مديرها المحلى فى بغداد المستر بارى Parry، تنفيذًا لتعليمات من مراجعه فى لندن، القنصل العام البريطانى فى بغداد والتمسه استخدام نفوذه لدعم آراء الشركة حول مشروع دمج الإدارة النهرية الحكومية بها. ورجاه بذل جهده لإزالة أية اعتقادات خاطئة عن تلك الآراء ربما يجدها منتشرة فى الأوساط المحلية. وطلب منه أيضا حمل والى بغداد على منع الهجمات على شركته فى الصحف المحلية. فرد عليه القنصل العام معتبرا عن الاستجابة للالتماس الأول ما لم تحوله السفارة البريطانية فى اسطنبول القيام بذلك. واقترح عليه أن يقوم رؤسائه فى لندن بمفاتيحة السفارة بالأمر.

(1) N.A.R.S., RG84, B.C.P., No. 8, Am. Con., Bag., to Am. Amb., Coust., dated 23-12-1909.

وفيما يتعلق بالالتماس الثاني نكره القنصل العام بأن الوالى نفسه كثيرا ما كان عرضة لهجاء الصحافة المحلية، لذا لا يتوقع منه أن يقوم بحماية أجنب منها. ولم يثبط ذلك الرد همة المستر بارى، فقد نكر القنصل العام أنه انشغل بعد ذلك اللقاء فى محاولة للتأثير على الرأى العام المحلى فى بغداد والموصل بهدف استمالته لتأييد مشروع الدمج المقترح وما يرتبط به من مشروع لمد الملاحة النهرية شمال بغداد حتى الموصل. وتوقع القنصل العام أن تجد جهود المستر بارى نجاحا فى الموصل لأن سكانها متلهفون للغاية على الاتصال بالعالم الخارجى، ولا تهمهم الوسيلة التى يتم من خلالها ذلك الاتصال<sup>(1)</sup>.

ويلاحظ هنا الموقف المتحفظ الذى اتخذه القنصل العام بشكل غير مألوف حيال استخدام نفوذه لدعم مؤسسة بريطانية كبرى. ولعل ذلك التحفظ يجد تبريره فيما أحاط بمشروع الدمج من هياج عام ضد الوجود البريطانى كله فى العراق كما سيمر بعد قليل، فلم يشأ القنصل العام، حفاظا للمصالح البريطانية كلها، إلقاء زيت على نار ذلك الهياج بالوقوف علنا موقف الداعم لمشروع مرفوض جماهيريا. كما أن القنصل العام كان يدرك بأن لشركة لنج وسائلها الخاصة التى تستطيع بها منفردة معالجة الأمر دون حاجة لدعم على منه قد يضرها ولا ينفعها فى ظروف الهياج العام تلك.

ومما يؤكد أن ذلك التحفظ كان أمرا أنيا فرضته ظروف محلية طارئة أن السفارة البريطانية فى اسطنبول ظلت تدعم بقوة شركة لنج لدى الحكومة المركزية فى اسطنبول فى القضايا ذات الصلة بعمل

(1) IOR, L/P + S/10/188 Summary of events in Turkish Iraq during April and May 1910.

الشركة فى العراق. فقد كتب القائم بالأعمال البريطانى فى اسطنبول رسالة للسير أدوار غرى وزير الخارجية البريطانية فى الثالث والعشرين من تشرين الثانى - نوفمبر ١٩١٠ تناول فيها بعض القضايا المتعلقة بشركة لنج. وكانت القضية الأولى هى تهديد السلطات الحكومية فى العراق بإلغاء الرخصة الممنوحة للشركة والتي تسمح لبواخرها بقطر جنائب أثناء رحلاتها. فذكر القائم بالأعمال أنه لفت انتباه وزير الداخلية العثمانى لهذه القضية، وذكره بأن تراكم الحمولات فى ميناء البصرة يجعل إثارة القضية حينئذ أمرا فى غير وقته.

والقضية الثانية التى وردت فى الرسالة هى مطالبة شركة لنج للسلطات العثمانية بالسماح لها بتسيير باخرة رابعة من أجل معالجة اكتظاظ الحمولات فى ميناء البصرة، وقد علق القائم بالأعمال على ذلك الطلب بالقول أن الحالة النفسية للسلطات العثمانية تجعل من غير المرجح استجابتها لرغبة الشركة. واستطرد القائم بالأعمال قائلا، أن رسالة مؤرخة فى العاشر من الشهر نفسه من شركة لنج تفيد أن السيد عبد القادر الخضيرى منح رخصة لتسيير بواخر بين بغداد والبصرة وأن هذا السيد على صلة وثيقة بوكلاء خط هامبورج - أمريكا الألمانى وتساءل عن السبب الذى لا يجعل صلة شركة لنج هى الوثيقة بل الأوثق مع عبد القادر الخضيرى. وذكر القائم بالأعمال تلقيه رسالة من الباب العالى شاكية رفع بواخر شركة لنج العلم البريطانى عند رسوها فى ميناء بغداد والبصرة. فاعتبر القائم بالأعمال ذلك الاعتراض نقضا لحق باخرتى الشركة الأصليتين فى رفع العلم البريطانى والذى كانت السلطات العثمانية قد اقرته سابقا، وبادر الى تقديم احتجاج فورى للباب

العالي على ذلك الاعتراض.

وربت وزارة الخارجية العثمانية على الاحتجاج موضحة احتمال أن تكون السلطات المحلية في العراق قد خلطت بين الباخرتين الأصليتين والباخرة الثالثة التي منحت لها رخصة العمل في نهر دجلة في كانون الثاني - يناير ١٩٠٧ شريطة رفعها للعلم العثماني. وأضافت الوزارة أن شكاوى السلطات المحلية تخص فقط مخالفات مرتكبة من قبل الباخرة الثالثة بذلك الصدد<sup>(١)</sup>.

وظل القنصل العام البريطاني في بغداد يهتم بكل ما يتعلق بعمل شركة لنج. وفي ذلك متابعته لإضراب العاملين في بواخر الشركة في نهاية كانون الأول - ديسمبر ١٩١٢. فذكر أن الإضراب بدأ بين النوتية العاملين في إحدى البواخر لأنهم لم يتلقوا زيادة في أجورهم كانوا قد وعدوا بها أو كانوا يتوقعونها على الأقل. وأمتد الإضراب بعد ذلك لكل بواخر الشركة وشمل القوادين علاوة على النوتية. وأضاف أن المستر تود Tod مدير الشركة المحلي في بغداد قابل الإضراب بحزم فطرد اثنين وعشرين من العاملين المضربين، ثم زاد الأجور، ولكنه رفض إعادة العمال المفصولين إلى أعمالهم<sup>(٢)</sup>.

واستمر الاهتمام البريطاني في غضون ذلك بمتابعة أبناء محاولة شركة لنج تسيير باخرة رابعة في نهر دجلة. فكتب القنصل البريطاني في البصرة في أيلول - سبتمبر ١٩١٢ مبينا اعتقاده باحتمال وجود تعليمات سرية من الحكومة المركزية في اسطنبول للسلطات المحلية

(1) IOR, L/P + S/10/188 , No. 843 Marling to Edward Grey, dated 23-11-1910.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during January 1912.

بعدم السماح مطلقا وتحت أية ظروف مهما كانت ضرورية لشركة لنج بتسيير أكثر من ثلاثة بواخر فى نهر دجلة<sup>(1)</sup>.

وعادت فى شهر نيسان - أبريل ١٩١٣ التوقعات بقرب دمج شركة لنج مع الإدارة النهرية العثمانية وعناصر أجنبية أخرى فى اتحاد ملاحى يحتكر الملاحة فى أنهار العراق تحت العلم العثمانى. وقد كتب القنصل العام البريطانى فى بغداد فى السابع عشر من ذلك الشهر الى السفير البريطانى فى اسطنبول مبينا أن اتحادا كهذا مثير للاعتراض فى جوانبه كافة. إذ ستقاسى التجارة العامة من احتكاريين يتحكمون بالنقل النهري، كما أن الاتحاد الاحتكارى الذى سيكون متفذا جدا سيبدل جهده للحيلولة دون إنشاء سكة حديد بين بغداد والبصرة، حتى إن أطراف ذلك الاتحاد المزمع قامت بخطوات فعلية فى ذلك الاتجاه.

وعلى القنصل العام ذلك بقوله أنه ناشئ من كون مصالح شركة لنج مرتبطة بالملاحة النهرية التى لا تريد لها بديلا، كما أن شركة سكة حديد بغداد الألمانية، وهى الطرف الآخر فى الاحتكار، ترغب فى جعل سبيل الوصول الى بغداد عبر حلب أيسر من مثيله عبر البصرة.

وقال أنه من وجهة نظر بريطانية خالصة ستكون هناك مخاطرة فى أن يتم فى النهاية ابتلاع الطرف البريطانى فى الاتحاد المزمع، فضلا عن قدرة السلطات العثمانية على منع شركة ملاحية عثمانية من حمل البريد البريطانى. واقترح القنصل العام بديلا لذلك كله وهو جعل نهر دجلة مفتوحا للملاحة الدولية فورا كما هو حال نهر الكارون

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during September 1910.

منذ سنة ١٨٨٨ وتسرّيع بناء سكة حديد بين بغداد والبصرة. وأضاف الى ذلك اعتقاده بأن مشروعاً بريطانياً لمد سكة الحديد سيكون قسّادراً على الصمود بشكل كامل في ظل منافسة حرة، بشرط واحد هو أن تكون المنافسة عادلة<sup>(١)</sup>. ويلاحظ هنا أن القنصلية العامة البريطانية في بغداد مع حرصها على دعم الشركات البريطانية العاملة في العراق إلا أنها كانت لا تتوانى في معارضة كسب واضح تحقّقه إحدى تلك الشركات إذا رأت فيه ما يضر بالمصالح البريطانية العامة في العراق سواء كانت حالية أو مستقبلية.

ولكن اعتراض القنصل العام ذلك لم يحل دون مضي شركة لنجّ قدما في المشروع الذي وصل مرحلة الدخول في التفاصيل العملية مع حلول سنة ١٩١٤. إذ أعلن في النصف الثاني من شهر شباط - فبراير أن السلطات العثمانية قد أمرت بتقدير قيمة كل أملاك الإدارة النهريّة الحكومية في بغداد والبصرة، وأن قيمة تلك الأملاك في البصرة قدرت بالفعل بمبلغ عشرة آلاف ليرة ذهبية عثمانية. أما تقويم أملاك الإدارة في بغداد فقد تولته لجنة مؤلفة من المستر ولز Mills مدير شركة غري مكنزي Gray Mackenzie في البصرة ومهندس من شركة الهند البريطانية للملاحة التجارية The British India Steam Navigation Co. والمستر تود Tod مدير شركة لنجّ وممثلين عن الجانب العثماني. وأنجزت تلك اللجنة أعمالها في شهر آذار - مارس ١٩١٤، ولكنها لم تكن مجمعة في آرائها، مما جعلها بحاجة الى مزيد من المباحثات للوصول الى تسوية ودية.

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during April 1913.

وعلى الرغم من ذلك انتشرت إشاعة تفيد بأن بواخر الإدارة النهرية سوف تسلم ابتداء من الرابع عشر من آذار - مارس ١٩١٤ الى شركة جديدة عثمانية، أو غير محدودة الجنسية، نصف رأسمالها بريطاني ونصفه الآخر عثمانى - ألماني بالتساوي<sup>(١)</sup>.

وأعطى نائب القنصل الأمريكي في بغداد تفاصيل أخرى عن ذلك المشروع فذكر أن الجهة البريطانية ستستري الإدارة النهرية هي نقابة Syndicate يرأسها اللورد انجكيب Inchcape رئيس مجلس إدارة شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية التي ستضم لها شركة لنج: أما رأس المال الألماني الذي سيساهم في المشروع فيقدم بصورة رئيسية البنك الألماني في برلين، وسيقوم ذلك البنك أيضا بإدارة الحصة العثمانية في رأس مال الشركة الملاحية المزمعة<sup>(٢)</sup>.

وقد أثار ذلك المشروع، كما أثار سابقه سنة ١٩٠٩، معارضة بين سكان بغداد. فقدمت غرفة تجارة بغداد احتجاجا الى الوالى ضد بيع بواخر الإدارة النهرية الى مؤسسة بريطانية. وعرضت استعداد موسرى المدينة لجمع المبالغ الضرورية لشراء تلك البواخر شريطة منح امتياز الملاحة للراعايا العثمانيين فقط. ورفع الوالى ذلك الاحتجاج الى اسطنبول، ولكن مقدمه لم يكونوا يتوقعون أن يصيب نجاحا هناك. ولم تكن الصحافة البغدادية صامتا حيال ذلك الأمر، وكانت أبرزها في ذلك المجال صحيفة "المصباح". فقد نشرت في الثالث عشر من آذار - مارس ١٩١٤ مقالا كتبه ابراهيم حلمي وحذر فيه من مخاطر الهيمنة

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during February to March 1914.

(2) N.A.R.S., RG84, B.C.P., File No. 885, Am. Vice Con., Bag., to the Sec. of St., Washington dated 19-3-1914.

البريطانية المحتملة على العراق محذرا من أن بريطانيا تتخذ من شركة لنج وسيلة لفرض تلك الهيمنة كما استخدمت شركة الهند الشرقية وسيلة للهيمنة على الهند . واستعرض الكاتب تاريخ شركة لنج بالقول أنها ابتدأت بداية بسيطة، فمقابل المساعدة التي قدمتها بريطانيا للدولة العثمانية في حرب القرم سمح للشركة بتسيير باخرة صغيرة، ولكن باخرتين أكبر وأسرع حلنا لاحقا محل تلك الباخرة، واستبدل العلم البريطاني بالعلم العثماني الذي كانت ترفعه تلك البواخر أولا.

ثم ضللت الشركة في وقت لاحق رجال الدولة العثمانية وأضافت باخرتين أخريين لأسطولها.

ولم تكف بذلك كله بل أخذت تتطلع للاستحواذ على الإدارة النهرية، ولولا المعارضة الألمانية القوية لاحتكرت الملاحة في الأنهار العراقية كلها بشكل مطلق. ولم تقتصر شركة لنج نشاطها على الملاحة النهرية فقط، ولكنها اشتغلت بالتجارة على نطاق واسع وأقامت فروعها لها في البصرة والموصل وخانقين، وأغلب بلدان العراق، حتى يمكن القول دون مبالغة أنها تتمسك بأعنة التجارة العراقية بيديها الحديديتين، وأن التجار المحليين ليسوا إلا تابعين لها وسماسرة لديها. وذكر الكاتب أن الحكومة البريطانية تدعم شركة لانج من وراء ستار باعتبارها الرائد لإنشاء مستعمرة بريطانية في العراق.

وانتقد مشروع الدمج لأن وضع الملاحة النهرية في أيد أجنبية تشبه إخراج الروح من الجسد. وستهم شركة لنج فقط بمصالحها وبمن يؤيد مصالحها، ويرجح أنها سترفض نقل قوات حكومية في بواخرها حين

يتطلب الأمر إرسال قوات لإخماد اضطرابات في الأوية الجنوبية. كما أن المشروع سيحرم مئات من المواطنين من أعمالهم في الإدارة النهرية، وسيضع الأجانب على تماس مباشر بسكان الريف، وبذا يمكنهم من زرع بذور الشقاق بين الحكومة العثمانية ورعايها<sup>(1)</sup>.

ولم يكن موقف الصحف البغدادية الأخرى تجاه مشروع الدمج مماثلاً في حدته. فقد اكتفت صحيفة "صدى بابل" في عددها الصادر في الخامس عشر من آذار - مارس بالقول أن "صاحب الدار أدرى بالذى فيها"، وأن الحكومة تنظر في قراراتها لمصالح البلد فقط. أما صحيفة "الرياض" في عددها الصادر في التاسع عشر من الشهر نفسه، فقد وعدت بنشر تفاصيل كاملة عن المشروع. وذكرت أنها علمت بأن الحكومة المركزية قد أبرقت للوالى مفيدة بأن المصالح التجارية للبلاد قد صينت. وعبرت الصحيفة عن أملها أن يكون الأمر كذلك بالفعل. وقد عقب القنصل العام البريطانى في بغداد على ذلك كله بقوله: "إن مؤسسة ستيفن لنج وشركاه، سواء في ممارستها التجارة لصالحها أو في عملها وكيلة لشركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية، ليست محبوبة مطليا ولا تتمتع بسمعة عالية في الاستقامة. ويبدو أنها فشلت في الحصول على النمط الملائم من الرجال في ملاكها الأوربي".

ولم تقتصر في غضون ذلك معارضة مشروع الدمج على التجار والصحافة في بغداد. إذ ذكر نائب القنصل الأمريكى في بغداد أن السكان العرب في العراق معادون تماما للمشروع لكونه ينقل المؤسسة التجارية العثمانية الخالصة الوحيدة في هذا البلد للأجانب ويحولها من

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during February and March 1914.

إدارة شرقية الى نفوذ أوربي مكروه ومحسود.

وأضاف أن بعض التجار الأوربيين ذوى المكانة العالية فى بغداد لا يفضلون مشروع الدمج أيضا. إذ أنهم يتوقعون زيادة فى أجور الشحن النهري بين بغداد والبصرة حالما تتوقف المنافسة الحالية وتصبح الشركة الجديدة المحتكرة الوحيدة للملاحة فى نهر دجلة<sup>(1)</sup>. ولم يوضع مشروع الدمج موضع التنفيذ فى النهاية بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى.

### □ الاهتمام بشؤون زوار العتبات المقدسة من الهنود:

لم تكن السلطات القنصلية البريطانية فى العراق معنية فقط بحماية ودعم الشركات البريطانية العاملة فى العراق فقط، بل كانت تبذل فى الوقت نفسه جهدا كبيرا من أجل مساعدة من يصل الى العراق من رعايا الهند البريطانية بهدف أداء الزيارة للمراقد الدينية فى النجف وكربلاء وبغداد والكاظمية وسامراء. وكان أولئك الزوار يتدفقون على العراق فى فترة اعتدال الطقس الممتدة بين تشرين الثانى - نوفمبر، ونيسان - أبريل من كل عام. ويتوقف قدومهم من الهند خلال فترة الطقس الحار<sup>(2)</sup>.

وكان يحدث فى بعض الأحيان أن يبلغ عدد الزوار الهنود الموجودين فى العراق فى وقت واحد ما يزيد عن ستة آلاف نسمة. وكان كثيرون منهم يغادرون الموانئ الهندية دون أن يحملوا معهم نفقة

(1) N.A.R.S., RG84, B.C.P., File No. 885, Am. Con., Bag., to Am. Amb., Coust., dated 32-12-1909.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during June 1912.

كافية، فيتصلون فيما بعد بالقنصلية البريطانية العامة في بغداد طالبين مساعدة مالية. وقد اضطر ذلك الوضع القنصل العام البريطاني لمفتحة حكومة الهند طالبا أن تشترط على الزوار المغادرين إثبات أن لديهم موارد مالية كافية تمكنهم من تغطية نفقات السفر والعودة بالطريقة نفسها التي تشترطها الحكومة المصرية على الحجاج المصريين المغادرين لأداء الحج في مكة المكرمة<sup>(1)</sup>.

وكان من الأمور المساعدة على تدفق الزوار الهنود على العراق وجود مؤسسات وافية تعين أولئك الزوار ماليا. ومن تلك المؤسسات وقف أوده الذي كان عدد الزوار الهنود الذين نالوا تذاكر تؤهلهم للحصول على مساعدة مالية منه قد بلغ ألف وخمسة وتسعين زائرا سنة ١٩١٠، وألفا ومائة وأربعة عشر زائرا سنة ١٩١١، وألفين ومائة وواحد وستين زائرا سنة ١٩١٢. بينما بلغ العدد خلال الأشهر الأولى من سنة ١٩١٣ تسعمائة وواحد وأربعين زائرا<sup>(2)</sup>. ومنها وقف حسين آباد التابع لضريح ملك أوده السابق محمد على شاه الذي كان يصرف حوالى أربعة عشر ألف رويية سنويا من أجل تمكين فقراء الهنود من زيارة النجف وكربلاء.

وقد حاول القنصل العام البريطاني اقناع إدارة ذلك الوقف بأن ترسل له جزءا من النقود المخصصة لكل زائر من أجل أن تتولى

(1) N.A.R.S., RGB4, B.C.P., No. 12, Am. Con., Bag., to Am. Amb., Coust., dated 8-2-1910.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during August 1913.

ولمعرفة المزيد عن مؤسسة وقف أوده راجع: خالد السعدون، 'إعادة التنظيم البريطاني. وقف أوده في العراق والموقف العثماني من خلال سنتي ١٩١٢-١٩١٣'، في 'المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية'، العدد ٣، ٤، ديسمبر ١٩٩١، ص ص ٩١-١٠٨.

القنصلية العامة بنفسها استخدام ذلك الجزء لتغطية نفقات رحلة عودته الى الهند من بغداد. وذكر القنصل العام أن وقف حسين آباد ذاك كان في الماضي وسيلة جلبت هنودا فقراء كثيرين الى العراق ولم يكونوا قادرين على مغادرته ثانية<sup>(١)</sup>. ولعبت مضافة الزوار الملحقة بضريح الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد دورا في ذلك المجال. إذ كانت تؤمن سكنا وغذاء مجانيًا للعوائل والعزاب الزوار. ووجد القنصل العام عند زيارته لها في تموز - يوليو ١٩١٠ أن أغلب نزلاتها كانوا من الهنود<sup>(٢)</sup>. كما كان للزوار من طائفة البهرة Borahs، وهم العدد الأكبر من الزوار الهنود عادة، جهاز فعال لتأمين متطلبات سفرهم<sup>(٣)</sup>.

وكان اهتمام السلطات القنصلية البريطانية في العراق منصبًا بالدرجة الأولى على تأمين سلامة أولئك الزوار وتوفير الأمن لهم، حيث كانوا يتعرضون أحيانا لبعض الأخطار. فقد هوجمت مثلا عربية نقل بعض الزوار العائدين من كربلاء الى المسيب وذلك في الخامس والعشرين من أيلول - سبتمبر ١٩١٢ على أيدي ثلاثة خيالة من قبيلة عنزة، وأسفر الهجوم على جرح سائق العربية ونهب ما قيمته مائة وسبعون روبية من الزوار. وتولى نائب القنصل البريطاني في كربلاء متابعة الأمر بشكل قوى مع السلطات المحلية هناك. ولم يكتف القنصل العام بذلك بل اجتمع مع والي بغداد، واحتج لديه بشدة على الحالة الخطرة السائدة في طريق الزيارة الكبير<sup>(٤)</sup>.

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during March 1913.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during July 1910.

(3) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during August 1913.

(4) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during September 1912.

وتعرض زوار هنود فى شباط - فبراير ١٩١٣ لحادثتى قطع طريق أحدهما قرب كربلاء، والأخرى قرب النجف، سرقت خلالهما بعض أموالهم، فتحرك نائب القنصل البريطانى فى كربلاء لحمل السلطات الحكومية على العمل الفعال ضد الجناة. وأفلحت جهود السلطات بالفعل فى استعادة بعض المسروقات من اللصوص. أما القنصل العام فى بغداد فقد لفت انتباه الوالى للأمر وطلب منه اتخاذ خطوات إضافية من أجل استعادة بقية المسروقات<sup>(١)</sup>.

ولم يلبث القنصل العام البريطانى فى بغداد طويلا حتى فكر فى إيجاد تنظيم لمساعدة الزوار الهنود ميدانيا فى الأماكن التى يزورونها فى العراق. ويقوم ذلك التنظيم على تعيين مرشدين أو أدلاء مميزين يقومون بتهيئة الخدمات اللازمة لأولئك الزوار فى كل الأماكن التى يمرون بها. ويمول أولئك المرشدون بجزء من إيرادات وقف أودة المخصص لمساعدة الزوار، حيث كانت الحكومة البريطانية وقنصليتها العامة فى بغداد هى الوصية على انفاق واردات الوقف المذكور. ووضع ذلك التنظيم موضع التطبيق لأول مرة فى شباط - فبراير ١٩١٠ فى بعض الأماكن، وفى وقت لاحق فى أماكن أخرى. وأعرب القنصل العام البريطانى فى بغداد فى كانون الثانى - يناير ١٩١٢ عن رضاه عن عمل التنظيم الذى كان يتوسع باستمرار، وذكر أنه تلقى سيلا من رسائل الشكر من زوار عادوا للهند بعد أن استفادوا من خدمات ذلك التنظيم، وبين أنه عين وكيل زيارة أو مرشد فى ميناء البصرة، وعبر عن أمله فى أن يكون الوكيل ذا فائدة كبيرة للزوار

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during February 1913.

حيث يساعدهم فى عمليات دفع رسوم الحجر الصحى واجراءات الجوازات وصرف النقود ونقل الأمتعة وحجز الأماكن على البواخر النهرية المسافرة من البصرة الى بغداد.

وأضاف أن أغلب الزوار الهنود أناس فقراء جهلة لا يتكلمون لغة غير لغتهم، فيقعون بسهولة ضحية للسراق الذين يحدقون بهم عند نزولهم فى الميناء الى البر. وذكر أن ذلك الوكيل سيعمل مترجما للقنصلية البريطانية فى البصرة فى الحالات الهندية، حيث عبر القنصل كرو Crow عن استعداده للاستفادة منه ومنحه المساعدة الضرورية<sup>(1)</sup>.

وقد تخوف القنصل العام من نتائج الاهتمام الكبير الذى لقيه ذلك التنظيم فى الهند. إذ نشرت الصحافة الهندية مقالات كثيرة مشيدة بالتنظيم الجديد، ولكنها تجاهلت عموما ذكر الصلة بين وقف أوده والتنظيم مما يوحي بأن التنظيم أنشأته الحكومة البريطانية رسميا، وهذا سيؤدى الى إثارة احتكاكات مع الحكومة العثمانية. وعلى الرغم من أن ما تكتبه الصحف الهندستانية لا يحتمل أن يصل لعم السلطات العثمانية المحلية، إلا أن ذلك ليس مستحيلا<sup>(2)</sup>.

ولم يكن تخوف القنصل العام من حدوث أزمة مع السلطات العثمانية حول تنظيم وكلاء زيارة الذى ابتدعه بعيدا عن الواقع. فقد حدثت تلك الأزمة بالفعل، وكان مطلقها فى بلدة سامراء فى نيسان - أبريل ١٩١٢. فبعد أن ظل وكيل الزيارة يعمل فى سامراء لمدة سنة، مثلما كان زملاؤه يعملون فى أماكن أخرى منذ سنتين، دون أى

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during January 1912.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during May 1912.

اعتراض من السلطات العثمانية، اعترض قائمقام سامراء على حمل  
وكيل الزيارة شارة مميزة على شكل نجمة معدنية مكتوب في وسطها  
باللغة الإنجليزية "وكيل زيارة بريطاني". وقد زود أولئك الوكلاء بتلك  
الشارات ليسهل على الزوار تمييزهم باعتبارهم وكلاء مصرح لهم  
وليسوا محتالين. فجاه الوكيل من سامراء الى بغداد لشرح الأمر  
للقنصل العام البريطاني. وكتب الأخير في الثلاثين من نيسان - أبريل  
رسالة للوالى جاء فيها: "إن وكيل الزيارة رعية بريطاني وواجبه أن  
يقدم للزوار الهنود أى مساعدة يحتاجونها خلال زيارتهم فى سامراء  
مثل الترجمة وتأمين المأوى والعربات، الخ. وهدف الشارة هو تمكين  
الزوار الهنود من التعرف عليه". والتمس القنصل العام الوالى بتوجيه  
القائمقام للتخلى عن اعتراضه على تلك الشارة.

ورد الوالى أحمد جمال بك على تلك الرسالة فى اليوم ذاته قائلا إنه  
باستثناء الضباط والموظفين المعروفين فى القنصلية العامة البريطانية  
فى بغداد والقنصلية البريطانية فى كربلاء لا يستطيع الاعتراف بأى  
موظف تحت أى مسمى كان سواء فى سامراء أو أماكن أخرى من  
ولاية بغداد، ولا يستطيع السماح لأى شخص بحمل شارة مميزة، لأن  
ذلك مخالف للمعاهدات بين البلدين. فرد القنصل البريطانى على رسالة  
الوالى فى اليوم التالى قائلا: "إن الوكيل ليس موظفا وليس مطلوباً  
الاعتراف به رسمياً من قبل الموظفين الترك... قناعى هى (أولاً) إننى  
كقنصل عام بريطانى مؤهل لتعيين رعية بريطانى خاص لمساعدة  
زوار هنود بريطانيين فى أى مكان يمكن أن يزوروه فى ولاية بغداد.  
و(ثانياً) إننى مؤهل لاعطاء رعية بريطانى من مثل هذا أى نوع خاص

من اللباس أو الشارات التي ربما تكون مطلوبة لتمكين الزوار من التعرف عليه". واستشهد القنصل العام في رسالته على سبيل المثال بالمرشدين السياحيين نوى النبرات الخاصة التابعين لمؤسسة توماس كوك Cook. ولكن الوالي كان قد غادر بغداد في اليوم نفسه الذي أرسلت فيه تلك الرسالة، وقبل أن يتسلمها على الأرجح<sup>(1)</sup>.

ويلاحظ القارئ الكريم دون ريب أسلوب التحدى الواضح الذى استخدمه القنصل العام فى رسالته. وقد أمضى فى مسلكه المتحذى ذلك، حين لم ينتظر عودة الوالى من رحلته ليعرف رده على ما تضمنته تلك الرسالة، بل أمر وكيل الزيارة فى سامراء العودة الى هناك وممارسة مهامه دون لبس الشارة لحين حسم موضوعها. ولكن قائمقام سامراء أرجعه قسرا مع عائلته الى بغداد حال وصوله. وامتدت المشكلة الى أماكن أخرى حين أمرت السلطات الحكومية فى بلدة المسيب وكيل الزيارة البريطانى هناك بعدم ممارسة مهام عمله، وإلا سيرحل من البلدة. وفى خلال ذلك أطلع الوالى على رسالة القنصل العام سالف الذكر، فأرسل أوامره برقيا لمعاونه لطفى بك حول كيفية الرد عليها. وحين وصل رد الولاية المؤرخ فى الثانى عشر من مايو ١٩١٢ وجده القنصل العام استرضائيا فى أسلوبه ويشير الى خطوط يمكن الوصول بموجبها الى تسوية للقضية، واقتصر الاعتراض فيه على حمل الوكلاء شارات تظهر انتمائهم للقنصلية العامة البريطانية. واعتبر القنصل العام ذلك حقا من سلطات الولاية دل على أنها بدأت تفكر مليا فى القضية.

(1) Ibid.

وأكد معاون الوالى الاتجاه الاسترضائى ذاك حين زار القنصل العام فى مقره فى السابع عشر من الشهر نفسه، وناقش معه القضية بطريقة ودية، وإن لم تفسر عن نتيجة حاسمة حيث أن المعاون لا يمتلك صلاحية البت فى غياب الوالى. ولكن تلك الزيارة لم تحل دون تفاقم المشكلة، إذ استلم القنصل العام بعد مغادرة الوالى رسالة من نائب القنصل البريطانى فى كربلاء تفيد بأن السلطات المحلية فى النجف جردت وكيلى الزيارة هناك من شارتيهما، وأن وكيل الزيارة فى المسيب لا زال ممنوعاً من مزاوله عمله. فكتب القنصل العام فى الحال رسالة شبه رسمية لمعاون الوالى تخبره وتحثه على اصدار أوامره بإعادة الشارتين وعدم مضايقة الوكيل فى المسيب، فيحول ذلك دون تفاقم المشكلة. ثم التقى القنصل العام فى اليوم التالى مع معاون الوالى فى السراى، ولم تسفر محادثاته معه إلا عن الاتفاق على إبقاء القضية على وضعها الراهن لحين عودة الوالى. ولكن معاون الوالى أرسل للقنصل العام بشكل رسمى فى الحادى والعشرين من مايس مايو الشارتين اللتين صودرتا من الوكيلين فى النجف<sup>(1)</sup>.

وكان القنصل فى غضون ذلك يتراسل برقيماً باستمرار مع السفير البريطانى فى اسطنبول حول الموضوع. فقد أبرق الأخير له فى الثالث من مايس - مايو فحوى المعلومات المضللة التى رفعها الوالى للباب العالى حول القضية، وطلب إفادته عن حقائق الموقف. وعاد السفير فى الحادى عشر من الشهر نفسه يخبره بأن الباب العالى أمر الوالى بحسم القضية فى بغداد مع القنصل العام مباشرة إن أمكن. وعزا القنصل

(1) Ibid.

العام الموقف الاسترضائي الذي أظهره معاون الوالى الى تلك التعليمات. وحين علم السفير بطرد وكيل الزيارة فى سامراء والتهديد بطرد الوكيل فى المسيب، احتج لدى الباب العالى بقوة على ذلك وطلب إرجاع الوكيل المطرود وإيقاف كل مضايقة للثانى.

فرضخ الباب العالى لذلك الطلب وأمر والى بغداد بتنفيذه وحثه ثانية على تسوية القضية محليا مع القنصل العام. وقد رد الوالى على الباب العالى ببرقية من البصرة التى كان يزورها أنكر فيها علمه بطرد أى من أولئك الوكلاء، فأمره الباب العالى أثرها بكف سلطات ولاية بغداد عن التدخل أكثر فى أمر الوكلاء لحين تسوية القضية برمتها. وأبرق السفير للقنصل العام فى الثالث والعشرين من مايس - مايو مفيدا أن الوالى اشتكى للباب العالى من إقامة القنصل العام "محكمة" فى الكاظمين مؤلفة من رئيس وسكرتير وقواس مع لاقته مثبتة على بابها. وتساعل السفير عن صحة ذلك الادعاء مبينا أن الباب العالى قلق جدا حيال ذلك، وناصحا القنصل العام بتجنب الابتكارات والاستحداثيات فهى غير ملائمة فى ذلك الوقت الذى كانت فيه المباحثات تتقدم بين الحكومتين العثمانية والبريطانية لاجاد تسوية شاملة لقضايا العراق. فرد القنصل العام بقوله أنه تحقيقا فى أمر "المحكمة" تبين منه أن المقصود به "مكتب الزيارة" حيث يعمل مراقب وكاتب ووكيل زيارة. أما كلمة "محكمة" فقد اتضح أن مراقب المكتب حين انتقاله للمبنى الجديد قبل عدة أيام وضع لاقته على بابه مدون عليها "Mahkamah Ihtimam Zairin" أى "مكتب العناية بالزائرين". وأضاف أن كلمة "محكمة" التى تعنى بالتركية "مكان التقاضى" تعنى بالهندستانية مع مرادفتها

"دفتر" كلمة "مكتب Bureau" ولا ثالث لهاتين المترادفتين يدل على المعنى نفسه في الهندستانية. وقال أن الالتباس ما كان ليزول لو استخدمت كلمة "دفتر" بدلا من "محكمة"، لأن الترك سيفهمون عندها انها تعنى "الدفتر الخاقانى" أو دائرة التسجيل العقارى. وحين استلم الوزير ذلك التوضيح أبرق فى السادس والعشرين من الشهر نفسه للقنصل العام مبينا أن استخدام كلمة "محكمة" غير ملائم لأنها عرضة لسوء الترجمة، وموجها إياه بعدم الالاحاح على قضية طرد الوكلاء شريطة عدم استمرار الطرد. كما أخبره بأن الباب العالى أرسل أوامرو حازمة جدا للوالى تلزمه بمناقشة القضية مع القنصل العام فى بغداد، حيث أن الحكومة المركزية لا تميل لدعم الوالى فى أية سياسة عدوانية أو مغامرة<sup>(1)</sup>.

وبناء على تلك التعليمات تلقى القنصل العام فى السابع والعشرين من الشهر نفسه رسالة من الوالى يدعو فيه لمقابلته فى اليوم ذاته. وجرى حوار طويل وغير ودى فى الاجتماع الذى تم مساء ذلك اليوم فى منزل الوالى بحضور معاونه لطفى بك. وأسفر عن موافقة القنصل العام على إزالة لافتة مكتب الزيارة فى الكاظمين، وعلى إجراء تعديل فى شارات الوكلاء، وعلى تزويد الوالى بقائمة بأسماء العاملين فى مكتب الزيارة. كما أسفر عن تعهد الوالى بعدم حدوث تدخل جديد فى أمر الوكلاء على أساس التقاهم على أنهم غير موظفين وأنهم إن ارتكبوا أى جنحة فسيعاملون باعتبارهم رعايا بريطانيين عاديين. وعلق القنصل العام على ما جرى فى الاجتماع بقوله إن من المضحك أن

(1) Ibid.

الوالى لم يكن مطلعاً على الشارة المشكو منها حتى أراه إياها أثناء الاجتماع، فحذق بها طويلاً بشعور من الخزي غطاه بالإصرار على وجوب تعديلها دون إيداء الأسباب. وكان الشيء الأكثر سخفاً بنظر القنصل العام هو أن الشارة الجديدة المتفق عليها والحاملة لعبارة "مرشد زيارة هندی" باللغة العامية ستصحب مستقبلاً بارتداء الوكلاء لقبعة خاصة سوف تضى عليهم مظهراً مهيباً أكثر من السابق، وكان ذلك باقتراح من الوالى نفسه، وبعد ذلك تبادل الوالى والقنصل العام رسائل تصديق الاتفاق وتم نشر بيان فى الصحف لشرح سوء الفهم حيال "محكمة" الكاظمين. وختم القنصل العام روايته لكل ما حدث بالقول: "إن خوف الوالى من الصحف وغريزته الشوفينية ومزاجه العنيف تفسر بشكل كاف كل المشكلة التى حدثت. وفى رسالتى الختامية للوالى كنت حريصاً على بيان أن إزالة اللاقطة من باب مكتب الزيارة وتعديل الشارة كانا (بسبب الصداقة لك سيدى وليس لاعتقادي بأنهما أمران ضروريان رسمياً)"<sup>(1)</sup>.

ولا حاجة للإشارة الى ما فى عبارة القنصل العام هذه من غطرسة واضحة تعكس موقف التحدى الذى مارسه طيلة الأزمنة والنابغ من احساسه بأنه الطرف الأقوى الذى يملى وجهة نظره على الطرف الأضعف.

أما نص بيان الوالى عن "المحكمة" الذى نشرته صحيفة "الرياض" حسبما نقله القنصل الأمريكى فى بغداد فهو: "نظراً للشائعات والانتطباع السائد لدى العموم حول إقامة محكمة فى الكاظمين ونية إقامة فروع لها

(1) Ibid.

فى العديد من المناطق من قبل القنصلية البريطانية فإننا نوضح بموجبه أن المكتب المقام من قبل القنصل البريطانى فى الكاظمين معد للنظر فى شؤون الزوار الهنود ولا يحظى باعتراف رسمى ولا صفة قانونية. إن القنصل وافق على إزالة اللافتة المعلقة على المبنى من أجل صيانة التفاهم الودى والصداقة بين الحكومتين. وهو يعلن أيضا بأن الموظفين العاملين فى المكتب ليس لهم صلاحيات رسمية. إن هذا الاعلان جرى من أجل عدم فسخ المجال للتخريف ونشر روايات مكتوبة مغايرة للسياسات التركية<sup>(1)</sup>.

ولم تنته قضية وكيلى الزيارة فى سامراء على الفور، فبعد عودته الى هناك بموجب التسوية المشار إليها أعلاه، حصل احتكاك آخر بينه وبين القائم مقام الذى اعترض على لبسه عمامة عند صلاته فى المرقد، بحجة أن عليه ارتداء غطاء الرأس المحدد له وحمل شارته وزيه دائما وعدم ارتداء أى شئ آخر. وذكر القنصل العام أن مرشد الزوار ذاك "سيد" ويرتدى عمامة خضراء حين لا يكون فى الواجب. وقد عرض القنصل العام قضية المرشد تلك على والى بغداد الذى رد عليه بعد أربعة ايام مفيدا بأنه أمر القائم مقام بعدم التدخل فى لبس المرشد إلا إذا ارتدى لبسا ممنوعا رسميا. واستنتج القنصل العام فى تأخر الوالى أربعة ايام قبل الرد على رسالته أنه أجرى تحقيقا أثبت فيه أن القائم مقام تصرف بالشكل المشكو منه. أما ما نسب الى القائم مقام من تقوه بألفاظ بذيئة فقد ذكر الوالى فى رسالته أن القائم مقام أنكر هذه التهمة<sup>(2)</sup>.

(1) N.A.R.S., RG84, B.C.P., No. M.C. 226, Am. Con., Bag., to Am. Amb., Coust., dated 24-6-1912.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during June 1912.

ولم يفت على القنصل العام أن يشيد بعدها بخدمات مرشد الزوار في سامراء حيث أنه يخوض لصالح الزوار حربا منتظمة مع سائقي العربات وأصحاب القوارب ومبتزين آخرين، حتى أن بعض أولئك قد هددوا بقتله<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن التوتر في علاقة المرشد بالسلطات المحلية يتحسن بمضي الوقت. فقد لاحظ القنصل العام خلال زيارته لسامراء في مايس - مايو أن القائمقام يوسف أفندي، وهو نفسه الذي طرد المرشد العام الماضي، غدا يعامل تلك المرشد معاملة جيدة حتى أنه على الرغم من عدم حمله لأي صفة رسمية يقوم بتسهيل خدماته للزوار في كل تعاملاتهم مع السلطات الحكومية<sup>(٢)</sup>.

وقد امتدح القنصل البريطاني في بغداد في نيسان - أبريل ١٩١٢ عمل وكلاء الزيارة لمساعدتهم عددا من الزوار الذين تلقوا عونا من أولئك الوكلاء منذ بدء العمل بذلك التنظيم لحوالي ألفا وخمسة وتسعين زائرا خلال الفترة الواقعة من ٣ فبراير - شباط حتى ٣١ كانون الأول - ديسمبر ١٩١٠، وألف وأربعة عشر زائرا سنة ١٩١١، وستمائة وثلاثة عشر زائرا خلال المدة من ١ يناير - كانون الثاني حتى ١٨ نيسان - أبريل ١٩١٢، ولا تتضمن الأرقام هذه الزوار الكثيرين من طائفة البهرة التي لها تنظيمات زيارة خاصة بها<sup>(٣)</sup>.

عاد القنصل في مطلع سنة ١٩١٤ لتقويم أداء نظام المرشدين، فذكر أنه يعمل بشكل جيد حتى أنه تلقى رسائل كثيرة من زوار عائدين

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during August 1912.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during May 1913.

(3) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during March and April 1912.

للهند تشيد بالخدمات التي قدمها المرشدون. إلا أن القنصل العام قد شكى من كثرة عدد الزوار الهنود الذين يراجعونه زاعمين فراغ جيوبهم طالبين مساعدته المالية لتمكنهم من إطعام أنفسهم والعودة الى بلادهم. وأبدى سعادته بأن قلة منهم فقط يتعرضون للسلب في العراق أو يصابون بمرض يتطلب بقاءهم مدة أطول مما كان مقررا. ولكن الأغلبية العظمى منهم ينطلقون من الهند وهم يحملون أموالا غير كافية. وذكر أنه يأمر بالتحقق من ادعاءات مراجعيه، فإذا اثبتت حقيقة تعرضهم لمشكلة طارئة يتلقون الإعانة اللازمة.

بيد أن المشكلة هي وجود فكرة خاطئة منتشرة بين أولئك الزوار الهنود في وجود مبلغ كبير من مال وقف أوده مكرس لغرض وحيد هو مساعدة الزوار الهنود على العودة إلى ديارهم<sup>(1)</sup>. وعاد القنصل العام في مايس - مايو ١٩١٤ للحديث عن مدى نجاح خدمات المرشدين المنتشرين في البصرة وبغداد والكاظمين وكربلاء والنجف والمسيب وسامراء، فذكر أنه حين وصل لأول مرة الى العراق لاستلام مهام منصبه وذلك قبل ستة شهور لم يسمح سوى الإشادة بخدماته.

إلا أن الحال عموما تحول الى العكس الآن، إذ أنه يتلقى شكاوى من زوار مغادرين من عدم كفاءة بعض أولئك المرشدين، وهي شكاوى يصعب التحقيق فيها، وأضاف أن الناس يدعون بأن تكاليف سفر الزوار الى العراق بعد إدخال نظام المرشدين قد زادت عما كانت عليه قبل تطبيقه. ووعده القنصل العام بأن يولى ذلك الموضوع عنايته<sup>(2)</sup>.

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during Nov. and Dec. 1913 and Jan. 1914.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during May 1914.

## □ الاهتمام بشؤون الرعايا البريطانيين المقيمين في العراق:

كان للسلطات القنصلية البريطانية في العراق شاغل آخر هو الاهتمام بشؤون الرعايا البريطانيين المقيمين في العراق سواء كانت متصلة بانجاز معاملاتهم لدى الدوائر الحكومية أو بحل المشاكل التي تنور بينهم وبين السلطات الحكومية، وكانت جالية كبيرة من الرعايا البريطانيين تقيم في العراق، أقلها من أبناء الجزر البريطانية ذاتها وأغلبها من أبناء شبه القارة الهندية الخاضعة للحكم الاستعماري البريطاني حينئذ. إذ كان عدد الآسيويين المقيمين كبيرا في العراق ولهم حق التمتع بالحماية البريطانية في السنوات الأولى من مطلع القرن العشرين حوالي ثلاثة آلاف نسمة<sup>(١)</sup>.

ولعل أهم ميزة كانت توفرها الرعاية البريطانية لأولئك جميعا هي عدم قدرة السلطات الحكومية على التعامل معهم مباشرة. إذ كان عليها طبقا لنظام الامتيازات الأجنبية المطبق في الدولة العثمانية أن تتعامل معهم عن طريق القنصلية البريطانية فقط. وكانت القنصلية العامة لا ترضى - فوق ذلك - بأن تتعامل مباشرة بشأنهم مع دوائر الدولة المختلفة إلا إذا أتمتھا المعاملات عن طريق الوالي نفسه مع ما في ذلك من إجراءات طويلة وتأخير كبير. وقد استفسرت ولاية بغداد - من أجل معالجة ذلك الوضع - من القنصلية العامة بشكل غير رسمي عما إذا كانت تقبل باستلام استدعاءات لرعايا بريطانيين من قبل المحاكم والدوائر العثمانية إذا ما أرسلت إليها مباشرة دون مرور الاستدعاء

(١) لوريمر، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٠٨٤.

عبر مكتب الوالى، فكان رد القنصل العام على ذلك الاستفسار هو أنه لا يمكنه إلى أن يستلم تخويلا من السفير البريطانى فى اسطنبول للتعامل رسميا مع أية سلطة أخرى غير الوالى، وليس باستطاعته إجراء أى تجديد فى الممارسة الراسخة الخاصة بالاستدعاءات<sup>(1)</sup>. ولا شك أن القارئ اللبيب قارن فى ذهنه بين هذا الرد وما ذكره أنفا من تخويل الولاية للقنصلية البريطانية العامة حى استدعاء العثمانيين مباشرة للمثول أمامها، فأى تزامت بهذا وأى تنازل هذا؟!

إن ذلك الامتياز الذى غل أيدى السلطات العثمانية عن التعامل المباشر مع الرعايا البريطانيين قد جعل للرعية البريطانية جاذبية كبيرة فى أعين كثير من الأشخاص نوى الأصول الأجنبية القاطنين فى العراق. إذ أخذ الراغبون منهم من التخلص من التزاماتهم المختلفة تجاه السلطات الحكومية بدعوى تلك الرعية. وبذا أصبحت الرعية البريطانية واثباتها أو نفيها من المشاكل المزمنة بين السلطات العثمانية والقنصلية البريطانية.

وكانت وجهة نظر السلطات العثمانية هى أن الأشخاص الذين يدعون الرعية البريطانية مطلوب منهم بشكل ثابت عدم الاكتفاء بابرار شهادات تسجيل الرعية التى تزودهم بها السلطات القنصلية البريطانية فى العراق، بل عليهم أيضا تقديم وثائق أخرى مثل جواز السفر، بينما كانت وجهة نظر القنصل العام البريطانى هى أن من غير المتوقع أن يكون لدى هنود مستقرين هم وذرياتهم فى العراق منذ أجيال وثائق أخرى غير شهادات التسجيل. وسيكون ممن الطبيعى تماما

(1) IOR, L/P + S/10/188Summary of events in Turkish Iraq during April and May 1910.

في غياب أوراق كهذه اللجوء الى روايات الشهود والى تحقيقات تجربها السلطات البريطانية في الهند للثبوت من صحة وقائع مدعاة عن تاريخ الأسرة هناك<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ هنا أن السلطات البريطانية العليا كانت تشجع الرعايا الهنود المقيمين في العراق على الحصول على شهادات الرعية تلك. فقد أمر وزير الخارجية البريطاني في كانون الثاني - يناير ١٩١٢ بتزويد تلك الشهادات مجاناً للفقراء الذين يثبتون للسلطات القنصلية المعنية عدم قدرتهم على دفع الرسوم المقررة. وتوقع القنصل العلم أن يسهل ذلك الإعفاء إتمام عملية تسجيل الرعايا البريطانيين في العراق بشكل سليم<sup>(٢)</sup>.

وأسفر ذلك التضارب في وجهتي النظر بين الطرفين عن كثرة ما ورد في وثائق القنصلية البريطانية من أحداث تقوم فيها السلطات العثمانية باعتقال شخص أو تقديمه للمحاكمة أو سوجه لأداء الخدمة العسكرية باعتباره مواطناً عثمانياً. وأرسل ذلك الشخص بطريقة أو بأخرى رسالة استغاثة للقنصل العام البريطاني مدعياً أنه من الرعايا البريطانيين. وتبدأ بعدها مراسلات طويلة بين القنصل العام والسلطات العثمانية حول الموضوع، ومما كان يعقد تلك القضايا أن السلطات العثمانية كانت ترفض إيقاف إجراءاتها المقررة بحق ذلك الشخص المعنى لحين حسم موضوع رعيته. وقد شكى القنصل العام البريطاني في آب - أغسطس من ذلك الموقف العثماني على الرغم من أنه أقر

(1) IOR, L/P + S/10/212Summary of events in Turkish Iraq during March and April 1912.

(2) IOR, L/P + S/10/212Summary of events in Turkish Iraq during January 1912.

بحق السلطات العثمانية من التدقيق فى الأوراق التى تصدرها القنصلية حول رعية الشخص المعنى واستعداده دوما لإثباتها ببرهان حين تطلب السلطات الحكومية منه ذلك بشكل ملائم. ولكن تلك السلطات كانت - حسب رأيه - تتجاهل القنصلية مما يودى فى النهاية الى حرمان الرعايا البريطانيين من مزايا الحماية البريطانية<sup>(١)</sup>. وذكر القنصل العام أن التمسك القانونى الذى تستند عليه السلطات العثمانية فى موقفها ذلك هو مادة فى قانون الجنسية العثمانى تؤكد على أن أى شخص فى الدولة العثمانية يفترض أن يكون من الرعايا العثمانيين، ويعامل على أنه هكذا الى أن يثبت ادعاؤه لجنسية أجنبية، وتكون للسلطات العثمانية وحدها الحكم فى كفاية الأدلة التى يقدمها لإثبات ادعائه. ونفى القنصل العام علمه بأن حكومته وافقت فى يوم ما على شرط وحيد للأجانب مثل هذا. لذا فإنه يتمسك دائما بأن أى شخص يدعى الرعية البريطانية، خاصة من يكون حاملا لشهادة تسجيل قنصلية، لا يمكن معاملته باعتباره رعية عثمانى، سواء من قبل الإدارة او المحاكم، إلى أن تناقش قضية رعيته مع القنصلية البريطانية المعنية<sup>(٢)</sup>. وبقيت هذه القضية قائمة بين الجانبين الى نشوب الحرب العالمية الأولى. إذ ظلت السلطات العثمانية تتمسك بالمبدأ المقرر فى قانونها، ولكنها كانت تضطر فى أكثر الأحيان للرضوخ للإصرار البريطانى على اعتبار الأشخاص الذين ثار حولهم القضايا رعايا بريطانيين. ولكن الاعتراف بذلك كان يتم أفراديا<sup>(٣)</sup>.

(1) IOR, L/P + S/10/188, No. 693/36, con. - Gen. Lorimer to Sir Gerard Lowther, Dated 14-8-1911

(2) IOR, L/P + S/10/212Summary of events in Turkish Iraq during May 1912.

(3) IOR, L/P + S/10/212Summary of events in Turkish Iraq during May 1914.

ولم تكتب القنصلية العامة البريطانية في بغداد باصدار شهادات الرعوية للمقيمين في العراق من الهنود، بل أرادت أن تربطهم بها من خلال تنظيم محكم. إذ كتب القنصل العام في كانون الثاني - يناير ١٩١٢ أنه يعتزم تقسيم المدن والبلدان التي يقيم بها هنود كثيرون الى أحياء من أجل أن يعين لكل حي "رئيس هندي Lambardar" حيث يكون صلة وصل بين القنصلية والهنود القاطنين في حيه. وذكر أن مهام الرئيس تكون التأكد من تسجيل كل الهنود أنفسهم في القنصلية، وإفادة القنصلية عن المواليذ والوفيات بين صفوفهم، ومراقبة وصول هنود جدد الى الحي ومغادرة الزائرين له، ومتابعة كل الأمور التي تؤثر على هنود الحي مثل الجرائم التي يرتكبونها أو ترتكب بحقهم والطلبات المقدمة لهم من السلطات العثمانية. وذكر أن التجربة أكدت استحالة الإبقاء على إشراف ملائم واتصال مع المهاجرين الهنود، وهم كثيرون جداً، دون إقامة نظام ما مثل النظام الذي يزعمه - وأضاف أن عدد قواسي القنصلية العامة في بغداد ونيابة القنصلية في كربلاء أقل بكثير من العدد اللازم لأداء ذلك العمل، فضلا عن أنهم ليسوا هنودا ولا أحد منهم يعرف الهندستانية إلا نادرا<sup>(١)</sup>.

ونفذ القنصل العام عزمه بالفعل، فذكر في نيسان - أبريل ١٩١٢ أنه عين ستة رؤساء في بغداد وأربعة في الكاظمين وستة في كربلاء وواحدا في النجف، وأضاف أنه سوف يعين رئيسا واحدا في كل من المسيب وطويريج وسامراء. وامتدح عمل أولئك الرؤساء الذين عينهم، حيث اثبتوا فاعليتهم باعتبارهم وسائل اتصال بين الجالية الهندية

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during January 1912.

والقنصلية، كما أنهم نبهوا الى حالات كثيرة لرعايا هنود أهملوا القيام بالتسجيل فى القنصلية<sup>(١)</sup>.

وقد لفتت تلك العملية التى جرت من وراء ظهر السلطات العثمانية انتباه الوالى، فاستخدم الشرطة السرية للتحقق من الأمر. كما أبرق للباب العالى مفيدا أن القنصل العام البريطانى عين موظفين رؤساء لأحياء مختلفة فى مدينة بغداد. وقد أفلقت تلك الأخبار الباب العالى وجعلته يستفسر عنها من السفير البريطانى فى اسطنبول الذى أحال الاستفسار بدوره الى القنصل العام فى بغداد.

وبناء على المعلومات الى قدما الأخير طمأن السفير الباب العالى بأن الرؤساء معنيون بالأمور الداخلية للجالية الهندية، وأن وجودهم غير مثير للاعتراض. وقد قبل الباب العالى ذلك التوضيح قانعا أو مضطرا، ويبدو أنه أخطر به والى بغداد. واكتفى الأخير عند اجتماعه بالقنصل العام البريطانى فى السابع والعشرين من مايس - مايو ١٩١٢ بالقول أنه لا شئ لديه يقوله عن أولئك الرؤساء شريطة أن تظل مهمتهم مقتصرة على التعامل بين القنصل العام وبين الهنود البريطانيين<sup>(٢)</sup>. وكان ذلك الإقرار ضوعا أخضر أمام ترسيخ نظام "الرؤساء الهنود" الذى يظهر فى المعلومات التى أوردها القنصل العام فى آب - أغسطس ١٩١٣ أن الرؤساء بموجبه كانوا موزعين على الأحياء المختلفة، وحسب الطوائف أحيانا مثل الباتان والكشميريين والبنجابيين. وأظهرت تلك المعلومات أيضا أن القنصل العام عين فعلا

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during March and April 1912.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during May 1912.

رؤساء المسيب وطويريج والحلة، ولكنه لم يعين رئيسيا في سامراء، وأشد القنصل العام بجهود أولئك الرؤساء على الرغم من أن مناصبهم شرفية تماما، إلا أنهم مسرورين بما صاروا يتمتعون به من مكانة ونفوذ بين رفاقهم.

وذكر أن تسجيل الرعايا البريطانيين أصبح بوجودهم أكثر شمولا وتنظيما، وإن لم يكن كاملا لأن الكثير من الهنود يخفون أنفسهم عن القنصلية إلى أن يجدوا أنفسهم في مشكلة ما، وبين أن القنصلية العامة منحت خلال سنة ١٩١٣ ما مجموعه ثلاثمائة وثلاث وثلاثون شهادة تسجيل تغطي حوالي ألف واثنتان من الأشخاص في بغداد والكاظمين وسامراء ويعقوبية والمسيب، وثمانية وسبعون أوربيا بريطانيا فقط، حيث كانت الشهادة تعطى للرجل ومن يعولهم.

بينما كانت الشهادات التي منحت من القنصلية العامة سنة ١٩١٢ تبلغ مائتي واثنتين وستين شهادة تغطي سبعمائة واثنتين وسبعين شخصا يضمنهم الأوربيون. أما نيابة القنصلية البريطانية في كربلاء فقد منحت سنة ١٩١٣ خمسمائة واثنتين وثلاثين شهادة تسجيل تغطي ألفا وثلاثمائة واثنتين وثمانين شخصا. وكانوا يقيمون في كربلاء وشققاته والنخيلة والمسيب وسدة الهندية وطويريج والحلة والشامية والكوفة والنجف والكاظمين وسلمان باك<sup>(١)</sup>.

وكانت القنصلية العامة البريطانية تعنى أيضا بالقضايا الأخرى التي تمس مصالح الرعايا البريطانيين. فقد استلم القنصل العام مثلا في بداية

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during August 1913.

نيسان - أبريل ١٩١٠ رسالة من والى بغداد وكالة تتعلق بخمسة أطباء بريطانيين يمارسون الطب فى بغداد تلزمهم بتقديم الدبومات التى يحملونها ليتم تسجيلها إذا كانت مصدقة من اسطنبول. أما إذا لم تكن مصدقة فيجب عليهم الذهاب الى اسطنبول لتصديقها. وشكت الرسالة أيضا من وجود مستوصفات غير مجازة رسميا يديرها أولئك الأطباء. فرد القنصل العام على الرسالة طالبا إطلاعه على بنود القانون العثمانى الذى يتعلق بالدبومات، واستجاب الوالى لطلبه. ولكن القنصل العام أهمل الموضوع بعد ذلك على أمل أن تكون الولاية قد نسيت، واتهم ثريا بك مدير الشئون الصحية بالولاية بالوقوف وراء إثارة الموضوع لاهتمامه الشخصى به باعتباره طبيبا من جانب، ولأنه عضو فى جمعية الاتحاد والترقى من جانب آخر<sup>(١)</sup>. ولكن الولاية لم تنسى الموضوع كما كان القنصل العام يؤمل. إذ زاره السكرتير السياسى للوالى فى الثلاثين من حزيران - يونيو ١٩١٠ وناقش معه قضية الأطباء الذين لا يحملون دبومات مصدقة من اسطنبول ويديرون مستوصفات غير مجازة. فلم يجد القنصل العام ما يقوله سوى المطالبة بأن يكتب له الوالى رسالة رسمية حول الموضوع<sup>(٢)</sup>. ولا يخفى ما فى تلك المطالبة من رغبة فى المماطلة وتمييع القضية، إذ سبق له أن تلقى رسالة رسمية حول الموضوع فأهملها كما مر.

ولم يكن القنصل العام يقصد من جهوده حماية مصالح الرعايا البريطانيين على المقيمين منهم فى بغداد فقط، بل شمل بها مقيمين فى مدن أخرى أحيانا. إذ روى أن متصرف كربلاء قام بموجب أوامر من

(1) IOR, L/P + S/10/188 Summary of events in Turkish Iraq during April and May 1910.

(2) IOR, L/P + S/10/188 Summary of events in Turkish Iraq during June 1910.

والى بغداد فى آب - أغسطس ١٩١٠ بمحاولة لتجديد مدينة كربلاء. ولكن نقص الأموال اللازمة لتغطية تكلفة تعويض الملاك وأجور العمال جعلته ينفذ التطويرات على نفقة الملاك دون اعتبار للقانون والعدل عن طريق استخدام التهديد لإجبار الناس على الخضوع فلم تعط السلطة البلدية فى البداية إشعارا نظاميا للملاك أو أصحاب الحوانيت كى يقوموا بإخلاء حوانيتهم، لكن منادى البلدية أخبرهم خلال النهار بالنية المتجهة لهدم السوق. وجرى خلال الليل التالى هدم سقف السوق، مما اضطر الناس فى صباح اليوم التالى لنقل ممتلكاتهم من الحوانيت وجاءت الخطوة التالية حين أمرت البلدية الملاك بهدم حوانيتهم وإعادة بنائها حسب مخطط التطوير على نفقتهم.

وكان بعضهم رعايا بريطانيين فهب القنصل العام لحماية مصالحهم من تلك الإجراءات التعسفية المستبدة على حد وصفه. فاجتمع بمتصرف كربلاء، وأصر على المراعاة الصارمة لقانون الملكية العثمانى. ووعده المتصرف بالعمل طبقا للقانون، ولكنه تجاهل فى الواقع ذلك الوعد، وأجبر الرعايا البريطانيين على هدم ملكياتهم وإعادة بنائها على نفقتهم حسب المخطط<sup>(١)</sup>.

وكان اهتمام القنصل العام بمصالح الرعايا البريطانيين يشمل أحيانا قضايا بسيطة فيحولها الى مواضع احتكاك شديد بينه وبين ولاية بغداد. إذ كان مثلا منزل المستر تاديوس Thaddeus، وهو رعية بريطانى من أصل يونانى من مستخدمى القنصلية العامة البريطانية المتقاعدين، يجاور فى وسط المدينة مستودعا للحطب. وكان تاديوس يعتبر ذلك

(1) IOR, L/P + S/10/188 No. 814, sir G Lowther to Sir Edward Grey, Dated 8-11-1910

المستودع مصدر تهديد خطير لمنزله من جراء احتمال اندلاع النار فيه. كما أنه كان يوفر مراقبة قد يستخدمها اللصوص للسطو على منزله. بناء على ذلك قدم تاديوس، وبعض جيرانه عرضة للبلدية تطلب نقل المستودع من مكانه. ولكن شهورا مضت دون أن تحرك البلدية ساكنا. فعرض تاديوس الأمر على القنصل العام الذى بادر للكتابة الى الوالى حول الموضوع. وتلقى منه ردا مسائرا، ولكن دون حدوث أى تطور عملي. فعاد القنصل العام للكتابة الى الوالى يحدثه حول الأمر. وكار الرد الذى تلقاه يتضمن رفض الوالى مناقشة الأمر معه لأنه يتعلق بملكية غير منقولة لا يحق للقناصل الأجانب التدخل فيها بموجب القانون العثماني. ورد القنصل العام على تلك الحجة بقوله أنه لا يثير القضية من ذلك الجانب بل من جانب السلامة الشخصية لأسرة المستر تاديوس. وحذر الوالى من أنه يعرض نفسه لمسئولية كبيرة برفضه طلبه المعقول الداعي الى لفت انتباه البلدية للأمر. وتلقى القنصل العام ردا على تحذيره اتسم بالغلظة التى فسرها القنصل العام بأنها عائدة لكتابة الوالى لرسائلته الجوابية فى اليوم الذى قدم فيه استقالته. واكتفى القنصل العام على أية حال بتلك المراسلات ملقيا المسئولية على عاتق الولاية إذا وقعت حادثة ناشئة عن تقاعس البلدية<sup>(1)</sup>.

ولم تكن حماية القنصل العام البريطاني مبدولة للرعايا البريطانيين المقيمين فى العراق فقط، بل كانت تشمل أيضا الرعايا البريطانيين المارين فى الأرض العراقية. فقد حدث أن أطلقت النار فى الخامس

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during July 1912.

والعشرين من حزيران - يونيو ١٩١٢ على المستر سوان Soan مدير شركة النفط الأنكلو - فارسية في حقل كبا صرخ في الأراضي الفارسية حين كان مسافرا من خانقين الى الحدود. وجاء إطلاق النار من مركز الحدود العثماني من المنطقة. فاضطر المستر سوان للتوجه الى ذلك المركز، ولكن أمره قابله بشكل غير مهذب، وهدده بإعادته الى خانقين تحت الحراسة. وحين وصلت أخبار الحادثة الى القنصل العام كتب في الثلاثين من ذلك الشهر احتجاجا الى والي بغداد لمتابعة القضية<sup>(١)</sup>. أما رد فعل الوالي على الاحتجاج فكان تشكيل لجنة مؤلفة من موظف مدني وضابط عسكري وارسالها الى خانقين لإجراء التحقيق ميدانيا. وفي أثناء ذلك وصل المستر سوان الى بغداد فاصطحبه القنصل العام الى لقاء رسمي مع الوالي في السراي في الرابع عشر من تموز - يوليو، وأخبرهما الوالي أن تحقيقات اللجنة أظهرت أن النار أطلقت على المستر سوان جهلا بهويته وبكونه غريبا. ولكن إطلاق النار كان مع ذلك غير ضروري وجديرا بالتوبيخ. وتعهد الوالي لهما بجعل قائد الفيلق يعاقب أمر الموقع الذي أطلقت منه النار، وأخبرهما أنه قرر نقل أمر الموقع وأفراده جميعا الى مركز حدودي آخر، وقد ضمن الوكيل كل ذلك في رسالة اعتذار وجهها للقنصل العام، كما اعتذر شفويا من المستر سوان. وحين أخبر القنصل العام السفارة البريطانية في اسطنبول بكل ذلك اعتبرته كافيا ليتم فتح الموضوع مع الباب العالي شريطة ألا تحمي السلطات العسكرية في بغداد اتباعها المدنيين من العقوبات الموعودة. وبناء على رأى السفارة

---

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during July 1912.

ذاك كتب القنصل العام الى الوالى طالبا منه إخباره فى الوقت المناسب عن العقاب الذى أوقع بالمقصرين، فأخبره أن القضية ستظل مفتوحة لحين استلام رده<sup>(1)</sup>.

وقد لاحظ القنصل العام بعدها أن الوالى ينزع نحو التحلل من وعوده السابقة. إذ أنه لم يفعل أكثر من التماس قائد الفيلىق التصرف مع الضابط أمر المركز الحدودى بالشكل الذى يراه، والأمر بمحاكمة أحد جنود ذلك المركز أمام السلطات القضائية. لذا طلب القنصل العام من الوالى وجوب معاقبة الجناة بشكل عاجل وكاف، وعبر عن أمله فى أن يتلقى ردا منه بشكل عاجل. وذكر أن القضية لم ترفعها السفارة البريطانية فى اسطنبول للباب العالى، وهو إجراء قد يصبح ضروريا إذا لم تسفر الإجراءات المحلية عن نتيجة مرضية، وتلقى القنصل العام ردا على طلبه ذلك وصفه بأنه غير مبال فى لهجته لأن الوالى كان عند إرساله قد استقال وحزم امتعته لمغادرة بغداد. وأعرب القنصل العام عن خشيته من لجوء السلطات المحلية الى تكتيك المراوغة فى معالجة القضية إذا سمح لها بذلك<sup>(2)</sup>.

وحين يأس القنصل العام فى نيل غايته من السلطات المحلية فى بغداد طلب من السفارة البريطانية فى اسطنبول مفاتحة الباب العالى بالموضوع. لكن وزير الخارجية البريطانية السير ادوارد غرى رأى أن من غير المستصوب فتح تلك القضية مع الباب العالى فى تلك اللحظة التى كانت تجرى فيها المباحثات لحل قضية النزاع على الحدود

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during July 1912.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during August 1912.

وكان القنصل العام يوسع حمايته حتى تشمل الرعايا العثمانيين الذين يعملون في مؤسسات بريطانية. فقد حدث ليلة التاسع والعشرين من شباط – فبراير ١٩١٢ أن اعتقلت الشرطة الكاتب المحلى المسؤول عن دار السينما العائدة لمؤسسة بلوكى وكرى Blockey and Cree البريطانية في بغداد بحجة أن تشغيل السينما تلك الليلة يعد خرقاً لأمر حكومى يقضى باغلاق أماكن اللهو تكريماً لعيد المولد النبوى الشريف. وسأقت الشرطة الكاتب الى المركز حيث ضرب ثم طرد وتم إنذاره بتلقى عقاب أكثر قسوة فى المرة القادمة إذا تجرأ على الجدل مع الشرطة معتمدا على الجنسية الأجنبية لأرباب عمله. وبعد أن قدم مدير مؤسسة بلوكى وكرى الى القنصل العام بيانا عن الوقائع التى جرت، قام الأخير بإرسال ذلك البيان الى الولاية مشفوعا برسالة تعبر عن أمله باجراء تحقيق رسمى بالواقعة واخباره بالنتيجة.

وعلق القنصل العام على الحادث بأنه فورة لمشاعر مضادة غذيت بها شرطة بغداد بشكل مثابر منذ سنة الى سنتين مضيتا. وأعرب عن الأمل فى أن الوالى لن يتغاضى عنها<sup>(٢)</sup>. وتأخذ محاولة القنصل العام فى تقديم الحماية للرعايا البريطانيين فى بعض الحالات شكلا خارقا للقانون بصورة فاضحة حين استجاب القنصل العام لطلب حكومى عثمانى باصدار مذكرة توقيف بحق أحد الرعايا البريطانيين المقيمين فى كربلاء لاتهامه بارتكاب أعمال نصب. شفع القنصل العام مذكرته

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during October 1912.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during February 1912

بتعليمات خاصة الى نائب القنصل البريطاني في كربلاء تقتضى بتمكين المتهم من الهرب من البلاد<sup>(1)</sup>.

ولم تبد القنصلية العامة البريطانية في بغداد ميلا للتعاون مع السلطات العثمانية بشأن ترحيل بعض الرعايا الهنود غير المرغوب فيهم عن البلاد. ففي غضون شهر حزيران - يونيو ١٩١٢ استقصر مدير شرطة بغداد من الترجمان الثانى للقنصلية العامة إذا كان القنصل العام مستعدا للتعاون مع الوالى فى ترحيل الرعايا الهنود الذين كانوا يعيشون فى البلاد دون موارد معيشة ظاهرة أو حرفة بيّنة. فأوعز القنصل العام للترجمان أن يضمن رده القول بأن القنصلية العامة ليست لديها أموال مخصصة لترحيل جماعى للهنود، وأن الطرد بموجب القانون الانكليزى يكون مشروعا فقط حين يمكن اثبات شئ محدد غير محبذ ضد الشخص المعنى. وطلب القنصل العام أن يحتوى الرد الإشارة الى أنه كان مستعدا دوما للتعاون مع السلطات العثمانية فى التحقيق فى اتهاماتها للرعايا الهنود بارتكاب جرائم أو سوء استرزاق، ولكن أمثال تلك الاتهامات كانت نادرة<sup>(2)</sup>. وقد أدى غياب التعاون البريطانى ذلك الى ظهور نتائج أخذ البريطانيون أنفسهم يشكون منها. إذ لاحظ القنصل العام بعد سنة من التاريخ الأنف الذكر أن هناك تدفقا من الهنود على العراق من غير القادمين لغرض أداء الزيارة، وأن بعض أولئك المتدفقين كانوا نوى طبائع غير مرضية.

ورغم أن لبغداد تأثيرا غير أخلاقى على الهنود الشبان المهاجرين

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during June 1913.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during June 1912.

عزاه جزئيا لنمط الحياة شبه الأوربي في بغداد كشراب الخمر في  
الغداق، ولغياب الكواجح التي كان أولئك الشبان معتادين عليها في  
موطنهم الأم<sup>(1)</sup>.

### □ رعاية المؤسسات التعليمية البريطانية:

أبدت القنصلية العامة البريطانية اهتماما ملحوظا بالمدارس  
البريطانية في العراق. ولم تكن تلك المدارس كثيرة العدد، إذ اقتصر  
على ثلاث مدارس فقط هي مدرسة الجالية الهندية في كربلاء، ومدرسة  
تابعة "جمعية الكنيسة التبشيرية The Church Missionary Society" في  
بغداد، وأخرى صغيرة تابعة للجمعية نفسها في مدينة الموصل.  
وانصب أكثر الاهتمام على مدرسة الجالية الهندية في كربلاء كما  
يظهر من وثائق القنصلية العامة البريطانية في بغداد. وكانت تلك  
المدرسة قد أسست سنة ١٩١٠ بتبرعات طوعية جمعت من الرعايا  
الهنود. وحين ذهب القنصل العام لزيارة كربلاء في آذار - مارس  
١٩١٢ تفقد المدرسة فوجدها تضم أكثر من مائة تلميذ أغلبهم هنود أيتام  
يتولى تعليمهم أربعة مدرسين تعليما مجانيا يشمل القرطاسية والكتب.  
ووجد التلاميذ سعداء أنكياء والانضباط والنظام سائدين في المدرسة.  
واعتبر القنصل العام المدرسة بقعة وضاءة وسط ظلام البلدة الأخلاقي  
ومثلا رائعا على الاعتماد على النفس من جانب الجالية الهندية في  
كربلاء. وقد قررت لجنة كربلاء لوقف أودة منح المدرسة إعانة مالية  
صغيرة، كما جمعت للمدرسة تبرعات مالية استثنائية خلال وجود

(1) OP. cit.

القنصل العام فى كربلاء. وقبلت إدارة المدرسة نصح القنصل العام بوجود تدريس اللغة التركية الى جانب الانكليزية التى كانت الجهود تبذل لتأمين معلم كفاء لهما. وامتدح القنصل العام الفوائد المستقبلية للمدرسة التى يمكن إرسال المتفوقين من تلاميذها لمواصلة دراستهم فى مدرسة جمعية الكنيسة التبشيرية فى بغداد حيث يتقنون الانكليزية والتركية هناك يهيئون لتولى الوظائف الرسمية فتحقق فائدة عظيمة حيث تتمكن القنصلية العامة فى بغداد ونياباتها القنصلية فى كربلاء والموصل فى تأمين ملاك موظفيها بشكل كامل من جنود بريطانيين محليين<sup>(١)</sup>.

ولم تسلم تلك المدرسة فى تدخل الإدارة الحكومية فى شؤونها، فقد رفع سلامى بك مفتش المدارس الابتدائية تقريرا فى شهر حزيران - يونيو ١٩١٢ الى مدير المعارف فى الولاية يتهمها بمزاولة التعليم بدون رخصة رسمية. وأكد نائب القنصل البريطانى فى كربلاء أن وراء ذلك التقرير مكائد رتبها الشيخ على المازندراني والواعظ الحكومى محمد حسن، وهما عدوان للمصالح البريطانية عموما - وترتب على ذلك أن اضطرت إدارة المدرسة الى تقديم عريضة لمتصرف كربلاء طالبة إنز الولاية باستمرار المدرسة فى عملها. وحين علم القنصل العام بالأمر قابل مدير المعارف فى الولاية حول الموضوع حيث أعلمه المدير أن العريضة غير نظامية فى نقاط عديدة وتجب اعادتها للمدرسة لتعديلها. ولكنه وعده فى الوقت نفسه بعدم اغلاق المدرسة. وقد اعترف للقنصل العام وهو ينقل تلك المعلومات فى وضع تلك المدرسة الإسلامية

(1) IOR, LUP + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during March and April 1912.

الخاضعة للحماية البريطانية وضع غريب حقاً. كما أن السفير البريطاني في اسطنبول أخبره بأن القانون العثماني ليس واضحاً فيما يتعلق بها.

ولم تكن تلك المدرسة هي الوحيدة التي تدخلت السلطات الحكومية في عملها في غضون ذلك الوقت. إذ روى نائب القنصل البريطاني في كربلاء في أيلول - سبتمبر ١٩١٢ أن السلطات الحكومية في النجف حاولت وضع المدارس الدينية هناك تحت نوع من السيطرة الحكومية من خلال تعيين علماء محددین اساتذة والإصرار على حصول الطلبة مستقبلاً على شهاداتهم العلمية من أولئك الأساتذة دون غيرهم. وكان على الطلبة بعدها مراجعة لجنة حكومية والتسجيل لديها، وعندها فقط تعترف السلطات بهم على أنهم طلبة. حيث كان عدد من أولئك الطلبة رعايا هنود بريطانيين فقد نصحهم نائب القنصل البريطاني في كربلاء بعدم الإذعان لذلك التنظيم الحكومي الجديد. ولم يحل دون نشوب أزمة بين القنصلية العامة البريطانية وسلطات الولاية حول تلك القضية إلا تراجع تلك السلطات عن تطبيق خطتها تلك.

وقد علل القنصل العام الروسي محاولة السلطات تنفيذ تلك الخطة برغبتها في الإمساك برعايا عثمانيين يحاولون التهرب من أداء الخدمة العسكرية الإلزامية عن طريق التخفي في زي طلبة العلوم الدينية<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن إدارة المعارف كفت عن الالاحاح على ضرورة حصول المدرسة الهندية على الرخصة الرسمية اللازمة. إذ ذكر نائب القنصل

---

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during September 1912.

فى كرىلاء فى تموز - يوليو ١٩١٣ أن السلطات الحكومية تفعل شيئاً لمضايقة المدرسة فى الآونة الأخيرة. ولكنه شكاً من شقاكات حدثت بين أعضاء اللجنة المشرفة على إدارة المدرسة التى لولاها لكانت هى المدرسة الأفضل بين مدارس كرىلاء كلها<sup>(١)</sup>.

وكرر القنصل العام الشكوى نفسها فى الشهر التالى وأضاف أن الأسس التى تدار عليها المدرسة لا تبدو معقولة كما كانت حالها فى العام الماضى، وأن الأمر كان يستدعى القيام بزيارة لها لولا أنه لم يرد إعطاء المدرسة مظهراً رسمياً بريطانياً سيما وهى لا زالت تتعارض مع إدارة المعارف من أجل الحصول على إذن رسمى يضىف الشرعية على وجودها. وذكر أن سبب المشكلة التى تعانيها المدرسة هو طموح إدارتها لجعلها المدرسة الأكبر والأشهر فى كرىلاء، لذا فقد فتحت مجال القبول فيها لأكثر من مائة وخمسين تلميذاً أكثرهم ليسوا هنوداً ولا رعايا بريطانياً، يتلقون العلم فيها مجاناً حتى لو كان أبائهم من الموسرين. كما استأجرت إدارة المدرسة بناية كبيرة لها وزادت رواتب معلمها وأكثرت من المهرجانات والحفلات المدرسية التى تقيما.

ونتج عن كل ذلك أن غدت المدرسة مدينة بمبلغ ست وستين ليرة عثمانية، وكانت أدارتها تتطلع الى وقف أوده من أجل مساعدتها فى تغطية ذلك الدين. وبين القنصل العام أنه رفض ذلك باعتبارها تشجيعاً للإدارة على سوء عملها وتبيداً لأموال وقف أوده. فلجأت الإدارة بدلاً من ذلك الى تنظيم حملة تبرعات طوعية نجحت فى تغطية مبلغ العجز عدا اثنتى عشرة ليرة منه.

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during July 1913.

وقد وافق القنصل العام بعدها على قرار لجنة وقف أوده في كربلاء بتغطية ذلك المبلغ المتبقى ومنح المدرسة اعانة مالية قدرها ثمانى وأربعون ليرة تركية فى الأشهر السنة القادمة مقابل تعهد إدارة المدرسة بالعمل على جعلها فى وضع مالى أفضل قبل نهاية المدة المذكورة<sup>(1)</sup>.

أما نائب القنصل البريطانى فى الموصل فقد كان مشغولا من جانبه باتخاذ النشاط التعليمى وسيلة لتعزيز النفوذ البريطانى فى تلك الولاية. وكان يقدر أهمية تلك الوسيلة تقديرا فائقا لدرجة أنه كتب فى شباط - فبراير ١٩١٣ قائلا أن البريطانيين فى الموصل فى دفاعهم عن مصالحهم يتمرسون خلف المدرسة الصغيرة التابعة لجمعية الكنيسة التبشيرية على الرغم من كونها مكرسة فقط للأطفال الصغار، حيث أى مكان آخر عداها يمكن تعلم اللغة الانكليزية فيه. ومن أجل التوسع فى ذلك المجال ونائب القنصل أنه فتح مؤخرا صفين لتعلم اللغة الانكليزية وأقر لهما مدرسين جادين.

وأضاف أن صبيان المدينة أقبلوا إقبالا جيدا على الالتحاق بتلك الصورة حتى أنه اضطر الى رد كثير من المتقدمين لعدم توفر مكان شاغر لهم. وبين ذلك الاقبال أسفر عن رد فعل كبير لصالح اللغة الانكليزية، فبعد أن كانت مدارس الروم الكاثوليك فى

---

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during October 1913.

البداية تعاقب أيا من تلامذتها الذين يلتحقون بتلك الصورة خوفا عليهم من انحراف عقيدتهم الصحيحة من جراء دراستهم في دورة يتولاها بروستانت، اضطرت في النهاية الى اتخاذ خطوات من أجل ادخال تدريس اللغة الانجليزية في مناهجها الدراسية حين تيقنت أن العقاب لم يحل دون إقبال تلاميذها على الالتحاق بتلك الدورة<sup>(1)</sup>.

وانتقل نائب القنصل بعد ذلك الى بيان الصعاب التي يواجهها فذكر أن أحد مدرسية حصل على وظيفة في مكان آخر ، بينما كان الثاني يستعد لمغادرة مدينة الموصل. وبين عدم قدرته على دفع راتب مجز لمدرس متفرغ يكرس كل وقته لتعليم اللغة الانكليزية. واقترح عدة بدائل لمعالجة الوضع منها حق جمعية الكنيسة التبشيرية على توزيع مدرسيها في الموصل واعانتها ماليا على ذلك. والبديل الثاني هو تشجيع المدرسة اليهودية في الموصل على تعليم اللغة الانكليزية. وأوضح أنه فاتح بالفعل مدير مدرسة الاتحاد الاسواتيلي "The Alliance Israelite"، فرفع الأمر الى المركز الرئيسي للجمعية في باريس لتتولى العقبة الرئيسية وهي توفير المال اللازم. وذكر ما نما الى علمه من أن جمعية توطين اليهود "The Jews Colonization Society"، في لندن مستعدة لإعانة بعض المدارس ماليا شريطة أن تدرس اللغة الانكليزية.

واقترح أن يقوم وزير الخارجية السير أوارد غرين بمفاتيح تلك الجمعية بالأمر — والبديل الثالث هو من ارسالية رئيس اساقفة كنتربي "The Archbishop of Canterbury's Mission" لطلب إرسال بعثة تعليمية الى

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during February 1913.

طائفة اليعاقبة فى الموصل مماثلة لبعثتها الى الناطرة حيث ستقابل طائفة اليعاقبة تلك الخطوة بامتنان كبير، علما بأن أفرادها محدودى الحال وسوف يتحملون الجزء الأكبر من الكلفة على عواتقهم، فكل ما يريدون منظمون ومعلمون انكليز فقط. وختم نائب القنصل طرحه للموضوع بالقول: "ربما تكون حكومة الهند ميالة للمساعدة فى هذا الأمر لأن الهند لا يمكن إلا أن تكون مستفيدة من ازدياد عدد الأشخاص المتكلمين باللغة الانكليزية. واعتقد بأن كلمة أو اثنتين من وزارة الخارجية ربما تخلق نجاحا كبيرا على أساس الخطوط المذكورة أعلاه. إذا لم تخط خطوات ما لتمكين أهالى الموصل من تعلم اللغة الانكليزية فإن الألمان بالتأكيد يخطون خطوات لتمكينهم من تعلم الألمانية خدمة لمصالحهم وبما يضر باللغة الانكليزية وبتجارة الانكليز ونفوذهم"<sup>(1)</sup>.

#### □ مشاعر سكان العراق تجاه النفوذ البريطانى:

لم يبرز بين العراقيين خلال الفترة التى حدث فيها انقلاب تموز - يوليو ١٩٠٨ شعور واضح بالعداء للبريطانيين. بل أن مزاج الطبقة المتتورة من عراقىي بغداد كان أقرب للميل نحو البريطانيين خلال تلك الأيام. إذ كان يحضر حفل الاستقبال الذى تقيمه القنصلية العامة البريطانية فى بغداد سنويا بمناسبة عيد ميلاد ملك بريطانيا فى اليوم العاشر من تشرين الثانى - نوفمبر الوالى وقائد الفيالقين فقط لتقدير التهئة. ولكن عندما حلت تلك المناسبة سنة ١٩٠٨ حضر حفل الاستقبال الصباحى وفد مثل جميع طبقات المجتمع فى بغداد حيث منهم

(1) Ibid.

ممثلين للنادى العثماني وجمعية الاتحاد والترقي والصحافة المحلية والضباط والأطباء وغرفة التجارة وعلماء الدين. وأقيمت باسم الوفد كلمة قصيرة مرتجلة أكدت على ثقة الرعايا العثمانيين فى صداقة بريطانيا لدولتهم. واستفسر عدد من أعضاء الوفد من القنصل العام عما إذا كان هناك أى اعتراض على ارسالهم برفيقة تهنئة لوزير الخارجية البريطانى، فرحب بتلك الفكرة. كما قامت السلطات العثمانية أيضا، بتزيين البواخر الحكومية الراسية فى نهر دجلة احتفاء بالمناسبة. ولم يكتف بعض أعضاء الوفد الذين حضروا فى الصباح بذلك بل عادوا مرة أخرى لمبنى القنصلية العامة لحضور الحفلة المسائية حيث ألقوا خطبا أكثر ودا لبريطانيا<sup>(1)</sup>.

ولكن ذلك الشعور الودى سرعان ما تحول الى نفور تحت ضغط الأحداث الدولية التى اتخذت فيها بريطانيا مواقف اسخطت العثمانيين. وعمق ذلك الشعور سعى البريطانيين لتعزيز نفوذهم فى العراق كما مر فى الصفحات الماضية. ولم تكن السلطات الحكومية هى وحدها المتململة من هيمنة ذلك النفوذ الساعية الى كفكفته وحصره ما استطاعت. ولكن الرأى العام العراقى شاركها فى ذلك التوجه، بل واتهمها أحيانا بالتقصير فى محاربة ذلك النفوذ. وكان ذلك الشعور يطفو للسطح فى مناسبات معينة، فحين طرح مشروع بيع بواخر الإدارة النهرية الحكومية الى شركة لنج فى أواخر سنة ١٩٠٩ تفجر ذلك الشعور على شكل هياج عام شديد على حد ما لاحظ القنصل الأمريكى فى بغداد. ولم يكن ذلك الشعور - فى رأيه - أنيا بل هو

(1) IOR, 15/5/7, Turkish Arab, Memo-for December 1908.

وليد غيرة شديدة كامنة ضد تعدد بريطاني "مزعوم"، ازدادت حدته منذ الانقلاب الدستوري سنة ١٩٠٨ وخاصة عند احتفاظ القنصلية العامة البريطانية بحرس مسلح من الجنود الهنود واحتفاظها بقارب مدفعية راسى أمامها فى نهر دجلة. وقد دفع ذلك الشعور بعض المواطنين العراقيين للمقارنة بين الوضع حينئذ والوضع فى عهد السلطان عبد الحميد. فكانوا يرددون أن الحكم الدستورى لم يكن ذا فائدة لبلادهم، فعلى الرغم من أن السلطان المخلوع استحوذ على كثير من الأملاك العامة مثل الإدارة النهرية إلا أنه حافظ عليها عثمانية. أما فى ظل الحكم الجديد فإن أراضى العراق أخذت تنزلق تدريجياً الى أيدي البريطانيين.

وكان العراقيون يشكون من أن دولة صديقة مزعومة ليس لها حق بموجب الأعراف الدولية بإبقاء "مقيم سياسى Political Resident" فى بغداد، كما أن حقها أقل فى بناء قلعة حربية فى وسطهم. وأضاف القنصل الأمريكى أن انهيار السدة الأولى التى بناها المهندس البريطانى ولكوكس على الفرات جاء محفزا إضافيا للشعور ضد ما يسمى بـ "الغزو البريطانى British Invasion" على الرغم من الانهيار لم يكن نتيجة خطأ ذلك المهندس<sup>(١)</sup>.

وظل القنصل الأمريكى يرصد تطور ذلك الشعور، فكتب فى شباط - فبراير ١٩١٠ قائلاً أن مواطنى بغداد يظهرون تذمرا ضد ما يصفونه بـ "العنوان البريطانى". وكانت بعض المهيجات العرضية

تزيد من حدة ذلك التذمر مثل اقتراح ولكوكس باستعداد آلاف من الهنود أو المصريين للعمل في المشاريع الإروائية التي كان يشرف عليها<sup>(١)</sup>.

وكان بعض الأشخاص يقومون أحيانا بإثارة المشاعر المعادية للبريطانيين بين الناس بصورة متعمدة. إذ حاول السيد صالح الطي في كانون الأول - ديسمبر ١٩١١ استتارة مشاعر الناس ضد البريطانيين والروس من خلال خطب عامة القاها في الكاظمين، مما اضطر قائمقام الكاظمية لانذاره بالكف عن تلك المحاولات<sup>(٢)</sup>. وكانت الاشاعات الراجحة في بغداد تغذى ذلك الشعور، مثل الاشاعة التي تداولت في نيسان - أبريل ١٩١١ وتفيد بأن بريطانيا ستقرض تركيا مبلغ خمسة وأربعين مليون جنيه استرليني مقابل رهن ولايات بغداد والموصل والبصرة. وأن البريطانيين على وشك الحصول على امتيازات ملاحية مهمة في دجلة والفرات<sup>(٣)</sup>.

وكان بعض الأشخاص البريطانيين يلقون تعنتا في بغداد من جراء تقجر تلك المشاعر، فقد تعرض أحدهم للضرب في أيلول - سبتمبر ١٩١٣ اثناء ذهابه إلى السينما. ولم يكن هناك مبرر لذلك الاعتداء حسب رأى نائب القنصل الأمريكي في بغداد سوى شعور العداء للأوروبيين من جراء انتشار روح التعصب القوي اليائس في أذهان جماهير المسلمين<sup>(٤)</sup>. واسهمت الصحافة المحلية في تأجيج ذلك

(1) N.A.R.S., RG84, B.C.P., No. 12, Am. Con., Bag., to Am. Amb., Coust., dated 8-2-1910.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during December 1911.

(3) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during April 1913.

(4) N.A.R.S., RG84, B.C.P., Am. Vice Con., Bag., to the Am. Charge d'aaffaires, cost. dated 27-9-1913

الشعور المعادى للبريطانيين. فعندما تجدد الحديث عن بيع الإدارة النهرية في ربيع سنة ١٩١٤ نشرت صحيفة "المصباح" في الثالث عشر من آذار مارس مقالا حذرت فيه القراء من أن بريطانيا تتوى أن تفعل بالعراق ما سبق أن فعلته بالهند. ونصح كاتب المقال المواطنين — تسليح أنفسهم بالأسلحة اللازمة لقتال رواد الجيش الاستعماري في هذا البلد<sup>(١)</sup>.

ولم تكن القنصلية العامة البريطانية في بغداد غافلة عن وجود ذلك الشعور. ولكنها لم تبذل — حسبما يظهر من وثائقها — محاولة للتأثير على الرأي العام من أجل كسبه الى جانبها أو تحييده على الأقل. وركزت جهدها بدلا من ذلك على إقامة أوثق الصلات مع النخبة المستفزة سواء أكانت من كبار الموظفين أو من الوجهاء المحليين. ولا ريب في أن ذلك عائد لقناعتها بأن تلك النخبة هي المتحكمة في توجيه الرأي العام، وأن مواقفها تجاه المصالح البريطانية هي الأكثر أهمية. لذا كان القنصل العام البريطاني يظهر نشاطا كبيرا في تنمية علاقاته مع الموظفين الحكوميين والسكان المحليين على حد ملاحظة القنصل الأمريكي في بغداد<sup>(٢)</sup>.

وكان أكثر تركيز القنصل العام بالطبع على الولاية باعتبارهم رأس الإدارة ثم على كبار حاشيتهم. لذا ما كان يمر شهر إلا ويلتقى فيه القنصل العام بالوالى في حفلات ومناسبات خاصة متبادلة. فقد تعشى

---

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during February and March 1914.

(2) N.A.R.S., RG84, B.C.P. No 12., Am. Vice Con., Bag., to the Am. Charge d'affaires, cost dated 8-2-1910.

على سبيل المثال يوم التاسع من حزيران - يونيو ١٩١٠ مع الوالى حسين ناظم باشا فى منزل الأخير. وتعشى بعد ثلاثة أيام فى القنصلية العامة كل من العقيد حسن رضا بك رئيس اركان الفيلق والعميد البحرى حكمت بك قائد البحرية وإيرام بك السكرتير السياسى للوالى. وعاد القنصل العام فى السابع عشر من الشهر نفسه لزيارة الوالى فى منزله الخاص حيث جلسا منفردين يتبادلان أطراف الحديث استمر نصف ساعة<sup>(١)</sup>.

وفى الشهر التالى حضر الوالى وكبار رجال حكومته حفلتين فى حديقة القنصلية العامة يومى التاسع ثم الثلاثين منه، وعاد للعشاء فيها مع سكرتيره السياسى وفى الحادى والعشرين من ائشهر نفسه<sup>(٢)</sup> أقامت القنصلية العامة فى الثالث من حزيران - يونيو ١٩١٣ حفل استقبال رسمى احتفالاً بيوم ميلاد ملك بريطانيا حضره الوالى وقائد الفيلق ومدير الشؤون السياسية فى الولاية<sup>(٣)</sup>.

وقد درجت القنصلية العامة البريطانية على معاملة كبار الموظفين فى الولاية أيام حسين ناظم باشا باعتبارهم أوروبيين. فكانت تدعوهم الى حفلات الرقص التى نقيمها. ولكنها بعد مغادرة الوالى تراجعت عن تلك الممارسات لعدم ملاءمتها. فعزفت عن دعوتهم وكانت تعتذر لهم برأى عامة المسلمين الذى يعتبر الرقص عملاً غير لائق. ولكنها ظلت مواظبة على إقامة ولائم العشاء للولاة وكبار الموظفين<sup>(٤)</sup>.

(1) IOR, L/P + S/10/188 Summary of events in Turkish Iraq during June 1910.

(2) IOR, L/P + S/10/188 Summary of events in Turkish Iraq during July 1910.

(3) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during June 1912.

(4) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during February 1912.

وكان القنصل العام حريصا على ادامة صلته أيضا مع وجهاء بغداد. إذ أبدى لهفة مثلا على إقامة صلة مع السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب اشراف بغداد. وكان النقيب يتجنب زيارة القنصلية العامة البريطانية التي لم يكن يفصل منزله عنها إلا زقاق ضيق فقط. كما أن القنصل العام لم يبادر الى زيارته في منزله الى أن تم لقاء بين الرجلين في أرض "محايدة" وكانت العبارة الأولى التي قالها القنصل العام مثلا عريبا هو "سلام يا جارى، أنت في دارك وأنا في دارى". ولكن النقيب وهو يتخرج من زيارة القنصلية العامة لم يجد من المخرج له إيواء قبطان قارب مدفعية القنصلية العامة "كوميت Comet" في أحد سراديب منزله حين يكون الطقس حارا جدا على ظهر ذلك القارب<sup>(١)</sup>.

ولعل موقفي النقيب هذين يعكسان تمزقه بين الرغبة في إقامة علاقة مع الإنكليز المستعدين وخوفه من غضب الرأي العام الذي كان يحرص على مسابرة حفاظا على مكانته الدينية ومنزلته الاجتماعية المرموقة. ولكن بقية وجهاء بغداد لم يكونوا مثل النقيب يتخرجون من زيارة القنصلية العامة لتقديم التهاني في الأعياد والمناسبات<sup>(٢)</sup>. بيد أن وجود والى ذى نزعة معادية للبريطانيين مثل أحمد جمال بك كان يضع حدا أمام رغبة بعض الوجهاء في زيارة القنصلية العامة حيث كانوا يتخوفون من النتائج التي قد تترتب عليها<sup>(٣)</sup>.

وقد لاحظ القنصل العام البريطاني في مطلع سنة ١٩١٢ أن الرغبة

---

(1) IOR, L/P + S/10/188 Summary of events in Turkish Iraq during July 1910.

(2) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during January 1913.

(3) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during August 1912

فى توثيق العلاقة مع القنصلية العامة البريطانية عدت و، بحمة لدى كبار موظفى الولاية الذين أصحوا متسامحين ومعتدلين. وعلل ذلك التحول بالضعف الذى اعترى هبمنة جمعية الاتحاد والترقى نتيجة بروز الحزب الحر المعارض، وبالدروس التى ربما استخلصها أولئك الموظفون فى تجربة الدولة العثمانية المريرة فى حربها مع إيطاليا. ولم يغفل القنصل العام دور الموقف الحازم الذى وقفته قنصليته ضد ما أسماه انتهاك السلطات العثمانية لأملك بعض الرعايا البريطانيين فى العراق والذى أسفر عن انتزاع تعويضات لهم من تلك السلطات مما زاد من مكانة بريطانيا فى أعين أولئك الموظفين. وأضاف: "توجئت كثيرا بازدياد الصداقة واللفف تجاه شخصى... ففى العمارة على نذلة حيث قدم المتصرف السنة الفائتة عذرا مؤدبا لعدم استقبالى كليا منحنى خلفه استقبالا حارا، وتحدث لى عن شؤون لوائه بحرية غير معهودة هنا منذ وصول ناظم باشا، ويجل بريطانيا باعتبارها المثال السياسى الحقيقى لتركيا، وهو تملق مضى زمنه، وحتى أنه كتب لى رسالة خاصة بعد وصوله الى بغداد وكان قائمقام الكوث، وهو معرفة قديمة موقرا لى للغاية على الرغم من أنه كان أقل صراحة من المتصرف. وبدا قائمقام العزيزية فاقد لكل شعور بمضى الوقت حين رد زيارتى له على ظهر "كوميت". وحتى والى بغداد ابتداء منذ وصولى بعد غيبة شهرين ونصف باظهار جانب أكثر ملائمة من شخصيته الرسمية. واعتقد أن لديه أوامر من جهات عليا باقامة علاقات جيدة معى، وهو ما يبذل جهده لتنفيذه، وسوف لن يكون لديه سبب للشكوى من غياب التجاوب من جانبى. جاء قائد فيلق جيش بغداد منذ عدة أيام لرؤيتى بعد

حلول الظلام وبقي طويلا جالسا قبالتى وجها لوجه أمام نار صالة الاستقبال<sup>(1)</sup>. ولم تكن تلك المواقف ناجمة عن محبة أولئك الموظفين لبريطانيا، ولكنها ناتجة عن معرفتهم بقوة النفوذ البريطانى فى العراق، بل وفى الدولة العثمانية كلها. ولقد كانت تلك المعرفة موجودة حتى فى أواسط عامة الناس فى الأرياف والبرارى. إذ أطلقت النار على الطبيب الأمريكى المبشر آرثر بنيت Bennett حين كان مسافرا على ظهر كلك فى نهر الفرات قرب بلدة عانة. فصاح الكلاك بمطلقى النار من الأعراب أن المسافر "قنصل بريطانى". فكف الأعراب عن إطلاق النار وسبح بعضهم فى مياه النهر الى الكلك للتحقق من وجود "البريطانى" على ظهر الكلك<sup>(2)</sup>.

#### □ الاهتمام بالوضع البريطانى المستقبلى فى العراق:

لم تتشغل السلطات القنصلية البريطانية فى العراق بمعالجة قضايا الواقع الأنى فقط، بل اهتمت أيضا باستشراق آفاق المستقبل، وفكرت فى كيفية تعزيز نفوذ بريطانيا فى العراق فيما سيأتى من الزمان. فحين علم القنصل العام البريطانى فى بغداد أن مناقشة ستكون وشيكة بين الدول الكبرى حول مناطق نفوذها الاقتصادى فى الدولة العثمانية أبرق فى الخامس والعشرين من نيسان - أبريل ١٩١٣ الى السفير البريطانى فى اسطنبول السير جيرارد لوثر قائلا أن العامل الأكثر أهمية فى مستقبل العراق، وربما الدولة العثمانية كلها، هو منظومة

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during January 1912.

(2) N.A.R.S., RG84, B.C.P No 3., Am. Vice Con., Bag., to the Am. Amb., cost., dated 21-10-1909

الرى المخطط لها. ومن أجل أن تضم كل أعمال الرى المعترمة يجب  
مد منطقة النفوذ البريطانى فى العراق حتى الخط الواصل بين هيث  
على الفرات وسامراء على دجلة شمالا وتحدرد بعدها الى الخليج  
العربى جنوبا، إذ بالإضافة الى موضوع الرى فإن سامراء مكان  
يقصده زوار هنود بريطانيون كثيرا. ولو أضيفت عانة الى تلك المنطقة  
لأصبحت منطقة النفوذ البريطانى مطابقة لحدود ولايتى بغداد  
والبصرة. وسيكون أمرا رائعا من وجهة نظر المصالح النفطية  
البريطانية، إضافة ولاية الموصل الى منطقة النفوذ البريطانى. ولكن  
ربما تكون محاولة كهذه مفرطة فى حجمها، خاصة إذا كان مقطع بغداد  
— سامراء فى سكة حديد بغداد سينقل للبريطانيين. وختم القنصل العلم  
رؤيته لمستقبل النفوذ البريطانى فى العراق بالقول أن لدى بريطانيا ما  
تربحة وما تسخره فى العراق أكثر من أى مكان آخر فى الدولة  
العثمانية. وترك للسفير الحكم فى جدوى تعزيز وضع بريطانيا فى  
العراق مقابل تضحيات تقدم فى أماكن أخرى<sup>(1)</sup>.

ولا شك أن القارئ اللبيب قد استشف من تلك الرؤية الخطة التى  
سار عليها البريطانيون بالفعل أثناء الحرب العالمية الأولى وما تلاها  
من أحداث.

وكان اهتمام القنصل العام بأمر ولاية الموصل مستندا، من بين  
أمور أخرى، على تقرير طويل تلقاه من نائب القنصل البريطانى فى  
الموصل قبل ذلك بشهرين. وجاء فى ذلك التقرير أن الموصل لا تتبع

---

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during April 1913.

أية منطقة نفوذ حينئذ، ومارالت قضية مفتوحة فكرة صمها الى منطقة النفوذ البريطانية فى العراق، أو الى منطقة النفوذ الفرنسية فى سوريا، أو الى منطقة النفوذ التى تحاول المانيا حلقتها لنفسها، أو الى منطقة النفوذ الروسية التى تتضخم بثبات الى الشمال الشرقى من الموصل. وعبر عن رأيه فى أن الموصل تعود جغرافيا بالتأكيد الى منطقة النفوذ التى تتبعا بآداد والبصرة. ويعد أن استعرض نائب القنصل واقع المصالح البريطانية لتجارية فى الموصل وتفوقها على أى من المصالح الأجنبية الأخرى اقتبس من كتاب الدكتور رهبرلرخر Rohrbacher الموسوم بـ "Die Gaghdadbahn" الفقرة التالية: "لقد زرت شخصيا ينابيع نفط كركوك وينابيع نفط بابا كركر المجاورة لها، وكلاهما أضخم من الظاهرة المماثلة فى شبة جزيرة Aspcheron فيما وراء القفقاس الروسية قبل بدء الحفر فيها. وحين نرى الدور المهم الذى لعبته منتجات النفط فى روسيا كوقود للقطارات والبواخر وكثير من المهام الصناعية، ونفكر بالأهمية الهائلة للنفط فى تلك الأيام كمادة للوقود والإنارة، فيجب أن نولى الأهمية الفائقة لحقيقة أن سكة حديد بغداد ستمر بمحاذاة المناطق النفطية. والشئ الوحيد الذى يجب التخوف منه هو أن يفلح ذهب أجنبى أو مضاربون أجانب فى الحصول على حق تفضيلى فى تطوير نفط ما بين النهرين قبل اتخاذ أية خطوة تمهيدية ألمانية". وحث نائب القنصل وزارة الخارجية البريطانية ومجلس التجارة البريطانى على دفع رأس المال الإنكليزى نحو فعل ما خشيه الدكتور رهبرباخر بالفعل<sup>(1)</sup>.

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during February 1913

و عاد القنصل العام الى تناول موضوع مستقبل العراق فى خلاصته لأحداث شهر تمور - يوليو ١٩١٣ - فتطرق الى عدة أمور باعتبارها المصالح الاقتصادية الأساسية فى العراق التى تتنازع عليها الدول الأوروبية - وتتمثل تلك الأمور بالرى والسكك الحديدية والملاحة البخارية وانتاج النفط . ففىما يتعلق بالرى ذكر أن تجارة بغداد فى جوهرها تجارة مرور من فارس واليه ومن المحتمل ان تتحول تجارة المرور تلك عن طريق البصرة - بغداد خانقين الى طريق أخرى تربط مباشرة موانى فارسىة مع قلب فارس الغربية . وعندما سيترك العراق للاعتماد على موارده الخاصة، وهى موارد زراعية بصورة رئيسية بل وربما مطلقة، وهى غير مطورة كليا فى وضعها الحالى مقارنة مع أقطار مماثلة. وأن تطويرها عن طريق الرى هو الذى سيعطى العراق يوما مكانا فى العالم ويجعله مساوما إن لم يكن متوقفا على مصر الدنيا فى تعداد سكانها وتأثيرها. وأن إدارة الرى المستقبلية هى التى ستسيطر بالتالى على الانتاج وعلى توزيع الثروة فى البلاد. إذ ستتولى تلك الإدارة تخمين إيرادات الأراضى وربما جبايتها أيضا وتحديد معدلات توزيع المياه، لذا ستكون قبضتها قوية على الناس. وإذا ما تولت ذلك العمل إدارة حكومية فإن سلطات الحكومة العثمانية ستقوى وخزائنها ستجتز بالأموال. أما إذا انزلقت الإدارة لأيدى شركة أو شركات فسيودى ذلك الى خلق مملكة داخل المملكة وستتخفف فائدة الحكومة العثمانية الى حدود ضيقة. وتطرق القنصل العام بعدها الى واقع مشاريع الرى فى العراق حينئذ مثل سدة الهندية والى احتمال تنفيذ بقية المشاريع التى خططها السيد وليم ويلكوكس مما سيترتب عليه

خسارة بريطانيا لموطئ قدم مهم أحرزته في العراق. واقترح أن تقدم حكومته للحكومة العثمانية قرضا ماليا من الخزانة البريطانية أو الهندية مقابل ضمانته ما لتمكين الحكومة العثمانية من استغلال المصدر المالى الأعظم المتبقى للباب العالى<sup>(1)</sup>.

ولم يكن دافع القنصل العام بالطبع هو الحرص على مصلحة الدولة العثمانية، بل كان يستهدف تنفيذ تلك المشاريع برأس مال بريطاني، وإبقاءها بيدي الدولة العثمانية الى أن يحين للبريطانيين نقلها لأيديهم مباشرة، بدلا من أن تنفذ برأس مال آخر وتنزلق بذلك ادارتها لشركة عائدة لدولة أخرى منافسة.

وفيما يتعلق بسكك الحديد ذكر القنصل العام أن تجارة تصدير عراقية ذات حجم أكبر معتمدة على انتاج زراعى أوسع وتقابلها تجارة استيراد أنشط سوف تتطلب مواصلات مطورة على شكل سكك حديدية حديثة. أما الملاحة البخارية فهي الوسيلة الوحيدة المتاحة للنقل فى العراق حينئذ، فهي معادية للرى والتوسع الاقتصادى فى البلد على الرغم من أنها لا مستقبل لها حيث لن تستطيع الصمود بوجه سكك الحديد المتوقعة. ونقل عن ويلكوكس قوله: "وفر لدجلة والفرات قنوات تصريف الى الصحارى فتتافس باب مصر ثانية، وستغدو سكك الحديد هناك المشروع الأكثر ربحا فى العالم". وذكر القنصل العام أن الملاحة البخارية مصلحة بريطانية راسخة الجذور فى العراق، ولكن وجوب التضحية بها سيكون أمرا حكيما حقا من جانب بريطانيا إذا ما أخذت

(1) IOR, L/P + S/10/212 Summary of events in Turkish Iraq during July 1913.

المستقبل أكثر من الحاضر بنظر الاعتبار إذ لا أمل لبواخر عتيفة تنر  
وهى تزحف مصعدة بعناء ضد تيار النهر المنحدر ستخلى يوما مكانها  
بهدوء لمراكب القطارات بألوانها الزاهية. وانتقل القنصل العام بعدها  
للإشارة الى النفط، وذكر أنه تعمد وضعه فى آخر القائمة لأنه مصلحة  
لم تتأكد أهميتها بعد، فعلى الرغم من وجود النفط والغاز فى القيارة  
وابوزخرماتو وكركوك ومندى وهيث وغيرها إلا أنه لا شئ معروف  
بشكل رئيسى عن كمياتها ونوعياتها وامكانيات استغلالها. وختم  
القنصل العام الحديث عن توقعاته المستقبلية بالقول: "أن السياسة التى  
ستتبع يجب أن تعتمد بشك كبير على النظرة الى المستقبل المحتمل  
لتركيا. فإذا كان من المعتقد أن تركيا يمكن أن تستمر فإن مزجا  
للمصالح فى ما بين النهرين وتدويلها ربما يكون مفضلا لتفادى وقوع  
مسؤولية سياسية (عن صيانة النظام وسلامة حياة الأوربيون، الخ) على  
عائق دولة مفردة. أما إذا كان من المعتقد، من جانب آخر، أن تركيا  
يجب أن تتفتت وأن ما بين النهرين سيصبح منطقة نفوذ بريطانية على  
نحو مميز فسيغدو عنها تطلق مصالح أجنبية غير بريطانية الى الجنوب  
من الموصل أمرا مشحونا بعواقب مستقبلية خطيرة"<sup>(1)</sup>.

(1) Ibid



## الخاتمة

وبعد، فنتك هي صورة النفوذ البريطاني في عراق مطلع القرن العشرين، وهي صورة موحية معبرة تصارع فيها طرفان. طرف هرم أنقلت السنون حركته، وشلت الأمراض والمحن قوته حاول الصمود أمام طرف آخر كان في عنفوان قوته وفورة نشاطه. تدمر الطرف الأول أحياناً وتتمر حيناً، ولكنه لم يكن يلبث طويلاً حتى يكتم تدمره وينسى تدمره ويستسلم لإرادة القوة الغالبة لدى الطرف الخصم الذي كان لا يترك فرصة سانحة إلا ويستغلها لتأكيد تقوقه وتعزيز مواقعه استعداداً للإطباق النهائي على فريسته.



# المحتويات

٢	توطئة .....
	<b>الفصل الأول</b>
٦	أضواء على حركة الإدريسي في عسير .....
	<b>الفصل الثاني</b>
٥١	أهمية الشعر النبطي باعتباره أحد مصادر التاريخ الحديث .....
	<b>الفصل الثالث</b>
٦٧	مشروع الاستيطان الصهيوني في العراق .....
	<b>الفصل الرابع</b>
٩٥	مشكلة بساتين آل صباح في منطقة البصرة .....
	<b>الفصل الخامس</b>
١١٩	صمحات في صراع الرياض وحائل .....
	<b>الفصل السادس</b>
٢٤١	مشكلة قبيلة المحمان بين سنتي ١٩١٠ - ١٩١٩ .....
	<b>الفصل السابع</b>
٣٠٣	العلاقات بين الرياض ومكة المكرمة أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ .....
	<b>الفصل الثامن</b>
٣٥٥	النفوذ البريطاني في العراق بين ١٩٠٨ - ١٩١٤ .....
٤٤٧	الخاتمة .....









